(٢٢)

دلالة السياق القرآني

وأثرها في التفسير

دراسة نظرية تطبيقية
من خلال تفسير ابن جرير

إعداد

د. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم

الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود

المجلد الأول

دار التدمرية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

جرى مناقشة هذه الأطروحة ليلة الثلاثاء ١٤٢١/١/٢٧هـ
في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكانت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة مكونة من :
فضيلة الدكتور : حسن عبد العزيز علي عضو هيئة التدريس في الكلية مقرراً .
وفضيلة الدكتور : عبد العزيز بن ناصر السبر عضو هيئة التدريس في الكلية عضواً .
وفضيلة الدكتور : سعيد جمعه الفلاح عضو هيئة التدريس في الكلية عضواً .
وقررت اللجنة منح الباحث درجة الماجستير بتقدير : ممتاز

المقدمة

المقدّمة :

إنّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئاتِ أعمالنا ، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ، وحــدَه لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه – صلّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً – .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أمّا بعْدُ :

فإنّ خيــرَ ما بُذلت فيه الأوقاتُ والجهودُ ، تدبّرُ الكتابِ الكريم ، الذي أنــزله الله مَوْعِظَةً، وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى ، وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ .

ولا سبيلَ للاتّعاظ والاستشفاء والاهتداء بالقرآن إلا بمعرفة مراده ، وذلك بتفسير ألفاظه، وفهم تراكيبه ، ومن ثمّ يصل السائرون إلى الله لثمرة هذا الكتاب المنــزّل ، وهي التّدبّر الدّاعي إلى العمل ، ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص: ٢٩].

ولقد سلك العلماء طرقاً لفهم معاني كلام الله – عزّ وجلّ – وأحسنها الآتي :

الأولى : تفسير القرآن بالقرآن ، فما أُجمل في موضعٍ ، فُصِّل في موضعٍ آخر ، وما اختُصِر في سورةٍ ، بُسِط في أخرى .

الثانية : تفسير القرآن بالسّنة الصّحيحة عن نبيّنا محمّدٍ – ﷺ – ، فإن السّنة شارحةٌ للقرآن وموضّحةٌ له –قال تعالى– : ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾

[النحل: ٦٤]. وقال النبي – ﷺ – : " ألا إنّي أُوتِيْتُ القرآنَ ومثلَه مَعَه" .(١)

الثالثة : تفسير القرآن بأقوال الصّحابة – رضوان الله عليهم – الذين شاهدوا وقائع التّنْزيل، وأعطاهم الله الفهمَ التّام ، والعلمَ الصحيحَ ، وهم خيرُ القرون .

الرابعة : تفسير القرآن بأقوال التّابعين ، الذين أخذوا عن الصّحابة ، وهم أفضلُ القرون بعد الصّحابة ، وكذلك تفسيره بكلام تابعي التّابعين ؛ لتزكية النّبي – ﷺ- لهم حيث قال : "خير أُمَّتي قرني ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الذين يلونهم..." الحديث (٢) .

الخامسة : تفسير القرآن باللّغةِ ؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب ، –قال تعالى–: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾ [يوسف: ٢]. فاللغة العربيَّةُ توضّح معاني الكلمات ، والأساليب اللغوية(٣)، وأوضحُ دليل على ذلك جواب ترجمان القرآن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– على أسئلة الخارجيّ نافع بن الأزرق(٤) بالأشعار (٥) .

ولا شكّ أنّ أصحَّ هذه الطّرقِ وأحسنَها : تفسيرُ القرآن بالقرآن ؛ فلا أحدَ أعلمُ بمراد الله

---

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (١٠/٥) حديث (٤٦٠٤) ، والترمذي كتاب العلم باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي – ﷺ – (٣٧/٥) حديث (٢٦٦٤) ، وابن ماجه ، في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله – ﷺ – والتغليظ على من عارضه (٦/١) حديث (١٢) ، والدارمي في مقدمة سننه ، باب السنة قاضية على كتاب الله (١٥٣/١) حديث (٥٨٦) ، وأحمد في المسند (١٣١/٤) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقال محقق المسند : إسناده صحيح ٤١١/٢٨ .

(٢) رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب فضائل أصحاب النبي – ﷺ – ، باب فضائل أصحاب النبي – ﷺ – ومن صحب النبي –ﷺ – أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، صفحة (٧٤٧) حديث (٣٦٥٠) ، ومسلم (١٩٦٢/٤)، في كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٢) فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حديث (٢٥٣٣) .

(٣) انظر أصول التفسير وقواعده ، للشيخ خالد بن عبد الرحمن العك صفحة (٧٩–٨٠) .

(٤) هو أبو راشد ، نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي الأزرقي الحروري ، لا عقب له ، قتل يوم دولاب ، على مقربة من الأهواز، سنة خمس وستين . المعارف لابن قتيبة صفحة (٦٢٢) ، والكامل لابن الأثير (٣٣٥/٣) ، والأعلام للزركلي (٣١٥/٨) .

(٥) أخرج بعضها الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٨/١٠) في مسند ابن عباس،وأوردها السيوطي في الإتقان (٣٨٣/١)،وفي ثبوتها خلاف.

من الله ، والصّلةُ بين الآية المفسَّرة والمفسِّرة لها قد يكونان في محلٍّ واحدٍ وسورةٍ واحدةٍ ، وقد يفترقان، وأغلب تفسير القرآن بالقرآن إذا أطلق ينصرف إلى المتفرِّق في القرآن ، وأقوى النوعين وأسلمهما ما كان في محلٍّ واحدٍ وسورةٍ واحدةٍ (١)، وهذا هو موضوع هذه الرسالة الذي يتعلّق بالتفسير بدلالة السّياق .

إذا عُلِم أنَّ تفسيرَ القرآن بالقرآن أحسنُ الطرقِ وأقواها وأفضلُها ، فإن التّفسيرَ بدلالة السِّياق – موضوع هذه الرّسالة – داخلٌ تحت هذه الأهميّة والأولويّة في التّفسير ، إذ هو من تفسير الآية بما ورد في السّورة الواحدةِ ، والذي ينبغي على المعتنين بتفسير القرآن ملاحظته ومراعاته ؛ ولذلك اخترت موضوع دلالة السّياق .

والمقصود بالسياق : تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده في الترتيب .

والمقصود بدلالة السياق بمعناها العام هي : فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده .

والمقصود بدلالة السياق في التفسير : هي بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق .

ومن الأمثلة على التفسير بالسياق :

ما روي من جواب النبي – ﷺ – لعائشة –رضي الله عنها– لما سألته عن قوله–تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠] فقالت : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : "لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ، ويصلون، ويتصدقون ، وهم يخافون ألا يقبل منهم ، أولئك الذين يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون ". (٢)

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٣) ، وقد مثّل على ذلك : بتفسير محمّد بن كعب القرظي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ [الإخلاص: ٢] بقوله تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤]، وكذلك تفسير أبي العالية قوله : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ [المعارج: ١٩] بقوله : ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١﴾ [المعارج: ٢٠ - ٢١]، وبقول ثعلب لما سئل ما الهلع ؟ قال : " قد فسّره الله تعالى " يعني في قوله : ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١﴾ وغير ذلك .

(٢) رواه الترمذي في تفسير سورة المؤمنون (٥/٣٠٦) ، حديث رقم (٣١٧٥) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، -

وهذا مثال من السنّة واضح في استعمال اللاحق من الآيات ، في معرفة معنى الجملة المفسَّرة ، ورجع فيه النبي - ﷺ -إلى السياق ليحلَّ المشكل في الأذهان ، قال المباركفوري -رحمه الله- (١) : " أولئك الذين... كذا في هذه الرواية ، وفي القرآن : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١)﴾ [المؤمنون: ٦١] " (٢).

وقال رجل : لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يا أمير المؤمنين : أرأيت قول الله : ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾ [النساء: ١٤١]؛ وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له علي : ادنه ، ادنه!، ثم قال : ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾ [النساء: ١٤١] يوم القيامة." (٣) .

فبين علي – رضي الله عنه – أن محل إشكال السائل هو ظهور بعض الكافرين على المسلمين في الدنيا؛ بينما هذا الوعد محدد باليوم الآخر بدلالة سياق الآية، وهي قوله : ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾

-

حديث (٢٥٣٧) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب التوقي على العمل (١٤٠٤/٢) ، حديث (٤١٩٨) ، والحاكم في المستدرك (٣٩٣/٢) وصححه ، ووافقه الذهبي في التلخيص للمستدرك ، وأحمد (١٥٩/٦) برقم (٢٥٣٠٢) ، وغيرهم ، إلا أن الدارقطني رجح إرساله في العلل ١٩٣/١١، وضعفه محقق المسند لانقطاعه ١٥٦/٢٤ .

(١) هو أبو العلى ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري –نسبة لبلدة في الهند –، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف ، له: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ، توفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف . انظر ترجمته باختصار أول تحفة الأحوذي (٣/١) .

(٢) انظر تحفة الأحوذي (٢٠/٩) .

ومن الأمثلة على أهمية السياق : ما روى البخاري عن سهل بن سعد قال : أنزلت ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [البقرة ١٨٧] ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ فعلموا أنما يعني الليل من النهار ، فزال الإشكال عند الصحابة بعد نزول جملة ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ وحين تهمل هذه الجملة في تفسير الآية يقع اللبس والخطأ في الفهم كما حصل من عدي بن حاتم– رضي الله عنه– .

(٣) جامع البيان (٣٣١/٤) وتحقيق شاكر (٣٢٧/٩) .

وبعدها مباشرة ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ .

ولما رد نافع بن الأزرق الخارجي على ابن عباس ، أن قوماً يَخْرجون من النار مستدلاً بقول الله - جلّ وعزّ -: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٣٧] (١) ، فقال ابن عباس : ويحك !! اقرأ ما فوقها!! ، هذه للكفار ." (٢)

والآية التي فوقها -أي قبلها -هي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المائدة: ٣٦] (٣) .

وهذا الموضوع واسعٌ لا يحاطُ به على سبيل العموم ، فرأيتُ الاقتصار على تفسير جامع البيان لإمام المفسرين محمد بن جرير الطّبري -رحمه الله- المتوفى سنة عشر وثلاثمائة ، ورأيتُ أن يكونَ موضوعُ البحث من خلاله ؛ للأسباب الآتية :

الأول : اهتمام الإمام -رحمه الله- بدلالات السّياق تصريحاً أو تلميحاً ، حيث إنّه يدقّق النّظر في تتابع الآيات والجمل ويلحظ الأقرب للمعنى ، فيرجّحه ويدلّل عليه .

قال الشيخ محمود شاكر -رحمه الله- (٤) فيه : " إنه كان مفسراً إماماً سبق ففات السّابقين ، لم يلحقه لاحقٌ في البصر بمعاني كتاب ربّهِ ، وفي الحرصِ على بيان معانيه ، وفي الدّقّةِ البالغة في ضبط روابط الآيات بعضها ببعض...وأبو جعفر -ﷺ- لم يغفل عن هذا التّرابط الدّقيق بين معاني الكتاب ، سواء كان ذلك في آيات الأحكام ، أو آيات القصص أو غيرها من نصوص هذا الكتاب ، فهو يأخذ المعنى في أوّل الآية ثم يسير معه كلمةً كلمةً وحرفاً حرفاً ، ثم جملةً جملةً ، غيرَ تاركٍ لشيءٍ منه ، أو

---

(١) المائدة (٣٧) ونصها : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

(٢) جامع البيان (٤/٥٦٧-٥٦٨) وتحقيق شاكر (١٠/٢٩٤) .

(٣) المائدة (٣٦) .

(٤) هو محمود بن محمد شاكر بن آل أبي علي ، أخٌ للشيخ أحمد شاكر ، ولد عام ١٣٢٧هـ -١٩٠٩م ، محقق كبير من تحقيقاته : جمهرة نسب قريش لابن بكار ، وكاتب في التاريخ وأحوال العالم ، له : التاريخ الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه، وغيره ، اشترك مع أخيه في إخراج تفسير جامع البيان للطبري ، فأخرجا منه إلى سورة إبراهيم (٢٧)، فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ١٩٨٣م، توفي سنة ١٩٩٧م -رحمه الله- .

متجاوزٍ عن معنى يدلُّ عليه سياقها..." (١)

الثاني : توسّع الإمام الطبري في تناول هذه القاعدة وتوضيحها وتفسيرها ومناقشةُ الأقوالِ المخالفةِ للقاعدةِ تفصيلاً ، فلا يكتفي بأنّ هذا المعنى دلّ عليه السّياق فقط ، بل يوضّحه ويدلّلُ عليه بأسلوبٍ مفصل ، وعباراتٍ واضحةٍ ، ويذكر سبب تقويته لهذا المعنى ، وما ينتقض على القائلين بغيره بذكر النّاقض له.

الثالث : أقدميّة هذا التّفسير فإنه عمدةُ من لحقه ، و لم يؤلّف بعده مؤلّف متوسّع في التّفسير غالباً إلا نَقَل عنه،وكذا منزلته عند المفسّرين؛فقد أجمعوا على أنه لم يؤلّف مثله.

الرابع : اهتمام الإمام بأقوال السّلف ورواياتهم – حتى عدّ تفسيره من أهم كتب التفسير بالمأثور – وتمسّكه بعقيدة أهل السّنة والجماعة ومدافعته عنها .

الخامس : أنّ دراسة الموضوع الطّويل عند مفسّرٍ واحدٍ ، تجمع أصول الموضوع فلا يتشتّت ، وتُبْرِزُ منهجَ المفسّرِ ، وتوضّح طريقتَه .

هذا وقد كان الحديثُ في هذا الموضوع شاقّاً ؛ لصعوبة أسلوب الإمام أبي جعفر الطبري –رحمه الله– من جهةٍ ، ولِدِقّةِ مأخذِه من أخرى ، ولكثرة المواضع المتعلّقة بالموضوع من جهة ثالثة ، وقد حاولتُ ما وسعني الجهد عرض طريقة الإمام الطبري –رحمه الله– ، والتّعليق على أهمّ المواضع التي هي داخلة في دلالة السياق .

وحين سجلت هذا الموضوع وأثناء دراسته لم أقف –حسب جهدي– على مؤلفات في الموضوع نفسه ، ولما قرب طبع هذا ونشره وجدت بحوثاً ورسائل ، ومن المؤلفات التي استقلت في السياق سواء كانت تفسيرية أو لغوية ما يلي :

١- السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية و تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير ، لعبد الرحمن عبد الله سرور المطيري ، رسالة ماجستير ، بجامعة أم القرى ١٤٢٩هـ .

٢- أثر السياق القرآني في التفسير دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة ، لمحمد بن

---

(١) جامع البيان بتحقيق شاكر (٥٣٧/٤) .

عبد الله الربيعة ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لكلية أصول الدين ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٧ هـ .

٣- السياق وأثره في توجيه المعنى في تفسير الطبري ، لمحمد بنعدة ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لكلية الآداب ، بجامعة محمد بن عبد الله بالمغرب ، عام ١٤١٨هـ .

٤- دلالة السياق ، لردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى عام ١٤٢٤هـ ، وهي دراسة نظرية ، وطبعت في جامعة أم القرى .

٥- الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق مثل من سورة البقرة ، لخلود بنت إبراهيم سلامة العموش ، رسالة دكتوراه في اللغة العربية ، مقدمة لكلية اللغة العربية في الجامعة العربية ، عام ١٤٠٨هـ .

٦- السياق ودلالته في توجيه المعنى ، لفوزي إبراهيم عبد الرزاق ، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، مقدمة لكلية الآداب ، بجامعة بغداد ، عام ١٤١٦هـ.

٧- أثر السياق في النظام النحوي مع تطبيقات على كتاب (البيان في غريب القرآن لابن الأنباري). لنوح بن يحيى الشهري ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى ، عام ١٤٢٦هـ .

٨- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة ، رسالة دكتوراه لسعيد بن محمد الشهراني ، مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين ، بجامعة أم القرى ، عام ١٤٢٧ هـ .

٩- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام ، لفهد بن شتوي الشتوي ، رسالة ماجستير ، مقدمة لقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين ، بجامعة أم القرى ، عام ١٤٢٦هـ .

١٠- السياق وأثره في الدرس اللغوي ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، لإبراهيم محمود خليل، رسالة دكتوراه ، مقدمة للجامعة الأردنية ، عام ١٤١١هـ.

١١- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، لعبد النعيم عبد السلام خليل ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بجامعة الإسكندرية ، عام ١٩٩٠م .

١٢- الربط في سياق النص العربي ، لمحمد القرشي ، رسالة ماجستير ، مقدمة لكلية اللغة العربية ، بجامعة أم القرى ، عام ١٤٠٨هـ .

١٣- السياق والمعنى عند الإمام أبي حامد الغزالي في ضوء علم اللغة الحديث ، لسالم بن محمد الخوالدة ، رسالة ماجستير ، مقدمة لكلية الآداب والعلوم بجامعة آل البيت .

١٤- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ، لعبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، كتاب مطبوع ، القاهرة دار المنار ، الطبعة الأولى لعام ١٤١١هـ .

١٥- اللغة والمعنى والسياق ، لجون لاينز ، ترجمة الدكتور عباس صادق الوهاب ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، سلسلة المائة كتاب ، عام ١٩٨٧م .

١٦- اللغة ونظرية السياق ، للدكتور علي عزت ، مقال في مجلة الفكر المعاصر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، العدد (٧٦) ١٩٧١م [1].

١٧- السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني ، لشيخنا الأستاذ الدكتور : زيد عمر عبد الله ، ونشر هذا البحث في مجلة جامعة الملك سعود (ج١٥) عام ١٤٢٣هـ الرياض . وجمع أمثلة رائعة ، وتعليقات مسددة رائقة [2].

---

[1] انظر مقال الدكتور محمد الربيعة في ملتقى أهل التفسير ، وقد وصف هذه البحوث وصفا توضيحيا وتقويميا .

[2] فمن الأمثلة الرائعة التي ذكرها : لفظ ﴿بَلَغْنَ﴾ ، حيث جاء في سورة البقرة في آيتين متجاورتين [٢٣١-٢٣٢] بقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)﴾ فالخطاب في الآية الأولى : للأزواج، ومعنى بلوغ الأجل دنوه وقبل نهايته، وفي الآية الثانية : خطاب للأولياء ، ومعنى بلوغ الأجل : نهايته بخروج المرأة من عدتها ، ونقل قول الشافعي :"دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين!!"، [مختصر المزني في فروع الشافعية بهامش الأمر ٨٧/٤، لمحمد بن أحمد المزني القاهرة ،طبع دار الشعب].

-كما مثل على تنازع السياق مع بعض الأدلة ومنها : الحديث النبوي : ففي قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ [الحج: ١ – ٢] وذكر أقوال المفسرين : فمنهم من وقت لهذا في آخر الدنيا وأول الآخرة ، واستدل بمجيء التاء في أرضعت فهي دالة على إلقام الثدي، وكذا سقوط الحمل وذهب له ابن عطية والقرطبي . ومنهم من حملها على يوم القيامة واستدلوا بحديث قدسي صريح [رواه البخاري ٤٤٦٤ ، ومسلم٢٢٢]: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي – ﷺ- :" يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدمُ، فيقول : لبيك ربَّنا وسعديك ، فَيُنادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه ، قال تسعمائه وتسعة وتسعين ، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد..."الحديث.وعند الترمذي [ح٣١٦٨] عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله – ﷺ- حين نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر: "أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذلك ؟ فَقَالُوا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال :"ذلك يوم يقول الله لِآدَمَ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ ..".ورجحه الطبري ، وابن كثير ، والشنقيطي .ومثل هذا التنازع يحصل أحيانا بين السياق وأسباب النزول ، أو الإجماع ، أو العموم .

ومن كلامه النفيس : "أسيء إلى السياق –على الرغم من أهميته – مرتين : الأولى: حين تم تجاهله من قبل بعض من اشتغل بالتفسير التحليلي التجزيئي ، وحرص على تكثير المعاني وذلك بانتزاع اللفظ من نظمه وسياقه وتفسيره تفسيرا لغويا معجميا دون التفات إلى مدى مناسبة هذا المعنى للسياق.

كانت الثانية : حين قدّم السياق على غيره من القرائن مطلقا كما صنعت مدرسة المنار في مواطن متعددة تحت تأثير المقررات السابقة فكان أن أخطأت في هذه المواضع ."

قلت : ويصلح أن يمثل الصنفين : الصنف الأول : بعض متقدمي أهل العربية الذين بالغوا في الاعتماد على اللغة دون السياق ، فعيب عليه ذلك ، ومنهم : أبو عبيد وابن قتيبة والأخفش ، ومن المتأخرين بعدهم نسبيا البيضاوي والخازن وابن الجوزي .

ويمثل الثانية من المعاصرين : من بالغ في الاعتماد على السياق ونبذ ما سواه : مثل مدرسة المنار حيث يقول الأستاذ محمد عبده :"لا حاجة لنا في فهم كتاب الله إلى غير ما يدل عليه بأسلوبه الفصيح" .

وكذلك المدرسة البيانية وعلى رأسها د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ حيث تقول : " نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصا وروحا ونعرض عليه أقوال المفسرين".وقد أشار الشيخ لهذين الصنفين وذكرهم ولكني قدمت وأخرت في كلامه، وبقي شيء كثير مهم ، وكان نقلي هذا مشوقاً للوقوف على بحثه النفيس.

وعنوان هذا البحث : دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير ، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير .

وتشتمل خطّة الرّسالة على النحو الآتي :

مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة :

هذه المقدّمة .

وأما التمهيد فيحوي ثلاثة أمور :

الأول : ترجمةٌ موجزة للإمام : محمد بن جرير الطبري -رحمه الله- .

الثاني : التعريف بتفسير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن .

الثالث : عرضاً موجزاً لدلالة الألفاظ عند الأصوليين .

الباب الأول : دلالةُ السّياق القرآنيّ ، وطريقةُ تناولِ ابن جريرٍ لها :

وينقسم الباب الأول إلى فصلين :

الفصل الأول : دلالة السّياق القرآني ، وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريفُ السّياق القرآنيّ ، وأنواعُه ، مع التّمثيل .

المبحث الثاني : أهميّة دلالة السّياق القرآني في التّفسير .

المبحث الثالث : أسبابُ الاعتماد على دلالة السّياق القرآنيّ .

المبحث الرابع :دلالة السّياق القرآنيّ ، وعلاقتها بتفسير القرآن بالقرآن.

وأمّا الفصل الثاني فعن :

قواعد تناول ابن جرير –رحمه الله–لدلالة السّياق القرآنيّ : **وفيه تسعة مباحث:**

المبحث الأول : الكلام على اتّصال السّياق ما لم يدلّ دليلٌ على انقطاعه .

المبحث الثاني : إذا تتالت كلمتان والثانية نعتٌ فإنّها تحمل على سابقتها .

المبحث الثالث : أولى تفسير للآية ما كان في سياق السّورة .

المبحث الرابع : النظر إلى ابتداء الآيات معينٌ على معرفة مناسبة خاتمتها .

المبحث الخامس : إذا لزم من تفسير الآيات التّكرار الذي لا معنى له فذلك خُلفٌ ينزّه القرآن عنه .

المبحث السادس : يختار من المعاني ما اتّسق وانتظم معه الكلام .

المبحث السابع : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم .

المبحث الثامن : الأولى في التّفسير أن يكون الوعيد على ما فُتِح به الخبر من الفعل المذكور السّابق .

المبحث التاسع : لا يفسر السّياق إلا بالظّاهر من الخطاب .

أما الباب الثاني فعن : أثر دلالة السّياق القرآني في تفسير ابن جرير :**وفيه تسعة فصول** :

الفصل الأول : أثر دلالة السّياق في القراءات ، وتحته مبحثان :

المبحث الأول : أثر دلالة السياق في تصحيح القراءة .

المبحث الثاني : أثر دلالة السياق في تضعيف القراءة أو ردّها ومناقشة ذلك.

الفصل الثاني : أثر دلالة السّياق في بيان الأصحِّ من أسباب النُّزول ، وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول : بيان الأصح من أسباب النزول .

المبحث الثاني : ترجيح سبب النزول لا يعني تخصيص الآية به ، بل يدخل من يشابهه .

المبحث الثالث : ترجيح المخاطب بالآيات .

المبحث الرابع : موضع لم يرجّح فيه الإمام الأرجح من أسباب النزول .

الفصل الثالث : أثر دلالة السّياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها ، وتحته سبعة مباحث :

المبحث الأول : علامات تظهر الترابط والتناسب بين الكلام .

المبحث الثاني : الترابط والتناسب في الآية الواحدة .

المبحث الثالث : المناسبات بين الآيات .

المبحث الرابع : الربط بين مقاطع السورة .

المبحث الخامس : التناسب والتقسيم .

المبحث السادس : مناسبات إشارية .

المبحث السابع : مواضع لم يذكر فيها الإمام الطبري –رحمه الله– الربط بين الآيات.

الفصل الرابع : أثر دلالة السّياق في الدّلالة على المعنى ، وتحته خمسة مباحث :

المبحث الأول : دلالة السياق على المعنى في الآية الواحدة .

المبحث الثاني : دلالة السياق على المعنى في الآيات .

المبحث الثالث : دلالة السياق على المخاطب أو الموصوف .

المبحث الرابع : احتمال السياق لمعان متعددة .

المبحث الخامس : مواضع لم يستعن فيها بالسياق لإظهار المعنى .

الفصل الخامس : أثر دلالة السّياق في ذكر المعنى المناسب للسّياق إذا حذف متعلّقه لعمومه ولا ينافي العموم ، وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : ذكر المعنى الخاص للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه.

المبحث الثاني : ذكر المعنى الخاص للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه .

المبحث الثالث : ذكر المعنى الخاص للسياق من ختام الآيات بأسماء الله –سبحانه وتعالى–مع الإشارة للعموم أو بدونها .

المبحث الرابع : موضع لم يستعمل فيه الإمام ابن جرير –رحمه الله– الطريقة السابقة.

الفصل السادس :أثر دلالة السّياق في الدلالة على المحذوف من الكلام ، وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول : اللغة واستعمالات العرب ، وطريقتهم في الحذف .

المبحث الثاني : قد يدل سبب النزول على حذف .

المبحث الثالث : أمثلة على بعض أنواع الحذف بدلالة السياق .

المبحث الرابع : الحذف قد يكون محتملاً ، بسبب السياق ، أو القراءة .

المبحث الخامس : تقدير الحذف بما يناسب السياق .

المبحث السادس : مواضع قدر فيها الإمام –رحمه الله– الحذف ، والراجح أنها ليست كذلك، أو لم يقدّر فيها الإمام –رحمه الله– محذوفاً مناسباً للسياق .

الفصل السابع : أثر دلالة السّياق على وجود النسخ أو عدمه ، وتحته مبحثان :

المبحث الأول : الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقّق أو عدمه .

المبحث الثاني : الاستدلال بالسياق على عدم وجود النسخ .

الفصل الثامن : أثر دلالة السّياق على وجود تقديم أو تأخير ، وتحته مبحثان :

المبحث الأول : أسباب القول بالتقديم أو التأخير .

المبحث الثاني : قد يكون السياق محتملاً للتقديم أو التأخير ، ولغيره .

الفصل التاسع : أثر دلالة السّياق في تضعيف بعض الأقوال ، وتحته ثمانية مباحث:

المبحث الأول : الترجيح بسبب اللغة .

المبحث الثاني : الخصوص والعموم .

المبحث الثالث : مراعاة المخاطب والمتكلم .

المبحث الرابع:دلالة الكلمة والسباق واللحاق وموضوع السورة .

المبحث الخامس : مراعاة التقابل والتقسيم المتوازن .

المبحث السادس : تضعيف ما لم يرد ذكره في السياق .

المبحث السابع : مراعاة عود الكلام على القريب .

المبحث الثامن : مواضع لم يكن فيها تطبيق للتعامل نفسه .

الخاتمة : وفيها أهم النّتائج ، والمقترحات .

الفهارس : ذيّلت البحث بفهارس للآيات ، والأحاديث ، والأعلام ، والمراجع ، والموضوعات .

منهجي في البحث :

- عزوتُ الآيات بأرقامها إلى سورها ، ووثّقت القراءات ، وبيّنت المتواتر منها والشّاذ .
- خرّجت الأحاديثَ النّبويّة ، وحكمتُ على غير ما في الصّحيحين ، أمّا ما ورد في الصّحيحين فأكتفي بالإحالة عليهما .
- وثّقت المنقولَ عن تفسير جامع البيان للطبري ، فما كان من أوّل القرآن إلى نهاية الآية السابعة والعشرين من سورة إبراهيم ، فإنّ المعتمد فيه الطبعة المحقّقة للشيخين : أحمد ومحمود شاكر [1] ، وسأذكر الطبعتين ، والأُولى منهما طبع دار الكتب العلمية، والثّانية سمّيتها اختصاراً ، بـ"تحقيق شاكر"، وما بعد الآية السابعة والعشرين من سورة إبراهيم، فالمعتمد طبع دار الكتب العلمية .
- وقد نقلتُ كلام ابن جرير –رحمه الله- وعرضه الأقوال وترجيحه بينها ؛ ولو طال النقلُ ليكون كلامه واضحاً ، وليكون للقارئ الحكم على الاستنتاج قبولاً أو ردّاً ، وليعتاد على أسلوب الإمام الطبري –رحمه الله- الذي قد صعُب على كثيرين .
- إذا حذفتُ شيئاً من النصّ المنقول وضعت مكانه نقطاً "..." ، وإذا كان هناك توضيح له جعلته بين معكوفتين [ ] ، وسأُحيلُ غالباً على الجزء والصفحة لبداية النصّ ، أمّا المواضع التي في الحاشية فسأُحيلُ على أوّل الآية ورقمها ، وأمّا الصّفحة فهي على الشّاهد منها دائماً وقد حاولت حصر المواضع المتعلقة بالسياق وذكرها في الحاشية وإن طالت ؛ لتكون المواضع قريبة من المهتمين بهذا الموضوع .
- عرّفتُ بالأعلام غير المشهورين ، دون إشارة إلى من سبقت ترجمتُه ، وعرّفتُ بالأماكن غير المشتهرة، وذكرتُ معنى الألفاظِ الغريبةِ .

وقد تبيّن لي من عود النّظر إلى البحث مرةً بعد أخرى ، أنّ تصحيح المكتوب لا يتناهى ، فلا يزال الكاتب يقول : ينبغي أن يقدّم هذا ، ويؤخّر ذاك ، ويزاد في هذا وينقص من الآخر ، وهكذا ،

---

(١) سبقت ترجمة الأستاذ محمود شاكر صفحة (٨) ، وأما أخوه : فهو أحمد بن محمد شاكر بن آل أبي علي ، ولد سنة ١٣٠٩هـ ، تولى القضاء بمصر أكثر من ثلاثين سنة ، علامة في التخريج ودراسة الأسانيد ، حقّق جزءاً من مسند الإمام أحمد ، وجزءاً من تفسير جامع البيان للطبري ولم يتمهما ، والرسالة ، وغيرها ، ومن مؤلفاته : عمدة التفسير ، وهو مختصر من ابن كثير ، وله كتاب عن الطلاق في الإسلام ، وغيرهما ، توفي سنة سبع وسبعين وثلاث مائة وألف –رحمه الله- . انظر ترجمة محمود لأخيه أحمد في مقدمة كتاب حكم الجاهلية ، لأحمد شاكر ، صفحة (١٩-٢٤) ، ومقدمة المجلد الثالث عشر من تفسير جامع البيان لمحمود شاكر (٥/١٣) .

فالكمال عزيز، وهو لكلام الله العزيز . فأتمثل قول القاضي الفاضل (١) للعماد الأصبهاني (٢): " إني رأيتُ أنّه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه، إلا قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرِك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر،وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر." (٣)

ثم أشكرُ كُلَّ من ساعدني في هذه الرسالة برأيٍ أو توجيهٍ أو نصحٍ أو تقويم ، أو دلالةٍ على كتاب أو إعارةٍ ، أو غير ذلك ، وأخص منهم : لجنة المناقشة –سبق التنويه بهم أول الكتاب– فقد كان لآرائهم وتوجيهاتهم الأثر الحسن في تقويم البحث وتكميله ، كما أشكر فضيلة الدكتور مساعد بن سليمان الطيار ، وابن أخي فواز بن محمد القاسم ، على جهودهما ، فجزى الله الجميع خير الجزاء .

وبَعْدُ : فقد بذلتُ جهدي لتخرج هذه الرسالة على أحسن ما يُرام ، ولكن القصور والخطأ من بني البشر لازم ، وما منّا إلا رادٌّ ومردود عليه إلا رسول الله–ﷺ –، فإن أصبتُ فمن الله وحده ، وهو الكريم المنان ، وإن أخطأت فمنّي ومن الشيطان ، وأستغفر الله وأتوب إليه وهو الرحيم الرحمن . والحمد لله رب العالمين .

وكتب :
عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم
الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود
١٤٣١/٢/١٩ هـ .
aabuhkeem@gmail.com
ص ب ٢٤٢٢١٠ الرياض ١١٣٢٢

---

(١) هو عبد الرحيم بن علي اللخمي البيساني ، إمام الأدباء ، وقائد لواء أهل الترسل ، وصاحب صناعة الإنشاء ، وكان صديق السلطان صلاح الدين الأيوبي وعضده ووزيره وصاحب ديوان إنشائه ، له كتب منها : ترسّل القاضي الفاضل ،مات سنة ست وتسعين وخمسمائة للهجرة . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٢٥٣/٤) والأعلام (٣٤٦/٣).

(٢) هو محمد صفي الدين بن نفيس ، الأديب الكاتب ، ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة ، له كتاب خريدة العصر ، توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة . انظر سير أعلام النبلاء (٣٤٥/٢١) ، وشذرات الذهب (٣٣٢/٤) ، والأعلام (٢٥٣/٧) .

(٣) انظر شرح الإحياء للزبيدي ٣/١ .

التمـــهيـــد

ويحوي ثلاثة أمور :

الأول : ترجمةً موجزة للإمام : محمد بن جرير الطبري –رحمه الله– .

الثاني :التعريفَ بتفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن .

الثالث :عرضاً مختصراً لدلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين .

مدخل : ألّف علماء المسلمين مؤلفاتٍ كثيرةً في التفسير ، وكان من أ شهرها : تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن - وهو محلّ البحث والدراسة - للإمام محمد بن جرير الطبري -رحمه الله- ؛ ولابد من التعرف على ترجمةٍ موجزةٍ للمؤلف ، ولمحةٍ يسيرةٍ مقتضبةٍ عن تفسيره : جامع البيان .

- الأول : ترجمة موجزة للإمام محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - :

وفيها نتعرف على العناصر التالية :

- ١ - نسبه ، ومولده .
- ٢ - نشأته .
- ٣ - رحلاته .
- ٤ - شيوخه ، وتلامذته .
- ٥ - علومه .
- ٦ - تدريسه ، وتأليفه .
- ٧ - مذهبه العقدي .
- ٨ - مذهبه الفقهي .
- ٩ - صفاته : الخِلقية ، والخُلقية .
-١٠- وفاته ، ورثاؤه .

-١- نسبه ، ومولده :

- أ - نسبه : هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب .(١)

وقيل : يزيد بن كثير بن خالد . (٢)

و لم يكن ابنُ جريرٍ مهتمّاً بهذا الأمر كثيراً ، فلما سُئل عن نسبه ؟ قال : محمد بن جرير . قال السائل : زدني ، فردّ عليه ببيت رؤبة بن العجاج (٣) :

قد رفعَ العجّاجُ ذكري فادْعُني　　　باسمِي إذا الأنْسابُ طالتْ يَكْفِنِي .(٤)

وقال ابن خلّكان (٥) : وأبو بكر الخوارزميّ - الشاعر المشهور - ابن أخته .(٦)

ولكن ردّ ذلك ياقوت (٧) ؛ لأن أبا بكر رافضي ، ولما رأى الحنابلة سبّته ؛ اغتنم سبّهم لـه ،

---

(١) تاريخ بغداد (١٦٢/٢) للخطيب البغدادي ، ومعجم الأدباء (٤٠/١٨) لياقوت الحموي .

(٢) انظر الفهرست صفحة (٢٩١) لابن النديم ، ووفيات الأعيان (١٩١/٤) لابن خلكان ، والوافي بالوفيات (٢٨٤/٢) للصفدي .

(٣) هو أبو الجحّاف ، رؤبة بن العجاج والعجاج هو عبد الله بن رؤبة بن النبيد بن صخر التميمي ، ولد تقريباً سنة خمس وستين ، الشاعر الأموي ، توفي سنة خمس وأربعين ومائة . انظر معجم الشعراء صفحة (١٢١) ، للمرزباني ، وتهذيب التهذيب (٦١٣/١) لابن حجر ، ولسان الميزان (٤٦٥/٢) لابن حجر أيضاً .

(٤) معجم الأدباء (٤٧/١٨) .

(٥) هو أبو العباس ، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي البرمكي ، ولد سنة ثمان وستمائة ، المؤرخ الأديب الماهر ، تولى القضاء ، من مؤلفاته : وفيات الأعيان ، توفي سنة إحدى وثمانين وستمائة . انظر شذرات الذهب (٣٧١/٥) ، والأعلام (٢١٢/١) .

(٦) وفيات الأعيان (١٩٢/٤) ، وسير أعلام النبلاء (٥٢٦/١٦) . وأبو بكر الخوارزمي هو : محمد بن العباس الطبرخزي ؛ لأن أمه من طبرستان وأبوه من خوارزم ، من الكتاب والشعراء والنسابين ، له الرسائل المشهورة بالرسائل الخوارزمية ، وله ديوان شعر ، توفي بنيسابور ، سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وقيل غير ذلك . انظر الأنساب للسمعاني (٤٤/٤) ، وسير أعلام النبلاء (٥٢٦/١٦) ، والأعلام (٥٢/٧) ، وأثبت الخوانساري أن هذا الخوارزمي ليس ابن خالة الطبري صاحب تفسير جامع البيان . انظر روضات الجنات صفحة (٦٧٣-٦٧٤) .

(٧) هو أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس ، الحموي المولد ، البغدادي الدار ، الوراقي المهنة ، ولد سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ، أعتقه مولاه فنسخ بالأجرة ، أديب شاعر ، له : معجم الأدباء ، ومعجم البلدان ، وغيرهما ، =

ووصفه بأنه رافضي ، وليس كذلك .(١)

- وكنيته : أبو جعفر ، و لم يتزوج ؛ فقد قال عن نفسه: "وما حَلَلْتُ سراويلي (٢) على حرامٍ ولا حلال قط" .(٣)

- ب - مولده :

- مكان المولد ، وتاريخه :

- **أمّا مكانُ مولد أبي جعفر فهو المسمّى – قديماً –** : بمدينة آمُلُ - بضم الميم واللام – وهي أكبر مدن سهل طَبَرِسْتان وأعمرها ، وإقليم طَبَرِسْتان مجاور لجيلان وديلمان، وهو بين الريّ وقومس ، والبحر وبلاد الديلم والجيل .(٤)

وحاليّاً : يتبع إقليم طَبَرِسْتان لدولة إيران ، في شمالها ، جنوب بحر قزوين ، غربي بابل ، وجنوب محمود آباد ، على شاطئ نهر هراز .(٥)

ويُنسَب إلى المدن والقرى في إقليم طَبَرِسْتان فيقال : طَبَرِيّ ، وإذا نُسِب إلى بحيرة طَبَرِيّة أو بلدة طبريّة بالشام قيل : طَبَرَانِيّ (٦).

- **أما تاريخ مولده** : فقد كان سنة أربع ، أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين .(٧)

تأثر بكتب بعض الخوارج ، توفي سنة ست وعشرين وستمائة ، عن نيف وخمسين سنة . انظر وفيات الأعيان (١٢٧/٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٧٩/٢٠) ، وشذرات الذهب (١٢١/٥) .

(١) معجم البلدان (٥٧/١) لياقوت ، وأيّد ذلك صاحب روضات الجنات صفحة (٦٧٣-٦٧٤) .

(٢) فارسية معربة ، وسراويل مفرد ، جمعه سراويلات . انظر ترتيب القاموس المحيط للفيروزآبادي (٥٥٧/٢) .

(٣) معجم الأدباء (٥٥/١٨) .

(٤) انظر معجم البلدان (١٣/٤) ، وسير أعلام النبلاء (٢٧٠/١٤) .

(٥) دائرة المعارف (٣٥٧/١) إدارة البستاني ، بيروت ١٩٥٦م .

(٦) انظر الأنساب المتفقة صفحة (٩٥) ، لابن القيسراني ، وانظر الأنساب للسمعاني (٤٢/٤و٤٥) .

(٧) معجم الأدباء (٤٠/١٨) .

وقد سأل ابنُ كاملٍ (١) شيخَه ابن جرير : عن سبب الشكّ في ذلك ؟ فأجاب : لأنّ أهل بلدنا يؤَرِّخون بالأحداث دون السنين ، فأُرِّخَ مولدي بحدثٍ كان في البلد ؛ فلما نشأتُ سألتُ عن ذلك الحادث ، فاختلف المخبرون لي ، فقال بعضهم : كان ذلك في آخر سنة أربع ، وقال آخرون: بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين .(٢)

– حالة مدينة آمُل –التي نشأ وترعرع فيها الطبري –سياسياً :

اتّخذَ الحسنُ بن زيد العلوي (٣) "آمل" مقرّاً له ، عندما تغلّبَ عليها في سنة : خمسين ومائتين للهجرة ، وبقيت كذلك في عهد أخيه محمد بن زيد (٤) بعده ، حتى سنة سبع وثمانين ومائتين للهجرة ، عندما تغلّبَ عليها السامانيون ، الذين أقاموا إمارةً شِبه مستقلّةٍ في ما وراء النهر ، وجعلوا مدينةَ بخارى قاعدةً لهم .(٥)

وبالجملة فعصر الدولة العباسية الذي عاش الإمام الطبري منه خمسة وسبعين عاماً ، كانت العلوم الدينية فيه قويّةَ العودِ يانعةَ الثمرِ ، وكانت دنيا العلم دائبةَ الحركةِ لا تَهدأُ ولا تتريَّث ؛ فكثرتِ المؤلفاتُ ، وعمّتِ المناقشاتُ ، وعمُقَت المناظراتُ ، واستقرّت دعائمُ المذاهبِ الفقهيةِ ، ونشطت

---

(١) هو أبو بكر ، أحمد بن كامل بن خلف البغدادي القاضي ، ولد سنة ستين ومائتين ، وهو تلميذ محمد بن جرير الطبري ، عالم بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر والتواريخ ، وله في ذلك مصنفات ، كان يختار ولا يقلد ، توفي سنة خمسين وثلاثمائة ، وله تسعون سنة . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٥٤٤) ، وشذرات الذهب (٣/٢) .

(٢) معجم الأدباء (١٨/٤٨) .

(٣) هو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ظهر على طبرستان سنة خمسين ومائتين ، واستولى على جرجان سنة سبع وخمسين ومائتين ، كان عالماً فقيهاً متواضعاً ، وتوفي سنة سبعين ومائتين ، وكانت ولايته قرابة عشرين سنة . انظر الكامل (٥/٣١٦و٣٦٣) و(٦/٥٥) .

(٤) هو محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، تولى بعد أخيه سنة سبعين ومائتين ، وكان فاضلاً أديباً شاعراً حسن السيرة ، وقتل سنة سبع وثمانين ومائتين . انظر الكامل (٦/٥٥و٩٦٩٧) .

(٥) انظر بجلة المؤرخ العربي ،عدد (٣٧)،صفحة (١٤١)،بحث أحمد عبد الباقي –عضو اتحاد المؤرخين العرب– بغداد.

مدارسُ الحديثِ...ودُونتِ السيرةُ والتاريخُ .(١)

وإن كانت حالةُ الدولةِ الإسلاميةِ الانقسامَ السياسيَّ ، إلا أنه لم يؤثّر على النهضةِ العلميةِ بالسَّلبِ ؛ بل كان أصحابُ الإماراتِ يُكرمون العلماءَ ، ويُهْدون لهم الجوائزَ على بحوثهم ، فهو عصرٌ من أزْهى العصورِ تقدّماً وإنتاجاً .(٢)

– ٢ – نشأته :

قال ابن جرير لتلميذه ابن كامل : حفظتُ القرآن وليَ سبعُ سنين ، وصلّيتُ بالناسِ وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبتُ الحديثَ وأنا ابن تسع سنين ، ورأى لي أبي في النوم ، أنني بين يدي رسول الله – ﷺ – وكان معي مخلاةٌ مملوءةٌ حجارةً وأنا أرمي بين يديه ، فقال له المعبِّر : إنه إن كَبُرَ : نَصحَ في دينه، وذبَّ عن شريعته ؛ فحرصَ أبي على معونتي على طلب العلم ، وأنا حينئذٍ صبيٌّ صغيرٌ .(٣)

فكان منْذُ نعومةِ أظفاره شغوفاً للعلم ، فحفظَ القرآنَ ، وكتبَ الحديثَ ، وكانت رؤيا والده مشجِّعةً له على تفريغه من كل شغلٍ ، إلا العلم الشرعي ، وما انفكّ يُرسلُ إليه بالنفقةِ والكسوةِ ؛ رجاءَ تحقيقِ رؤياه التي يفرح بها كلّ مسلمٍ .

وقال ابن كامل : فأوّل ما كتب الحديث ببلدة الرّيّ وما جاورها ، وأكثرَ الشيوخ حتى حصلَ على كثيرٍ من العلم...(٤)

وقال الفرغاني (٥) : رحلَ ابن جرير من مدينة "آمل" لما ترعْرعَ ، وسمحَ له أبوه بالسفر ، وكان طول حياته يُنفذُ إليه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان ، فسمعته يقول : أبطأت عنّي نفقة والدي ؛

---

(١) الطبري ومنهجه في التفسير صفحة (٤٣) ، للدكتور محمود بن الشريف .

(٢) انظر كتاب "الإمام الطبري" صفحة (٧–٨) ، لعبد الله آل شاكر .

(٣) معجم الأدباء (٤٩/١٨) .

(٤) معجم الأدباء (٤٩/١٨) .

(٥) هو أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني التركي ، ألّف كتاب الصلة لوصل تاريخ ابن جرير ، حدّث بدمشق ، توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة . انظر معجم الأدباء (٤٤/١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٣٢/١٦) .

واضْطُرِرْتُ إلى أن فتقْت كمَّي القميصِ فبعتهما .(١)

ومع حرص والده على إرسال النفقة ، إلا أنّها قد تتأخّر أحياناً ، ولكنّ الإمام أشدّ حرصاً على العلم ، وصبراً على التحصيل ، والتضحية من أجله ، فيبيع شيئاً من لباسه ؛ لينفق على نفسه في طلب العلم ، وذلك الحرص وقت رَيْعان شبابه ، فما بالك بما بعده .

- ٣ - رحلاته العلمية :

رحل أبو جعفر -رحمه الله - رحلات كثيرة : منها :

- إلى بغداد ؛ ليسمع من أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، فلم يتّفق ذلك ؛ لموته قبيل دخوله إليها ، فأقام أبو جعفر بمدينة السلام -بغداد- ، وكتب عن شيوخها فأكثر .
- ثم انحدر إلى البصرة ، وكتب في طريقه عن شيوخه الواسطيين .
- ثم صار إلى الكوفة .
- ثم عاد إلى بغداد ، فكتب بها ولزم المقام بها مدّةً وتفقّه بها ، وأخذ في علوم القرآن .
- ثم غرّب فخرج إلى مصر ، وكتب في طريقه عن المشايخ : بأجناد الشام ، والسواحل ، والثّغور ، وأكثر منها .
- ثم صار إلى الفسطاط (٢)، سنة ثلاث وخمسين ومائتين للهجرة ، - وعمره تسع وعشرون سنة - وكان بها بقيّة من الشّيوخ وأهل العلم ، فأكثر عنهم الكتبة .
- ثم عاد إلى الشام .
- ثم رجع ثانية إلى مصر ، سنة ست وخمسين ومائتين للهجرة .
- ثم رجع إلى بغداد .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٧٦/١٤-٢٧٧) ، وطبقات الشافعية الكبرى (١٢٥/٣) للسبكي . والكُمُّ : مدخل اليد ومخرجها من الثوب ، ترتيب القاموس ، مادّة : ك م م (٨٢/٤) .

(٢) مدينة بناها عمرو بن العاص -رضي الله عنه - بمصر .

- ثم إلى طَبَرِسْتان : وهي المرة الأولى ، ثم الثانية : سنة تسعين ومائتين .
- ثم رجع إلى بغداد ، فنزل في قنطرة البردان ، واشتهر اسمه في العلم ، وشاع خبره في الفهم والتقدم[1].

قال مسلمة بن قاسم [2]:"...رحل من بلده في طلب العلم ، وهو ابن ثنتي عشرة سنة – سنةَ ست وثلاثين –، فلم يزل طالباً للعلم ، مولعاً به إلى أن مات ." [3]

وهكذا ترى الإمام رحّالة من قُطْر إلى قُطْر ، في جمع العلم ومدارسته ، وظهرت ثمرة ذلك الجهد والجَلَد ، في المصنّفات التي تركها للأمّة الإسلامية .

– ٤ – شيوخه ، وتلاميذه :

– أ – شيوخه :

كان للإمام ابن جرير – رحمه الله – : من الهمّةِ العاليةِ ، والصبرِ على المشقّةِ ، ما يعجبُ له طلاب العلم في ذلك الوقت ، وقصّته في إملاء كتاب التفسير والتاريخ شاهدةٌ على ذلك – وستأتي في الحديث عن كتابه جامع البيان –؛ ولتلك الهمّة العالية ، والصبر على تحصيل العلم ، فقد رحل إلى أماكن كثيرة ، وأخذ عن مشايخ كُثُر ، أذكر أشهرهم ، على حسب العلم الذي أخذه عنهم ابن جرير – قدر المستطاع –.

– شيوخه في القراءات : قرأ القرآن على :

- ١ – أحمد بن يوسف التّغلبي ، المتوفى سنة إحدى وخمسين ومائتين .

---

(١) معجم الأدباء (١٨/٥٠-٥٦) باختصار وتصرف .

(٢) هو مسلمة بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الأندلسي القرطبي ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، مؤرخ محدث ، له التاريخ الكبير ، وتاريخ في الرجال ، توفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٦/١١٠) ، ولسان الميزان (٦/١٤١) ، والأعلام (٨/١٢٢) .

(٣) لسان الميزان (٥/١٠٢) .

- ٢ – وسليمان بن عبد الرحمن الطّلحي –صاحب خلاّد –، المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين .
- ٣ – والعبّاس بن الوليد بن مزيد ، ببيروت ، المتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين .
- ٤ – وأبو كريب محمد بن العلاء الهمذاني ، المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين .
- ٥ – وقرأ على يونس بن عبد الأعلى الصّدفي ،بمصر ،المتوفى سنة:أربع وستين ومائتين . (١)

– شيوخه في الفقه :

درس كتاب الأم : ببغداد على :

- ٦ – الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، المتوفى سنة : ستين ومائتين .
- ٧ – وأبي سعيد الحسن بن أحمد الإصطخري ، وكان أصغر سنّاً منه ، ولد سنة أربع وأربعين ومائتين ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .(٢)
- ٨ – وأخذ فقه الشافعي بمصر ، عن الرّبيع بن سليمان الأزدي ، المتوفى سنة سبعين ومائتين .
- ٩ – ودرس بمصر مذهب مالك على سعد ، وعبد الرحمن ، ومحمد بني عبد الله بن عبد الحكيم .
- ١٠ – ودرس مذهب أبي حنيفة بالرّيّ ، على أبي مقاتل .
- ١١ – ودرس على داود بن علي الظاهري – المتوفى سنة سبعين ومائتين– مذهبه .(٣)

– شيوخه في الحديث والتفسير بالمأثور :

- ١٢ – محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي ،المتوفى سنة أربع وأربعين ومائتين .
- ١٣ – وإسحاق بن إسرائيل المروزي ، المتوفى سنة أربع وخمسين ومائتين .

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار (٢٦٤/١) ، وطبقات الشافعية الكبرى (١٢١/٣) ، وغاية النهاية (١٠٧/٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١٠٧/٢و١١٠) .

(٢) انظر معجم الأدباء (٥٣/١٨) ، وطبقات الشافعية (١٩٣/٢) .

(٣) انظر الفهرست صفحة (٢٩١) .

- ١٤ – وأحمد بن منيع البغوي ، المتوفى سنة أربع وأربعين ومائتين .
- ١٥ – ومحمد بن حميد الرّازي ، المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين .
- ١٦ – وأبي همّام الوليد بن شجاع ، المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين .
- ١٧ – ويعقوب بن إبراهيم الدّورقي ، المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين .
- ١٨ – وهنّاد بن السّري ، المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين .
- ١٩ – وعمرو بن علي ، المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين .
- ٢٠ –ومحمد بن بشّار ، المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين .
- ٢١ –ومحمد بن المثنّى ، المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين.
- ٢٢ – وعبّاد بن يعقوب ، المتوفى سنة خمسين ومائتين .
- ٢٣ – وعبد الله بن إسماعيل الهبّاري ، المتوفى سنة خمسين ومائتين .
- ٢٤ – وبشر بن معاذ العقديّ ، المتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين .
- ٢٥ – وأبو كريب محمد بن العلاء ، – شيخه في القراءة – قال ياقوت : أخذ عنه أكثر من مائة ألف حديث (١).
- ٢٦ – وعمران بن موسى القزّاز ، المتوفى سنة خمس وثلاثمائة .(٢) .

– أما في النحو والأدب واللغة والشعر :

–٢٧ – فأحمد بن يحيى ، الملقّب بثعلب ، إمام نحاة الكوفة ، المتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين ، فقد قال : " قرأ أبو جعفر الطبري شعر الشعراء ، قبل أن يكثر الناس عندي بمدّة طويلة."(٣).

هذا ولو كان المقصود حصر مشايخ الإمام لطال عدّهم في هذا المقام ، ولكن هؤلاء أشهرهم ، – غفر الله للجميع – .

---

(١) معجم الأدباء (١٨/٥١-٥٢) .

(٢) انظر الفهرست صفحة (٢٩١) ، وتاريخ بغداد (٢/١٦٢) ، والمنتظم (٦/١٧٠) ، وكتاب الإمام الطبري صفحة (٢١-٢٢) لعبد الله آل شاكر ، بتصرف واختصار .

(٣) معجم الأدباء (١٨/٥٣) .

- ب - تلامذته :

لقد كان لمنزلة ابن جرير - رحمه الله - العلمية ، وسعتها للعلوم الشرعية واللغوية الأثر الكبير في كثرة التلاميذ ، مما يعيق حصرهم ، وما لا يدرك كله لا يترك جله ، فأذكر أشهرهم .

- تلاميذه في القراءات :

روى عنه الحروف - القراءات - :

-١- أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد - مؤلف كتاب السّبعة في القراءات - المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، غير أنه دلّس اسمه ، فقال : حدثني محمد بن عبد الله (١).

-٢- وعبد الله بن أحمد الفرغاني ، المتوفى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، وقد روى بعض تفسير جامع البيان (٢) .

-٣- وعبد الواحد بن عمر ، المتوفى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة .

-٤- ومحمد بن أحمد الدّاجوني ، المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (٣).

ومن تلاميذه في غير القراءات :

-٥- أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادي الفقيه ، المتوفى سنة ست وثلاثين وستمائة وقد روى بعض التفسير .(٤)

-٦- وأبو بكر أحمد بن كامل القاضي ، المتوفى سنة خمسين وثلاثمائة ، وقد ترجم لشيخه الطبري .

-٧- وأبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي .

---

(١) أنكر بعض المعاصرين تدليس الاسم هذا من ابن مجاهد ، وحجتهم : أن الإمام ابن الجزري ذكر من تلاميذ يونس بن عبد الأعلى : محمد بن عبد الله الفقيه ، ولعله الذي ذكره ابن مجاهد ، وابن مجاهد كان معظماً لابن جرير ، و قد روى الإمام الدارقطني وغيره من كبار المحدثين عن ابن مجاهد . انظر مقدمة شوقي ضيف على كتاب السبعة لابن مجاهد صفحة (٢٦-٢٧) ، وكتاب دفاع عن القراءات للدكتور : لبيب السعيد ، هامش صفحة (١١) .

(٢) انظر جامع البيان بتحقيق شاكر (٦/٤٩٦) .

(٣) انظر غاية النهاية (٢/١٠٧) لابن الجزري ، وطبقات المفسرين (٢/١١٠) للداوودي .

(٤) انظر جامع البيان بتحقيق شاكر (٦/٤٩٦) .

-٨- ومَخْلد بن جعفر البَاقَرْحي ، المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة (١).

-٩- وأبو شعيب عبد الله بن الحسن بن أحمد الحرّاني،المتوفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

-١٠- وأبو عمرو محمد بن أحمد النيسابوري ، المتوفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة .

-١١- وعلي بن الحسن بن علاّن الحافظ ، المتوفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

- ١٢ - وأبو الطيب عبد الغفار بن عبد الله السري الحُضَيني المقرئ الواسطي ، المتوفى سنة سبع وستين وثلاثمائة .

- ١٣ - وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، صاحب المعاجم الثلاثة ، المتوفى سنة ستين وثلاثمائة(٢).

- ١٤ - وأبو الفرج الأصفهاني ، صاحب كتاب الأغاني ، المتوفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة (٣).

- ١٥ - وأبو أحمد عبد الله بن عُديّ بن القطّان الجرجاني ، صاحب كتاب الكامل ، المتوفى سنة خمس وستين وثلاثمائة .

- ١٦ - والقاضي محمد بن زُبَر ، المتوفى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة .

- ١٧ - وأحمد بن القاسم الخشّاب ، المتوفى سنة أربع وستين وثلاثمائة (٤).

وغير هؤلاء كثير كثير - غفر الله للجميع -.

- ٥ - علومه :

لقد جمع الإمام ابن جرير من العلوم ما لم يجتمع لغيره ، وإليك أقوال العلماء في ذكر علومه:

- قال أبو بكر محمد بن خزيمة -رحمه الله- (٥) - لما استعار التّفسير من ابن

---

(١) انظر تاريخ بغداد (١٦٢/٢) .

(٢) انظر طبقات المفسرين للداوودي (١٠٧/٢) .

(٣) انظر تاريخ بغداد (٣٩٨/١١) ، ومعجم الأدباء (٨٧/١٨) .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء (٢٦٩/١٤) .

(٥) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ، ولد سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، محدث كبير ، شديد التحرّي في الحديث ، وله استخراج دقيق للنكت من الأحاديث ، من مؤلفاته : صحيح ابن خزيمة ، وهو يتلو صحيح مسلم على ما =

بالويه (١) وردّه بعد سنين – : " نظرتُ فيه من أوّله إلى آخره ، وما أعلمُ على ظهرِ الأرضِ أعلمَ مِنِ ابنِ جرير." (٢).

– وقال الذهبي –رحمه الله– (٣) : " الإمامُ العَلَمُ المجتهدُ ، عالمُ العصر ،...وكان من أفراد الدهرِ: علماً ، وذكاءً ، وكثرةَ تصانيفٍ ، قلّ أن ترى العيونُ مثلَه " (٤).

– أما في حسن قراءته خاصة :

– فقد قال أبو علي الطوماريّ (٥) : " كنت أحملُ القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد (٦) إلى المسجد ؛ لصلاة التراويح ، فخرج ليلةً من ليالي العشر الأواخر من داره ، واجتاز على مسجده فلم يدخله –وأنا معه –، وسار حتى انتهى إلى آخر سوق العَطَشِ ، فوقف بباب مسجدِ محمدِ

ذكره السيوطي في ألفيته ، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٣/١٠٩)، وشذرات الذهب (٢/٢٦٢) ، والرسالة المستطرفة للكتاني صفحة (٢٠و٢٣) .

(١) هو أبو بكر ، محمد بن أحمد بن بالويه الجلاّب النيسابوري ، من كبراء بلده ، إمام كتب عن الأئمة ، توفي سنة أربعين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٤١٩) .

(٢) معجم الأدباء (١٨/٤٢–٤٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٣) .

(٣) هو شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، التركماني ، الشافعي ، مؤرخ الإسلام، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، إمام في القراءات ، آية في نقد الرجال ، عمدة في الجرح والتعديل ، له مصنفات كثيرة منها : تاريخ الإسلام الكبير ، واختصاره : سير أعلام النبلاء ، توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . انظر طبقات الشافعية الكبرى لتلميذه السبكي (٩/١٠٠) ، وشذرات الذهب (٦/١٥٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧) .

(٥) هو عيسى بن محمد بن أحمد الجريجي الطوماري البغدادي ، من ذرية فقيه مكة ابن جريج ، ولد سنة اثنتين وستين ومائتين ، صحب ابن طومار الهاشمي فنسب إليه ، توفي سنة ستين وثلاثمائة . انظر تاريخ بغداد (١١/١٧٦) ، والأنساب (٤/٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٦/٦٤) .

(٦) هو أبو بكر ، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين ، شيخ القراء في وقته، شافعي عابد ، ألف : كتاب السبعة في القراءات ، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة . انظر معرفة القراء الكبار (١/٢٦٩) ، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/٥٧) ، وغاية النهاية (١/١٣٩) .

بن جرير ، ومحمدٌ يقرأُ سورةَ الرحمن ، فاستمع قراءته طويلاً ، ثم انصرفَ ، فقلت له : يا أستاذ : تركتَ الناس ينتظرونكَ ، وجئتَ تسمعُ قراءةَ هذا ؟ ، فقال : يا أبا عليّ ، دع هذا عنكَ ، ما ظننتُ أنّ اللهَ – تعالى – خلقَ بشراً يُحسنُ يقرأُ هذه القراءة ، أو كما قال ." [١].

فهذا القولُ من عالِمِ القراءات : أبي بكر ابن مجاهد ، له ميزانه وقدره .

-أما مَنْ ذَكَرَ عامّةَ علومه :- فمنهم ابنُ النّديم [٢] فقد قال : " كانَ متَفَنِّناً في جميع العلوم : علمِ القرآنِ ، والنحوِ ، والشعرِ ، واللغةِ ، والفقهِ ، كثير الحفظ . وقال : ورأيتُ أنا بخطّهِ شيئاً كثيراً : من كتبِ اللّغةِ ، والنحوِ ، والشعرِ ، والقبائلِ " [٣].

– و الخطيبُ البغداديّ [٤] –رحمه الله– حيث يقول : " وكان أحدَ أئمةِ العلماءِ ، يُحْكَمُ بقوله، ويُرجع إلى رأيِهِ ؛ لمعرفته وفضْله ، وكان قد جَمَعَ من العلومِ ما لم يشاركْهُ فيه أحدٌ من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءاتِ ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكام القرآنِ ، عالماً بالسننِ وطرقِها ، وصحيحِها وسقيمِها ، وناسخِها ومنسوخِها ، عارفاً بأقوالِ الصحابةِ والتابعينَ ، ومن بعدَهم من الخالفين ، في الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناسِ وأخبارِهم ، وله الكتابُ المشهورُ ، في تاريخ الأمم والملوك ، وكتابٌ في التفسير ، لم يصنِّف أحدٌ مثلُه ، وكتاب سمّاه : تهذيبَ الآثار ، لم أرَ سواهُ في معناه ، إلا أنّه لم يتمّه ، وله في أصول الفقه وفروعه كتبٌ كثيرةٌ ،

---

[١] انظر تاريخ بغداد (١٦٤/٢) ، وطبقات الشافعية الكبرى (١٢٤/٣) .

[٢] هو أبو الفرج ، محمد بن إسحاق النديم الوراق ، ولد سنة سبع وتسعين ومائتين ، وهو شيعي إمامي معتزلي ، له أقدم كتاب في التراجم : "الفهرست" ، وله التشبيهات ، توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وقيل غير ذلك. انظر لسان الميزان (٧٢/٥) ، والأعلام (٢٥٣/٦) .

[٣] الفهرست صفحة (٢٩١) .

[٤] هو أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب ، ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، مقرئ محدث فقيه شافعي مؤرخ أديب ، صنف قريباً من مائة مصنف ، منها : تاريخ بغداد ، والفقيه والمتفقه ، وشرف أصحاب الحديث، توفي ببغداد سنة ثلاث وستين وأربعمائة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٠/١٨) ، وطبقات الشافعية الكبرى (٢٩/٤) ، وشذرات الذهب (٣٠٢/٢) .

واختيارٌ من أقاويلِ العلماءِ، وتفرّدٌ بمسائلَ حُفِظتْ عنه " (١).

- ومنهم الذهبي –رحمه الله– الذي يقول : " كان ثقةً ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقهِ ، والاجتماعِ ، والاختلافِ ، علاّمةً في التاريخ وأيّام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة ، وغير ذلك " (٢).

- وقال فيه أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ –رحمه الله– (٣) : " كان أبو جعفر الطبري عالماً بالفقه ، والحديث ، والنحو ، واللغة ، والعروض ، له في جميع ذلك تصانيف ، فاقَ بها على سائر المصنِّفين ، وله في القراءات كتابٌ جليلٌ كبيرٌ..." (٤).

- وقال هارون بن عبد العزيز –رحمه الله– (٥) :" قال أبو جعفر :لّما دخلتُ مصرَ ، لم يبقَ أحدٌ من أهل العلم إلا لقِيَني وامتحنني في العلم الذي يتحقّق به ؛ فجاءني يوماً رجل ، فسألني عن شيءٍ من العروض ، و لم أكن نشطتُ له قبلُ ذلك ، فقلتُ له : عليّ قولٌ ألا أتكلّم اليومَ في شيءٍ من العروض ؛ فإذا كان في غدٍ فصِرْ إليّ ، وطلبتُ من صديقٍ لي العروضَ ، للخليل بن أحمد (٦) ، فجاءَ

---

(١) تاريخ بغداد (١٦٣/٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٦٩/١٤) .

(٣) هو أبو علي ، الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي ، ولد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، محدث مقرئ مصنف في القراءات ، وله فيها غرائب ، متّهم في روايته في القراءات ، والخطيب البغدادي يتهمه فيها وفي الحديث جميعاً ، أي : في تركيب الإسناد وادّعاء اللقاء ، وليس وضع الحروف والمتون ، توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٣/١٨) ، وشذرات الذهب (٢٧٤/٣) .

(٤) انظر معجم الأدباء (٤٥/١٨) .

(٥) هو أحد تلامذة ابن جرير الطبري ، لم أجد له ترجمة ، روى عن الطبري ، وروى عنه الفرغاني صاحب صلة تاريخ ابن جرير . ورد في سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٤) عند ترجمة ابن جرير الطبري .

(٦) هو أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن تميم الأزدي الفراهيدي ، وفراهيد بطن من الأزد ، ولد سنة مائة ، لم يسم أحد بعد نبينا –ﷺ – أحمد قبل أبي الخليل هذا ، إمام النحو ومنشئ علم العروض والعربية ، شيخ سيبويه ، له كتاب العين و لم يتمه، وله كتاب في العروض وآخر في الشواهد ، توفي بالبصرة سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك . انظر المعارف صفحة (٥٤١) ، وإنباه الرواة (٣٤١/١) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١٧٧/١) ، وسير أعلام النبلاء (٤٢٩/٧) ، وطبقات

-

به ، فنظرتُ فيه ليلتي ، فأمسيتُ غير عروضيٍّ ، وأصبحتُ عروضياً..." (١)

– وقال عبد العزيز بن محمد –رحمه الله– (٢) :"...وكان أبو جعفر قد نَظَر في المنطق ، والحساب ، والجبر ، والمقابلة ، وكثير من فنون أبواب الحساب ، وفي الطّبِّ ، وأخذنا منه قسطاً وافراً؛ يدلّ عليه كلامه في الوصايا...وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القراءة ، وكالمحدّث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالنّحوي الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب ، وكان عالماً بالعبادات ، جامعاً للعلوم " (٣).

– وقال أيضا : " كان أبو جعفر من الفضل ، والعلم ، والذكاء ، والحفظ ، على ما لا يجهله أحد عرفه ؛ لجمعه من علوم الإسلام ، ما لم نَعْلمه اجتمع لأحدٍ من هذه الأمّة ، وقد بَانَ فضله في علم اللغة ، والنحو ، على ما ذكره في كتاب التفسير ، وكتاب التهذيب ، مخبراً عن حاله فيه ، وقد كان له قَدَمٌ في علم الجَدَل ؛ يدلّ على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني ما أتى به " (٤).

– وقال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد –رحمه الله– (٥) : "سمعت ثعلباً (٦) يقول : قرأ عليّ أبو

النحويين واللغويين صفحة (٤٧) ، ونور القبس صفحة (٥٦) .

(١) انظر معجم الأدباء (١٨/٥٦) .

(٢) هو أحد تلامذة ابن جرير ، لم أجد له ترجمة ، وقد ألف ترجمة لشيخه ابن جرير ، نقل عنها ياقوت في معجمه كثيراً عند ترجمة الطبري . انظر معجم الأدباء (١٨/٩٤) .

(٣) معجم الأدباء (١٨/٦٠-٦١) .

(٤) معجم الأدباء (١٨/٥٩-٦٠) .

(٥) هو أبو عمر ، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب ، ولد سنة إحدى وستين ومائتين ، لازم ثعلباً فأكثر عنه ، له جزء فيه فضائل معاوية ، لا يقرأ عليه أحد إلا ويبدأ بهذا ، عالم بالعربية وبعض أهل العربية لا يوثقونه ، وهو موثق في الحديث ، توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٥٠٨) ، وبغية الوعاة (١/١٦٤) .

(٦) هو أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي ، ولد سنة مائتين ، قال الخطيب : ثقة حجة دين صالح مشهور بالحفظ ، له كتاب اختلاف النحويين وكتاب القراءات وكتاب معاني القرآن ، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين . انظر إنباه الرواة (٣/١٧١) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/٥) .

جعفر الطبري، شِعرَ الشعراءِ ، قبل أن يكثر الناس عندي بمدةٍ طويلةٍ "[1].

– وكان بالإضافة إلى دراسته للشعر شاعراً ، فمن شعره :

إذا أعسرتُ لم يعلَمْ رَفيقِي   وأَسْتغني فيَسْتغني صَديقِي .
حيائي حافظٌ لي ماءَ وجْهــي   ورِفْقــــي في مُطالبتي رَفيقِي .
ولَو أني سَمَحْت ببذْلِ وجهي   لكنتُ إلى الغِنى سهل الطَّريقِ .

وقال أيضاً :

خُلُقَانِ لا أرضَى طريقَهما   بَطَرُ الغِنــى ومذلّةُ الفقْــر .
فإذا غَنَيتَ فلا تكُن بَطراً   وإذا افتقَرْتَ فَتِهْ على الدّهرِ .

ولما كتب إليه أحمد بن عيسى العلوي [2] من البلد :

ألا إن إخوان الثّقـــــــاتِ قليلٌ   وهل لي إلى ذاك القليل سبيلُ .
سَلِ الناس تعرف غثّهم من سمينهـــم   فكـــلٌّ عليه شاهدٌ ودلـــيـــلُ .

قال أبو جعفر : فأجبته :

يُسيءُ أميري الظنَّ في جهدِ جاهدٍ   فهلْ لي بحُسن الظنّ منه سبيلُ.
تأمّـــلْ أميـــري مـــا ظننتُ وقلتُه   فإنّ جميلَ الظنّ منكَ جميلُ [3].

وهذه العلوم التي جمعها الإمام ابن جرير ، جعلت من مؤلفاته عامةً ، ذاتَ قيمةٍ علمية متميزة، وصار تفسيره جامع البيان –على وجه الخصوص – أوضح هذه المؤلفات، وكلٌّ يَنْهَلُ منه على مَرّ الأجيال ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) معجم الأدباء (١٨/٦٠) .

(٢) لم أجد له ترجمة ، وهو من أهل آمل بطبرستان بلد الطبري ، راسل الطبري بهذه الأبيات ، وقصّ ابن جرير قصته هذه على طلابه . انظر تاريخ بغداد (٢/١٦٥-١٦٦) .

(٣) تاريخ بغداد (٢/١٦٥-١٦٦) .

– ٦ – تدريسه ، وتأليفه :

أ – تدريسه : كان يصلي الظهر في بيته ، ويكتب تصانيفه إلى العصر ، فيخرج فيصلي ، ثم يجلس للناس يُقرِئ ويُقرَأُ عليه إلى المغرب، ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه إلى عشاء الآخرة ، فيدخل منزله (١).

فكانت أوقات التدريس والجلوس للإقراء : من بعد صلاة العصر إلى العشاء .

ب – تأليفه : اشتهر ابن جرير بكثرة التأليف والكتابة،فقد حكى السمسماني (٢): أن ابن جرير مكث أربعين سنةً ، يكتب في كل يوم : أربعين ورقة .

وحسب بعض تلامذة ابن جرير : مدة بلوغه إلى وفاته ، ثم قسموا المدة على أوراق مصنفاته ؛ فصار لكل يوم : أربع عشرة .

– قال السبكي –رحمه الله– (٣) :" وهذا لا ينافي كلام السمسماني ؛لأنه منذ بلغ ، لا بدّ أن يكون مضت له سنون في الطلب ، لا يصنف فيها " (٤) .

– وقال ابن النديم : " ورأيت أنا بخطّه شيئاً كثيراً : من كتب اللغة ، والنحو ، والشعر ، والقبائل " (٥).

وتأمّل حرصه على التأليف والتصنيف ؛ لدرجة أنه يمنع أي أحد من الدخول عليه وقت

---

(١) انظر معجم الأدباء (١٨/٩٢) .

(٢) هو أبو الحسن ، علي بن عبد الله –وقيل عبيد الله – بن عبد الغفار ، اللغوي ، المعروف بالسمسماني ، أو السمسمي ،توفي سنة خمس عشرة وأربعمائة . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٣/١٢٢) ، وبغية الوعاة (٢/١٧٨) .

(٣) هو أبو نصر ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، الشافعي ، ولد بالقاهرة ، سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، فقيه أصولي لغوي ، له تصانيف كثيرة منها : رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ، وطبقات الفقهاء الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى ، توفي سنة إحدى وسبعين وسبعمائة . انظر الدرر الكامنة (٣/٣٩) ، وشذرات الذهب (٦/٢٢١) ، والبدر الطالع (١/٤١٠) .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٣/١٢٣) .

(٥) الفهرست صفحة (٢٩١) .

التصنيف : كان أبو جعفر إذا دخل بيته لا يكاد يدخل إليه أحد ؛ لتشاغله بالتصنيف إلا في أمر مهم(١).

والذي يظهر مما سبق : أن التصنيف عند الإمام ابن جرير في وقتين : بعد الظهر إلى العصر ، وبعد العشاء الآخرة .

وقد كان مقسّماً ليله ونهاره في مصلحة نفسه ، ودينه ، والخلق ،كما وفقه الله –عز وجل– (٢) .

وقد كثرت مصنفات الإمام ابن جرير – رحمه الله – ومنها ما يلي :

– في علم القراءات :

كتاب القراءات ، أو العدد والتنزيل ، وسمي بكتاب الفصل بين القراءات (٣) ، قال فيه ياقوت الحموي : " ذكر فيه جميع القراءات ، من المشهور والشواذ ، وعلّل ذلك ، وشَرَحه ، واختارَ منها قراءة لم يخرج فيها عن المشهور " (٤).

وقال ابن كامل –رحمه الله– : " قال لنا أبو بكر بن مجاهد – وقد ذكر فضل كتابه في القراءات – وقال : إلا أنّي وجدتُ فيه غلطاً ، وذكره لي ، وعجبتُ من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده لها ، ثمّ قال : والعلّة في ذلك أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ؛ لأنه بنى كتابه على كتاب أبي عُبيد فأغفل أبو عُبيدٍ هذا الحرف فنقل أبو جعفر على ذلك " (٥).

---

(١) معجم الأدباء (١٨/٨٨) .

(٢) انظر معجم الأدباء (١٨/٩٢) .

(٣) انظر الفهرست صفحة (٢٩٢) ، ومعجم الأدباء (١٨/٦٥) ، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/١٢١) .

(٤) معجم الأدباء (١٨/٤٥) .

(٥) معجم الأدباء (١٨/٦٧) .

-في علم التفسير :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، وهو الاسم الصحيح ؛ لتسميته له في تاريخه(١)، وسمي جامع البيان في تأويل القرآن (٢) ، وهو الكتاب الذي ظهرت فيه علوم ابن جرير ظهوراً واضحاً ؛ فصار مرجعاً في العلوم الشرعية ، واللغوية ، وغيرها ، وسيأتي مزيد بيان عنه بعد قليل -إن شاء الله- .

- في علم العقيدة :

التبصير في أصول الدين ، وهو رسالة إلى طَبَرِسْتَان ، يشرح ما تقلده من أصول الدين .(٣)

- صريح السنة .

- في علم الفقه :

١ - اختلاف علماء الأمصار ، أو اختلاف الفقهاء . (٤) وهناك مخطوطة لاختلاف الفقهاء في أربعة أجزاء ، في مكتبة برلين ، ورقة : (٤١٥٥) .(٥)

٢ - كتاب لطيف القول ، في أحكام شرائع الإسلام . (٦)

٣ - كتاب الخفيف ، اختصار لكتاب اللطيف .(٧)

٤ - وكتاب تبسيط القول ، في أحكام شرائع الإسلام ، أو البسيط في الفقه و لم يتمّه .(٨)

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٦٢/١)، وانظر معجم الأدباء (٤٤/١٨-٦١)،والطبري ومنهجه في التفسير صفحة(٦٥).

(٢) معجم المؤلفين (١٤٩/٩) ، لعمر رضا كحالة .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٧٣/١٤)،وطبقات الشافعية الكبرى (١٢١/٣)، وطبقات المفسرين للداودي (١١١/٢) .

(٤) الفهرست صفحة (٢٩١) ، ومعجم الأدباء (٤٥/١٨) ، ومعجم المؤلفين (١٤٩/٩) .

(٥) تاريخ الأدب العربي (٤٩/٣) لبروكلمان .

(٦) معجم الأدباء (٤٥/١٨) .

(٧) انظر الفهرست صفحة (٢٩٢) ، ومعجم الأدباء (٧٤/١٨) .

(٨) انظر الفهرست صفحة (٢٩١)،ومعجم الأدباء (٧٣/١٨)،وطبقات الشافعية لابن السبكي (١٢١/٣-١٢٢) .

- في علم الحديث :

١ - كتاب تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله -ﷺ- من الأخبار قال الخطيب البغدادي : " لم أر سواه في معناه ، إلا أنه لم يتمّه " (١) ، وقال ياقوت : " وهو كتاب يتعذّر على العلماء عمل مثله ، ويصعب عليهم تتمّته " (٢).

وقد خرجت أجزاء من تهذيب الآثار : وهي بقية من مسند عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ،وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهم-، بتحقيق الأستاذ : محمود شاكر -رحمه الله - ، وقد أسهمت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في إخراجه وطبعه .

وهناك أيضاً تحقيق له : للدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، وعبد القيوم عبد رب النبي، عن مخطوطة كوبرلي .

٢ - تاريخ الرجال : ذكر فيه من الصحابة ، والتابعين ، إلى شيوخه الذين لقيهم .(٣)

٣ - كتاب الفضائل : عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وتكلم عن حديث "غَديرِ خُمٍّ" (٤)، واحتج لتصحيحه ، و لم يتمّ الكتاب .(٥)

---

(١) تاريخ بغداد (١٦٣/٢) .

(٢) معجم الأدباء (٧٥/١٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٧٣/١٤) .

(٤) قال ياقوت : وغدير خم : بين مكة والمدينة ، بينه وبين الجحفة ميلان . انظر معجم البلدان (١٨٨/٤) ، وضبط: خُمّ بضم الخاء وتشديد الميم . انظر ترتيب القاموس (١١١/٢) . والحديث له روايات متقاربة منها : "من كنت مولاه فعلي مولاه" رواه أحمد (٨٤/١) برقم (٦٤١) ، وفي لفظ : "اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه " رواه أحمد في المسند (١١٨/١) برقم (٩٥٠) وغيره ، قال ابن حجر : وهو كثير الطرق جدّاً...وكثير من أسانيدها صحاح وحسان . فتح الباري (٧٤/٧) ، وقال أحمد شاكر في إسناد أحمد ضعيف ؛ لجهالة بعض رواته ، وأما متن الحديث فقد ورد بطرق كثيرة ، قال المناوي في شرح الجامع الصغير : نقلاً عن السيوطي : "حديث متواتر " ، وطرقه أو أكثرها في مجمع الزوائد (١٠٣/٩-١٠٩) . انظر مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر (٦٤١/٢) ، وشرح الجامع الصغير (٢١٨/٦) حديث (٩٠٠٠) .

(٥) طبقات المفسرين للداودي (١١٣/٢) .

- **في علم التاريخ :**

تاريخ الأمم والملوك .(١) وهو عمدة في التاريخ ، وآخر ما أُمِلَّ منه إلى سنة اثنتين وثلاثمائة .(٢)

- في تزكية النفس والأخلاق :

كتاب الآداب النفيْسة والأخلاق الحميدة ، أو أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة ، وربما سمّاه : بأدب النفس الشرعية والأخلاق الحميدة ، وهو آخر كتبه ؛ ابتدأه في سنة عشر وثلاثمائة ، ومات و لم يتمّه .(٣)

وممن توسّع في ذِكْر مؤلفات ابن جرير ووَصْفِها : ياقوتُ الحمويُّ في معجمه .(٤) ولاشك أن القارئ لبعض مؤلفات ابن جرير ؛ يوقن بمكانة هذا الإمام في الفنون التي بحثها ، فكيف لو اطلع عليها كلها !.

ومع أنّه كتب في العلوم المختلفة : من قراءات ، وتفسير ، وعقيدة ، وحديث ، وفقه ، وتاريخ، وأشبع هذه الكتب من علومه المختلفة ، فإنه لم يكتف بذلك ، بل كتب في تزكية الأخلاق والسلوك ، وهذه الشمولية ؛ تدل على العالم الرباني ، الذي يعتني بتكميل النفس البشرية ، وتطهيرها من الأخلاق الفاسدة ، كما يهتم بتطهيرها من جهلها بالعلوم الشرعية .

لقد كانت هذه المؤلفات في شتى العلوم والمعارف ، شاهد صدق على غزارة علم الإمام : محمد بن جرير الطبري-رحمه الله - ، وتبوئه المكانة العالية بين العلماء ، وأكبر برهانٍ على ذلك ، ما سطّره في كتابه جامع البيان ، من حيث : جَمْعه للمأثور ، ونَظَره فيها بالنَّظر الثّاقب ، والترجيح بينها في الغالب ، وغير ذلك من الفرائد .

---

(١) طبقات المفسرين للدوادي (١٠٩/٢) ، ومعجم المؤلفين (١٤٩/٩) .

(٢) الفهرست صفحة (٢٩١) وقد ألف تلميذه الفرغاني المتوفى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة : كتاب الصلة لوصل تاريخ الأمم والملوك . انظر طبقات المفسرين للداوودي (١١١/٢) .

(٣) معجم الأدباء (٧٦/١٨-٧٧) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١١٢/٢) .

(٤) معجم الأدباء (٤٠/١٨-٩٤) .

٧- مذهبه العقدي :

كان أبو جعفر إماماً من الأئمة ، معتقداً لما ذهب إليه الصحابة والتابعون ، لا يبغي عنهم بدلاً، عرف ذلك عنه العلماء ، وشهد به القراء في كتبه المشتهرة ، ولا يخفى ذلك على كل ذي عينين ، وقلب سليم .

وخاصة في تفسيره : جامع البيان ؛ فإنه يُعنى فيه بالمسائل العقدية ، التي حصل فيها خلاف بين الفرق ، كمسألة القضاء والقدر ، ورؤية الله في الآخرة ، والشفاعة ، واعتقاده على طريقة السلف ، وكتابه المسمّى : صريح السنة ، الذي ذكر فيه عقيدته ، برهان على مذهبه المتبع للكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة .

قال عبد العزيز بن محمد الطبري : " كان أبو جعفر يذهب في جلّ مذاهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف ، وطريق أهل العلم المتمسّكين بالسنن ، شديداً عليه مخالفتهم ، ماضياً على مناهجهم ، لا تأخذه في ذلك ولا في شيء لومة لائم ." (١)

ومع هذا الوضوح في اتجاه ابن جرير العقدي وسلامته ، إلا أنه لا زال هناك بعض الشبه والتّهم، ومرجعها إلى سببين : إما معلومات خاطئة ، وإما تعصبات مذهبية وحسد .

- **أما السبب الأول : فالمعلومات الخاطئة :**

حيث تعدّدت هذه الأخطاء ، ولكنها منصبّة على تهمة التشيّع ، ومنها :

أ - ما زعم أنه يقول : بالمسح على القدمين : ولكنّ ابن كثير -رحمه الله-(٢) يقول : "والذي عوّل عليه كلامه في التفسير ، أنه يوجب غسل القدمين ، ويوجب مع الغسل دلكهما ولكن عبّر عن الدّلك

---

(١) معجم الأدباء (١٨/٨١-٨٢) .

(٢) هو أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي ، البصري ثم الدمشقي الشافعي ، ولد تقريباً سنة السبعمائة ، تتلمذ على الإمام المزي ، وأخذ عنه ، وتزوج ابنته ، وأخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأكثر منه ، له مصنفات منها : البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم ، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة . انظر الدرر الكامنة (١/٣٩٩) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١/١١٠) ، وشذرات الذهب (٦/٢٣١) .

بالمسح ؛ فلم يفهم كثير من الناس مراده ، ومن فهم مراده نقلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح ، وهو الدّلك .-والله أعلم- ." [١]

وقال الذهبي -رحمه الله- : " وكان ابن جرير من رجال الكمال ، وشنّع عليه بيسير تشيّع ، وما رأينا إلا الخير ، وبعضهم ينقل عنه : أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء ، و لم نَــرَ ذلــك في كتبه" [٢].

ب – الاشتباه في الأسماء بين شخص وآخر :

قال ابن حجر -رحمه الله- [٣] : " أقذع أحمد بن على السليماني الحافظ [٤]، فقال: كان يضع للروافض – كذا قال السليماني – ، وهذا رجمٌ بالظنّ الكاذب ؛ بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين ، وما ندّعي عصمته من الخطأ ، ولا يحلّ لنا أن نؤذيَه بالباطل والهوى ، فإنّ كلام العلماء بعضهم في بعض ، ينبغي أن يُتأنّى فيه ، ولا سيّما في مثل إمامٍ كبيرٍ ، فلعلّ السليمانيّ أراد الآتي . انتهى[٥] .[يعني محمد بن جرير بن رستم[٦]] ؛ قال [: ابن حجر] :ولو حلفت على أنّ السليمانيّ ما

---

[١] البداية والنهاية (٦/ ١٤٦-١٤٧) ، وانظر قوله في تفسير آية الوضوء من المائدة (٦) جامع البيان (٤/٤١٧-٤٧٢) ، وتحقيق شاكر (١٠/٦٢-٦٤) .

[٢] سير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٧) .

[٣] هو أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ثم المصري ، وابن حجر لقب لبعض أبنائه ، الشافعي الحافظ الكبير الإمام بمعرفة الحديث وعلله ورجاله ، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، طلب الأدب والشعر ثم تفرغ للحديث وبرع فيه ، وأخذ كثيراً عن الحافظ العراقي ، له مصنفات قيمة منها : فتح الباري ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وتهذيب التهذيب ، والدرر الكامنة ، توفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . انظر حسن المحاضرة للسيوطي (١/٣٦٣) ، والضوء اللامع للسخاوي (٢/٣٦) ، والبدر الطالع (١/٨٧) ، ودرة الحجال (١/٦٤) .

[٤] هو محدث ما وراء النهر ، أبو الفضل ، أحمد بن علي بن عمر بن حمْد بن إبراهيم السليماني الحافظ ، ولد سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، قال الذهبي : رأيت للسليماني كتاباً فيه حطٌّ على كبارٍ [أي : جرح لحفاظ كبار] فلا يُسَمع منه ما شذّ فيه ، توفي سنة أربع وأربعمائة ، وله ثلاث وتسعون سنة . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/٢٠٠) .

[٥] أي : انتهى كلام أبي الفضل بن الحسين من كتاب له ذيله على الميزان . انظر مقدمة لسان الميزان (١/٤) .

[٦] هو أبو جعفر ، محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي ، رافضي من علماء الإمامية ، صاحب كتاب الإيضاح وكتاب
-

أراد إلا الآتي لبررت ،والسليماني حافظ متقن، كان يدري ما يخرج من رأسه فلا أعتقد أنه يطعن في مثل هذا الإمام بهذا الباطل."(١)

ونقل الحافظ ابن حجر عن الخطيب قوله : " وإنما ضرّه الاشتراكُ : في اسمه ، واسم أبيه ، ونسبه ، وكنيته ، ومعاصرته ، وكثرة تصانيفه..." (٢).

وفعلاً مثلُ هذا التطابق ، وأقلّ منه ؛ يوصل إلى هذا اللبس ولا شكّ ، والواجب في مثل هذا التحرِّي ، ودقّة الملاحظة .

وقد ذكرتِ الرافضة هذا الاشتباه ، ونبّهت عليه ، وبيّنت وجهَ الحقِّ فيه :

قال صاحب روضات الجنات (٣) : " محمد بن جرير الطبري رجلان : أحدهما ابن جرير الطبري ، الذي هو شافعيّ المذهب ، ومدحه النووي الشافعي(٤) في كتاب تهذيب الأسماء ، وهو صاحب التاريخ والتفسير المشهورين ، والآخر محمد بن جرير بن رستم الطبري : صاحب كتاب المسترشد ، وكتاب الإيضاح ،ولا شبهة في كونه من الشيعة (٥).

وقال في موضع : " ابن جرير بن رستم الطبري ، يكنى أبا جعفر ، ديّن فاضلٌ، وليس هو

المسترشد في الإمامة ، وغيرهما ، توفي ببغداد . انظر ميزان الاعتدال (٤٩٩/٣) ، وسير أعلام النبلاء (٢٨٢/١٤) ، ولسان الميزان (١٠٣/٥) ، وروح المعاني (١١٥/٦) ، وروضات الجنات صفحة (٦٧٣) .

(١) لسان الميزان (١٠٠/٦-١٠١) .

(٢) انظر لسان الميزان (١٠٠/٦-١٠١) ، ولم أجد كلام الخطيب عند ترجمة الطبري في تاريخ بغداد .

(٣) هو محمد بن باقر الموسوي الأصبهاني الخوانساري ، توفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف ، وعنوان كتابه : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، وموضوعه تراجم الشيعة .

(٤) هو محيي الدين ، أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي الشافعي ، ولد بنوى ، سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، له مصنفات كثيرة منها : رياض الصالحين ، والمجموع شرح المهذب في الفقه الشافعي ، وشرح صحيح مسلم ، وتهذيب الأسماء واللغات ، والتبيان في بيان آداب حملة القرآن ، توفي سنة ست وسبعين وستمائة . انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٩٥/٨) ، والنجوم الزاهرة للأتابكي (٢٧٨/٧) ، والفتح المبين للمراغي (٨١/٢) .

(٥) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، صفحة (٦٧٣-٦٧٤) .

صاحبُ التاريخ ، الذي هو عامّيُّ المذهبِ ." (١) وقال أيضاً : " ذاك عامّيٌّ وهذا إماميٌّ ." (٢).

وهذه تزكيّةٌ من الرافضة له ، ولو شمَّ الرافضة منه رائحة التشيع ؛ لوضعوا له التبجيل ، ولأخذ المدحَ من غير كيلٍ ولا وزنٍ ، ولوُضعَت له التَّراجم الواسعة ، فذاك طريق يَدَّعون به تصحيح مذهبهم.

ج – ومن أسباب التهمة بالتشيع : أنه صحح حديث " غَديرَ خُمٍّ " : (٣).

فقد ألّف كتاباً كبيراً ، قال الذهبي –رحمه الله-: " جمع فيه طرق حديث " غَديرَ خُمٍّ " ، في أربعة أجزاء ، رأيتُ شطره ، فبهَرني بسعة رواياته ، وجزمتُ بوقوع ذلك ، وقد نفى الذهبيّ عنه التشيع بقوله : وشنّع عليه بيسير تشيع ، وما رأينا إلا الخير " .(٤)

والمحقّقُ : أنّ التّصحيح لأيِّ حديثٍ إذا كان بحثاً عن الحقِ ، فليس عيباً ولا تشيّعاً ، بل هو الدّين الحقّ ، الذي يجب على المسلم عمله .

ويدل على أن قصده الحقُّ لا البدعةَ والرفْضَ ، السببُ الذي من أجله جَمَع روايات حديث " غَديرَ خُمٍّ " ، ودَرَسَ أسانيدها :

فالسبب : أنه سمع من بعض مشايخ بغداد تكذيب هذا الحديث (٥)، وأن علياً -ﷺ- كان باليمن ، في الوقت الذي كان فيه رسول الله -ﷺ - في غدير خم ، ووضع رَجَزاً (٦) بهذا المعنى ؛ فألّف في حديث : "غدير خم" ، وفضائل علي ، فكثر الناس واجتمع إليه قوم من الروافض ، ممن بسط لسانه بما لا يصلح في الصحابة – ﷺ – فابتدأ بفضائل أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –.(٧)

---

(١) عامي المذهب عند الرافضة هم أهل السنة ، وهذا قدح عندهم لا مدح ، والممدوح عندهم من كان إمامي المذهب : أي يؤمن بأئمة آل البيت ، ويبغض بقية الصحابة،وخاصة الشيخين : أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما – .

(٢) المرجع نفسه ، وانظر دراسة الطبري للمعنى صفحة (١٩٤) ، للأستاذ محمد المالكي .

(٣) لسان الميزان (١٠٠/٥) ، وانظر معجم الأدباء (٨٤/١٨) ، انظر نص الحديث هامش صفحة (٣٢) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٧٧/١٤) .

(٥) قيل تكلم في الحديث أبو بكر بن داود السجستاني . انظر طبقات المفسرين للداوودي (١١٣/٢) .

(٦) الرَّجَزُ : ضرب من الشعر ، وزنه مستفعلن ست مرات . انظر ترتيب القاموس (٣٠٦/٢) .

(٧) انظر معجم الأدباء (٨٤/١٨-٨٥) ، ونسبه لأبي بكر من كامل التلميذ الذي ترجم لشيخه الإمام الطبري .

وأسباب التأليف الماضية : توضح أنه لم يكن قصده نصر أهل الرفض ، وإنما أراد الدفاع عن مذهب أهل السنة ، وتصحيح الأخطاء العلمية ، والرد على المخطئ ، ولو كان من أهل السنة وقصده الخير ، وانظر إلى تغييره مسار الدرس من فضائل علي -ﷺ- إلى فضائل أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما - لما تجمّع أهل الرفض عليه ، ولو كان منهم لما غيّر ما يحبّون إلى ما يكرهون .

بل إنه في مجتمعٍ كثر فيه الرفض ، يَجْهر بفضائل الخليفتين الراشدين : أبي بكر وعمر، فلما رجع إلى طَبَرِسْتَان ؛ وَجَدَ الرفض قد ظهر ، وسبُّ أصحاب رسول الله – ﷺ – بيْنَ أهلها قد انتشر ، أملى فضائل أبي بكر وعمر ، حتى خاف أن يجري عليه ما يكرهه ؛ فخرج منها من أجل ذلك[1].

ومعلوم موقف الرافضة من الشيخين ، وما يتوقع منهم من الأذى ؛ إلا أن الجهر بالحق والتزام منهج السلف هو منهج إمامنا – رحمه الله – والله أعلم.

- ومما يدل على عدم تشيعه : أقواله في مذهب الرافضة ، المخالف للكتاب والسنة ، ورأيه فيهم :

قال محمد بن علي [2] : " سمعت أبا جعفر الطبري – وجرى ذكر علي – ، فقال أبو جعفر : من قال إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى ، أيش هو ؟ فقال له ابن صالح الأعلم[3] : مبتدع ، فقال له الطبري : منكراً عليه : مبتدع !! مبتدع !! ، هذا يقتل ، من قال : إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى ، يقتل !! يقتل !! ." [4]

فهذا الحكم الواضح الصريح الصارم يدل على براءته من التشيع ، كبراءة الذئب من دم يوسف – عليه السلام – .

---

[1] معجم الأدباء (٨٥/١٨) .

[2] هو محمد بن علي بن محمد بن سهل ابن الإمام – صاحب ابن جرير – لم أجد له ترجمة،وهو من تلامذة ابن جرير.

[3] لم أجد له ترجمة ، وأظنه من تلامذة ابن جرير أيضاً .

[4] لسان الميزان (١٠١/٥) ، وانظر سير أعلام النبلاء (٢٧٥/١٤) .

– أما السبب الثاني لاتهامه بالرفض : فالتعصب والحسد :

ففي زمانه اتهم بالرفض وأحياناً بالإلحاد ، من بعض عوام الحنابلة ورعاعهم – وحاشاه من ذلك – بل كان أحد أئمة الإسلام ، علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله ، وإنما تقلّدوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري (١)؛ حيث كان يتكلم فيه ، ويرميه بالعظائم ، وبالرفض .(٢)

وقيل : لما ألّف في اختلاف الفقهاء ، و لم يذكر أحمد بن حنبل معهم فقيل له في ذلك ، فقال : لم يكن فقيهاً وإنما كان محدثاً ؛ فاشتدّ ذلك على الحنابلة ، وكانوا ببغداد لا يُحصَون كثرةً (٣).

وقال الذّهبي –رحمه الله- : " وقد وقع بين ابن جرير وبين أبي داود ، وكان كل منهما لا ينصف الآخر ، وكانت الحنابلة حزب أبي بكر بن أبي داود ؛ فكثروا وشغبوا على ابن جرير ، وناله أذى ولزم بيته ، – نعوذ بالله من الهوى – " (٤).

–٨ – مذهبه الفقهي :

سبق الحديث عن شيوخ الطبري في الفقه (٥)، ويتبين من ذكر أشهرهم ، أن الإمام الطبري –رحمه الله– تعلم الفقه على أغلب المذاهب الفقهية في عصره وهي :

المذهب الشافعي (٦) قال أبو جعفر الطبري : " أظهرت مذهب الشافعي واقتديت به ببغداد

---

(١) هو أبو بكر ، محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري ، أبوه صاحب المذهب الظاهري ، فقيه أديب مناظر ، له: كتاب الزهرة في الآداب والشعر ، وآخر في الفرائض ، وغيرها ، وله بصر تام في الحديث ، وبأقوال الصحابة ، مجتهد لا يقلّد أحداً ،توفي سنة سبع وتسعين ومائتين . انظر تاريخ بغداد (٢٥٦/٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٠٩/١٣).

(٢) انظر البداية والنهاية (١٤٦/٦–١٤٧) لابن كثير .

(٣) انظر الكامل (١٧١/٦) لابن الأثير .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٧٧/١٤) .

(٥) انظر صفحة (١٦) .

(٦) انظر معجم الأدباء (٥٣/١٨) ، وقد نسبه أبو عاصم العبادي الشافعي إلى أنه من أفراد علمائهم . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٧٩/١) .

عشر سنين ، وتلقاه مني ابن بشار الأحول (١) – أستاذ ابن سريج –" (٢).

وكذا درس المذهب الحنفي ، والمذهب المالكي ، والمذهب الظاهري على داود صاحب المذهب (٣).

ومن بعد تلك الدراسات الواسعة للمذاهب الفقهية ، اختار الإمام ابن جرير لنفسه، مذهباً في الفقه (٤) ، نُسِبَ إليه وعُرِفَ بَعْدُ بالمذهب الجريري .

قال هارون : " فلما اتّسع علمه أداه اجتهاده وبحثه ، إلى ما اختار في كتبه ." (٥)

وقد اشتهر أبو الفرج المعافى بن زكريا ، المتوفى سنة تسعين وثلاثمائة هجرية ، بتمذهبه على كتب الطبري وحفظها .(٦)

وممن تمذهب على المذهب الجريري أيضاً : علي بن عبد العزيز بن محمد الدولابي ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج الكاتب ، وأبو القاسم بن العرّاد ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي

---

(١) هو تلميذه عثمان بن بشار الأنماطي ، شيخ الشافعية ، المتوفى سنة ثمان وثمانين ومائتين . انظر سير أعلام النبلاء (٤٢٩/١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٧٥/١٤) ، وانظر طبقات الشافعية الكبرى (١٢٣/٣) . وابن سريج هو : أبو العباس ، أحمد بن عمر ابن سريج البغدادي القاضي ، له مصنفات منها : شرح المذهب ، والرد على ابن داود في إبطال القياس ، ولد سنة بضع وأربعين ومائتين ، وتفقه على ابن بشار الأنماطي ، الذي أخذ فقه الشافعي عن ابن جرير الطبري ، توفي سنة ست وثلاثمائة، وقيل غير ذلك . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٥١/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٢٠١/١٤) ، والمنتظم (١٤٩/٦) ، والفتح المبين (١٦٥/١) .

(٣) هو أبو سليمان ، داود بن علي بن خلف الأصبهاني ، الظاهري البغدادي ، قيل : ولد بالكوفة سنة مائتين ، وكان بصيراً بالفقه عالماً بالقرآن حافظاً للأثر ، وصنف التصانيف ، وتوفي ببغداد سنة سبعين ومائتين . انظر تاريخ بغداد (٣٦٩/٨) ، وسير أعلام النبلاء (٩٧/١٣) .

(٤) انظر طبقات المفسرين للسيوطي صفحة (٨٣) ، وانظر معجم المؤلفين (١٤٩/٩) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٧٥/١٤) .

(٦) انظر الفهرست صفحة (٢٩٢) ، هو المعافى بن زكريا بن يحيى بن طرارا أو طرار ، الجريري النهرواني القاضي ، ولد سنة ثلاث أو خمس وثلاثمائة ، وتمذهب على كتب الطبري وحفظها ، وله مصنفات منها : تفسير في ست مجلدات ، والجليس والأنيس . انظر وفيات الأعيان (٢٢٣/٥) ، وبغية الوعاة (٢٩٣/٢) ، والأعلام (١٦٩/٨) .

المنجّم، وقد ألف كتباً في نصرة مذهب الطبري ، وأبو إسحاق إبراهيم بن حبيب السقطي ، وغيرهم(١).

ولكن لم يكتب لهذا المذهب البقاء ؛ ولا شك أن للتلاميذ دوراً كبيراً في نشر مذهب شيخهم، كما قال الشافعي–رحمه الله– : " الليث (٢) أفقه من مالك ، إلا أنه ضيّعه أصحابه " (٣) ، وفي رواية عنه : " إلا أن أصحابه لم يقوموا به "(٤) .

قال الذهبي –رحمه الله– : " اشتهر مذهب الأوزاعي (٥) مدّةً ، وتلاشى أصحابه وتفانوا ، وكذلك مذهب سفيان(٦) وغيره...وانقطع أتباع أبي ثور (٧)بعد الثلاثمائة ، وأصحاب داود إلا القليل ، وبقي مذهب ابن جرير إلى ما بعد الأربعمائة " (٨) . – والله أعلم وأحكم – .

---

(١) انظر الفهرست صفحة (٢٩٢) بتصرف .

(٢) هو أبو الحارث ، الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم المصري ، ولد بمصر ، سنة أربع وتسعين ، الإمام البارع من تابعي التابعين ، كان فقيه مصر ورئيسها وكل يرجع إليه ، أجمع العلماء على جلالته وعلو مرتبته في الفقه والحديث ، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٧٤/٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٣٦/٨)، وتهذيب التهذيب (٤٨١/٣) ، وحسن المحاضرة (٣٠١/١) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٧٤/٢) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٥٦/٨) .

(٥) هو أبو عمرو ، عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي الحافظ ، والأوزاع محلة بدمشق ، ولد سنة ثمان وثمانين كان له مذهب مستقلّ ، عمل به فقهاء الشام والأندلس فترة ثم فني ، توفي ببيروت مرابطاً ، سنة سبع وخمسين ومائة ، وقيل غير ذلك. انظر سير أعلام النبلاء (١٠٧/٧) ، وتهذيب التهذيب (٥٣٧/٢) .

(٦) هو أبو عبد الله ، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، ولد سنة سبع وتسعين ، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وعلمه ، له تفسير مشهور رواه عنه أبو حذيفة النهدي ، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة . انظر تهذيب التهذيب (٥٦/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٢٢٩/٧) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١٨٦/١) .

(٧) هو أبو ثور ، إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي ، ولد في حدود سبعين ومائة ، إمام مجتهد ، كان من أهل الرأي ، ثم رجع إلى الحديث لّما حضر إلى الشافعي ، له كتاب : أحكام القرآن ، وتوفي ببغداد سنة أربعين ومائتين . انظر تاريخ بغداد (٦٥/٦) ، وسير أعلام النبلاء (٧٢/١٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٧/١) .

(٨) سير أعلام النبلاء (٩٢/٨) .

٩ – صفاته الخِلْقية والخُلُقية :

أ – من صفاته الخِلْقية :

أنه كان أسمر مائلاً إلى الأدمة ، أعين نحيف الجسم ، مديد القامة ، كبير اللحية ، لم يغير شيبه، وكان السواد في رأسه ولحيته كثيراً (١).

ب – ومن صفاته الخُلُقية ما يلي :

الزهد ، والقناعة ، والصبر على الأذى في الدعوة :

قال الفرغاني –رحمه الله– : " كان محمد ابن جرير لا تأخذه في الله لومة لائم ، مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات ، من جاهل ، وحاسد ، وملحد ، فأما أهل العلم والدين فغير منكرين علمه ، وزهده في الدنيا ، ورفضه لها ، وقناعته بما كان يرد عليه من حصة خلفها له أبوه بطَبَرِسْتان يسيرة ." (٢) .

وقال أيضا : " وكان عالماً زاهداً ورعاً فاضلاً..." (٣).

وقال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري –رحمه الله– : " وكان فيه من الزهد ، والورع ، والخشوع ، والأمانة ، وتصفية الأعمال ، وصدق النية ، وحقائق الأفعال ، ما دلّ عليه كتابُه في آداب النفوس " (٤).

وقال ابن كثير –رحمه الله– : " وكان من العبادة ، والزهد ، والورع ، والقيام في الحق ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم " (٥).

وكان لا يسأل ولو احتاج : قال أبو جعفر : " أبطأت عني نفقة والدي ، واضطررت إلى أن

---

(١) تاريخ بغداد (١٦٦/٢) ، وطبقات الشافعية الكبرى (١٢٦/٣) ، وانظر معجم الأدباء (٩١/١٨) ، وسير أعلام النبلاء (٢٨٢/١٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٤) ، وانظر طبقات الشافعية الكبرى (١٢٥/٣) .

(٣) طبقات المفسرين للداوودي (١١٤/٢) .

(٤) معجم الأدباء (٦٠/١٨) .

(٥) البداية والنهاية (١٤٦/٦) .

فتقت كُمَّي القميص فبعتهما ." (١)

وممّا يدلّ على بعده عن السلاطين : أنه لما تقلّد الخاقانيُّ (٢) الوزارةَ ، وجّه إليه بمالٍ كثير ، فأبى أن يقبله ، فعرض عليه القضاء فامتنع ، فعاتبه أصحابه ؛ وقالوا له : لك في هذا ثواب ، وتحيي سنّة قد درست ، وطمعوا أن يقبل ولاية المظالم ، فانتهرهم ، وقال : قد كنت أظن أني لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه ، فانصرفوا خجلين (٣) .

الأخلاق العالية والجدّ في جميع الأحوال : قال ياقوت :"وكان متوقّفاً عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ، ولا يؤثرها إلى أن مات ، وكان يحب الجدّ في جميع أحواله "(٤).

حسن المظهر وطيب العشرة : قال عبد العزيز بن محمد : " وكان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره ، نظيفاً في باطنه ، حسن العشرة لمجالسيه ، متفقّداً لأحوال أصحابه ، مهذّباً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه ، وما يخصّه في أحوال نفسه،منبسطاً مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة ، وربما جيء بين يديه بشيء من الفاكهة ، فيجري في ذلك المعنى ، ما لا يخرج من العلم والفقه والمسائل، حتى يكون كأجدّ جدٍّ ، وأحسنِ علم "(٥).

العزوف عن الزواج : وإن لم يكن محمدة – إذ الزواج سنة الأنبياء : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[الرعد: ٣٨] –، بل ذكرت عزوفه عن الزواج ؛ قصداً لمعرفة أحوال الإمام ، فقد قال عن نفسه : " وما حللت سراويلي على حرام ولا حلال قطّ(٦) .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (١٢٥/٣) .

(٢) هو أبو علي ، محمد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، تولى الوزارة زمن المقتدر سنة تسع وتسعين ومائتين، وعزل سنة ثلاثمائة . انظر الكامل (١٣٩/٦و١٤١) .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٥/١٤) .

(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٧٨-٧٩) .

(٥) معجم الأدباء (٨٦/١٨) .

(٦) معجم الأدباء (٥٥/١٨) .

وقال مسلمة بن قاسم : " كان حصوراً (١) لا يقرب النساء ." (٢)

١٠ – وفاته ، ورثاؤه :

أ – وفاته : توفي على الأشهر : لأربع بقين ، أو ليومين بقيا من شوال ، سنة عشر وثلاثمائة(٣)+

وقيل : مات ببغداد سنة عشر وثلاثمائة ، أو إحدى عشرة ، أو ست عشرة .(٤)

وقال ابن كثير : وقد جاوز الثمانين بخمس أو ست سنين .(٥) وقال الذهبي : وله ست وثمانون وثمانون سنة (٦).

ب – رثاؤه : رثاه خلق كثير من أهل الدين ، والأدب ،كما هو حال مشاعر المسلمين ، عند فقد علمائهم الأفذاذ ، الذين وهبوا أرواحهم ومهجهم ، في تعليم المسلمين ونصحهم :

ومن ذلك قول ابن الأعرابي (٧)، في مرثية له طويلة :

حَدَثٌ مُفظِعٌ وخَطْبٌ جليْل دَقَّ عن مثله اصطبار الصَّبور
قَـــام ناعي العلومِ أجمعوا لَمّا قـــام ناعي محمدِ بنِ جرير .

---

(١) الحصور : هو من لا يأتي النساء وهو قادر ، أو من لا يشتهيهن ، أو منع منهن ، أو هو مجبوب . انظر ترتيب القاموس المحيط (٦٥٣/١) .

(٢) لسان الميزان (١٠٢/٥) .

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦) ، وانظر سير أعلام النبلاء (٢٨٢/١٤) .

(٤) انظر معجم الأدباء (٩٤/١٨) .

(٥) انظر البداية والنهاية (١٤٦/٦) .

(٦) انظر دول الإسلام (١٣٧/١) .

(٧) هو أبو سعيد ، أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي ، ولد سنة نيِّف وأربعين ومائتين ، محدث حافظ عابد صوفي ، صحب الجنيد ، صدوق له أوهام ، له : طبقات النساك ، وتاريخ البصرة ، توفي سنة أربعين وثلاثمائة ، وله أربع وتسعون سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٤٠٧/١٥) ، ولسان الميزان (٣٠٨/١) ، وشذرات الذهب (٣٥٤/٢) .

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (١) في قصيدة طويلة :

لا يأمنُ العجزَ والتقصيرَ مادحُه ولا يَخافُ على الإطنابِ تكذيبًا .
ودّتْ بقاعُ بلاد الله لو جُعِلتْ قبراً له فحبَاها جسمُه طيبًا .
كنتَ المقوّم من زيغٍ ومن ظلعٍ(٢) وفاكَ نصحاً وتسديداً وتأديبًا .
وكنتَ جامعَ أخلاقٍ مطهّرةٍ مهذّباً من قرافِ الجهلِ تهذيبا .(٣)

رحم الله الإمام محمد بن جرير الطبري ، وأسكنه فسيح جناته ، ونفعنا بعلومه ومؤلفاته . آمين .

الثاني : التعريف بتفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن :

إنّ الدخول إلى علم التفسير ، ليس بالأمر السهل الهيّن ؛ لأنه إرادة وقصد توضيح مراد الله – عز وجل – من كلامه ، فالمفسر بحاجة إلى جهد كبير في الوصول إلى المراد ، خاصة إذا أراد تفسير القرآن كاملاً ، ولكن الله – عز وجل – حبا الإمام ابن جرير من عطائه ، ما جعله قدوة وعمدة لمن بعده ، في ميزاته التي امتاز بها عن غيره .

وسيكون الحديث عن جامع البيان هنا ، منقسماً باعتبار الزمن إلى زمنين :

١- ما قبل خروج جامع البيان ، إلى الانتهاء منه .

٢- ما بعد خروج جامع البيان ، إلى وصوله المطابع .

---

(١) هو أبو بكر ، محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي ، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، إمام في الأدب والنحو واللغة، من مصنفاته : الجمهرة في اللغة ، وأدب الكاتب ، عاش ثمان وتسعين سنة ، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .
انظر إنباه الرواة للقفطي (٣/٩٢) ، وشذرات الذهب (٢/٢٨٩) .

(٢) الظالع : المتهم . انظر ترتيب القاموس المحيط (٣/١٢٤) .

(٣) انظر تاريخ بغداد (٢/١٦٦-١٦٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/٢٨٠-٢٨٢) ، وديوان ابن دريد (٣٨-٤٠) والأبيات مختارة من المرثية على الترتيب .

-١- ما قبل خروج جامع البيان ، إلى الانتهاء منه :

أ – التفكير في التفسير منذ الصغر:

ليحصل الإبداع والإتقان لشيء ما ، فلابد من وجود رغبة وميل إليه ، وكذلك الميل إلى هذا الفن أو ذاك ؛ لقد كانت رغبة وميل ابن جرير إلى تفسير القرآن قديمة ، يدل عليها قوله : " حدثتني به نفسي وأنا صغير " (١).

ب – الشعور بضرورة التفسير الملحة :

ويؤكد هذه الرغبة العارمة والإرادة المحببة إليه : معرفته بثمرة القرآن والمقصود من إنزاله ، وهو التدبّر ، -قال تعالى- : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص: ٢٩]فأبو جعفر يقول : " إني لأعجب ممن قرأ القرآن و لم يعلم تأويله ، كيف يلتذّ بقراءته ؟ ! " (٢).

ج–الاستخارة قبل الإقدام :

من سنن الرسول – ﷺ – الاستخارة ، حال الهمِّ بالأمر أياً كان ، وقد كان النبي – ﷺ – يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن ، فما بالك بأمر التفسير، قال أبو جعفر : " استخرت الله – تعالى – في عمل كتاب التفسير ، وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين ، قبل أن أعمله فأعانني " (٣).

د – الشورى مع أهل الشأن :

ومن تربية أبي جعفر لتلاميذه على تطبيق الشورى ، أنه قال لهم : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا : هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه ، فأخذوه في نحو ثلاثة آلاف ورقة . -ومثل ذلك حصل في كتاب التاريخ- ؛ فقال : إنّا لله ! ماتت

---

(١) معجم الأدباء (٦٢/١٨) .

(٢) معجم الأدباء (٦٣/١٨) .

(٣) معجم الأدباء (٦٢/١٨) ، وسير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٤) .

الهمم!!.(١)

وفي هذا فائدة للمعلِّم : أن يراعي حال طلابه ، فيعرف ما يناسبهم ، وما تسمح به قدرهم ؛ وإن كان مرغوبهم أدنى منزلة ، ويبيِّن لهم خطأهم .

وقوله : إنّا لله اماتت الهمم ! ! .أصبحت عبارة مشهورة عن الإمام – رحمه الله- ولا أدري ما حال هِمَمِنا إذن في هذا الزمن ، الذي كثرت فيه الملهيات والمغريات ، إلا إن تكون الهمم قد دفنت إلا من رحم الله ، وقليل ما هم .– والله المستعان – .

هـ- مراحل كتابة تفسير جامع البيان :

لقد كانت دروس تفسير جامع البيان كلّها إملاءً في فترتين :

الفترة الأولى : ذكرها أبو بكر بن كامل فقال : أملى علينا من كتاب التفسير ، مائة وخمسين آية – الجزء الأول من القرآن ، وقد حواه حالياً المجلد الأول من الكتاب – ، ثم خرج بعد ذلك إلى آخر القرآن ، فقرأه علينا ، وذلك سنة سبعين ومائتين .(٢)

والفترة الثانية : ذكرها ابن بالويه ، لما سأله أبو بكر بن خزيمة فقال : بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ؟ قال : نعم ، كتبنا التفسير عنه إملاء ، قال : كله ؟ قال: نعم ، قال : في أي سنة؟ قال : من سنة ثلاث وثمانين ، إلى سنة تسعين ومائتين.(٣) وهذه الفترة استغرقت سبع سنين .

ثم بعد الإملاء كانت القراءة مما أملي ، ففي أول جامع البيان قرئ على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في سنة ست وثلاثمائة .(٤)

وقد تبيّن من مخطوطات التفسير : أنه كان رواية عن بعض تلامذة الإمام الطبري –رحمه الله،

---

(١) انظر معجم الأدباء (٤٢/١٨) ، وسير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٤) .

(٢) معجم الأدباء (٦٢/١٨) .

(٣) انظر تاريخ بغداد (١٦٤/٢) ، ومعجم الأدباء (٤٢/١٨) ، وسير أعلام النبلاء (٢٧٣/١٤) ، والطبري ومنهجه في التفسير صفحة (٦٦) للدكتور محمد بن الشريف .

(٤) انظر جامع البيان (٢٥/١) ، وتحقيق شاكر (٣/١) .

فقد كان أوله رواية عن أبي محمد الفرغاني ، وذلك مذكور أول مرة عند الآية الخامسة والعشرين بعد المائتين من البقرة (١)، وفي أول آل عمران وجد نص ، أخبرنا أبو جعفر...(٢) فيبدو أنه من قول الفرغاني ، ثم جاءت رواية تلميذ آخر هو : أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، وذلك عند الآية الثامنة والستين من آل عمران (٣) و لم يجئ بعد ذلك في تحقيق أحمد ومحمود شاكر غير هذين –والله أعلم- .

-٢ – ما بعد خروج جامع البيان :

أ – وقع كتاب تفسير ابن جرير –رحمه الله- من قلوب العلماء موقعه ، فقالوا فيه المديح ، والثناء ، ومنه :

قول أبي بكر محمد بن خزيمة : " لقد نظرت فيه من أوله إلى آخره ، وما أعلم على ظهر الأرض أعلم من ابن جرير ." (٤)

وقال الفرغاني في تاريخه : " فتمّ من كتب ابن جرير كتاب : تفسير القرآن ، وجوّده وبين فيه أحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، ومشكله وغريبه ، ومعانيه ، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله ، والصحيح لديه من ذلك ، وإعراب حروفه ، والكلام على الملحدين فيه ، والقصص وأخبار الأمة ، والقيامة ، وغير ذلك ، مما حواه من الحكم والعجائب ، كلمة كلمة ، وآية آية ، من الاستعاذة وإلى أبي جاد ، فلو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب ، كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد ، عجيب ، مستقصى ، لفعل ." (٥)

وقال ابن النديم : " كتاب التفسير لم يعمل أحسن منه ." (٦)

---

(١) انظر تحقيق شاكر في جامع البيان (٤٥٢/٤) ، وتكرّر في (٤٩٥/٤و٥٣٩) ، و(٩٥/٥و٢٤٠و٣٢٣) .

(٢) جامع البيان تحقيق شاكر (١٤٩/٦) .

(٣) انظر جامع البيان (٤٩٦/٦) و(٢٣/٧و١٥٤و٢٨١و٣٨٤).

(٤) انظر تاريخ بغداد (١٦٤/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٢٧٣/١٤) ، ومعجم الأدباء (٤٢/١٨-٤٣) .

(٥) طبقات المفسرين للداوودي (١١١/٢) .

(٦) الفهرست صفحة (٢٩٢) .

وقال أبو حامد الإسفراييني –رحمه الله– (١) : " لو سافر رجل إلى الصين ، حتى يحصل كتاب تفسير محمد بن جرير ، لم يكن ذلك كثيراً ." (٢)

وقال ابن عطية –رحمه الله– (٣) : " إن محمد ابن جرير الطبري –رحمه الله– جمع على الناس أشتات التفسير ، وقرّب البعيد ، وشفى في الإسناد ".(٤)

وقال ابن تيمية –رحمه الله– (٥) : " وأما التفاسير التي في أيدي الناس ، فأصحها : تفسير ابن جرير الطبري ؛ فإنه يذكر مقالات السلف ، بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين" (٦).

وقال أيضاً : " وهو من أجلّ التفاسير المأثورة ، وأعظمها قدراً " (٧).

---

(١) هو أبو حامد ، أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني ، نسبة لبلد بخراسان ، ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، وهو شيخ الشافعية ببغداد ، من مصنفاته : تعليق على شرح المزني في نحو خمسين مجلداً ، وكتاب في أصول الفقه ، توفي ببغداد سنة ست وأربعمائة . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٨/٢) ، ووفيات الأعيان (٧٢/١) ، وسير أعلام النبلاء (١٩٣/١٧) ، والفتح المبين (٢٢٤/١) .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٢/١٤) ، ومعجم الأدباء (٤٢/١٨) .

(٣) هو أبو محمد ، عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي القاضي ، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، كان فقيهاً عارفاً بالتفسير والحديث واللغة والنحو والأدب ، له : تفسير المحرر الوجيز ، وكتاب جمع فيه مروياته وأسماء شيوخه، وتوفي بالرقة سنة ست وأربعين وخمسمائة ، وقيل غير ذلك . انظر الديباج المذهب (٥٧/٢) وشجرة النور الزكية (١٢٩)، وبغية الوعاة (٧٣/٢) .

(٤) المحرر الوجيز (٤٢/١) .

(٥) هو شيخ الإسلام ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ثم الدمشقي ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة ، إمام أهل السنة في زمانه ، مقارع أهل الكتاب والزنادقة والمبتدعة ، مجاهد التتار ، شيخ الإسلام حقا ، مجدِّد في علوم الدين، مجتهد مطلق ، له مصنفات كثيرة منها : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ومنهاج السنة ، وفتاوى ورسائل كثيرة ، توفي بسجن القلعة بدمشق ، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٣٨١/٢) ، والبداية والنهاية (١٤١/١٤) ، وكتاب المقفّى الكبير للمقريزي (٤٥٤/١) ، وشذرات الذهب(٨٠/٦) .

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٨٥) جمع : الشيخ عبد الرحمن بن قاسم –رحمه الله – .

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦١/١٣) .

وقال ابن كثير –رحمه الله-: وله التفسير الكامل ، الذي لا يوجد له نظير (١).

وقال السيوطي –رحمه الله- (٢) : " وله التصانيف العظيمة منها تفسير القرآن ، وهو أجلّ التفاسير ، لم يؤلف مثله ؛ كما ذكره العلماء قاطبة منهم النووي في تهذيبه ؛ لأنه جمع فيه بين الرواية والدراية ، و لم يشاركه في ذلك أحد ، لا قبله ولا بعده " (٣).

ب – منهج الإمام ابن جرير في تفسيره جامع البيان :

يعتبر تفسير جامع البيان من أشهر التفاسير ، وأعظمها ، وأقدمها ، وأقومها ؛ امتاز تفسير جامع البيان عن غيره بأوليتين :

الأولى : الأولية الزمانية ؛ لأنه أقدم تفسير شامل للقرآن يصل إلينا (٤).

والثانية : الأولية الفنية الصناعية ؛ في تميّز وحسن العرض ، والترتيب (٥).

وقد أُلّفت في منهج هذا التفسير مؤلفات ، منها :

---

(١) البداية والنهاية (٦/١٤٥) .

(٢) هو جلال الدين ، أبو الفضل ، عبد الرحمن بن الكمال الخضيري –نسبة لمحلة في بغداد –السيوطي –بلد أسيوط بمصر- الشافعي ، ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وكان يلقب بابن الكتب ، مفسر محدث فقيه نحوي لغوي وله شعر، بلغت مؤلفاته قريباً من ألف ، منها : الإتقان ، والدر المنثور ، وفسّر من الفاتحة إلى الكهف ، مكملاً تفسير جلال الدين المحلي ؛ فسمّي تفسير الجلالين ، تفرغ بعد الأربعين للعبادة والتأليف ، توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة. انظر حسن المحاضرة له (١/٣٣٥) ، وطبقات الداوودي (٢/٨٠)،والضوء اللامع (٤/٦٥)،والبدر الطالع (١/٣٢٨) .

(٣) طبقات المفسرين للسيوطي صفحة (٨٢) ، وانظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/٨٧) .

(٤) ذكر الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور : أن يحيى بن سلام التميمي البصري الأفريقي المتوفى سنة مائتين ، ألف تفسيراً جمع فيه الآثار ، ونقدها ، واختار منها ، واهتم فيه باللغة ، والإعراب ، وذكر القراءات ، وهو في ثلاث مجلدات ضخام ، ويعتبر الحلقة المفقودة في مراحل تدوين التفسير بين : القرن الأول والثالث ، وأن ابن الجزري ، وأبا عمرو الداني شهدا بأنه: لم يتقدمه مثله ، واعتذر ابن عاشور لمن أهمل ذكره بالأقدمية بذكر جامع البيان ، أنه لا يوجد إلا نسخة واحدة من التفسير ؛ ولكن أخبر عنها بما يقرب من سبعين سنة . انظر التفسير ورجاله (٤١-٤٤). ولو قيل إن جامع البيان أقدم ؛ لأنه أوسع التفاسير الواصلة إلينا لكان له وجه –والله أعلم- .

(٥) انظر التفسير والمفسرون (١/٢٠٩-٢١٠) .

- كتاب الطبري ومنهجه في التفسير ، للدكتور : محمود بن الشريف .
- وكتاب ابن جرير الطبري ، ومنهجه في التفسير ، للدكتور : محمد بكر إسماعيل .
- وبحث الإمام الطبري ، لعبد الله آل شاكر ، بإشراف الأستاذ : مناع القطان –رحمه الله–، وغيرها .

ولكن أذكر معالم مختصرة من منهجه :

- المقدّمة : لقد قدّم الإمام ابن جرير للتفسير ، بمسائل من علوم القرآن ، وسار على هذه الطريقة كثير من المفسرين ، وكان فيها :
- وجه كون القرآن معجزاً ، والحكمة من كونه عربياً .
- وهل في القرآن لفظ أعجمي ؟ .
- وما اللغة التي نـــزل بها القرآن من لغات العرب ؟ .
- ومعنى الأحرف السّبعة ، التي نـــزل بها القرآن . وما يتعلّق بها .
- ومن أي طريقٍ نصل إلى التأويل .
- وذكر الخلاف في جواز التفسير بالرأي .
- ذكر بعض الآثار في الحض على تعلم التفسير ، ومن كان يفسره من الصحابة .
- وذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن .
- ثم ذكر من مُدِح بالتفسير ومن ذُمَّ .
- وختم المقدمة : بمعنى القرآن ، والسورة ، والآية .(١)
- أما طريقته في تفسير القرآن ، فإن له نهجاً متميّزاً في جامع البيان ، ومن ذلك :
- أنه يبدأ تفسيره للآية بقوله : القول في تأويل –قوله تعالى– :....ويعني بالتأويل التفسير .
- ثم يفسر الآية تفسيراً إجمالياً .
- وهو يعتمد على السياق "ويفصح ببيانه عن المعنى المراد معتمداً ربط السياق والعود بمراجع الكلام إلى

---

(١) مقدمة جامع البيان (٢٥-٧٣) ، وتحقيق شاكر (١/٣-١٦٠) ، ومحتويات المقدمة مذكورة بمعناها على الترتيب .

معاقدها الواردة في مواضيع أخرى من القرآن الكريم"⁽¹⁾.

- ثم يستشهد على ذلك برواياته المسندة إلى الصحابة والتابعين .
- وإذا تعددت الأقوال في الآية : فإنه يعرض القول الأول ، ويذكر قائليه ، ثم الأقوال الأخرى كذلك، ولا يسكت عنها غالباً ، بل يوجهها ويرجح بينها ، بالحجج الشرعية ، واللغوية ، والعقلية .
- وقد يذكر المذاهب الفقهية ، وأدلتها ، وقد تصل إلى بعض مذهبه من خلال تفسيره .
- وكان معتنياً بأقوال السلف ، من الصحابة والتابعين ، وراداً على من خالفهم .
- وقد كان لابن جرير مذهب في الإجماع ، يوجب الرجوع إليه ، وينكر على مخالفه ⁽²⁾.
- وكذلك كان له مذهب في الترجيح بين القراءات ، ووصف بعضها بالشذوذ ، سيأتي بحث شيء منه - إن شاء الله - ، وقد كان من كبار علماء القراءات ، وألف فيها كتاباً .
- وكان في تفسيره يذكر الأخبار الإسرائيلية ، ويفصِّل في ذكرها ، وقد ينقدها أحياناً في سندها أو متنها .
- وإذا كان التفصيل لا فائدة منه في تأويل الآية ، يذكر الروايات التي عنده ، ثم يعقب عليها : بأنه غير نافع العلم بها ، ولا ضارٌّ الجهل بها...⁽³⁾.
- وكان يجمع بين علم الرواية والدراية ⁽⁴⁾.
- ويذكر الأقوال بأسانيدها ، ويرتِّبها مع الأقوال المماثلة لها ، ثم يقارن ويرجِّح .
- الاعتناء بالدليل النقلي ، والعقلي ، في الترجيح والتضعيف .
- العناية بالمفردات اللغوية الأصلية ، والمعاني المنقولة إليها ، مع بيان مناسبة النقل ، ويذكر الشعر الذي

---

(١) التفسير ورجاله صفحة (٥١) للأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور .

(٢) ومنهجه في الإجماع : عدم الاعتداد بمخالفة الواحد والاثنين ، وليس الإجماع بمعناه الاصطلاحي المشهور عند الأصوليين . انظر الإجماع في التفسير صفحة (١٣٩-١٤١) ، رسالة ماجستير في جامعة الإمام ، للشيخ : محمد بن عبد العزيز الخضيري ، ١٤١٦هـ .

(٣) انظر تفسير الآية (١١٤) من المائدة : ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ .

(٤) انظر في ذلك قول السيوطي -رحمه الله- ، صفحة (٥٧) .

يدل على استعمال اللفظة في المعنى الذي حمله عليه .

- يذكر ما يتعلق بالآية من إعراب يقرّب إلى التأويل ، وقد يفصِّل في الإعراب عند مدرستي البصرة والكوفة ؛ مما جعله مرجعاً مهمّاً له مكانته المرموقة .

- نصره مذهب السلف ، والدفاع عنه ، والرد على المبتدعة ،في كل موضع من كتابه .(١)

- أما أسلوب ابن جرير في تفسيره : فيحتاج إلى صبر وأناة لفهمه ، وتتبع دقيق لمعانيه ؛ ليسهل بعد ذلك فهمه ، يقول الأستاذ محمود شاكر في مقدمته : " كان يستوقفني في القراءة كثرة الفصول في عبارته ، وتباعد أطراف الجمل ، فلا يسلم لي المعنى ، حتى أعيد قراءة الفقرة منه ، مرتين أو ثلاثاً...ثم يقول : ولما راجعت كتب التفسير ، وجدت بعضهم ينقل عنه ، فينسب إليه ما لا أجده في كتابه ، فتبيّن لي أن سبب ذلك هو هذه الجمل ، التي شقّت علي قراءتها ، يقرؤها القارئ ، فربما أخطأ مراد أبي جعفر ، وربما أصاب..." (٢).

ولنختم هذا العرض المختصر لمنهج ابن جرير ، بوصف الفرغاني في تاريخه ، يقول: "فتمّ من كتب ابن جرير ، كتاب تفسير القرآن ، وجوّده ، وبيَّن فيه أحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، ومشكله ، وغريبه ، ومعانيه ، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله ، والصحيح لديه من ذلك ، وإعراب حروفه ، والكلام على الملحدين فيه ، والقصص ، وأخبار الأمة ، والقيامة ، وغير ذلك ، مما حواه من الحكم والعجائب ، كلمة كلمة ، وآية آية ، من الاستعاذة ، وإلى أبي جاد ، فلو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم ، مفرد ، عجيب ، مستقصى ، لفعل"(٣).

لفعل"(٣).

ج – وصول الكتاب إلى المطابع الحديثة :

كان هذا التفسير يسمع ويقرأ عنه ، و لم يكن له الوجود ، إلا من زمن قريب ؛ حين وجد عند

---

(١) انظر التفسير والمفسرون (١/٢١٠-٢٢٠) ، والإمام الطبري ، لعبد الله آل شاكر صفحة (٥٩-٧٤) .

(٢) مقدمة تحقيق شاكر لجامع البيان صفحة (١١) الطبعة الثانية دار المعارف بمصر .

(٣) طبقات المفسرين للداوودي (١١١/٢) .

أمير حائل (١) ، وكانت نسخة كاملة ، وطبع أول مرة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة ، ثم طبع طبعة مصححة سنة اثنتين وعشرين ، في ثلاثين جزءا . (٢)

ثم تتالت الطبعات فمنها : المطبعة الأميرية ببولاق ، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة، والطبعة الحلبية ، بعناية الأستاذ مصطفى السقا ، سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة .

ثم طبع بدار المعارف ، بتحقيق الشيخين أحمد ومحمود شاكر ، في ستة عشر مجلداً ، من أول التفسير ، إلى الآية السابعة والعشرين من سورة إبراهيم ، وذلك من سنة ١٣٧٤- ١٣٨٨هـ ، وهي متقنة النقول ، محسَّنة التخريج .

ثم طبع بدار الكتب العلمية ، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وألف ، وهذه الطبعة والتي حققها الشيخان أحمد ومحمود شاكر ، كان عليهما العزو للمواضع المنقولة من تفسير ابن جرير –رحمه الله- .

فكم جمع هذا الكتاب من محاسن ! ، وكم حوى من أثر ! ، وكم طوى من فن ، رحم الله الإمام الفذ ، والعالم البارع ، ونفعنا بعلومه . آمين .

كانت هذه الوريقات نبذة مختصرة ، عن الإمام ابن جرير وتفسيره ، عسى أن تكون مرغِّبة لاستزادة القارئ الكريم ، من التراجم الموسعة له . –والله الموفق- .

الثالث : دلالات الألفاظ على المعاني عند الأصوليين :

من الأمور المهمة جداً والتي لها تعلق بدلالة السياق ما يتعلق بدلالات الألفاظ ، ومرتبط كثيراً بأصول الفقه ؛ لأنهم أوسع من تكلموا عن هذه الدلالات ، وسأذكرها على وجه الاختصار (٣).

---

(١) وهو :حمود بن الرشيد . انظر مباحث في علوم القرآن صفحة (٣٧٤) لشيخنا مناع القطّان –رحمه الله- .

(٢) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صفحة (٨٦) ، للمستشرق : جولد تسيهر ، ترجمة علي حسن عبد القادر .

(٣) من بعض كتب أصول الفقه ، وانظر أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله للدكتور عياض بن نامي السلمي ص ٢١٤-٤٠٥ فقد عرضته باختصار شديد ، وتصرف يسير ، وقد أحلقت هذه الدلالات بالبحث بعد الانتهاء منه لأهميتها ، وقد أشار بها علي فضيلة الدكتور سعيد بن جمعة الفلاح وفقه الله في مناقشة الرسالة .

ولتصور الدلالات من البدايات : " اعلم أن الأمور منقسمة إلى : ما يدل على غيره وما لا يدل .

فأما ما يدل فينقسم إلى : ما يدل بذاته : كالأدلة العقلية ...

وما يدل بالوضع : وهو ينقسم : إلى صوت وغير صوت : كالإشارة والرمز.

والصوت ينقسم في دلالته إلى : مفيد وغير مفيد .

والمفيد كقولك : زيد قائم ، وزيد خرج راكباً .

وغير المفيد كقولك : زيد لا وعمرو في ، فإن هذا لا يحصل منه معنى ، وإن كان آحاد كلماته موضوعة للدلالة .

وقد اختلف في تسمية هذا كلاما : فمنهم من قال : هو كمقلوب رجل وزيد لجر وديز ، ومنهم من سماه كلاما ؛ لأن آحاده وضعت للإفادة .

والمفيد من الكلام ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف -كما في علم النحو- .

وهذا لا يكون مفيدا حتى يشتمل على :

اسمين أسند أحدهما إلى الآخر ، نحو : زيد أخوك ، والله ربك .

أو اسم أسند إلى فعل : نحو قولك : ضرب زيد ، وقام عمرو .

وأما الاسم والحرف : كقولك : زيد من وعمرو في ، فلا يفيد حتى تقول : من مضر ، وفي الدار .

وكذلك : ضرب قام ، لا يفيد ؛ إذ لم يتخلله اسم ، وكذلك : من في قد على .

والمركب من الاسم والفعل والحرف تركيبا مفيدا ينقسم إلى : مستقل بالإفادة من كل وجه ، وإلى ما لا يستقل بالإفادة إلا بقرينة ، وإلى ما يستقل بالإفادة من وجه دون وجه .

مثال الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾[الإسراء: ٣٢] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] ، وذلك يسمى نصا ؛ لظهوره . والنص في السير هو الظهور فيه...

والنص ضربان : ضرب هو نص بلفظه ومنظومه كما ذكرناه ، وضرب هو نص بفحواه ومفهومه نحو قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧﴾ [النساء: ٧٧]

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ﴾ [آل عمران: ٧٥] فقد اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشتم ، وما وراء الفتيل والذرة من المقدار الكثير ، أسبق إلى الفهم منه من نفس الذرة والفتيل والتأفيف .

ومن قال : إن هذا معلوم بالقياس ، فإن أراد أن المسكوت عنه عرف بالمنطوق فهو حق ، وإن أراد به أنه يحتاج فيه إلى تأمل أو يتطرق إليه احتمال فهو غلط .

وأما الذي لا يستقل إلا بقرينة فكقوله تعالى : ﴿أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[البقرة: ٢٣٧] وقوله : ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[البقرة: ٢٢٨] وكل لفظ مشترك ومبهم ، كقوله : رأيت أسدا وحمارا وثورا،إذا أرد شجاعا وبليدا ، فإنه لا يستقل بالدلالة على مقصوده إلا بقرينة .

وأما الذي يستقل بوجه دون وجه فكقوله تعالى : ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[الأنعام: ١٤١] وكقوله : ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] فإن الإيتاء ويوم الحصاد معلوم ، ومقدار ما يؤتى غير معلوم ، والقتال وأهل الكتاب معلوم ، وقدر الجزية مجهول ، فخرج من هذا : أن اللفظ المفيد بالإضافة إلى مدلوله : إما أن لا يتطرق إليه احتمال فيسمى نصا ، أو يتعارض فيه الاحتمالان من غير ترجيح فيسمى مجملا ومبهما ، أو يترجح أحد احتمالاته على الآخر فيسمى بالإضافة إلى الاحتمال الأرجح ظاهرا ، وبالإضافة إلى الاحتمال البعيد مؤولا ، فاللفظ المفيد إما نص أو ظاهر أو مؤول."(١) وإليك بيان دلالات الألفاظ على وجه مبسّط :

لقد اهتم علماء الأصول بالألفاظ ، من جهتين :

من حيث تقسيماتها وأنواعها . ومن حيث دلالتها على المعاني . (٢)

---

(١) المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي ومعه كتاب فواتح الرحموت لعبد العلي الأنصاري ، تقديم وضبط الشيخ إبراهيم رمضان ، طبع دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت (٦٧١/١-٦٧٤).

(٢) ذكر الدكتور نور الدين الخادمي أن الدلالات على ثلاثة أنواع :١-باعتبار وضعها لمعانيها : عام وخاص وأمر ونهي ومطلق ومقيد ومشترك ، ٢-وباعتبار وضوحها وخفائها : حقيقة ومجاز وواضح وخفي ، ٣-وباعتبار كيفيتها : منطوق ومفهوم. انظر تعليم علم الأصول ص ٣٣٢ .

وسبب ذلك : أن استنباط الأحكام الشرعية إنما يكون استفادهّا من دلالات الألفاظ ، واستخراج هذه الدلالات من طريق الدلالة المباشرة ، أو الإشارة والإيماء .

ويذكر الأصوليون أن علماء أصول الفقه أحاطوا بما قرره علماء اللغة والنحو والتصريف ، وأضافوا عليه تفاصيل لا توجد عند غيرهم ، حتى من أهل اللغة أنفسهم ، حتى مع تعدد المؤلفات اللغوية ووفرهّا .

فمن الموضوعات التي لها تعلق بدلالات ألفاظ الشرع : الأمر والنهي ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمنطوق والمفهوم ، والنص والظاهر والمجمل والمبين .

فتكلم الأصوليون عن هذه الدلالات حسب أهميتها :

فاهتم الأصوليون بالأمر والنهي : وهو أساس التكليف ، سواء أكان من باب الصراحة أو ما يدل عليها : فذكروا ألفاظ الأمر ، وما يصدق عليه من الألفاظ ، وبينوا المراد بالأمر ، وصيغه، وما يقتضيه من الوجوب أو الاستحباب أو الإباحة ، وهل هو على الفور أو التكرار ، وإذا ما ذهب وقته فهل يسقط ؟ ، ونحو ذلك من التفاصيل وغيرها .

وتحدثوا عن النهي وتعريفه ، وصيغه وأساليبه ، وهل يقتضي التحريم أم الكراهة ؟، وهل يقتضي الفورية والاستمرار ، وهل النهي عن الشيء أمر بضده ، وحكم النهي بعد الأمر ، وهل يقتضي النهي الفساد ، وغير ذلك .

وتطرق الأصوليون للعام والخاص :فعرفوا العام ، وفرقوا بينه وبين المطلق ، وذكروا أقسام العام من حيث معرفة عمومه إلى عام لغة وعام عقلا ، وعام عرفا . وغير ذلك ، ثم يذكرون صيغ العموم ، وتحدثوا عن النكرة في سياق النفي هل هي عموم أم لا؟، وفصلوا في قوة دلالة العام هل هي قطعية أم ظنية ، وما العمل مع العام بعد تخصيصه هل هو حجة فيما بقي ؟

ثم عرف علماء الأصول الخاص بعد ذكر العام ، وما هو التخصيص ؟ وفرقوا بين التخصيص ونسخ حكم بعض أفراد العام ، وأركان التخصيص وشروطه ، وبينوا المخصصات المتصلة والمنفصلة ، فمن المتصلة الاستثناء والشرط والصفة والغاية والبدل ، وذكروا قواعد متعلقة بهذه المخصصات المتصلة في كل نوع ، ودرسوا المخصصات المنفصلة ومنها الحس والعقل والنص والقياس والإجماع والمفهوم

وغير ذلك ، ثم تحدثوا كذلك عن المطلق والمقيد ، وكذلك تحدثوا عن المنطوق والمفهوم ، وقد جرى علماء الأصول إلى تقسيم الدلالة إلى قسمين : دلالة منطوق ودلالة مفهوم ، ومنهم من قسمها إلى منظوم وغير منظوم:

فمن قسمها إلى منطوق ومفهوم :فقد عرفوا المنطوق بأنه المعنى المستفاد من صريح اللفظ ، أو : ما دل عليه اللفظ في محل النطق.

والمفهوم بعكسه : فهو ما دل عيه اللفظ في غير محل النطق أي : في مقدر خارج عن المنطوق به ، ومثال ذلك : دلالة قوله تعالى :﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣] على تحريم الضرب والشتم، ودلالة قوله تعالى :﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[النساء: ٢٥] على أن الأمة غير المؤمنة لا يصح نكاحها لمن لم يجد مهر الحرة .

ومن قسم الدلالات إلى منظوم وغير منظوم :

فكل دلالة يكون الدال فيها دل بالوضع اللغوي ، وهي تشتمل على دلالة المطابقة ودلالة التضمن.

والثانية : غير المنظوم : وهي دلالة الالتزام ، وهي دلالة اللفظ لا بصريح صيغته ووضعه ، ويشمل دلالة الاقتضاء ودلالة الإشارة ودلالة الإيماء ودلالة المفهوم :

١- فدلالة الاقتضاء : هي دلالة اللفظ على معنى مسكوت عنه يجب تقديره لصدق الكلام أو لصحته شرعا أو عقلا ، والمعنى المدلول عليه بالاقتضاء يسمى المقتضَى[اسم مفعول] وهو ثلاثة أنواع، واضحة في التعريف . فمما يجب تقديره لصحة الكلام شرعا قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[البقرة: ١٨٤] فها هنا محذوف حتى يصبح الكلام شرعا وهو عبارة :"فأفطر" للاتفاق على أن من كان مريضا أو على سفر و لم يفطر فلا قضاء عليه ، ولو لم نقدر العبارة السابقة لوجب القضاء على المريض والمسافر حتى لو صاما ، و لم ينقل هذا إلا عن بعض الظاهرية ، وهذه الدلالة قد تسمى عند بعض الأصوليين دلالة الإضمار ، والمعنى المقدر يسمى المضمر أو المقتضَى .

واختلفوا في عموم المقتضى أو هو لا عموم له :

ففي قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ [المائدة: ٣] قال الأولون : نقدر الانتفاع حتى يكون أعم ، وقال الآخرون : نقدر الأكل .

والأقرب أن يقدر ما دل عليه العرف هنا ، ففي قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣] فيحمل على ما دل عليه العرف : وهو تحريم الوطء ودواعيه من عقد أو غيره ، ولا يحمل على النظر واللمس بلا شهوة .

٢-ودلالة الإشارة : وهي المعنى اللازم من الكلام الذي لم يسق الكلام لبيانه ، مثل فهم جواز أن يصبح المسلم جنبا في رمضان ، من قوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] فإذا جاز له الجماع طوال الليل إلى الفجر ، جاز أن يطلع عليه الفجر وهو جنب ولا يفسد صومه بذلك .

٣-الإيماء : وهو فهم التعليل من ترتيب الحكم على الوصف المناسب ، مثاله قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] ، فهذا يدل على أن العلة السرقة ، لأن الله رتب الحكم بالفاء على وصف مناسب وهو السرقة ، وهذا يومئ إلى العلة وينبه عليها ؛ ولذا سماه بعضهم الإيماء أو التنبيه إلى العلة .

٤- المفهوم : وهو نوعان : مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة :

الأول : مفهوم الموافقة : وهو المعنى الثابت للمسكوت عنه الموافق لما ثبت للمنطوق؛ لكون المسكوت أولى بالحكم من المنطوق أو مساويا له .

ومثال المفهوم الأولى قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣] فإنه يدل بطريق الأولى على تحريم الضرب والشتم .

ومثال المفهوم المساوي : قوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾[النساء: ١٠] فإنه يدل على تحريم الأكل بمنطوقه ، وعلى تحريم كل ما فيه تفويت لمال اليتيم بمفهوم الموافقة المساوي ، فلا يجوز التصدق بمال اليتيم ولا إنفاقه في الجهاد ونحوه .

ومفهوم الموافقة حجة عند جميع الأئمة ، وخالف فيه الظاهرية ولا يلتفت إلى خلافهم .

ودلالة مفهوم الموافقة منه ما هو قطعي الدلالة ومنه ما هو ظني ، فالقطعي كما في المثالين آنفا، وقد يكون مظنونا أو ضعيفا :

فمثال المظنون : كما في قولهم :"إذا ردت شهادة الفاسق فالكافر من باب أولى"، وهذا مندرج تحت قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦] فهذا المفهوم ظني؛ لأنه لا يبعد أن ترد شهادة الفاسق لأنه متهم بالكذب، ولا ترد شهادة الكافر لأنه يحترز من الكذب ، والراجح رد شهادة الكافر .

ومثال الضعيف : قول الشافعية : تجب الكفارة في قتل العمد ؛ لوجوبها في قتل الخطأ من باب أولى ، وذلك لأن الكفارة وجبت في تقل الخطأ لقلة الجرم ، وأما القتل العمد فإن الكفارة لا تكفره ؛ لكونه جرما عظيما لا يكفره إلا القود .

الثاني : مفهوم المخالفة : ويسمى :"دليل الخطاب ":

وهو الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم المذكور في المنطوق عما عداه .

وسمي مخالفة ؛ لأن الحكم الذي يثبت للمسكوت نقيض للحكم المنطوق به مختلف عنه .

ومفهوم المخالفة ستة أنواع :

١-مفهوم الصفة : ويشمل ما هو أعم من النعت عند النحاة ، فيشمل النعت والحال والجار والمجرور والظرف والتمييز . مثاله : قوله - ﷺ- : " في سائمة الغنم إذا كانت أربعين ففيها شاة".(١)، فتخصيص السائمة بالذكر يدل على أن المعلوفة لا زكاة فيها . (٢)

٢- مفهوم الشرط : مثاله حديث :"أعلى المرأة من غسل -يا رسول الله- إذا هي احتلمت؟

---

(١) رواه أبو داود حديث ١٥٦٧ ، وهو من كتاب أبي بكر رضي الله عنه لأنس رضي الله عنه ، وعليه خاتم النبي - ﷺ- ، وبنحوه في البخاري ١٤٥٤ .

(٢) هذا إذا لم تكن الغنم عروض تجارة ، وإنما هي للدر والنسل فقط ، فيشترط في زكاتها السوم أكثر السنة .

قال :"نعم إذا رأت الماء "(١). فيفهم من هذا أنها إذا لم تر الماء فلا غسل عليها .

٣- مفهوم العدد : وهو ما يفهم من تخصيص العدد بالذكر ، أو ما يفهم من تعليق الحكم على عدد مخصوص . مثاله قوله تعالى :﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤] دل بمنطوقه على الثمانين، وبمفهومه على عدم إجزاء ما نقص عنها ، وعلى المنع من الزيادة عليها.والذي يظهر أن هذا النوع داخل في مفهوم الصفة ؛ لأن المقدار أحد صفات الشيء .

٤- مفهوم الغاية : وهو ما يفهم من مد الحكم إلى غاية بإحدى أدوات الغاية وهي (إلى ، وحتى واللام). مثاله قوله تعالى :﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[البقرة: ١٨٧] منطوقه دال على وجوب استمرار الصيام من طلوع الفجر إلى الليل ، ومفهومه يدل على أن الليل لا يجوز صيامه ، فيبطل الوصال ، كما لو قال : لا تصوموا الليل .

٥- مفهوم التقسيم : وهو ما يفهم من تقسيم المحكوم عليه قسمين فأكثر ، وتخصيص كل منهما بحكم . مثاله قوله - ﷺ- :"الثيب أحق بنفسها ، والبكر تستأذن"(٢). فمنطوقه واضح ، ومفهومه أن كل قسم يختص بحكمه ، ولا يشارك الآخر في حكمه ، فالثيب أحق بنفسها فتكون البكر ليست أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن يدل على أن الثيب لا تستأذن ؛ لأن الإذن منها لا يكفي بل لا بد من التصريح . والذي يظهر أيضا أن هذا النوع داخل في مفهوم الصفة (وقد سبق).

٦-مفهوم اللقب : وهو ما يفهم من تخصيص الاسم المجرد بالحكم من نفي الحكم عما عداه ، وسواء كان الاسم لإنسان أو حيوان ، اسم علم أم اسم جنس .مثاله قوله - ﷺ- :"لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل"(٣) . منطوقه ظاهر ، ومفهوم اللقب أن ما ليس ذهباً يجوز بيعه بمثله أو غيره من غير مماثلة.

حجية مفهوم المخالفة : بأنواعه الخمسة المتقدمة -دون السادس- حجة عند الجمهور ، مع

---

(١) البخاري ١٣٠ ، ومسلم ٣١٣ ، من حديث أم سليم رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم حديث ١٤٢١ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) رواه البخاري ٢١٧٧ ، ومسلم ١٥٨٤ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

اختلافهم في كل نوع من أنواعه.

واستدلوا على ذلك بأدلة منها :١-قوله - ﷺ- : بعد نزول قوله تعالى :﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة: ٨٠] : "لأزيدن على السبعين". أخرجه البخاري بنحو هذا اللفظ (١). وجه الدلالة : أن النبي - ﷺ- فهم من النص على السبعين أن ما زاد عنها قد يكون حكمه مختلفا عن المقتصر على هذا العدد ، فوعد بالزيادة على السبعين ، لكنه نهي نهيا صريحا عن الاستغفار للمنافقين والصلاة عليهم .

٢-أن الصحابة رضوان الله عليهم فهموا من تخصيص الوصف بالذكر انتفاء الحكم عما خلا عنه ويدل لذلك وقائع ، منها :أ-ما روى يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : ألم يقل الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾[النساء: ١٠١] فقد أمن الناس؟ فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه فسألت رسول الله- ﷺ- فقال: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته". (٢)

ب-لما قال النبي - ﷺ-:"يقطع الصلاة الكلب الأسود"، قال عبد الله بن الصامت لأبي ذر : ما بال الأسود من الأحمر من الأصفر ؟ فقال : سألت رسول الله - ﷺ- كما سألتني فقال :"الكلب الأسود شيطان". (٣)

فهؤلاء من فصحاء العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وقد فهموا من تخصيص الحكم بوصف انتفاؤه عما لم يوجد فيه ذلك الوصف .

٣-أن النبي - ﷺ- سئل عما يلبس المحرم ، فأجاب بذكر ما لا يلبسه المحرم ، فقال :"لا يلبس القميص ولا السراويلات ولا البرانس" (٤) .وجه الدلالة : أنه لولا أن تخصيص الممنوع بالذكر

---

(١) انظر البخاري ٤٦٧٠ ، ولفظه : "وسأزيدن على السبعين" .

(٢) أخرجه مسلم ٦٨٦ .

(٣) أخرجه مسلم ٥١٠ .

(٤) البخاري برقم ٣٤ ، ومسلم برقم ١١٧٧ ، عن ابن عمر رضي الله عنهما .

يدل على إباحة ما عداه لما كان قول الرسول – ﷺ – جوابا لسؤالهم ؛ لأنهم سألوه عما يجوز لبسه أو يجب ، فأجاب بذكر ما لا يجوز لبسه ، فدل على أن ما عداه يجوز لبسه .

٤ – أن تخصيص الشيء بالذكر لا بد له من فائدة ، فإذا لم نعلم فائدة غير انتفاء الحكم عما عداه جعلنا التخصيص دالا على ذلك .

وذهب أكثر الحنفية إلى عدم حجية مفهوم المخالفة مطلقا ، واستدلوا بأدلة ، أهمها :

الأول : أن القرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالنصوص التي فيها تعليق الحكم على وصف أو عدد أو غاية ، ولا سكون نفي الحكم عما سوى المذكور مرادا باتفاق الصحابة . ومن ذلك :

أ–قوله تعالى : ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣] ولا خلاف في تحريم الربيبة إن لم تكن في الحجر .

ب–قوله تعالى : ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١] ولا خلاف في جواز القصر للمسافر وإن لم يكن خائفاً .

ج–قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] ولا خلاف في أنه لو رغب طلاق المرأة و لم يرد الزواج بغيرها أنه داخل في النهي عن أخذ شيء من المهر ، ولو كان المفهوم حجة لما كان ذلك إلا لمن رغب الاستبدال بها .

د–قوله تعالى : ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] و لم يدل هذا على خروج حليلة الابن من الرضاعة ، مع أنها ليست من الصلب .

الثاني : أن الله قد نص على المفهوم المخالف حين يريد نفي الحكم عنه في آيات كثيرة ولو كان المسكوت عنه كافيا لما كانت هناك حاجة إلى النص عليه . ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١].

الثالث : أن ما سوى المنطوق مسكوت عنه والمسكوت عنه ليس له حكم يؤخذ من اللفظ

فليطلب حكمه من دليل آخر .

والراجح هو قول الجمهور ،أن مفهوم المخالفة بأنواعه كلها سوى مفهوم اللقب .

وقول الأحناف : إن في القرآن والسنة كثيرا من مفاهيم المخالفة المتفق على عدم حجيتها ، يجاب بأن تلك المواضع لم تتوافر فيها شروط الاحتجاج الآتي ذكرها .

وقولهم : إن الله قد نص على المفهوم حيث أراده يجاب بأن ما نص فيه على المفهوم قصد تأكيده ولا يدل على أن غيره ليس بحجة .

وأما مفهوم اللقب فليس بحجة على الصحيح عند جماهير العلماء ؛ لأنه لو كان حجة لكان الثناء على الرسول - ﷺ- ووصفه بالرسالة وقدحا في بقية الرسل وإنكارا لرسالتهم .

ولأن الرسم لا يشعر بالتعليل ؛ ولهذا لا يدل ذكره على نفي الحكم عن غيره .

ولأن الاحتكام في ذلك إلى لغة العرب واللغة لا تدل على أن ذكر الاسم والنص على حكمه دليل على نفي الحكم عن غيره .

شروط العمل بمفهوم المخالفة : للعمل بالمفهوم شروط ، أهمها :

١-أن لا يكون تخصيص المذكور بالذكر جرى مجرى الغالب ، فإن كان كذلك فلا يحتج به ، ومثاله قوله تعالى :﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾ [النساء: ٢٣] فوصف الربائب بكونهن في الحجور جرى مجرى الغالب ، إذ الغالب أن تكون بنت الزوجة معها عند زوجها الثاني .

٢-وإنما اشترطوا ذلك لأن ما جرى مجرى الغالب يكون حاضرا في الذهن عند المتكلم فيذكره في كلامه ولا يقصد نفي الحكم عنه .

٣-أن لا يكون حكم المذكور جاء لكونه مسئولا عنه ، أو بيانا لحكم واقعة ، فإن سئل عنه فرتب الحكم عليه أو كان أمرا واقعا جاء بيان حكمه على صفته التي هو عليها، لم يدل ذلك على نفي الحكم عما عداه ، ومثلوه بقوله تعالى : ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾[آل عمران: ١٣٠] ، فإنه لا يدل على جواز أكل الربا إذا كان قليلاً ؛ لأن الآية بيان لحم أمر واقع .

٣-أن لا يكون المذكور في اللفظ سبق ذكره حتى يكون معهودا ، فإن كان معهودا فلا يدل ذكره على قصر الحكم عما عداه ، وهو أعم من الذي قبله ؛ لأن المسئول عنه معهود ؛ لسبق ذكره .

٤- أن لا يكون المسكوت عنه أولى بالحكم من المذكور فإن كان كذلك فإنه يكون من مفهوم الموافقة ويثبت للمسكوت حكم المنطوق من باب أولى .

ومثله بعضهم بقوله تعالى : ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٩٢] قالوا : فإن قتله عمدا وجبت الكفارة من باب أولى . وهذا ليس صحيحاً عند الأكثر ؛ لأن الكفارة تطهير للمكلف ، والقتل العمد لا تكفره الكفارة؛ لأنه جرم عظيم لا يطهره إلا القود ، ولذا لم تجب فيه كفارة .

وأظهر منه قوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾[الإسراء: ٣١] حيث لا يفهم منه جواز قتلهم دون خشية الفقر ؛ لأنه إذا حرم قتلهم مع خوف الفقر والعجز عن نفقاتهم فتحريم قتلهم مع القدرة على نفقاتهم أولى بالتحريم .

ويجمع هذه الشروط السابقة التي ذكروها أنها ترجع إلى شرط واحد ، وهو أن لا يظهر لتخصيص المذكور بالذكر فائدة سوى اختصاصه بالحكم عما لم يشاركه في الصفة المذكورة .

ولهذا الخلاف أثر في مسائل كثيرة منها :هل يجوز نكاح الأمة لمن لم يجد مهر الحرة ؟وهل يشترط لمن أراد نكاح الأمة أن تكون مؤمنة ؟

ففي المسألة الأولى : اختلفوا في قوله تعالى :﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾[النساء: ٢٥] وخلافهم ينبني على خلافهم في الاستدلال بمفهوم الشرط :

فالجمهور قالوا : الآية تدل بمفهوم المخالفة في قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ ﴾ على أن المستطيع لمهر الحرة القادر على نكاحها ليس له أن ينكح أمة.

والحنفية قالوا : الآية بينت حكم من لم يستطع مهر الحرة وسكتت عن المستطيع ، فيطلب حكم نكاحه من دليل آخر ، وقد وجدنا الدليل في عموم قوله تعالى :﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣] والأمة من النساء .

وفي المسألة الثانية : اختلفوا في قوله تعالى : ﴿ مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [النساء/٢٥]

وخلافهم ينبني على خلافهم في الاستدلال بمفهوم الصفة :

فذهب الجمهور إلى اشتراط إيمان الأمة أخذا بمفهوم الصفة المتقدم ، فقوله : ﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ يدل بمفهوم المخالفة أن غير المؤمنة لا يجوز نكاحها .

وذهب الحنفية إلى جواز نكاح الأمة الكتابية ، وقالوا : النص على المؤمنة لا يدل على نفي الحكم عما عداها ، وإنما يدل على أن ما عداها يطلب حكمها من دليل آخر ، وقد وجدنا الدليل يدل على التفريق بين الكتابيات وغيرهن من الكافرات في قوله : ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [المائدة: ٥] فالكتابية يجوز نكاحها سواء أكانت حرة أم أمة بخلاف بقية الكفار .

منهج الحنفية في تقسيم كيفية الدلالة :

سبق ذكر الدلالة عند الجمهور وأنها على نوعين : منطوق ومفهوم ، أو منظوم وغير منظوم .

وأما الحنفية فإنهم يجعلون الدلالة أربعة أقسام :

الأولى : دلالة العبارة (عبارة النص): وهي دلالة اللفظ على المعنى المتبادر فهمه من الصيغة. مثالها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنعام: ١٢١] فعبارة النص تدل على تحريم متروك التسمية ، وهي تقابل دلالة المنطوق عند الجمهور .

الثانية : دلالة الإشارة (إشارة النص):وهي دلالة اللفظ على معنى غير مقصود بسياق الكلام ، ولكنه لازم للمعنى إلى سيق له الكلام .مثالها : قوله تعالى : ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [الحشر: ٨] قالوا : هذه الآية تدل بطريق الإشارة على أن الكفار إذا استولوا على أموال المسلمين يملكونها ؛ لأن الله سماهم فقراء مع أن أموالهم تحت أيدي الكفار .

ومثلها الأمثلة السابقة في دلالة الإشارة عند الجمهور ، فإن مصطلح الفريقين متقارب في الدلالة .

الثالثة : دلالة الاقتضاء: (اقتضاء النص): وهي زيادة على المنصوص يشترط تقديرها ليصير المنظوم مفيدا أو موجبا للحكم ، وبدونها لا يمكن إعمال المنظوم وتصحيحه . ومثالها قوله تعالى :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] لا بد من تقدير محذوف وهو أكل الميتة ، قوله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] يقتضي تقدير محذوف وهو الوطء ودواعيه .

ومصطلحهم في هذه كمصطلح الجمهور ، وإنما وقع الخلاف في عموم المقتضى أو المقدر .

الرابعة : دلالة النص : وهي دلالة المنطوق على أن حكمه ثابت للمسكوت ؛ لكونه أولى منه. وهي التي يسميها الجمهور مفهوم الموافقة ، وأمثلتها تقدمت .

وأما مفهوم المخالفة فيسميه الحنفية دلالة المخصوص بالذكر على نفي الحكم عما عداه ، وهو عندهم ليس بحجة .

دلالة اللفظ من حيث الظهور والخفاء :

جرى جمهور الأصوليين على تقسيم اللفظ من حيث ظهور دلالته وخفاءها إلى ثلاثة أقسام هي : النص والظاهر والمجمل :

أولا النص : وهو ما دل على معناه دلالة لا تحتمل التأويل .

مثل دلالة قوله تعالى : ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]على مقدار الجلد .

وقيل ما دل على معناه و لم يحتمل غيره احتمالا ناشئا عن دليل .

وعلى هذا فالاحتمال الذي لا دليل عليه لا ينقض قوة الدلالة ، ولا يجعل اللفظ ظاهرا بل يبقى في مرتبة النص .

ويطلق النص في مقابل الدليل العقلي أو الدليل من المعنى فيكون المقصود به النقل ، سواء أكان نصا صريحا أم ظاهرا أم محتملا ، كقول الفقهاء في مسألة:دليلنا النص والقياس .

ثانيا : الظاهر : وهو ما احتمل معنيين هو في احدهما أظهر .وهذا يدل على أن الظاهر صفة للفظ ، لأن اللفظ هو الذي احتمل معنيين .

وقد يطلقون لفظ الظاهر على المعنى الراجح الذي دل عليه اللفظ مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا ، فيقولون : هو الاحتمال الراجح .

ومثاله : دلالة الأمر على الوجوب مع احتمال الندب ، ودلالة النهي على التحريم مع احتمال الكراهة : كقوله تعالى في الأمر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

وكقوله تعالى في النهي حكاية عن نبينا محمد – ﷺ – : ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة: ٤٠].

وهكذا كل حقيقة احتملت المجاز و لم تقم قرينة قوية على ذلك فهي ظاهرة في المعنى الحقيقي.

وقد يعرفون الظاهر بما كانت دلالته على المعنى دلالة ظنية لا قطعية ؛ تفريقا بينه وبين النص ، وقد وقع للشافعي تسمية الظاهر نصا كما نقل ذلك الإمام الجويني وغيره .

المؤول : إذا ذكر الظاهر ذكر المؤوّل ، وهو اصطلاحا : اللفظ المحمول على الاحتمال المرجوح بدليل ، سمي بذلك ؛ لأن المؤول يرجع معنى اللفظ إلى المعنى البعيد الذي لم يكن موضوعا له لدليل يذكره .

والتأويل : حمل اللفظ على الاحتمال المرجوح بدليل .

وهذا يشمل التأويل الصحيح والتأويل الفاسد .

فالتأويل الصحيح:حمل اللفظ على الاحتمال غير المتبادر بدليل قوي يقتضي ذلك .

والتأويل الفاسد : حمل اللفظ على الاحتمال غير المتبادر بدليل ضعيف لا يقوى على صرف اللفظ عن ظاهره .

والمؤول هو اللفظ عن ظاهره بدليل ، فإن كان الدليل قويا يقتضي رجحان الاحتمال الذي كان مرجوحا لولاه فهو تأويل صحيح وإلا كان باطلا.

مثال التأويل الصحيح : تخصيص العام بدليل خاص ، مثل تخصيص قوله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] بالأحاديث الدالة على تحريم البيع على بيع أخيه ، والبيع مع النجش، وبيع الحصاة ، ونحوه من بيوع الغرر .

فحينئذ تكون الآية مصروفة عن عمومها الذي كانت هو المتبادر من اللفظ، والصارف لها الأدلة السابقة .

ومثله : تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] على أن المراد : إذا أردت قراءة القرآن ، وليس المراد إذا فرغت من قراءته كما يفيده ظاهر اللفظ من حيث الوضع .

ومثله : تأويل قوله تعالى :﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦] فإنها مؤولة عن ظاهرها ، والمقصود : إذا أردتم القيام إلى الصلاة ؛ لأن الوضوء يسبق القيام إلى الصلاة .

ومثال التأويل الباطل : تأويل الحنفية حديث غيلان عندما أسلم وتحته عشر نسوة، فقال له النبي – ﷺ- :"أمسك منهن أربعا وفارق سائرهن". (١) على أن المراد : أمسك الأربع الأول منهن أو على أن المراد ابتدئ نكاح أربع منهن .

ومما يبطل هذا التأويل أن الشبهة التي استندوا إليها لا تقوى على ترجيح ما ذكروه من احتمال بعيد ؛ لأنهم قالوا : إن المتأخرات نكاحهن باطل فلا يجوز أن يختار منهن أحدا إلا بعقد جديد. والجواب عن هذا : أن الرجل الذي جاء الحديث في شأنه حديث الإسلام ولا يعرف شروط النكاح وأركانه ولو أراد النبي – ﷺ- اشترط أن تكون الأربع هن المتقدم نكاحهن لبين له ذلك، ولما سكت النبي – ﷺ- عن بيان ذلك عرفانا أن الأمر متروك لاختيار الزوج .

ثم إن النبي – ﷺ- قد أقر الكفار الذين أسلموا على أنكحتهم و لم يغيرها و لم يأمر بتجديدها مما يدل على أن الفرقة لم تحصل بمجرد الإسلام ؛ إذ لو حصلت لم يخير .

وكذلك تأويلهم حديث :"أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ".(٢) بأن المراد به الصغيرة أو الأمة أو المكاتبة ولا يخفى بعد هذا الاحتمال .

وشروط التأويل الصحيح شرطان :

---

(١) رواه أحمد ٤٦٠٩ ، والدارقطني ٤٧٥٦ ، وابن حبان ٣٦٨٤ ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال محقق المسند : حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده وبعمل الأئمة المتبوعين به ٢٢١/٨-٢٢٥ .

(٢) رواه أحمد ٢٥٣٢٦ ، وأبو داود ٢٠٨٣ ، والنسائي في الكبرى بنحوه ٥٣٩٤ ، وابن ماجه ١٨٧٩ ، وقال محقق المسند : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن ...، وهو في مصنف عبد الرزاق ١٠٤٧٢ ، والدارقطني في السنن ٢٢١/٣ ، والحاكم في المستدرك ١٦٨/٢ .

الأول : أن يكون اللفظ محتملا للمعنى الذي يراد صرفه إليه في لغة العرب أو في عرف الاستعمال ، وهذا يعرف بمعرفة وضع اللفظ في اللغة أو معرفة عرف الاستعمال عند أهل اللغة أو عرف الشرع وعادته .

الثاني : أن يقوم على التأويل دليل صحيح ، إما من السياق الذي جاء فيه اللفظ أو من دليل آخر لا يمكن الجمع بينه وبين هذا الدليل إلا بتأويل أحدهما .

مثال ما دليل تأويله السياق : قوله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فلفظ الناس الوارد أولا يجب تأويله عن ظاهره ؛ ليكون المراد به فئة قليلة من الناس ، بدليل قوله بعد ذلك : ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ [آل عمران : ١٧٣] وبدليل قوله في صدر الآية : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران : ١٧٣] فالسياق يدل على أن هناك قائلا ومقولا له ومخبرا ومخبرا عنه بالإضافة إلى دلالة الحس ، على أن أكثر الناس في أقطارهم لا علاقة لهم بالواقعة .

ومثله حمل اللفظ على المجاز لقيام القرينة ، كقولك : رأيت أسدا متقلدا سيفا.

ومثال ما كان دليل التأويل فيه مستقلا : التخصيص بالمخصصات المنفصلة ، وحمل المطلق الوارد في موضع على المقيد الوارد في موضع آخر .

ثالثا : المجمل : والمجمل اصطلاحاً : ما دل على أحد معنيين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه . فهذا الإجمال موجود بالنظر إلى النص ذاته .

مثال المجمل الذي قد بين : قوله تعالى : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] فقد قام الدليل على أن الحق الواجب في المال هو الزكاة ومقاديرها معلومة ، وذهب بعض العلماء إلى أن المقصود بالحق هنا : الصدقة المطلقة منه في يوم الحصاد بما تجود به نفس المالك من غير تحديد .

ومثال المجمل الباقي على إجماله ؛ لكونه لم يتعلق به تكليف : الحروف المقطعة في أوائل بعض السور ، كقوله : ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] ، و ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] ونحوهما .

وقد خص بعض العلماء هذا النوع من المجمل باسم خاص هو المتشابه . وعلى ذلك فلا يكون هناك مجمل لم يبين ، ولكن يوجد متشابه استأثر الله بعلمه أو علمه الراسخون في العلم دون غيرهم

كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ [آل عمران ٧] وقد اختلف القراء في الوقف أين يكون ؟

فمن وقف عند لفظ الجلالة : ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ قال : إن المتشابه ما استأثر الله بعلمه، مثل له بحقائق ما يقع يوم القيامة : من وزن الأعمال ونصب الصراط والعبور ليه ونحو ذلك ، وبكيفيات صفات الله تعالى .

ومن وقف عند لفظ العلم في قوله : ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ قال : إن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه ، وفسر المتشابه بما غمض معناه حتى لا يعرفه إلا الراسخون في العلم. ولكل من الفريقين حجج ، والآية محتملة للأمرين.

وللإجمال أسباب ، منها ثلاثة :

١- الاشتراك اللفظي : وهو تردد اللفظ بين معنيين فأكثر ، ولا يكون هناك ما يدل على المراد من المعنيين صراحة ، مثاله قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فالقرء يحتمل الطهر والحيض ، ولا يوجد في السياق ما يدل صراحة على المراد منهما ، وإن كان كل من المختلفين استظهر من النص ما يؤيد قوله .

٢- اشتهار المجاز وكثرة استعماله : فإذا اشتهر المجاز وشاع حتى ساوى الحقيقة في استعمال صار الدليل محتملا للمعنيين على السواء ، مثل لفظ العين الباصرة حقيقة ، ويطلق على الجاسوس مجازا.

ومثله لفظ النكاح ، فإنه في أصل اللغة للوطء ، ثم أطلق على العقد مجازا ، واشتهر حتى ساوى الحقيقة ، فإذا ورد لفظ النكاح في الدليل الشرعي احتمل المعنيين فصار مجملا ما لم يصحبه بيان، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة: ٢٣٠] فلفظ: ﴿تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ يحتمل الاكتفاء بالعقد ويحتمل لزوم الوطء بعد العقد .

ولولا بيان الرسول - ﷺ- بقوله :"حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك"- [١] لكان مجملاً.

٣-الإطلاق أو التعميم في موضع لا يمكن العمل فيه بالمعنى الظاهر من اللفظ لافتقاره إلى التحديد: ومثاله قوله تعالى : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] فالحق مطلق من غير محدود ولا معروف المقدار، وكذلك الأمر بالصلاة قبل بيان صفتها .

الفرق بين المجمل والمشترك : أن المجمل بالنسبة إلى فهم الشخص ، والمشترك بالنسبة لوضع اللفظ واستعماله ، وأيضا فالإجمال في الأدلة الشرعية قد بين ، و لم يبق لفظ مجمل لا بيان له على الأرجح من قولي العلماء، أما الاشتراك فلا أحد يدعي انتهاءه من اللغة العربية ؛ ولذلك فالإجمال أصل في أصول الفقه ، والمشترك بحث لغوي ليس في منزلة المجمل من علم الأصول .

تقسيم الحنفية دلالة اللفظ من حيث الوضوح والخفاء :

يقسم الحنفية اللفظ إلى قسمين : واضح الدلالة ، وخفي الدلالة .

وقسموا واضح الدلالة إلى أربعة أقسام من الأدنى ظهورا إلى الأعلى فقالوا : الظاهر ، والنص، والمفسَّر ، المحكم .

وقسموا خفي الدلالة إلى أربعة أقسام من الأدنى خفاء إلى الأعلى فقالوا : الخفي ، والمشكل ، والمجمل ، والمتشابه . وإليك التعريف بها مع التمثيل :

أقسام واضح الدلالة : الظاهر : ما ظهر المراد به للسامع بصيغته ، مثاله قوله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] فالآية ظاهرة في إباحة البيع الخالي من الربا وتحريم الربا . وعندهم أن الظهر يقبل التأويل والتخصيص والنسخ .

١ -النص : وهو ما زاد وضوحا على الظاهر بمعنى لا في نفس الصيغة ، مثاله قوله تعالى : ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] فالآية نص في جواز نكاح الأربع فما دون .

وفرق بعض الحنفية بين النص والظاهر : بأن النص هو الدال على معنى سيق الكلام للدلالة عليه ،

---

(١) رواه البخاري برقم ٥٣١٧ ، ومسلم برقم ١٤٣٣ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

والظاهر هو ما دل على معنى لم يسق الكلام للدلالة عليه ، واعترض عليه .

٢ -المفسَّر : وهو ما ازداد وضوحا على النص بمعنى في النص أو بغيره ، أي : سواء كان وضوحه لأجل قرينة في النص أو لدليل خارجي أخرجه من الإجمال إلى الوضوح أو من التأويل إلى عدم احتماله . مثاله قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحجر ٣٠، وص٧٣] فهذا مفسر لكونه أكد فيه العموم على وجه يمنع احتمال التأويل والتخصيص .

والمفسر عند الحنفية لا يقبل التأويل ولا التخصيص ، ولكنه يحتمل النسخ في عهد الرسالة .

٣ -المحكم : وهو ما ازداد قوة وأحكم المراد به عن احتمال النسخ والتبديل .مثاله قوله تعالى : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] ونحوها من الآيات التي تقرر حكما كليا أساسا في الإسلام ، ولا يمكن أن يتطرق إليه التأويل أو التخصيص أو النسخ .

أقسام خفي الدلالة أربعة : الخفي : وهو ما اشتبه معناه وخفي المراد منه بعارض في الصيغة يمنع نيل المراد بها إلا بالطلب . والمعنى أن الخفي لم يظهر المارد منه ، والسبب في خفائه راجع إلى عارض عرض للصيغة ، فجعلها ليست ظاهرة الدلالة عليه . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] في دلالته على النباش الذي ينبش القبور فيأخذ أكفان الموتى ، فإن دلالة الآية على قطع النباش دلالة خفية ، والسبب في خفائها أن النباش اختص بالسم يخصه ، فقد يكون إطلاق هذا الاسم عليه لا يخل بمعنى السرقة الذي علق عليه القطع ، وإنما هو لبيان سبب السرقة ، وقد يكون اختصاصه بهذا الاسم؛لبيان اختلاف حاله عنه حال السارق ، كما نقل عن أبي حنيفة:أن السارق يأخذ المال خفية وهو يسارق عين مالكه أو حارسه ، أما النباش فلا يسارق عين صاحب الكفن ؛ أنه ميت .

وأيضا فالسارق أخذ ما لا يستفيد منه صاحبه لو لم يسرق ، وأما النباش فإنه آخذ مالا آيلا للتلف ، ولهذا ذهب أكثر الحنفية إلى عدم قطع النباش ، و لم يأخذوا بالدلالة الخفية الموجودة في الآية . والواجب على المجتهد زيادة الطلب حتى يتبين له المراد من اللفظ .

٢- المشكل : وهو ما اشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد إلا بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال ، وهو عندهم ضد النص ، وهو قريب من المجمل ، ويختلف عنه بأنه يعرف المراد منه بزيادة التأمل . مثاله قوله تعالى : ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] فيحتمل

أنه يدل على إتيان المرأة في دبرها ، ودلالته على المنع من ذلك دلالة خفية تتبين بالنظر إلى فائدة الحرث وهو الإنتاج ، ومعلوم أن الوطء في الدبر لا ينتج الولد فيكون غير داخل في مقصود الشارع بالآية ، وحكمه اعتقاد أنه حق والتأمل فيه إلى تبين المراد .

٣-المجمل : وهو اللفظ الذي لا يعرف المراد منه إلا باستفسار المجمل وبيان من جهته يعرف به المراد . ومثاله قوله تعالى : ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] فإن الربا في اللغة الزيادة، وليس ذلك المعنى مرادا ،؛ لأن البيع ما شرع إلا للاسترباح وطلب الزيادة ، ولذا فإن لفظ الربا كان مجملا حتى جاء بيانه من قبل الشارع نفسه ، ولا يمكن أن يعرف المراد منه في الآية إلا ببيان من جهة الشارع .

وهذا هو الفرق بين المجمل والمشكل ؛فإن المشكل قد يعرف المراد منه بالتأمل والنظر في القرائن المصاحبة ونحو ذلك ، وأما المجمل فبخلاف ذلك فلا يمكن معرفة المراد منه إلا ببيان من المتكلم نفسه . وحكمه اعتقاد أنه حق ، والتوقف فيه إلى الوقوف على البيان من قبل الشارع .

٤-المتشابه : وهو ما انقطع رجاء المعرفة به لمن اشتبه فيه . مثاله : الحروف المقطعة في أوائل السور، وكيفيات صفات الله تعالى ، فإنها من المتشابه مع أن أصل الصفات معلومة وإنما التشابه في كيفياتها .

وحكمه : اعتقاد أنه حق ، والإيمان به على مراد الله سبحانه ومراد رسوله - ﷺ- .

وتبين مما تقدم أن الأقسام الثلاثة الأولى يدخلها الجمهور في المجمل عندهم ، ولكن بينها تفاوت في درجة الإجمال ، فبعضها يزول بالتأمل اليسير وبعضها يحتاج إلى مزيد من التأمل ، وبعضها لا لابد فيه من البحث في أدلة الشرع الأخرى ؛ لمعرفة المراد.

وأما القسم الرابع المتشابه : فهو الذي انقطع الأمل في بيانه ويطلق عليه الجمهور الاسم نفسه(١).

---

(١) انظر أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله للدكتور عياض بن نامي السلمي ص ٢١٤- ٤٠٥ .

الباب الأول

دلالة السياق القرآني ، وطريقة تناول ابن جرير لها :

ويتقسم إلى فصلين :

الفصل الأول : دلالة السياق القرآني .

الفصل الثاني : طريقة تناول ابن جرير لدلالة السياق القرآني .

الفصل الأول

دلالة السياق القرآني ، وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف السياق القرآني ، وأنواعه ، مع التمثيل .

المبحث الثاني : أهمية دلالة السياق القرآني في التفسير .

المبحث الثالث : أسباب الاعتماد على دلالة السياق القرآني .

المبحث الرابع : دلالة السياق القرآني ، وعلاقتها بتفسير القرآن بالقرآن .

المبحث الأول : تعريف السياق القرآني ، وأنواعه ، مع التمثيل :

وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف السياق لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : أنواع السياق القرآني .

المطلب الثالث : الأمثلة على السياق القرآني .

– المطلب الأول : تعريف السياق لغة واصطلاحاً : (١).

أ – تعريف السياق في معاجم اللغة :

قال ابن دريد –رحمه الله– : " والسُّوْق معروفةٌ...وأصل اشتقاقها من سَوْقِ النـاسِ إليهـا بضائعَهم ." (٢)

وقال ابن فارس –رحمه الله– (٣) : " السِّين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ ، وهو حَدْوُ الشيء . يقال : سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقاً ، والسَّيِّقةُ ما اسْتِيْقَ من الدَّوَابِّ ، ويقال : سُقْتُ إلى امرأتي صَداقَها وأَسَقْتُهُ ،

---

(١) قبل تعريف السياق أذكر معنى الدلالة في اللغة والاصطلاح :

ففي اللغة : قال الجوهري :"دلل : الدَليلُ: ما يُستَدَلُّ به،والدَليلُ: الدالُّ. وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلُّهُ دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَـةً، والفتح أعلى "كتاب الصحاح ، مادة دلل . فهو المرشد والكاشف ، من دللت على الشيء ودللت إليه". الموسوعة الفقهية الكويتية مادة دليل ٢٢/٢١.

وفي الاصطلاح : ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خبري ولو ظناً ، وقد يخصه بعضهم بالقطعي .الموسـوعة الفقهية الكويتية ، مادة دليل ٢٢/٢١ ، وانظر مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص ٦٢.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (٤٣/٣-٤٤) ، الطبعة الأولى ١٣٤٥هـ لمكتبة المثنى ببغداد .

(٣) هو أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المالكي ، المعروف بالرازي ، مفسر لغوي محدث ، من أهل السنة ، على مذهب أهل الحديث ، مؤلفاته قيّمة منها : معجم مقاييس اللغة ، والمجمل في اللغة ، وجامع التأويـل في تفسـير القـرآن مفقود، توفي بالري سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وقيل غير ذلك . انظر إنباه الرواة (٩٢/١) ، ومعجم الأدباء (٨٠/٤)، ووفيات الأعيان (٣٥/١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠٣/١٧) وبغية الوعاة (٣٥٢/١) .

والسُّوْقُ مشتقّةٌ من هذا لما يُسَاقُ إليها من كلّ شيء ، والجمع أسواق ، والسَّاقُ للإنسان وغيره ، والجمع سُوق إنما سُمِّيَتْ بذلك ؛ لأنّ الماشي يَنْسَاقُ عليها ." (١)

وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله- (٢): " سَوْقُ الإبلِ جَلْبُهَا وطَرْدُهَا ، يُقَالُ : سُقْتُهُ فانْسَاقَ...والسُّوقُ : الموضع الذي يُجْلَبُ إليه المتاعُ للبيع ، والسَّويق سمِّي بذلك ؛ لانْسِياقِهِ في الحَلْق من غير مَضْغٍ ." (٣)

وقال ابن منظور -رحمه الله- (٤) : " وقد انْسَاقت الإبل تَسَاوُقاً إذا تتابعت ، وكذلك تَقَاوَدَتْ فهي مُتَقَاوِدَة ومُتَسَاوِقَة...والمُسَاوقة المتابعة ،كأنّ بعضَها يَسُوقُ بعضاً...والسِّيَاقُ المهر ، قيل للمهر سَوْقٌ ؛ لأنّ العرب كانوا إذا تزوجوا سَاقوا الإبل والغنم مَهْراً...والسِّيَاق نَزْعُ الروح...وهو في السَّوْقِ ، أي النَّزْعِ ، كأنّ رُوحَه تُسَاق ؛ لتَخرُجَ من بدنه." (٥)

وقال الفيروز آبادي -رحمه الله- (٦) : " تقول العرب : ولدْتُ ثلاثةَ بنين على سَاقٍ ، أي : متتابعة لا جارية بينهم...وسَاق الماشية سَوقاً وسِيَاقَةً ومَسَاقاً ، واستَاقَهَا فهو سَائقٌ وسَوَّاقٌ وساق إلى

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١١٧/٣) ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة دار الجيل .

(٢) هو أبو القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل ، وقيل المفضل بن محمد ، وقيل غير ذلك ، أهم مؤلفاته : مفردات ألفاظ القرآن ، وجامع التفسير ، طبعت منه المقدمة وسورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة ، ليس معتزلياً كما قد يتوهّم ، توفي حدود سنة خمس وعشرين وأربعمائة . انظر بغية الوعاة (٢٩٧/٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٢٩/٢) ، ومقدمة محقق مفردات ألفاظ القرآن صفوان داوودي ، صفحة (١-٢٧) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن صفحة (٤٣٦) .

(٤) هو أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري الأفريقي ، ولد سنة ثلاثين وستمائة ، القاضي بطرابلس ، له لسان العرب وغيره ، قال الذهبي فيه : عنده تشيّع بلا رفض ، توفي سنة إحدى عشر وسبعمائة ، وله اثنتان وثمانون سنة . انظر الدرر الكامنة (٣١/٥) ، وشذرات الذهب (٢٦/٦) .

(٥) لسان العرب (١٦٦/٤٠-١٦٧) طبعة دار صادر .

(٦) هو أبو طاهر ، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي ، ولد بفارس ، سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، لغوي أديب ، له القاموس المحيط ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، وتوفي باليمن ، سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وثمانمائة . انظر بغية الوعاة (٢٧٣/١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٧٤/٢) .

المرأة مهرها : أرسله كأساقه ،والسِّياق ككتاب : المهر ، والسُّوْقَةُ بالضم الرَّعِيَّة سُمُّو بـذلك ؛ لأن الملوك يَسُوقُونَهُم فَيَنْسَاقُونَ لهم ، والْمُنسَاقُ : التَّابعُ والقريب، وتَسَاوَقَتِ الإبلُ : تَتَابَعَتْ وتَقَاوَدَتْ "(١).

وقال الزبيدي –رحمه الله– (٢) : " وأصل السِّيَاقِ سِوَاقٌ ، قُلِبَتِ الواوُ ياءً لكسرةِ السِّيْنِ...ومن المجاز : هو يَسُوْقُ الحديث أحسنَ سِيَاقٍ ، وإليك يُسَاقُ الحديث ، وكلام مَسَاقُهُ إلى كذا ، وجئتك بالحديث على سَوْقِه : على سَرْدِهِ ." (٣)

ب – تعريف السياق اصطلاحاً عند أهل اللغة ، وهم في ذلك على قسمين :

الفئة الأولى : أهل اللغة البيانيين(٤) : حيث عرفوه بما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى ، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال ، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام .(٥)

وهذا يدل على أن السياق عند هؤلاء على نوعين :

– **النوع الأول : السياق اللغوي** : وهو سابق الكلام ولاحقه . فالكلام حين يُراعَى سياقه ؛ يُتوصل

---

(١) انظر ترتيب القاموس المحيط (٢/٦٤٩-٦٥٠) للفيروز آبادي ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي . ونحو هذا في لسان العرب (٤٠/١٦٩-١٧٠) ، وتاج العروس (٦/٣٨٦-٣٨٩) للزبيدي ، والمحكم والمحيط (٦/٣٢٥) لابن سيده .

(٢) هو أبو الفيض ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق ، الملقب بمرتضى ، الحسيني الواسطي الزبيدي –بلد أو قبيلة باليمن، الحنفي ، ولد سنة خمس وأربعين ومائة وألف ، علامة في الحديث واللغة والأدب والأنساب ، نزل مصر ، له تاج العروس ، وإتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ، وتوفي بالطاعون ، سنة خمس ومائتين وألف . انظر كتاباً بعنوان: الزبيدي وكتابه تاج العروس ، للدكتور هاشم طه شلاش ، والأعلام (٧/٢٩٧) .

(٣) تاج العروس (٦/٣٨٧و٣٨٩) .

(٤) علم البيان : هو الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ، والمقصود بالطرق تراكيب الكلام، والوضوح في المعنى بحسب وضوح القرينة المنصوبة وخفائها ، وموضوع علم البيان اللفظ البليغ من حيث إنه يستفاد منه المعنى الزائد على أصل المعنى . انظر موسوعة كشاف اصطلاح الفنون والعلوم ، للتهانوي (١/٢٦-٢٧) ، وكتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان صفحة (١٧٩) للدكتور هادي الهلالي .

(٥) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث صفحة (١١٦) ، لمحمد أحمد أبو الفرج .

إلى تعيين المقصود وتحديد المراد ، ويُعبَّرُ عنه أحياناً بقولهم : وهو هاهنا...[1] أو قولهم : المعنى هنا في هذا الموضع...وتحديد دلالة اللفظ ، يجيء وفقاً لمعطيات السياق اللغوي ، المتمثلة في القرينة اللفظية.[2] ويمثّل على ذلك بقوله –تعالى-:﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [الضحى: ٨] فالعائل في اللغة يحتمل أن يكون واوي العين ، أو يائيها ، وكل أصلٍ له معنيان : فاليائي : عال – يعيل : يحمل على الافتقار ، أو على التبختر في المشي . والواويّ : عال – يعول : يحمل على الجور والميل ، ومنه قوله –تعالى-:﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣] أو يحمل على قيام الرجل على أمور عياله .

فاسم الفاعل : "عائل" يطلق على أحد المعاني السابقة ، ولكن ورود القرينة اللفظية : ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾ إلى جواره ؛ جعل دلالته على الفقير هي الدلالة المقصودة . كما في الرسم التوضيحي :

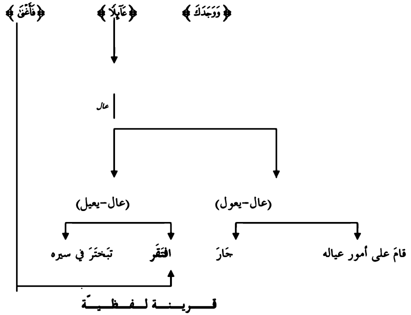

---

[1] انظر في علم الدلالة صفحة (٦٣) ، للدكتور عبد الكريم محمد حسن جبل ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧م .

[2] في علم الدلالة صفحة (٧٠) .

– **النوع الثاني : السياق الاجتماعي ، أو المقام ، أو سياق الحال** : وهو مجموع العناصر الاجتماعية ، والثقافية ، المتصلة بالنص الكلامي ، والتي تؤثر في فهمه ، وذلك يكون في أمرين :

١– ذكر مناسبة النص ، كسبب للكلام ، وهو في التفسير سبب النزول .

٢– ذكر عادات وتقاليد تضمّنها النص ، واعتبارها في توجيه الدلالات .(١)

ولا تزال الاحتمالات الدلالية ، تتوارد على ذهن القارئ ، وما زال بعضها يعالج بعضاً ، حتى يحدث (الانفراج الدلالي) بذكر مقام النص ، فتتضح الرؤية ، ويتبدد الغموض، وتتحدّد الدلالات(٢).

فإذا كانت الكلمة لها معان متعددة ، فهي معان محتملة ، ويتحدد المعنى ضمن السياق المعين ، فالكلمة لها : معنى أساسي ، ومعنى سياقي ، يحدد معنى الجمل ، وتصبح الكلمة في كل سياق لها معنى مفهوم .(٣)

الفئة الثانية من أهل اللغة : من قسمت السياق اللغوي إلى قسمين :

الأول : السياق النحوي : أو البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة ، فالكلمات لا تؤثر في الجملة على نحو عشوائي ، بل تخضع لقواعد التركيب النحوي في اللغة ، والتغيير في البنية النحوية يغيّر المعنى ، ولو لم تتغير الكلمات ، فالذي يفرّق بين الجملتين :

عارضَ عليٌّ خالداً ، وعارضَ خالدٌ عليّاً ، هو السياق النحوي .

الثاني : السياق المعجمي : وهو العلاقة بين المفردات في الجملة ، بوصف المفردات وحدات معجمية دلالية ، تأمَّل :

جملة : أسعفَ الطبيبُ الحجَرَ .

وجملة : لَمْ عَادَ بُكاءٌ يُسْعِف .

فالجملة الأولى : أسعفَ الطبيبُ الحجَرَ ، تصحّ بالنسبة للسياق النحوي ، ولكن ورائها المدقق

---

(١) انظر "في علم الدلالة" صفحة (٧٤-٧٥) .

(٢) في علم الدلالة صفحة (٨١) بتصرف .

(٣) انظر علم الدلالة صفحة (٥٦) لبيرجيرو ، ترجمه عن الفرنسية : الدكتور منذر عياشي .

الآخر : وهو السياق المعجمي ، فهي شاذة في بنية الدلالة المعجمية ، أي : شاذة من الناحية الدلالية ، فبين كلمة الحجر ، وما يسبقها شذوذ ؛ إذ نتوقع في العادة أن يكون الإسعاف للإنسان أو لكائن حي على الأقل .

أما الجملة الثانية : لَمْ عَادَ بُكاءٌ يُسْعِف ، فهي شاذة ؛ بسبب اختلال العلاقات النحوية التركيبية بين الكلمات .(١)

وعُرِّف السياق في المعجم الأدبي بأنه : من الكلام أسلوبه الذي يجري عليه .(٢)

هذه لمحة عن السياق عند اللغويين : من أهل المعاجم ، والمهتمين بدلالات الألفاظ، وشرّاح النصوص اللغوية .

– **أما تعريف السياق عند علماء الشريعة :** من الأصوليين ، والمفسرين، والمحدثين، والفقهاء : فلم أجد لديهم تعريفاً محدّداً ، إلا أنهم يسمُّونه بهذا الاسم ، ويمكن تعريفه من خلال بعض تعبيراتهم ومنها :

– **تبويب الشافعي – رحمه الله – باباً في كتابه الرسالة فقال :**" باب الصنف الذي يبين سياقه معناه : قال الله – تبارك وتعالى –:﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] فابتدأ –جل ثناؤه– ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال : ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ الآية ، دلَّ على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره ، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون ، وقال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ١١ – ١٢] وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها ، فَذَكَر قصمَ القرية ، فلمّا ذكر أنّها ظالمة ؛ بَانَ للسّامع أن الظالم إنّما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم ، ولّما ذكر القومَ المنشئين بعدها ، وذَكَر

---

(١) انظر التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، صفحة (٧٥–٧٧) بتصرف ، لعودة خليل .

(٢) المعجم الأدبي صفحة (١٤٣) ، تأليف : جبور عبد النور ، الطبعة الأولى لدار العلم للملايين ١٩٧٩م .

إحساسهم البأس عند القصم أحاط العلم أنه إنّما أحسّ بالبأس من يعرف البأس من الآدميّين.

[وقال] : الصنف الذي يدل لفظه على باطنه دون ظاهره : قال الله – تبارك وتعالى– وهو يحكي قول إخوة يوسف لأبيهم : ﴿وَمَا شَهِدْنَآ (١)﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف: ٨١ – ٨٢] فهذه الآية في مثل معنى الآيات قبلها ، لا تختلف عند أهل العلم باللسان : أنهم إنما يخاطبون أباهم بمسألة أهل القرية وأهل العير ؛ لأن القرية والعير لا ينبئان عن صدقهم ." (٢)

وقال أيضاً : فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها اتّساع لسانها ، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عامّاً ظاهراً ، يراد به العام الظاهر ويستغنى بأول هذا عن آخره ، وعامّاً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص ، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعامّاً ظاهراً يراد به الخاص ، وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره ، فكل هذا موجود علمه ، في أول الكلام أو وسطه أو آخره ." (٣)

– **وقال ابن قتيبة – رحمه الله –** (٤): في تفسير غريب القرآن : " وكتابنا هذا مستنبط من

---

(١) قوله : {مَا شَهِدْنَا} نصّ الآية بالواو : ﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾ ، ولكنّ بعض العلماء قد يكتفي بذكر موضع الشاهد من الآية فلا يذكر حرف العطف كالواو والفاء عند الاستدلال ، ومن هؤلاء : الإمام الشافعي في الرسالة ، كما نبّه على ذلك الشيخ أحمد محمد شاكر في الرسالة فقرة (٦٤٣و٩٧٤و٩٧٥) ، ومقاتل بن سليمان في كتابه الأشباه والنظائر في أكثر من اثني عشر موضعاً ، والجاحظ في الحيوان ، بل وقع مثل ذلك في البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً ثم تلا آية (١٨٠) من آل عمران : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بترك الواو . صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، صفحة (٢٧٨)حديث (١٤٠٣) . وانظر تحقيق النصوص ونشرها صفحة (٥١–٥٢) لعبد السلام هارون ، وتحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل صفحة (١٨٢) ، للدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان .

(٢) الرسالة صفحة (٦٢–٦٤) ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر –رحمه الله– .

(٣) الرسالة صفحة (٥١–٥٢) .

(٤) هو أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري القاضي الكاتب ، صاحب التصانيف ، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ، العلامة ذو الفنون ، عالم بالعربية والأخبار ، من مؤلفاته : تأويل مشكل القرآن ، وإعراب القرآن ، وتفسير غريب القرآن، والمعارف ، توفي سنة ست وسبعين ومائتين . انظر تاريخ بغداد (١٠/١٧٠) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٦) ، وشذرات الذهب (٢/١٦٩) .

كتب المفسرين ، وكتب أصحاب اللغة العالمين ، لم نخرج فيه عن مذاهبهم ، ولا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم ، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة وأشبهها بقصة الآية ." (١)

وعلى ما سبق فيمكن تعريف السياق عموماً بأنه : تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده.

ويمكن تعريف دلالة السياق بأنها : فهم النص بمراعاة ما قبله ، وما بعده .

ويمكن تعريف دلالة السياق في التفسير : بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية ، بما لا يخرجها عن السابق واللاحق ، إلا بدليل صحيح يجب التسليم له . كما سيأتي تفصيله في القواعد – إن شاء الله –.

فيُفهم كلام الله – عز وجل – من السياق ، بمراعاة أمرين :

١ – النظر إلى ما قبل النص المفسَّر : سواء كان أكثر من آية ، أو أقل من جملة .

٢ –وكذلك بالنظر إلى ما بعد النص المفسّر:سواء كان أكثر من آية،أو أقل من جملة.

وهكذا حين نراعي : تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده ، في التوصل إلى المعنى المراد منه، نكون قد طبّقنا دلالة السياق .

العلاقة بين المعنى اللغوي للسياق ، وبين الاستعمال الاصطلاحي : بعد التعريف للسياق في اللغة ، والاصطلاح ، يتضح ترابط مصطلح السياق ، مع الأصل اللغوي لكلمة "سياق" ، التي تعني :

– **التتابع** في قولهم : تساوقت الإبل ، إذا تتابعت .

– **وتعني الاتصال وعدم الانفصال** ، في قولهم : ولدت ثلاثة بنين على ساق ، أي : لا جارية بينهم .

وقد بين الزبيدي : أن سوق الحديث مجاز (٢)، فكأن المجاز في المعنوي : كسوق الكلام ، والحديث ، والقصة ، والحقيقة في الحسي ، كسوق الإبل ، وسوق المهر ، وسوق البضاعة .

وكأن السياق عند علماء الشريعة : الأصوليين والمفسرين والمحدثين والفقهاء ، يختص بالنص دون ما وراءه ، فلا يعدّون من السياق أسباب النزول ، ومناسبة الحديث، ومقام الكلام ، مع اهتمامهم بذلك كله . وبهذا يتضح الفرق بين اصطلاح اللغويين ، وعلماء الشريعة ، بأن المعنى الاصطلاحي اللغوي ، أوسع من المعنى الاصطلاحي في العلوم الشرعية . –والله أعلم– .

---

(١) تفسير غريب القرآن صفحة (٤) .

(٢) تاج العروس (٣٨٩/٦) .

– المطلب الثاني : أنواع السياق القرآني :

يظهر من تعريف السياق في التفسير -: بأنه بيان اللفظ أو الجملة في الآية ، بما لا يخرجه عن السابق واللاحق ، إلا بدليل صحيح يجب التسليم له . – أن السّياق نوعان : سباقٌ ، ولحاقٌ . ولابد من التعرّف على حدِّ كلِ نوعٍ ، في اللغة والاصطلاح .

– النوع الأول : السباق :

أ – تعريف السباق لغة :

قال ابن فارس : "السين والباء والقاف :أصل واحد صحيح ، يدل على التقدم."(١)

وقال الجوهري(٢) : " وسباق البازي : قيداه من سَيْر أو غيره ." (٣)

وقال الكفوي (٤) : " والسباق – بالموحدة – ما قبل الشيء ." (٥)

وفي المعجم الوسيط : " والسباق : الرباط ، والقيد ." (٦)

فكلمة سباق في اللغة تعني : تقدم شيء على آخر ، وترابطهما معاً ، إما حسّاً ، كسباق البازي ، الذي هو : الرباط والقيد ، فهناك ربط وجمع بين شيئين ، أحدهما يسبق الآخر .

ب – تعريف السباق اصطلاحاً : لم أجد –حسب جهدي- تعريفاً اصطلاحياً للسّباق ، ولكن بالرجوع إلى المعنى اللغوي ، واستعمالات المفسرين ، وغيرهم من علماء الشريعة ، يمكن تعريفه

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٢٩/٣) .

(٢) هو أبو نصر ، إسماعيل بن حماد الفارابي –بلدة من بلاد الترك- اللغوي الأصولي ، قال ياقوت : من أذكياء العالم، من أشهر كتبه : الصحاح في اللغة ، توفي سنة أربعمائة تقريباً . انظر إنباه الرواة (١٩٤/١) ، والنجوم الزاهرة (٢٠٧/٤) ، ومعجم الأدباء (١٥١/٦) ، ولسان الميزان (٤٠٠/١) ، وبغية الوعاة (٤٤٦/١) .

(٣) الصحاح للجوهري (١٤٩٤/٤) ، وانظر لسان العرب (١٥٢/٤٠) .

(٤) هو أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي القاضي ، توفي وهو قاض بالقدس ، سنة خمس وتسعين وألف . انظر الأعلام للزركلي (٣٨٣/١) .

(٥) الكليات صفحة (٥٠٨) وهو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، قابله : عدنان درويش ، ومحمد المصري .

(٦) (٤١٥/١) إصدار مجمع اللغة ، الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر .

بـــ : الكلام الذي يبيِّن معنى ما بعده .

– النوع الثاني : اللحاق :

أ – تعريف اللحاق لغة : قال ابن فارس : "اللام والحاء والقاف ، أصل يدل علـــى إدراك شيءٍ وبلوغه إلى غيره ، يقال : لَحِقَ فلان فلاناً فهو لاحِقٌ ، وأُلْحِقَ بمعناه...وربما قالوا : لَحِقْتُه اتَّبَعْتُهُ، وأَلْحَقْتُهُ وصلت إليه...".(١)

وقال الزبيدي :" وتلاحَقَتِ الأخبارُ : تَتَابَعَتْ ، وكذا أحوال القوم ، وهو مجاز."(٢)

فتبيّن مما سبق أن معنى كلمة : لحاق في اللغة ، إدراك شيء لشيء ، وتجاوزه إلى ما بعـــده ، وبين المدرِك والمدرَك رابطة ولُحْمَةٌ .

ب – تعريف اللحاق اصطلاحاً : بالنظر إلى المعنى اللغوي لكلمـــة لحـــاق ، ولتطبيقـــات المفسرين، وغيرهم ، يمكن تعريف اللحاق بـــ : الكلام الذي يُبيِّن معنى ما قبله .

وهذان النوعان : السّباق واللّحاق ، يطلق عليهما جميعاً : السياق ، قال الكفوي – رحمه الله – بعد تعريف السباق – بالموحدة – : " والسياق – بالمثنَّاة – أعمّ ." (٣)

أي : أن السياق أعم من السباق ؛ فيدخل اللحاق في مسمى السياق . فكل سباق ســـياق ، وكل لحاق سياق . – والله أعلم – .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٣٨/٥) .

(٢) تاج العروس (٦١/٧) .

(٣) الكليات صفحة (٥٠٨) .

– المطلب الثالث : الأمثلة على السياق :

والأمثلة على قسمين :

القسم الأول : الأمثلة من منقول ابن جرير–رحمه الله–.

القسم الثاني : الأمثلة من مقول ابن جرير–رحمه الله– لا منقوله .

القسم الأول: الأمثلة من منقول ابن جرير–رحمه الله –:

لما كان جامع البيان عمدة التفسير بالمنقول– المأثور– ، كان ذكر المنقول عن السلف مهمّاً من هذا الباب ، والأمثلة ستكون على أقسام ثلاثة ، على السباق وعلى اللحاق وعلى اجتماعهما متنازعين:

أ – الأمثلة على السباق .

ب – الأمثلة على اللحاق .

ج – مثال على التنازع – في فهم – السياق بين سباق ولحاق .

أ – الأمثلة على السباق :

عن عكرمة (١) : أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس –رحمه الله– : " أعمى البصر ، أعمى القلب ، يزعم أن قوماً يَخْرجون من النار ، وقد قال الله – جلّ وعزّ – : ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾ [المائدة: ٣٧] (٢) ، فقال ابن عباس : ويحك !! اقرأ ما فوقها !! ، هذه للكفار ." (٣)

---

(١) هو أبو عبد الله ، عكرمة بن عبد الله بربري الأصل المدني ، مولى ابن عباس ، طلب العلم أربعين سنة ، وكان ابن عباس يربطه بالكبل في رجله حتى يتعلم القرآن والسنة ، ثقة ثبت عالم بالتفسير ، لا يثبت عنه بدعة ، توفي بالمدينة سنة خمس ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (١٢/٥) ، وتهذيب التهذيب (١٣٤/٤) ، وطبقات المفسرين للداودي (٣٨٠/١) .

(٢) المائدة (٣٧) ونصها : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ .

(٣) جامع البيان (٥٦٧/٤–٥٦٨) وتحقيق شاكر (٢٩٤/١٠) .

والآية التي فوقها -أي قبلها -هي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المائدة: ٣٦] .

وعن يسيع الحضرمي (١) قال : " كنت عند علي بن أبي طالب –رضوان الله عليه- فقال رجل : يا أمير المؤمنين : أرأيت قول الله : ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] ؛ وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون ؟ قال له علي : ادنه ، ادنه ! ، ثم قال : ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ [النساء: ١٤١] يوم القيامة." (٢)

فبين علي – رضي الله عنه – أن محل إشكال السائل ؛ محدّد في الآية باليوم الآخر، بدلالة السباق ، وهي قوله :﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ (٣).

ب – أما الأمثلة على اللحاق فمنها :

عن قتادة (٤) في قوله :﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ [المائدة: ١١٦] " متى يكون ذلك ؟ قال : يوم القيامة ؛ ألا ترى أنه يقول :﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١١٩] ؟!."(٥)

فجملة : ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ لحقت الآية المسئول عنها ؛ ففسّرت وقت الحدث ، بأنه

---

(١) هو يُسيع بن معدان الحضرمي ، وثقه النسائي ، وقال ابن المديني : معروف ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر كتاب الثقات (٥/٥٥٨) لابن حبان ، وتهذيب التهذيب (٤/٤٣٨) .

(٢) جامع البيان (٤/٣٣١) وتحقيق شاكر (٩/٣٢٧) .

(٣) رجح ابن القيم العموم في الآية فهذا الوعد للمؤمنين متى اكتمل إيمانهم ، وإن تخلف شيء كما في وقعة أحد فبسببهم . انظر بدائع التفسير (٢/٨٦) .

(٤) هو أبو الخطاب ، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي –والسدوسي نسبة إلى سدوس بن شيبان –، البصري الحافظ المفسر ، ولد سنة ستين ، تابعي ، تكلم في القدر ، له تفسير في مجلد ، رواه عنه شيبان التميمي ، توفي بالطاعون ، سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل ثمان عشرة . انظر الأنساب (٢/٢٣٥) ، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٦٩) ، ووفيات الأعيان (٤/٨٥)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/٤٣) .

(٥) جامع البيان (٥/١٣٧) وتحقيق شاكر (١١/٢٣٥) ، والآية من المائدة رقم (١١٩) .

يوم القيامة .

وقال أبو معشر (١): " سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (٢)، يذاكر محمد بن كعب(٣) في قول الله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۝٢٤﴾ [الحجر: ٢٤] **فقال عون...**: خير صفوف الرجال المقدم ، وشر صفوف الرجال المؤخر ، وخير صفوف النساء المؤخر ، وشر صفوف النساء المقدم . فقال محمد بن كعب : ليس هكذا ! ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ : الميت والمقتول ، والمستأخرين : من يلحق بهم من بعد ؛ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٢٥﴾ [الحجر: ٢٥] فقال عون بن عبد الله : وفقك الله وجزاك خيراً."(٤)

فاستدلَّ محمد بن كعب بجملة :﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ﴾ اللاحقة ، على معنى المستقدِم والمستأخِر، وأنه المقتول والحي ؛ لقوله :﴿يَحْشُرُهُمْۚ﴾ وهو البعث .

وقال ابن زيد – رحمه الله – (٥): في قوله :﴿يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ [الفرقان: ٦٨] " الأثام الشر ، وقال: سيكفيك ما وراء ذلك :﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩﴾ [الفرقان: ٦٩]" (٦)

---

(١) هو نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني ، قال البخاري : منكر الحديث ، وقال ابن أبي حاتم : صالح لين الحديث محله الصدق ، توفي سنة سبعين . انظر التاريخ الكبير (١١٤/٨) ، والجرح والتعديل (٤٩٤/٨) ، وتحقيق شاكر (٢١٩/٢) .

(٢) هو أبو عبد الله ، عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الزاهد ، وثقه أحمد وابن معين ، رمي بالإرجاء ، قال العجلي : ثم تركه ، توفي بعد العشرين ومائة وقيل غير ذلك . انظر تهذيب الكمال (٤٥٣/٢٢) ، وتهذيب التهذيب (٣٣٨/٣) .

(٣) هو أبو حمزة ، محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني ، من حلفاء الأوس ، وكان أبوه من سبي بني قريظة ، قال الذهبي : كان من أئمة التفسير . كان له جلساء عظماء في التفسير في مسجد الربذة فأصابتهم زلزلة فسقط عليهم المسجد فماتوا جميعاً –رحمهم الله – سنة ثمان ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر حلية الأولياء (٢١٢/٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٠٣/٥) ، وتهذيب التهذيب (٣٣٨/٣) .

(٤) جامع البيان (٥٠٧/٧) .

(٥) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري مولاهم المدني ، جمع تفسيراً في مجلد ، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ ، ضعفه في رواية الحديث ابن معين والنسائي وابن حجر ، وأما في التفسير فإمام ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة . انظر ميزان الاعتدال (٥٦٤/٢) ، وتهذيب التهذيب (٥٧٠/١) ، وسير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٦٥/١) .

(٦) جامع البيان (٤١٧/٩) .

ففسّر الأثام بالآية اللاحقة ، وهو العذاب الواقع في الدار الآخرة .

وقال أيضاً –رحمه الله–: في قوله : ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] قال : " هذه في الحياة الدنيا؛ ألا تراه يقول :﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ [المؤمنون: ٩٩] قال : حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة ، قبل أن يذوق الموت ." (١)

فاستدلّ بقوله : ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ ، على أن الروح لم تخرج بعد ؛ إذن الموصوف لازال في الحياة الدنيا .

ج – مثال على التنازع – في فهم – السياق بين سباق ولحاق :

لقد تبينت أهمية السباق واللحاق في تفسير كتاب الله – عز وجل – ، ولكن قد يجتمعان فيُفهم أنهما متنازعان في المعنى ، فلا تدري هل تلحق الكلام بما قبله ، أم تتبعه بما بعده ؛ ولتوضيح هذه المسألة ، إليك هذه القصة :

أرسل مجاهد – رحمه الله – (٢) رجلا يقال له : قاسم (٣) إلى عكرمة – رحمه الله –، يسأله عن قول الله :﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] إنما هو الدين ، وقرأ : ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠] .

وفي رواية قال أرسل القاسم بن أبي بزّة : فسل عنها عكرمة ، قال فسألته ، فقال عكرمة : دين الله –تعالى–!!...ألم يسمع إلى قوله :﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:

---

(١) جامع البيان (٢٤٢/٩) .

(٢) هو أبو الحجاج ، مجاهد بن جبر المكي ، مولى بني مخزوم ، تابعي مفسر ، من أهل مكة ، عرض القرآن على ابن مسعود ثلاث مرات ، يسأله في كل مرة عن كل آية ، له تفسير مطبوع ، بتحقيق الدكتور محمد عبد السلام نبيل ، توفي وهو ساجد سنة اثنتين ومائة ، وقيل غير ذلك ، وقد نيّفَ على الثمانين . انظر معرفة القراء الكبار (٦٦/١) ، وغاية النهاية (٤١/٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٠٥/٢) .

(٣) هو القاسم بن نافع بن أبي بزّة ، وأبو بزّة اسمه يسار ، ثقة مكي ، هو وحده الذي سمع التفسير من مجاهد ، وكل من روى عن مجاهد فقد أخذ عن القاسم هذا . انظر الجرح والتعديل (١٢٢/٧) ، وتحقيق شاكر (٤٧٧/١) .

٣٠]؟! .(١)

فمجاهد يفسّرها بما لحق وأنه الدّين ؛ ولذلك قرأ : ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ ، وعكرمة يردّ هذا بما سبق وأنه الفطرة ؛ ولذلك قرأ قوله : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ .

وهذا يبين لك أهمية النظر إلى سباق ولحاق المفسَّر ، مع أن كلام الله – عز وجل – حمّال للوجوه ، ولكن ينبغي الدقة في اختيار الأقرب ، والأليق بالكلام المعجز ، والمناسب للسياق . – والله أعلم –.(٢)

القسم الثاني : الأمثلة على السياق ، من مقول ابن جرير ، وهو على ثلاثة أقسام :

أ – الأمثلة على السباق .

ب – الأمثلة على اللحاق .

ج – الأمثلة على اجتماع السباق واللحاق .

أ – الأمثلة على السباق :

قال ابن جرير –رحمه الله–: عند تفسير قوله –تعالى–: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨] "اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا

---

(١) جامع البيان (١٨٣/١٠–١٨٤) .

(٢) وقد قال ابن القيم في الآية :"ولا منافاة بين القولين ، كما قال تعالى :﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء: ١١٩] ، فتغيير ما فطر الله عباده من الدين تغيير لخلقه ، والخصا وقطع آذان الأنعام تغيير لخلقه أيضا ؛ ولهذا شبه النبي – ﷺ– أحدهما بالآخر ، فأولئك يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الخلقة ، فذلك يغير ما خلقت عليه نفسه وروحه، وهذا يغير ما خلق عليه بدنه !!." بدائع التفسير ٣٩٤/٣ .، وذكر في موضع آخر الحديث الذي جمع الأمرين ، وهو قوله – ﷺ– :"ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ؟".بدائع التفسير ٣٩١/٣ . ومن أمثلة التنازع ما جاء في سورة ق، وسيرد صفحة ١١٨–١١٩ .

ٱللَّهُ ﴾ فقال بعضهم : عنى بذلك النصارى...وقال آخرون : بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ...وقال آخرون : بل عنى بذلك مشركي العرب...

وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قول القائل : إن الله –تعالى–عنى بقوله:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النصارى دون غيرهم ؛ لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم ، وعن افترائهم عليه ، وادّعائهم له ولداً ." (١)

وهذا الافتراء والادعاء على الله –عز وجل – منهم ، قد سبق منهم في الآيات التي قبلها (٢).

– وعند تفسير قوله –تعالى–: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية، ذكر قولين :

الأول : ليس البر الصلاة وحدها، ولكن البر الخصال التي أبينها لكم ، ويكون الخطاب حينئذٍ للمسلمين .

والثاني: أن المقصود اليهود والنصارى ، فاليهود تصلي إلى جهة المغرب ، والنصارى إلى جهة المشرق ، فأنزل الله فيهم هذه الآية يخبرهم أن البر غير العمل الذي يعملونه...

ثم "**قال أبو جعفر** : وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية...أن يكون عنى بقوله :﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ اليهود والنصارى ؛ لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم ، والخبر عنهم ، وعما أعد لهم من أليم العذاب ، وهذا في سياق ما قبلها..." (٣)

فالسياق حدّدَ المخاطب فهم أهل الكتاب ؛ لأنهم وصفوا قبل هذه الآية بكتمان ما أنزل

---

(١) انظر جامع البيان (٥٦٠/١) ، وتحقيق شاكر (٥٥٠/٢) .

(٢) انظر الآيات (١١٤–١١٧) من البقرة وهي : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (١١٧) ﴾ البقرة: [١١٤ – ١١٧] .

(٣) جامع البيان (٩٩/٢–١٠٠) ، وتحقيق شاكر (٣٣٨/٣) .

الله(١).

وفي قوله –تعالى–: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)﴾ [الشعراء: ٣٤ – ٣٥] بيَّنَ أن مراد فرعون بقوله : ﴿يُخْرِجَكُم﴾ بني إسرائيل ؛ لأن القبط استعبدوهم ، ثم **قال** : " وإنما قلت معنى ذلك كذلك ؛ لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون ، يأمره بإرسال بني إسرائيل معه ، فقال له ولأخيه : ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٦ – ١٧] " (٢).

وهاتان الآيتان الماضيتان ، سبق ذكرهما أول السورة في القصة نفسها .

ب – الأمثلة على اللحاق :

–عند تفسير قوله –تعالى–: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١] **قال –رحمه الله–** : " قيل في معنى قولهم : بينت لنا أيَّ البقر عنيت ، وقيل : إنه تكذيب لما قبل ذلك ، من أمر موسى بذبح البقرة .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندنا بقوله : ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ الآن بينت لنا الحق في أمر البقرة ، فعرفنا أيها الواجب علينا ذبحها منها ؛ لأن الله –جل ثناؤه– قد أخبر عنهم أنهم قد أطاعوه فذبحوها بعد قيلهم هذا ، مع غلظ مؤونة ذبحها عليهم ، وثقل أمرها ، فقال : ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] " (٣) .

فاستدلّ بذبحهم لها ، على أنّ قولهم السابق : ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ معنى الحق أي: الواضح ،

---

(١) انظر الآيات (١٧٤–١٧٦) من البقرة وهي : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ (١٧٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ (١٧٦)﴾ [البقرة: ١٧٤ – ١٧٦] .

(٢) انظر جامع البيان (٤٤١/٩) .

(٣) انظر جامع البيان (٣٩٦/١) ، وتحقيق شاكر (٢١٧/٢) .

وليس معنى الحق : الذي هو مقابل الباطل ؛ لأن هذا يبطل إيمانهم ، فيعتبر تكذيباً لموسى ، ولا يحصل من المكذب طاعة فيها مؤونة وثقل كما وقع منهم .

وفي قوله –تعالى–: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٤] **قال ابن جرير –رحمه الله–**: " إن قال لنا قائل : وما وجه مسألة هؤلاء القوم ربهم أن يؤتيهم ما وعدهم ، وقد علموا أن الله منجز وعده ، وغير جائز أن يكون منه إخلاف موعد ؟ قيل : اختلف في ذلك أهل البحث ، فقال بعضهم : ذلك قول خرج مخرج المسألة ، ومعناه الخبر...وقال آخرون : بل ذلك قول من قائله على معنى المسألة والدعاء لله ، بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم ، من الكرامة على ألسن رسله... وقال آخرون : بل قالوا هذا القول على وجه المسألة والرغبة منهم إلى الله، أن يؤتيهم ما وعدهم ، من النصر على أعدائهم من أهل الكفر ، والظفر بهم ، وإعلاء كلمة الحق على الباطل ، فيعجل ذلك لهم...

قال أبو جعفر : والذي هو أولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي : أن هذه الصفة، صفة من هاجر من أصحاب رسول الله – ﷺ – من وطنه وداره ، مفارقاً لأهل الشرك بالله، إلى الله ورسوله ، وغيرهم من تُبَّاع رسول الله –ﷺ – الذين رغبوا إلى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم ، فقالوا : ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلاً ، فإنك لا تخلف الميعاد ، ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم ، فعجِّل لهم خزيهم ، ولنا الظفر عليهم، يدل على صحة ذلك آخر الآية الأخرى، وهو قوله :﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١٩٥] " .(١)

– وعند قوله –تعالى–: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف: ١١] **قال –رحمه الله–** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم :تأويل ذلك :وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ في ظهر آدم أيها الناس ، ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ في أرحام النساء ، خلقاً

---

(١) وانظر جامع البيان (٥٥٤/٣–٥٥٥) ، وتحقيق شاكر (٤٨٣/٧) .

مخلوقاً ، ومثالاً ممّثلاً في صورة آدم...وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم، ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم...وقال آخرون : بل معنى ذلك : خَلَقْناكُمْ يعني : آدم ، ثُمّ صَوّرْناكُمْ يعني : في ظهره...وقال آخرون : معنى ذلك: ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم، ثم صورناكم فيها...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : تأويله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ ولقد خلقنا آدم ، ﴿ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ بتصويرنا آدم ، كما قد بيّنا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالأفعال تضيفها إليه ، والمعنيّ في ذلك سلفه ، وكما قال –جلّ ثناؤه– لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله –ﷺ–:﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣] وما أشبه ذلك من الخطاب الموجّه إلى الحيّ الموجود والمراد به السلف المعدوم ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾معناه : ولقد خلقنا أباكم آدم ، ثم صوّرناه ، وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ؛ لأن الذي يتلو ذلك قوله : ﴿ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ ومعلوم أن الله – تبارك وتعالى – قد أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يصوّر ذرّيته في بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلق أمهاتهم ".(١)

فالتعبير بلفظ ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ و ﴿صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ مراد به آدم ؛ للحاق أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم ، وذلك يقيناً قبل خلق أم البشر حواء ، فلا تدخل ذريته من باب أولى .

ج – الأمثلة على استدلاله بالسباق واللحاق معاً :

إذا كان السباق قد يدل على المعنى بمفرده ، واللحاق كذلك ، فكيف لو اجتمعا في موضع واحد ! ، كيف لو انضم نور إلى نورا ! ، وبرهان إلى برهان ! ، وحجة إلى أخرى ! ، لننظر تفسير الإمام ابن جرير لأمثلة من هذا النوع :

– ففي قوله –تعالى–:﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤] **قال –رحمه الله–** : " فإن قال قائل : ومن الذي عني بقوله :﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ

---

(١) جامع البيان (٤٣٧/٥) ، وتحقيق شاكر (٣١٧/٢) .

فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾ وأيّ المساجد هي ؟ قيل : إن أهل التأويل في ذلك مختلفون : فقال بعضهم : الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى ، والمسجد بيت المقدس...وقال آخرون : وهو بختنصر(١) وجنده ومن أعانهم من النصارى ، والمسجد : مسجد بيت المقدس...وقال آخرون : بل عَنى الله –عزّ وجل– بهذه الآية مشركي قريش ، إذ منعوا رسول الله –ﷺ– من المسجد الحرام...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال:...النصارى، وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس ، وأعانوا بختنصر على ذلك ، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه ، بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده...وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام...وأخرى: أن الآية التي قبل قوله :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ مضت بالخبر عن اليهود والنصارى، وذَمّ أفعالهم ، والتي بعدها نبهت بذمّ النصارى ، والخبر عن افترائهم على ربهم ، ولم يَجْرِ لقريش ولا لمشركي العرب ذكر ، ولا للمسجد الحرام قبلها، فيوجه الخبر بقول الله –عز وجل–:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ إليهم وإلى المسجد الحرام . وإذْ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أَوْلى بالآية أن يوجه تأويلها إليه ، وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها ، إذ كان خبرها لخبرهما نظيراً وشكلاً ، إلاّ أن تقوم حجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك ، وإن اتفقت قصصها فاشتبهت..." (٢)

– وفي قوله –تعالى–:﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال –رحمه الله–: "اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية: فقال بعضهم: عُني بها المسلمون من أمة محمد –ﷺ–،وفيهم نزلت...وقال آخرون:عُني ببعضها أهل الشرك ، وببعضها أهل الإسلام...

---

(١) هو أحد ملوك الأرض ، كان كاتباً عند ملك الجزيرة ، فقتل الابن أباه الملك ، فغضب بختنصر وقتل الابن وتسلم الملك ، ثم غزا بني إسرائيل وانتصر عليهم ، ثم رده الله عنهم ، ثم فسقوا فجاءهم وانتصر عليهم ، وقتل منهم وصلب ، وباع ذراريهم ونساءهم ، ومثل بهم وأسر منهم الكثير ، ثم لحق بأرض بابل . انظر المعارف صفحة (٣٢و٤٦و٥٦٢).

(٢) جامع البيان (٥٤٧/١) ، وتحقيق شاكر (٥١٩/٢) .

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندي أن يقال : إن الله – تعالى ذِكْرُه – توعّد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان ، وإياهم خاطب بها ؛ لأنها بين إخبارٍ عنهم وخطاب لهم ، وذلك أنها تتلو قوله :﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٣ – ٦٤] ويتلوها قوله :﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٦٦] ...وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين ، فإذ كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك ، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين ، كان بيِّناً أن ذلك وعيدٌ لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك، وتأخّر الخبر عنه بالتكذيب ، لا لمن لم يَجْرِ له ذِكْرٌ..." (١)

–وفي قوله –تعالى–:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحجر: ٢٤] **قال –رحمه الله–** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم: معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدّم هلاكهم ، ومن قد خلق وهو حيّ ، ومن لم يخلق بعدُ ممن سيخلق...وقال آخرون : عنى بالمستقدمين : الذين قد هلكوا ، والمستأخرين : الأحياء الذين لم يهلكوا...وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين في أوّل الخلق والمستأخرين في آخرهم...وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين من الأمم، والمستأخرين من أمة محمد – ﷺ–...وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين عنه...وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة ، والمستأخرين فيها بسبب النساء...

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال : معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته ، ولقد علمنا المستأخرين ، الذين استأخر موتهم ممن هو حي ، ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ ؛ لدلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحجر: ٢٣] وما بعده ، وهو قوله :﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ [الحجر: ٢٥] على أن ذلك كذلك ؛ إذ كان بين هذين الخبرين ، و لم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ، ولا جاء بعد..."(٢).

---

(١) جامع البيان (٢٢٣/٥) ، وتحقيق شاكر (٤٢١/١١) .

(٢) جامع البيان (٥٠٧/٧) .

هذه بعض الأمثلة على السياق بنوعيه : السباق ، واللحاق ، مفترقين ومجتمعين ، من ما نقله ابن جرير عن المفسرين السابقين ، من الصحابة والتابعين ، ومن قوله ، وسيأتي في البحث نماذج أخرى كثيرة ، – إن شاء الله – والله الموفق .

المبحث الثاني : أهمية دلالة السياق القرآني في التفسير:

بعد التعريف للسياق القرآني ، وذكر أنواعه ، والتمثيل عليها ، يحسن التعرّف الآن إلى أي مدى تكون العناية بالسياق ؟ ، وما مقدار أهميته ؟ ، وما منزلته ؟ ، وهل الأولى مراعاته دائماً ؟ ، أم في بعض الأحيان ؟ .

للإجابة على أهمية السياق : تجد أن درجته رفيعة ، ومنزلته عالية ، ومقداره مهم جداً ؛ ومما يدل على ذلك : اعتناء العلماء عامة ، والمفسرين خاصة بالسياق .

وهذا الاهتمام من العلماء يتضح في مطالب :

المطلب الأول : الأمر بالاعتناء بالسياق مطلقاً ، وجعله طريقاً سليماً لتفسير كلام الله الكريم .

المطلب الثاني : الاستدلال بالسياق في التفسير ، والرجوع إليه عند الاختلاف .

المطلب الثالث : تأليف العلماء كثيراً في الوجوه والنظائر ، وفي غريب القرآن .

المطلب الرابع : اهتمام العلماء بالمناسبات .

المطلب الأول : الأمر بالاعتناء بالسياق مطلقا ، وجعله طريقا سليما لتفسير كلام الله الكريم :

لقد كان السياق عند العلماء أساساً في فهم كل كلام ، لاسيما في النصوص الشرعية ، التي هي مرجع الشريعة الإسلامية ، وخاصة القرآن الكريم ، وإليك بعض هذه النصوص التي تأمر بالاهتمام به ، والتي تنص على أهميته عند التفسير على وجه الخصوص :

فهذا مسلم بن يسار –رحمه الله– (١) **يقول** : "إذا حدّثتَ عن الله حديثاً فقف !، حتى تنظر ما قبله ، وما بعده ".(٢)

وهذا يدلّ على الاهتمام به في كل تفسير ، قل أو كثر ، صغر أو كبر .

وكان عزّ الدين بن عبد السلام –رحمه الله– (٣) من أقدم من توسع في الحديث عن السياق ، وفصّل فيه نظريّاً ، ومن ذلك قوله :

"السّياق مرشد إلى تبيين المجملات ، وترجيح المحتملات ، وتقرير الواضحات ، وكل ذلك بعرف الاستعمال .

فكلّ صفةٍ وقعت في سياق المدح كانت مدحاً ، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذماً، فما كان مدحاً بالوضع ، فوقع في سياق الذم ؛ صار ذماً واستهزاءً وتهكُّماً ، بعرف الاستعمال . مثاله: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ ﴾ [الدخان: ٤٩] أي : الذليل المهان ؛ لوقوع ذلك في سياق الذم ،

---

(١) هو أبو عبد الله ، مسلم بن يسار البصري الفقيه ، مولى ، تابعي ثقة ، روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، توفي سنة مائة وقيل إحدى ومائة . انظر تهذيب الكمال (٥٥١/٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (٥١٠/٤) ، وتهذيب التهذيب (٧٣/٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٦/١) .

(٣) هو أبو محمد ، عزّ الدين ، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي ، ولد سنة ست أو سبع وخمسمائة ، الملقب بسلطان العلماء ، له القواعد الكبرى والصغرى ، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، وغيرهما ، توفي سنة ستين وستمائة . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٢٠٩/٨) ، وفوات الوفيات (٥٩٤/١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٠٩/١) .

وكذلك قول قوم شعيب :﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٧)﴾ [هود: ٨٧] أي : السفيه الجاهل ؛ لوقوعه في سياق الإنكار عليه ، وكذلك :﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧] ؛ لوقوعه في سياق ذمهم بإضلال الأتباع .

وأما ما يصلح للأمرين(١):فيدلّ على المراد به السّياق، كقوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [القلم: ٤] أراد به عظيماً في حسنه وشرفه ؛ لوقوع ذلك في سياق المدح ، وقوله:﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)﴾ [الإسراء: ٤٠] أراد به عظيماً في قبحه ؛ لوقوع ذلك في سياق الذم .

وكذلك صفات الرب المحتملة للمعاني المتعددة : تحمل في كل سياق على ما يليق به، كقوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾ [الحج: ٧٠] تمدح بسهولة في قدرته، وكذلك قوله :﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

وأما قوله :﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)﴾ [النساء: ٣٠] وقوله :﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)﴾ [الأحزاب: ٣٠] فإن المراد في هاتين الآيتين: احتقار المعذّب وعنتُه ، (٢) وإنما جاز ذلك ؛ لأن من هان عليك ، سهل عليك عذابه وعنته، ومن عزّ عليك صعب عليك مصابه ومشقّته ، وإنما حُمِل على الاستهانة ؛ لأنه لا يصلح من الرب التمدّح بالقدرة على تعذيب امرأة أو رجل ، إذ التمدّح من الربّ بأدنى الصفات قبيحٌ في عرف الاستعمال ؛ ولذلك يقبح أن يقال : سيبويه (٣) يَعرف أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، والشافعي : يعرف مسألة إزالة النجاسة ، وجالينوس(٤): يعرف أن الصفراء (١) حادّةٌ يابسة ، وكذلك العزيز : في

---

(١) أي يطلق في اللغة : ويراد به المدح ، وفي حين آخر : يراد منه الذم .

(٢) العنت : الهلاك والمشقة . انظر ترتيب القاموس المحيط ، مادة عنت (٣/٣٢٠) .

(٣) هو أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قُنْبُر أو قَنْبر ، مولى بني الحارث ، إمام النحو ، الملقب بسيبويه أي : رائحة التفاح ، أخذ عن الخليل بن أحمد ، له الكتاب في النحو ، جُمِع بينه وبين نحويين فاستذلوه فخرج من بغداد لبعض مدن فارس ، فمات وهو شاب عمره اثنتين وثلاثين سنة ، وذلك سنة تسع وسبعين ومائة ، وقيل ثمانين . انظر المعارف صفحة (٥٤٤) ، وإنباه الرواة (٢/٣٤٦) ، وبغية الوعاة (٢/٢٢٩) .

(٤) جالينوس من حكماء اليونان ، ولد حوالي سنة مائة وثلاثين ميلادية ، عالم في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية ، له

-

أوصاف الرب – سبحانه – يطلق بمعنى الغالب القاهر ، ويطلق بمعنى الممتنع من العيب والضَّيم (٢) ، ويطلق بمعنى الذي لا نظير له ، ويحمل كل سياق على ما يليق به ".(٣)

وهذا الكلام القيّم تميّز به عزّ الدين –رحمه الله – ؛ لتقدمه على غيره في تقعيده وتمثيله للسياق فيما يظهر ، وهو تقسيم للسياق بحسب ما يناسب المتكلّم به ، والمتكلّم فيه، والحال المتكلّم فيها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه ، وما يحفّ به من القرائن اللفظية والحالية ".(٤)

ثم قال : "فمن تدبّر ما ورد في باب أسماء الله –تعالى–وصفاته ، وأن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله أو بعض صفاته ، لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد ، حتى يكون ذلك طرداً للمثبِت ، ونقضاً للنافي ، بل يُنظَر في كل آية وحديث، بخصوصه وسياقه ، وما يُبيِّن معناه من القرائن والدلالات ، فهذا أصل عظيم مهمٌّ نافع ، في باب فهم الكتاب والسنة ، والاستدلال بهما مطلقاً ، ونافع في معرفة الاستدلال ، والاعتراض، والجواب ، وطرْد الدليل ونقْضِه ، فهو نافع في كلّ علمٍ خبريٍّ أو إنشائيٍّ ، وفي كل استدلال أو معارضة من الكتاب والسنة ، وفي سائر أدلة الخلق".(٥)

فانظر كيف كان السياق – عند ابن تيمية – هو الأصل العظيم في فهم الكتاب والسنة ، وفي كل العلوم أيّاً كانت ، بل وفي جميع حجج الخلق .

ستة عشر ديواناً في الطب وغيرها ، وتوفي سنة مائتين وقيل وثماني عشرة . انظر طبقات الأطباء والحكماء صفحة (٤١) ، لأبي داود المعروف بجلجل .

(١) الصّفراء : من الصفر ، داء في البطن يصفر منه الوجه . انظر : لسان العرب ، مادة صفر (٤٦٠/٤) .

(٢) الضّيم : الظلم ، وضامه حقه : نقصه حقه . انظر : لسان العرب مادة ضمم (٣٥٩/١٢) .

(٣) الإمام في بيان أدلة الأحكام صفحة (١٥٩-١٦٢)،لعز الدين بن عبد السلام ، تحقيق : رضوان مختار بن غربية .

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/٦) .

(٥) مجموع الفتاوى (١٨/٦-١٩) .

وقال أيضاً : " فمن تدبر القرآن ، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها ، وعرف مقصود القرآن : تبين له المراد ، وعرف الهدى والرسالة ، وعرف السداد ، من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرّد ، عن سائر ما يبين معناه ، فهذا منشأ الغلط من الغالطين ".⁽¹⁾

ويكفي في بيان أهميته أنه يوصل إلى الحق والسداد،وأن مُهمِلَه يقع في الغلط لا محالة.

وقال أيضاً : في ذكر أسباب الغلط في التفسير : " مراعاة مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يُرِيدَ به العربي ، من غير نظر إلى ما يَصلُح للمتكلِّم به ، ولسيَاق الكلام ".⁽²⁾

وقال أيضاً : " فتأمُّل ما قبل الآية وما بعدها ، يُطلعك على حقيقة المعنى "⁽³⁾.

وقال الإمام ابن جزي الكلبي –رحمه الله – ⁽⁴⁾ : من أوجه الترجيح : " أن يَشهد بصحة القول سياق الكلام ، ويدل عليه ما قبله ، وما بعده " ⁽⁵⁾.

وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله– ⁽⁶⁾ : " دلالة السياق : فإنها ترشد إلى تبيين المجمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظيره ، وغلط في مناظراته ."⁽⁷⁾

---

(١) مجموع الفتاوى (٩٤/١٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٦/١٣) .

(٣) دقائق التفسير (٤١٣/٣) جمع الدكتور محمد السيد الجليند .

(٤) هو أبو القاسم ، محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، فقيه أصولي مفسر لغوي ، صاحب تفسير التسهيل ، وأصول القراء الستة غير نافع ، وغيرهما ، قتل يوم الكائنة بطريف ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . انظر الدرر الكامنة (٤٤٦/٣) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٨١/٢) .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) ، الطبعة الأولى للمكتبة التجارية ١٣٥٥هـ .

(٦) هو أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي العلامة المجتهد ، ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأخذ عنه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، مؤلفاته كثيرة وقيّمة ، منها: زاد المعاد في هدي خير العباد ، والتبيان في أقسام القرآن ، وإعلام الموقعين ، توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة . انظر شذرات الذهب (١٦٨/٦) ، والدرر الكامنة (٢١/٤) ، وطبقات المفسرين (٩٠/٢) .

(٧) بدائع الفوائد (٩/٤-١٠) ، دار الكتاب العربي .

وقال في نونيته :

" قالوا : وإيْرادُ السِّياقِ يُبَيِّـــنُ   المضمونَ منه بأوضحِ التّبْيانِ ".(١)

وقال الإمام الشاطبي –رحمه الله– (٢) في الضابط المعوّل عليه في الفهم : " إن المساقات تختلف باختلاف الأحوال ، والأوقات ، والنوازل ، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان ، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم ، الالتفات إلى أول الكلام وآخره ، بحسب القضية ، وما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر إلى أولها دون آخرها ، ولا آخرها دون أولها ، فإن القضية وإن اشتملت على جُمَلٍ فبعضها متعلق بالبعض ؛ لأنها قضية واحدة نازلة في شأن واحد ، فلا محيص للمتفهِّم عن ردِّ آخر الكلام على أوله ، وأوله إلى آخره ، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف..." (٣)

وقال الإمام الزركشي –رحمه الله– (٤) : " دلالة السياق أنكرها بعضهم ، ومن جهل شـيئاً أنكره (٥). وقال بعضهم : إنها متفق عليها في مجاري كلام الله – تعالى –.

وقد احتجّ بها أحمدُ على الشافعيّ ، في أنّ الواهب ليس له الرجوع ، من حديث : "العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه"(٦) حيث قال الشافعي : هذا يدل على جواز الرجوع؛ إذ قيء الكلب ليس

---

(١) الكافية الشافية وهي : القصيدة النونية مع شرحها ، للدكتور محمد خليل هراس (٢١٥/١) ، وهو يتحدث في الأبيات عن معنى اليوم في آية المعارج (٤) : {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} .

(٢) هو أبو إسحاق ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي ، أصولي حافظ ، له مؤلفات فائقة ، منها: الموافقات ، والاعتصام ، توفي سنة تسعين وسبعمائة . انظر درّة الحجال (١٨٢/١) ، والأعلام (٧١/١) .

(٣) الموافقات (٢٦٦/٤) .

(٤) هو بدر الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تركي الأصل ، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، فقيه أصولي محدث أديب فاضل ، من مؤلفاته البحر المحيط في أصول الفقه ، والبرهان في علوم القرآن ، وتفسير وصل فيه إلى سورة مريم ، توفي بالقاهرة سنة أربع وتسعين وسبعمائة . انظر الدرر الكامنة (١٧/٤) ، وشذرات الذهب (٣٣٥/٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (١٥٧/٢) .

(٥) وهذا فيه رد عليهم بأن هذا القول بسبب جهلهم لا علمهم .

(٦) رواه البخاري : في كتاب الهبة ، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها ، صفحة (٥١٤) رقم (٢٥٨٩) ، ومسلم : في كتاب الهبات ، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض ، (١٢٤٠/٣) حديث (١٦٢٢) .

محرماً عليه ، فقال أحمد : ألا تراه يقول فيه : "ليس لنا مثل السوء ، العائد في هبته..." الحديث . وهذا مثل سوء فلا يكون لنا .

واحتجّ بها [أي : أحمد] في أن المراد بأنه استيعابهم [أصناف الزكاة الثمانية] واجب ، وسياق الآية يدل على الأول ، بقوله -تعالى-: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة: ٥٨] } فإن الله -تعالى-لما رأى بعض من لا يستحق الصدقة ، يحاول أن يأخذ منها ، ويسخط إذا لم يعط ، يقطع ببيان أن المستحق لها غيره ، وهم الأصناف الثمانية..."(١)

وقال أيضاً : " تنبيه : ليكن محطّ نظر المفسِّر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له ، وإن خالف أصل الوضع اللغوي ؛ لثبوت التجوّز ، ولهذا نرى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً، حتى كأن غيره مطروح ".(٢)

وقال أيضاً : في تفسير ما لم يرد فيه نقل : " وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ ، من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق ، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ ؛ لأنه اقتنصه من السياق ."(٣)

وقال أيضاً : " ومما يعين على معرفة المعنى عند الإشكال...: دلالة السياق : فإنها ترشد إلى تبيين المجمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظيره، وغلط في مناظراته ، وانظر إلى قوله -تعالى-: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقه ؛ يدل على أنه الذليل الحقير ".(٤)

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه (٥٢/٦)،طبع وزارة الشئون الإسلامية بالكويت،تحرير الدكتور عبد الستار أبو غدة .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٤٢٧/١) .

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣١٣/٢) .

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣٣٥/٢) . وهو نص كلام ابن القيم -رحمه الله- في بدائع الفوائد السابق (٩/٤-١٠) إلا أنه لم يذكر الآية .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله–(١) : مقتبساً وشارحاً عن شيخه محمد عبده(٢): " وقد قالوا إن بعض القرآن يفسر بعضه ببعض ، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ ، موافقته لما سبق له من القول ، واتفاقه مع جملة المعنى ، وائتلافه مع القصد الذي جاء الكتاب بجملته "(٣).

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله– (٤) : "وقد كثرت تفاسير الأئمة...فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود ، ومن مختصر يقتصر على حلِّ بعض الألفاظ اللغوية ، بقطع النظر عن المراد ، وكان الذي ينبغي في ذلك أن يُجعل المعنى هو المقصود ، واللفظ وسيلة إليه ، فينظر في سياق الكلام ، وما سيق لأجله ، ويقابَل بينه وبين نظيره في موضع آخر...فالنظر لسياق الآيات ، مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه..."(١).

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن منلا ، ولد سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف ، ينتسب إلى علي -﵁- أورد ذلك حبيب السامرائي في كتابه : "رشيد رضا المفسر " ، أصله من بغداد ، كان أحد رجال المدرسة الإصلاحية ، والتلميذ القريب من محمد عبده ، ومن كبار الصحفيين والكتاب ، في الحديث والتفسير والأدب والتاريخ ، له تفسير المنار في اثني عشر مجلداً ، وصل فيه إلى سورة يوسف (١٠٧) ، ومجلة المنار في أربعة وثلاثين مجلداً ، وفتاوى وغيرها ، توفي بحادث سيارة ، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف . انظر الأعلام (٣٦١/٦) ، ومنهج المدرسة العقلية في التفسير (١٧٠/١) للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي .

(٢) هو محمد عبده ، بن حسن خير الله ، التركماني ، ولد سنة ست ، وقيل خمس وستين ومائتين وألف ، وهو مفتي مصر ، ومن رجال المدرسة الإصلاحية ، تأثّر بجمال الدين الأفغاني ، له أول تفسير المنار ، إلى سورة النساء (١٢٥) ، في خمسة أجزاء ، وتوفي ولم يكمله ، ثم أكمله محمد رشيد رضا ، ولمحمد عبده شرح نهج البلاغة ، وغيره ، وقد كانت له مواقف جهادية ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر ، وله هنّات ، توفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف . انظر الأعلام (١٣١/٧) ، ومنهج المدرسة العقلية في التفسير (١٢٤/١) .

(٣) تفسير القرآن الحكيم (٣٢/١) ، الطبعة الرابعة دار المنار ، ١٣٧٣هـ .

(٤) هو أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم ، ولد في عنيزة ، سنة سبع وثلاثمائة وألف ، فقيه أصولي مفسر ، من كتبه : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، والقول السديد في مقاصد التوحيد . توفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف . انظر ترجمة الشيخ في أول تفسيره صفحة (٥) لأحد تلامذته .

(١) تيسير الكريم الرحمن (٩-١٠) الطبعة الثانية ١٤١٧هـ لمؤسسة الرسالة ، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن اللويحق.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم –رحمه الله– (١) : " ويبحث عن كون الآية مكملة لما قبلها ، أو مستقلّة ، وما وجه مناسبتها لما قبلها ، وكذا السور ".(٢)

ويتضح مما سبق أن السياق لابد منه في معرفة سبب ورود الآية أو الآيات ، وأنه مهم كذلك في فهم النص المرتبط بالسابق واللاحق ، وهو مجال مهم في التفسير ، بل إن المفسر لا يستغني عنه في أي حال ، ومهما كان اتجاهه ومنزعه ، فهو مما يعتمد عليه التفسير اعتماداً كبيراً .

وليس المقصود حصر أقوال العلماء الناصين على منزلته ، ووجوب العناية به ، ولكنه الإشارة بالقليل عن الكثير .

---

(١) هو جدي أب الأب ، فهو : أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي ، ولد ببلدة البير من المحمل شمال الرياض ، سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف ، جمع فتاوى شيخ الإسلام في خمسة وثلاثين مجلداً ، وشرح الروض المربع ، وله مقدمة في التفسير وحاشية عليها ، وغير ذلك ، تأثر في رأسه بحادث سيارة سنوات ، وتوفي –رحمه الله– سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وألف . انظر ترجمته في أول كتاب حاشية الروض المربع (٣/١) للدكتور الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن ابن جبرين –رحمه الله –.

(٢) حاشية مقدمة التفسير صفحة (١٤٧-١٤٨) ، لعبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ .

المطلب الثاني : الاستدلال بالسياق في التفسير والرجوع إليه عند الاختلاف :

ولهذا أمثلة كثيرة منها :

ما روي عن النبي – ﷺ – أنه قال لعائشة –رضي الله عنها– لما سألته عن قوله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠] فقالت : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : "لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ، ويصلون، ويتصدقون ، وهم يخافون ألا يقبل منهم ، أولئك الذين يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون ". [1]

وهذا مثال من السنّة واضح في استعمال اللاحق من الآيات ، في معرفة المعنى للجملة المفسَّرة، ورجع فيه النبي – ﷺ –إلى السياق ليحلّ المشكل في الأذهان ، قال المباركفوري –رحمه الله– : " أولئك الذين... كذا في هذه الرواية ، وفي القرآن : ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٦١]" [2].

وهذا أوضح دليل من السنة على استعمال السياق فيما وصلت إليه .

وقد رجّح ابن كثير قراءة : ﴿يُؤْتُونَ﴾ السبعية ، على قراءة : {يأتون} [3] أي : الآثام بالسياق؛ لقوله بعدها : ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١﴾ ومن فعل الآثام كان من المقتصدين أو من المقصرين .– والله أعلم – [4].

وسأل رجل عليٌّ بن أبي طالب –ؓ – فقال : يا أمير المؤمنين : أرأيت قول الله – عزّ وجلّ – ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء: ١٤١] وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون ؟! قال له علي : ادنه ادنه ! ثم قال : ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾

---

[1] سبق تخريجه صفحة (٦-٧) .

[2] وانظر تحفة الأحوذي (٩/٢٠) ، مراجعة عبد الرحمن محمد عثمان ، مطبعة الاعتماد .

[3] قراءة شاذة . انظر مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ، صفحة (٩٨) ، والمحتسب (٢/٩٥) لابن جني .

[4] تفسير القرآن العظيم (٣/٢٤١) .

[النساء: ١٤١] يوم القيامة ." (١)

فانظر دقّة علي– ﵁ – في تتبّعه للسّياق ، واستيعابه فهم الآية على وجهها، فهذا الوعد في الآخرة ، بدليل قوله قبل:﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ .

ولما قال نافع بن الأزرق لابن عباس – رضي الله عنهما –: " أعمى البصر ، أعمى القلب يزعم أن قوماً يخرجون من النار ، وقد قال الله – جلّ وعزّ – :﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا ﴾ [المائدة: ٣٧](٢). فقال ابن عباس : ويحك !! اقرأ ما فوقها !! ، هذه للكفار "(٣).

والآية التي فوقها–أي قبلها –هي:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٣٦ ﴾ [المائدة: ٣٦].

وقال سعيد بن جبير –رحمه الله– (٤): في قوله –تعالى–: " ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ ﴾ [مريم: ٢٤] قال: عيسى ؛ أما تسمع الله يقول :﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ ﴾ [مريم: ٢٩] " (٥) .

أما عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فقال: " عيسى ناداها : ﴿ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ۝٢٤ ﴾ [مريم: ٢٤] ".(٦)

ولما سأل يعقوبُ بن عبد الرحمن الزهري (٧) زيد بن أسلم (٨) ، عن قول الله : ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ

---

(١) انظر جامع البيان (٣٣١/٤) ، وتحقيق شاكر (٣٢٧/٩) .

(٢) المائدة (٣٧) ونصّها : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ [المائدة: ٣٧] .

(٣) انظر جامع البيان (٥٦٧/٤–٥٦٨) ، وتحقيق شاكر (٣٢٧/٩) .

(٤) هو أبو محمد ، أو أبو عبد الله ، سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي الوابلي مولاهم ، من كبار تلامذة حبر الأمة ابن عباس ، إمام في القراءة والتفسير وغيرهما ، قتله الحجاج ظلماً سنة أربع أو خمس وتسعين . انظر سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤) ، وغاية النهاية (٣٠٥/١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١٨١/١) .

(٥) جامع البيان (٣٢٧/٨) .

(٦) جامع البيان (٣٢٧/٨) .

(٧) هو يعقوبُ بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري ، يقال له يعقوب الاسكندراني ، حليف بني زهرة، سكن الاسكندرية ، وثّقه ابن معين وابن حبان ، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . انظر كتاب الثقات لابن حبان (٦٤٤/٧) ، وتهذيب التهذيب (٤٤٤/٤) .

(٨) هو أبو أسامة ، زيد بن أسلم العدوي المدني ، قال الذهبي : لزيد تفسيرٌ ، رواه عنه ابنه عبد الرحمن ، كان من العلماء

ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [ق: ١٩ – ٢١] فقال له : " من يراد بهذا ؟ فقال : رسول الله – ﷺ – . فقلت : رسول الله – ﷺ – ؟!.فقال : ما تنكر ؟ ! ؛ قال الله – عزّ وجل – : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الضحى: ٦ – ٧] . قال : ثم سألت صالح بن كيسان ⁽¹⁾ عنها ، فقال لي : هل سألت أحداً ؟ فقلت : نعم ، قد سألت عنها زيد بن أسلم فقال : ما قال لك ؟ فقلت : بل تخبرني ما تقول .فقال : لأخبرنك برأيي الذي عليه رأيي، فأخبرني ما قال لك . قلت : قال : يراد بهذا رسول الله – ﷺ – فقال : وما علم زيدا ! ، والله ما سن عالية،ولا لسان فصيح ، ولا معرفة بكلام العرب ، **إنما يراد بهذا الكافر، ثم قال : اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك** . قال : ثم سألت حسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن عباس ⁽²⁾، فقال لي : مثل ما قال لي صالح : هل سألت أحداً ؟ فأخبرني به ، قلت : إني قد سألت زيد بن أسلم ، وصالح بن كيسان . فقال لي : ما قالا لك ؟ قلت : بل تخبرني بقولك ، قال : لأخبرنك بقولي ، فأخبرته بالذي قالا لي ، قال : أخالفهما جميعاً ، يريد بها البر والفاجر ، قال الله : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: ١٩ – ٢٢] قال : فانكشف الغطاء عن البر والفاجر ؛ فرأى كلٌّ ما يصير إليه ." ⁽³⁾

ومن هذه القصة ترى : أن القول الأول لم يستدل فيه بالسياق ، أما الثاني والثالث فقد استدلا

العاملين ، توفي سنة ست وثلاثين ومائتين . انظر حلية الأولياء (٣/٢٢١) ، وسير أعلام النبلاء (٥/٣١٦) ، وتهذيب التهذيب (١/٦٨٥) .

(١) هو أبو محمد ، صالح بن كيسان تابعي ، مؤدب أولاد عمر بن عبد العزيز ، من فقهاء المدينة ، إمام حافظ ثقة كثير الحديث، قال الذهبي : رمي بالقدر ولم يصح عنه ، توفي بعد أربعين ومائة . انظر تهذيب الكمال (١٤/٧٩) ، وسير أعلام النبلاء (٥/٤٥٤) .

(٢) هو أبو عبد الله ، حسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن عباس الهاشمي المدني ، ضعفه ابن معين ، وأبو حاتم ، وقال النسائي : متروك ، توفي سنة إحدى وأربعين ومائة ، وقيل أربعين . انظر تهذيب التهذيب (١/٤٢٤) .

(٣) جامع البيان (١١/٤١٩-٤٢٠) .

به ، ولكن على اختلاف في موضع الاستدلال ، وهذا مما يدلّ على أهمية السياق، وأنه ليس كافٍ وحده ، بل يحتاج معه إلى قواعد أخرى مقوّمة له ومرتّبة .

ومقولة صالح بن كيسان في الآيات الماضية واضحة في الاهتمام بالسياق : " إنما يراد بهذا الكافر ، ثم قال : اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك "(١). فإذا كان السياق دليلاً إلى معنى القرآن ، فقد ظهرت منزلته ، وعلت مكانته .

وقال الإمام مالك –رحمه الله– : لما سأله ابن وهب (٢) عن قول الله –تعالى-:﴿ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩] قال : " راكباً وماشياً ، لو كانت إنما عني بها الناس ؛ لم تأت إلا رجالاً وانقطعت الآية، إنما هي رجال مشاة ؛ وقرأ :﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [الحج: ٢٧] قال : يأتون مشاة وركباناً"(٣).

فاستدلّ بالركبان على معنى الرجال ؛ لعدم وجود الفائدة من زيادة الركبان لو كان معنى الرجال عموم الناس .

وقال ابن عطية –رحمه الله– : في قوله –تعالى- :﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ [البقرة: ٢٧] معلّقاً على قول من قال : هي في أهل الكتاب : " وظاهر ما قبل وما بعد أنه في جميع الكفار " .(٤)

وقال الرازي –رحمه الله–(٥): عند قوله –تعالى-:﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾

---

(١) جامع البيان (١١/٤١٩) .

(٢) هو أبو محمد ، عبد الله بن وهب بن مسلم المصري الفهري مولاهم ، ولد سنة خمس وعشرين ومائة ، وتفقّه على مالك والليث ، قال ابن يونس : جمع ابن وهب بين الفقه والرواية والعبادة ، وكان مالك يكتب إليه في المسائل ويقول: ابن وهب عالم ، له مصنفات منها : أهوال القيامة ، والموطأ الكبير ، توفي سنة سبع وتسعين ومائة . انظر طبقات القراء (١/٤٦٣) ، وميزان الاعتدال (٢/٥٢١) ، وشجرة النور الزكية صفحة(٥٨) .

(٣) انظر جامع البيان (٢/٥٩٠) ، وتحقيق شاكر (٥/٤٤٤) .

(٤) المحرر الوجيز (١/١١٣)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤١٣هـ .

(٥) هو أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن الحسين القرشي ، الشهير بابن خطيب الري ، أصولي شافعي مفسر ، سلطان المتكلمين ،

-

[فصلت: ٥] "وكل من أنصف و لم يتعسف علم أنّا إذا فسرنا الآية على الوجه الذي ذكرناه ، صارت السورة من أولها إلى آخرها كلاماً واحداً منتظماً ، مسوقاً نحو غرض واحد ، فيكون هذا التفسير أولى مما ذكروه "(١).

وقال ابن القيم –رحمه الله– : في قوله –تعالى-:﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣ ﴾ [النساء: ٣] أي تجوروا ، وليس المعنى : ألا تكثر عيالكم ، وذكر من الأدلة : أن سياق الآية إنما هو في نقلهم مما يخافون من الظلم والجور فيه إلى غيره ؛ فإنه قال في أولها :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء: ٣] فدلهم – سبحانه – على ما يتخلصون به من ظلم اليتامى ، وهو نكاح ما طاب لهم من النساء البوالغ ، وأباح لهم منهن أربعاً ، ثم دلّهم على ما يتخلصون به من الجور والظلم في عدم التسوية بينهن ، فقال :﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] ثم أخبر –سبحانه – أن الواحدة وملك اليمين أدنى إلى عدم الميل والجور ، وهذا صريح في المقصود ." (٢)

وقال أيضاً : عند قوله –تعالى-:﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ ﴾ [الحجر: ٤١] " قيل معناه: التهديد والوعيد ، والسياق يأبى هذا ولا يناسبه لمن تأمّله ." (٣)

وفي قوله –تعالى-: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ ﴾ [العاديات: ١ – ٣] اختلف الصحابة ومن بعدهم في المراد بالقسم هل هو الخيل أو الإبل ، ونقل ابن القيم عن الجرجاني (٤)

ومنظِّر عقيدة الأشاعرة ، من مصنفاته : المحصول في أصول الفقه ، والتفسير الكبير ، اعترف في آخر عمره بخطأ أهل علم الكلام والفلاسفة ، وتوفي على طريقة حميدة – غفر الله لنا له – ، وكانت وفاته سنة ست وستمائة . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٨١/٨) ، وسير أعلام النبلاء (٥٠٠/٢١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢١٣/٢) .

(١) مفاتيح الغيب (١٣٥/٢٧) ، طبع دار الفكر .

(٢) بدائع التفسير (٩/٢) لابن القيم ، جمع : يسري السيد محمد .

(٣) بدائع التفسير (٢٥/٣) .

(٤) هو أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الشافعي ، من كبار علماء العربية ، مؤسس علم البيان ، متكلم أشعري ، ألف : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، وقيل غير ذلك . انظر طبقات الشافعية للإسنوي (٤٩١/٢) ، وبغية الوعاة (١٠٦/٢) .

قوله : "كلا القولين قد جاء في التفسير ، إلا أن السياق يدل على أنها : الخيل ، وهو قوله -تعالى-: ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ [العاديات: ٢] والإيراء لا يكون إلا للحافر لصلابته وأما الخف ففيه لين واسترخاء ".(١)

وقال ابن كثير -رحمه الله- في قوله -تعالى-: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [النساء: ٢٥]"والأظهر – والله أعلم - أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج ؛ لأن سياق الآية يدل عليه ، حيث يقول – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [النساء: ٢٥] – والله أعلم – والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله :﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ ﴾ تزوجن...(٢) .

هذه بعض أقوال العلماء في أهمية السياق ، وتلك هي تطبيقاتهم عليه ، وليس من الممكن ذكر جميع من أوصى بالعناية بالسياق ، أو استدل به ، فهم يهتمون به ، ولكن درجاتهم في ذلك مختلفة ، فمقلٌ ومستكثر .

---

(١) التبيان في أقسام القرآن صفحة (٨٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٥١/١) .

المطلب الثالث : تأليف العلماء كثيراً في الوجوه والنظائر ، وفي غريب القرآن:

مما يدلّ على عظم عناية العلماء بالسياق تآليفهم في علم الوجوه والنظائر ، والمقصود بالوجوه والنظائر : أن تكون الكلمة واحدة ، ذكرت في مواضع من القرآن ، على لفظ واحد ، وحركة واحدة [وهي النظائر بمعنى :الكلمات المتشابهة]، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر [وهذه هي الوجوه أي: من المعاني] (١) .

وقد كتب العلماء في علم الوجوه والنظائر منذ زمن ، حيث **نسبه ابن الجوزي** (٢) –رحمه الله – إلى : **عكرمة عن ابن عباس ، وإلى علي بن أبي طلحة** (٣) **عن ابن عباس ، وإلى الكلبي**(٤) ، **وإلى مقاتل بن سليمان** (٥) ، **وإلى العباس بن الفضل الأنصاري** (٦) وغيرهم –رحمهم

---

(١) نـزهة الأعين لابن الجوزي صفحة (٨٣) ، تحقيق محمد الراضي ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ، لمؤسسة الرسالة .

(٢) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي ، ابن الجوزي ، ولد حوالي سنة إحدى عشرة ، هدى الله على يديه آلاف ، وألّف كثيراً ، ومنها : المغني في التفسير ، وزاد المسير ، توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة . انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٣٩٩/١) ، وغاية النهاية (٣٧٥/١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٧٠/١) .

(٣) علي بن أبي طلحة ، واسم أبيه سالم بن المخارق مولى ، روى عن ابن عباس ولم يسمع منه ، ولكن طريقه أقوى الطرق وأصحّها عن ابن عباس ؛ لأن الواسطة بينه وابن عباس ثقتان هما : سعيد بن جبير ، ومجاهد . قال أحمد : بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو رَحَلَ رَجُلٌ فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً . وهي عند البخاري عن أبي صالح ، وقد اعتمد عليها فيما يعلقه عن ابن عباس ، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائة –على الصحيح – . انظر ميزان الاعتدال (٥٤/٤) ، وتهذيب التهذيب (١٧١/٣) ، والإتقان (١٢٣٠/٢) .

(٤) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي ، مؤرخ مفسر نسابة ، قال الذهبي : كان رأساً في الأنساب ، إلا أنه شيعي متروك الحديث ، له مصنفات منها : ناسخ القرآن ومنسوخه ، توفي سنة ست وأربعين ومائة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٤٨/٦) ، وتهذيب التهذيب (٥٦٩/٣) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١٤٤/٢) .

(٥) هو أبو الحسن ، مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي بالولاء ، البلخي ، قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة ، وقال الذهبي : أجمعوا على تركه ، وقال : كذبوه وهجروه ورموه بالتجسيم ، له كتب منها : نوادر التفسير ، ونظائر القرآن ، وغير ذلك ، توفي سنة خمسين ومائة . انظر تاريخ بغداد (١٦٠/١٣) ، وسير أعلام النبلاء (٢٠١/٧)، ووفيات الأعيان (٢٥٥/٥) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٣٠/٢) .

(٦) انظر نـزهة الأعين النواظر صفحة (٨٢) . والعباس بن الفضل هو : أبو الفضل الأنصاري الواقفي البصري ، قاضي الموصل
-

الله -.

ومن ألّف أيضاً : **يحيى بن سلام** (١) كتابه : التصاريف (تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه) ، **والمبرّد** (٢) كتابه : ما اتفقت ألفاظه ومعانيه في القرآن ، وغيرهم كثير .

وإليك مثالاً من كتب الوجوه والنظائر : **قال ابن الجوزي -رحمه الله** -: " وذكر أهل التفسير أن الأبَ -بتخفيف الباء – في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها :الأب الأدنى : ومنه قوله -تعالى- في سورة النساء (١١) :﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ ، وفي الأنعام (٧٤): ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ ، وفي مريم (٤٢): ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ ، وفي القصص (٢٣): ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ ، وفي عبس (٣٥) :﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ .

والثاني : الأب الأعلى : وهو الجد : ومنه قوله -تعالى- في يوسف (٣٨) :﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ، وفي الحج (٧٨) ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ .

والثالث : العم : ومنه قوله -تعالى- في البقرة (١٣٣) :﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ ، وإنما إسماعيل عم يعقوب .

والرابع : الخالة : ومنه قوله -تعالى- في يوسف (١٠٠) : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (٣) .

انظر إلى الآيات الماضية بتأمّل : هل الذي غيّر معناها الآيات التي حددت المعنى باعتبار المتكلم

= أيام الرشيد العباسي،توفي سنة ست وثمانين ومائة.انظر ميزان الاعتدال(٢/٣٨٥)،وتهذيب التهذيب (٢/٢٩٢).

(١) هو أبو زكريا ، يحيى بن سلّام بن أبي ثعلبة البصري ، ولد سنة أربع وعشرين ومائة ، له تفسير في ثلاث مجلدات ضخام ، وكتاب الجامع ، توفي سنة مائتين . انظر طبقات القراء (٢/٣٧٣) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/٣٧١)، وسير أعلام النبلاء (٩/٣٩٦) .

(٢) هو أبو العباس ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي ، المعروف بالمبرد ، قيل : مولده سنة عشر ومائتين ، له : الكامل ، ومعاني القرآن ، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين ، وقيل غير ذلك . انظر المنتظم (٦/٩) ، وطبقات النحويين واللغويين صفحة (١٠١) ، ونور القبس للمرزباني صفحة (٣٢٤) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/٢٦٧) .

(٣) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (١١١-١١٢) .

والمخاطب ، أم اللفظ بمفرده ؟، الذي يظهر أنه السياق ، كما هو واضح في كلام ابن الجوزي هنا .

وإن نوزع في ذلك ، فإن تعدد المعنى لابد من دليل على تحديد أحدها على غيره ، ويعود السياق نفسه إلى تحديده ، وهذا يدل على أهمية السياق من وجه آخر .

أما علم غريب القرآن : فقد اهتم به العلماء كما اهتموا بعلم الوجوه والنظائر ، وهو قريب منها في الاعتناء بالسياق ، إلا أنّ كتب الغريب أقل ذكراً للسياق من كتب الوجوه والنظائر .(١)

ومن أهم المؤلفات فيه:

تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، المتوفى سنة ست وسبعين ومائتين .

قال ابن قتيبة – رحمه الله – : في مقدمة تفسير غريب القرآن : " وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين ، وكتب أصحاب اللغة العالمين ، لم نخرج فيه عن مذاهبهم ولا تكلّفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم ، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة ، وأشبهها بقصة الآية ." (٢)

ومن أشهر مؤلفات غريب القرآن : مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ، المتوفى في حدود سنة خمس وعشرين وأربعمائة (٣).

وقد امتدح العلماء الراغب في مفرداته **فقال الزركشي –رحمه الله–** :"ومن أحسنها[كتب الغريب] كتاب المفردات للراغب ، وهو يتصيد المعاني من السياق ؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة"(٤).

وقال : في تفسير ما لم يرد فيه نقل : " وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ، من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق ، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ ؛ لأنه اقتنصه من السياق ."(٥)

وقال السيوطي –رحمه الله– : " و أمّا ما لم يرد فيه [أي التفسير] نقل : فهو قليل ، وطريق

---

(١) انظر مقدمة تحقيق هند شلبي ، على كتاب التصاريف ، ليحيى بن سلام صفحة (٤٠) .

(٢) تفسير غريب القرآن صفحة (٤) وقصة الآية :سياقها .

(٣) انظر مقدمة تحقيق المفردات لصفوان داوودي صفحة (٢٥) .

(٤) البرهان للزركشي (٣٩٤/١) .

(٥) البرهان في علوم القرآن (٣١٣/٢) .

التوصل إلى فهمه : النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ، ومدلولاتها ، واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً ، في كتاب المفردات ، فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة ، في تفسير مدلول اللفظ ؛ لأنه اقتضاه السياق ." (١)

وإليك هذا المثال من كتاب المفردات في غريب القرآن :

قال الراغب -رحمه الله- : في مادة سخر :" والسُّخرية والسِّخرية : لفعل الساحر، وقوله تعالى:﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾ [المؤمنون: ١١٠] و ﴿ سِخۡرِيًّا ﴾ (٢) فقد حمل على الوجهين : على التسخير ، وعلى السُّخرية قوله -تعالى-: ﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ (٦٢) أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾[ص: ٦٢-٦٣] ويدل على الوجه الثاني :قوله بعد :﴿ وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ (١١٠) ﴾ [المؤمنون: ١١٠] "(٣) .

وهذا يدلّ على أن مؤلفي كتب الغريب يذكرون المعاني المتعددة - وقد تكون قراءات - ويرجّحون أحدها على الآخر في أحيان ، بدلالة ما قبل الكلام ، وما بعده .

فهذه المؤلفات في العلمَين الماضيين ، من علوم القرآن ، متصلة بدلالة السياق ارتباطاً وثيقاً :

فالوجوه والنظائر تجمع الألفاظ المشتركة لفظياً ، وتبين ما حصل من اختلاف بينها في المعنى، إما بسبب اتساع اللغة ، أو اختلاف السياق القرآني (٤) ؛ مما أدى إلى اختلاف اللفظ الواحد ، باختلاف موقعه بين الجمل ، واختلاف الحكمة من سياقه .

وكتب غريب القرآن : تأتي باللفظة الغريبة ، وتذكر ورودها في الآيات ، وما صار عليها من معاني ، مع مراعاة ما يؤثر على المعنى من سياق ونحوه ، كما في المثال السابق من مفردات الراغب -رحمه الله- ، الذي تميّز باقتناص معنى المفردة من خلال سياقها ، ففاز بقصب السبق في دقة المعاني ، وحسن التفسير .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١٢١٧/٢) .

(٢) قرأ بضم السين : بضم السين نافع وحمزة والكسائي وأبوجعفر ، والباقون بالكسر ، إتحاف فضلاء البشر (٣٢١) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن صفحة (٤٠٢) .

(٤) انظر الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للدكتور سليمان القرعاوي صفحة (٣) ، وقد ذكر هذا في سبب اختلاف المؤلفين في الوجوه والنظائر .

المطلب الرابع : اهتمام العلماء بالمناسبات ، وتنبيههم على دورها في إظهار المعنى :

إن اهتمام العلماء بالمناسبات واضح في مؤلفاتهم ، **فقد أفرده أبو جعفر بن الزبير**(١) – **شيخ أبي حيان** (٢)– وسماه البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن ، **وبرهان الدين البقاعي**(٣) في نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، **والسيوطي** في تناسق الدرر في تناسب السور ، وقد اختصره من كتابه أسرار التنزيل .(٤)

ومن المؤلفات المعاصرة : في المناسبات بين السور كلها : "جواهر البيان في تناسب سور القرآن " **للشيخ عبد الله بن محمد الصدِّيق الغماري** (٥).

والشيخ **محمد عبد الله دراز** (٦) –رحمه الله– تعرض لتناسب الآيات في سورة البقرة في كتابه

---

(١) أبو جعفر ، هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، محدّث نحوي أصولي أديب مقرئ مؤرخ ، كان محدّث الأندلس بل المغرب في زمانه ، صنّف تعليقاً على كتاب سيبويه ، والذيل على الصلة ، والبرهان ، توفي سنة ثمان وسبعمائة . انظر بغية الوعاة(٢٩١/١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٨٦/٢) .

(٢) هو أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ، مقرئ محدث مفسر لغوي ، له مصنفات ، منها البحر المحيط ، والنهر المادّ ، وله منظومة في القراءات هي أسهل وأخصر من الشاطبية ، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة . انظر الدرر الكامنة (٧٠/٥) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٨٦/٢) .

(٣) هو برهان الدين ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، نسبة لبقاع في الشام ، ولد سنة تسع وثمانمائة ، له نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ومصرع التصوف ، وغيرهما ، توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة. انظر التاج المكلل صفحة (٣٥٨) .

(٤) انظر الإتقان للسيوطي (٩٧٦/٢) .

(٥) وهو مؤلف معاصر ، له تآليف أخرى منها : فضائل القرآن ، وكتاب الأذكياء .

(٦) هو محمد عبد الله دراز ، ولد بمصر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف ، ووالده شيخ دمياط الذي شرح الموافقات، حضّر الشيخ محمد الماجستير بعنوان : المدخل إلى القرآن ، والدكتوراه بعنوان : دستور الأخلاق في القرآن ، باللغة الفرنسية ، توفي في باكستان ، أثناء حضور المؤتمر الإسلامي ، سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وألف . انظر مقدمة محقق كتاب النبأ العظيم الدخاخيني صفحة (و–ح) .

"النبأ العظيم" .(١)

قال البقاعي -رحمه الله- : في المناسبات " علم تعرف منه علل الترتيب ، وموضوعُه : أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب ، وثمرتُه : الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب...وتتوقف الإجادة فيه على : معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها ؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة ، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة البيان من علم النحو ".(٢)

ويقول أيضاً : "إن معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن ، مترتبة على معرفة الغرض أو الأغراض التي سيقت لها السورة ".(٣)

والحقيقة أن معرفة مقصود السورة ناتج من معرفة مناسبات الآيات لا العكس .(٤)

وقد نبّه العلماء على دور المناسبات في إظهار المعنى والإعجاز ،فقال السيوطي–رحمه الله : "وفائدته – أي : علم المناسبة -: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "(٥).

وكيف لا تكون المناسبات مهمة ! وهي الطريق الأقرب في معرفة السياق ودقائقه ، إذ أن السياقات لا تعرف إلا بعد معرفة المناسبات -على الصحيح-؛ إذ لا يمكن من أول وهلة أو لمحة أن تعرف سياق السورة ، بل بالتأمل الكثير في مرحلة نزولها ، وما بين مقاطع السورة ، وانتقالاتها ، وتعقيباتها ؛ يظهر ما سيقت له .

وعلى المفسر أن يعلم أن الفاصل الزمني بين نزول الآيات لا دخل له في موضوع السورة وهدفها ؛ إذ أنها كما قال الأستاذ محمد عبد الله دراز -رحمه الله- :"وإن كانت بعد تنزيلها جمعت

---

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي ، لأستاذنا الدكتور مصطفى مسلم ، صفحة (٦٧) .

(٢) نظم الدرر (١/٥-٦) .

(٣) نظم الدرر (١٧/١) .

(٤) انظر منهجية البحث في التفسير الموضوعي صفحة (١٠٢-١٠٣) ، للدكتور زياد الدغامين .

(٥) الإتقان (٩٧٨/٢) .

عن تفريق ، فلقد كانت في تنـزيلها مفرقة عن جمع ، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده ، فلما أريد نقله بصورته إلى مكان غير مكانه قدرت أبعاده ، ورقّمت لبناته ، ثم فُرِّق أنقاضاً ، فلم تلبث كل لبنة أن عرفت مكانها المرقوم ، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً ، يشد بعضه بعضاً ، كهيئته أول مرة "(١).

وإذا نظر المتأمل إلى أنواع التفسير الموضوعي كلها – سواء كان بالنظر للموضوع ، أو الكلمة، أو للسورة الواحدة – علم أهمية معرفة السياق للآيات ، حتى يتمكن المفسر من ربط المواضع المجموعة من القرآن ، أو المقاطع في السورة ؛ لتفسير كلام الله – عز وجل –على وجه يبدو منه رونق القرآن ، ونظمه العجيب ، وبلاغته المعجزة ، واضحة ناصعة .

الخلاصة : كل ما سبق في هذا المبحث ، يدل على أهمية السياق سواء : حين تذكر أقوال العلماء في اعتماده ، أوحالهم حين يختلفون ، فتجدهم في أحيان يرجعون إلى السباق واللحاق ، أو حين تلحظ كثرة مؤلفات العلماء ، في علم الوجوه والنظائر ، وغريب القرآن، وهما وثيقا الاتصال بالسياق، –وقد اتضح ذلك بذكر الأمثلة–، ثم أخيراً بذكر علم المناسبات ، وحال العلماء في محاولة إظهارها ، وإبرازها للعيان ، وقد ألفت فيه المؤلفات مستقلة أحياناً ، ومقترنة في أحيان أخرى بالتفسير للقرآن الكريم .

---

(١) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز –رحمه الله– صفحة (١٩٤–١٩٥) .

المبحث الثالث : أسباب الاعتماد على دلالة السياق القرآني :

لو سألت عن : سبب الاعتماد على السياق ، وما هي موجبات تحديد المعنى بموافقة سياق الكلام ؟ ، وهل هناك علل أو حكم تحتم علينا اعتبار دلالاته ؟ ، وردّ ما يخالفه ؟.

فالجواب على ذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول : أن السياق ضرورة لغوية .

المطلب الثاني : الاهتمام بالسياق يجعل الكلام منتظماً متّسقاً .

المطلب الثالث : إظهار الإعجاز البياني في القرآن .

المطلب الأول : أن السياق ضرورة لغوية :

إن وجوب تتبع دلالات السياق ضرورة لغوية صِرفة ، لا يمكن تجاهلها أو التقليل من شأنها ؛ إذ أن كل لغة لا تفهم على وجهها ، إلا بجعل ما يحيط بالكلام المفسَّر أساسا لإدراك معناه المراد منه .

ثم إن شأن اللغة العربية أكبر من غيرها ؛ لكثرة أغراضها ، وتنوع أساليبها ، وسعة معانيها .

وهذه الصفات للغة العرب ، سبب لاختلاف العلماء في جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات،(١) والراجح : أن ترجمة اللغة العربية إلى غيرها غير ميسورة ، فقد نقل **الأستاذ مناع القطان -رحمه الله-** (٢) عن **الزمخشري** (٣) في الكشاف قوله : " إنّ في كلام العرب -خصوصاً في القرآن - من لطائف المعاني ما لا يستقل بأدائه اللسان " (٤)وحتى المعاني الأصلية لا تخلو ترجمتها من فساد؛ لتعدد المعاني في القرآن للمفردة الواحدة ، بخلاف اللغة المترجم إليها ، ثم رجح أن الترجمة السليمة الكاملة

---

(١) انظر الموافقات (٢/١٠٦-١٠٧) للشاطبي ، تحقيق علي حسن عبد الحميد .

(٢) هو أبو محمد ، مناع بن خليل القطان ، ولد بمصر سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف ، وكانت له مشاركة مع جماعة "الإخوان المسلمون" ، وشارك في حرب فلسطين ١٩٤٨م ، صحب الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- ، وأُعير للتدريس بالمملكة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف ، ودرّس في المعاهد العلمية ، ثم كلية الشريعة ثم المعهد العالي للقضاء، وصار مديراً له سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وألف ، له مؤلفات قيمة ، منها : مباحث في علوم القرآن، وتفسير آيات الأحكام ، وغيرهما . انظر علماء ومفكرون عرفتهم صفحة (٤٤٧-٤٥٩) لمحمد المجذوب -رحمه الله- ، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/٤٧٠) ، درّس الشيخُ مناع كاتبَ هذه السطور ، فكان -رحمه الله- متميزاً في أسلوبه ، دقيقاً في عباراته ، على درجة عالية من حسن الحوار ، وتقويم الأقوال ، وحسن الأخلاق ، توفي يوم الاثنين ، السادس من شهر ربيع الثاني ، سنة عشرين وأربعمائة وألف . -رحمه الله - ودفن في الرياض .

(٣) هو جار الله ، أبو القاسم ، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ، مفسر محدث نحوي أديب ، ولد سنة سبع وستين وأربعمائة ، معتزلي مجاهر وداع لبدعته ، وتفسيره الكشاف على هذا فليقرأ على حذر ، ومن مؤلفاته : أساس البلاغة ، والمفصّل في النحو ، والفائق في تفسير غريب الحديث ، توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . انظر وفيات الأعيان (٥/١٦٨) ، وطبقات المفسرين للسيوطي صفحة (١٠٤) ، وبغية الوعاة (٢/٢٧٩) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/٣١٤) .

(٤) مباحث في علوم القرآن صفحة (٣٢٥) لمناع القطان ، طبع مكتبة المعارف الطبعة الأولى المجددة ١٤١٣هـ ، وقد حاولت الوصول إلى هذا المنقول عن تفسير الزمخشري فلم أتمكن .

لمعاني القرآن غير ممكنة ، وإنما يرخص فيها بمقدار الضرورة كأصول الدين ، ومن أراد الزيادة فليتعلم اللسان العربي (١).

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن صفحة (٣٢٥-٣٢٦) بتصرف .

المطلب الثاني : الاهتمام بالسياق يجعل الكلام منتظماً متّسقاً :

وأولى كلام يجب أن يفهم على هذا النحو كلام الله – عز وجل – ، وحين يُعْرِض المفسر عنه، أو يغفل ، أو يتمحّل وجهاً بعيداً عن السياق ؛ فإنه يجعل الكلام متنافراً مع ما قبله ، أو ما بعده ، منقطعة أجزاؤه ، بعيدة علاقاته ، وذلك ممتنع في كتاب الله –عز وجل؛ لذهاب جمال القرآن وإعجازه، وانتظام جمله وآياته ، بهذا التعامل الخاطئ .

فلما كان ذا حصيلة الميل عن دلالات السياق ، تبين أن الاهتمام به مورث لنقيضه، وبضدها تتميز الأشياء .

قال الإمام مالك –رحمه الله– : لما سأله ابن وهب عن قول الله -تعالى-:﴿ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩] قال : " راكباً وماشياً ، لو كانت إنما عني بها الناس ؛ لم تأت إلا رجالاً ، وانقطعت الآية ، إنما هي رجال : مشاة ؛ وقرأ :﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [الحج: ٢٧] قال: يأتون مشاة وركباناً ." (١)

فاستدل الإمام مالك –رحمه الله– بالركبان على معنى الرجال ؛ لعدم وجود الفائدة اللغوية الفصيحة التي تدل على زيادة الركبان ، لو كان معنى الرجال عموم الناس .

ويقول ابن جرير –رحمه الله – مرجّحاً لقول في قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣] "[**قال أبو جعفر** : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾] معترَضاً به ، وسائر الكلام متّسقٌ على سياقٍ واحدٍ...وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال ؛ لأنه أصحها معنى، وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب ، وأشدها اتّساقاً على نظم الكلام وسياقه ، وما عدا ذلك من القول فانتزاع يبعد من الصحة ، على استكراه شديد للكلام."(٢)

---

(١) انظر جامع البيان (٢/٥٩٠) ، وتحقيق شاكر (٥/٢٤٤) .

(٢) جامع البيان (٣/٣١٣-٣١٤) ، وتحقيق شاكر (٦/٥١٥-٥١٦) ، وانظر مثله في النساء (٦٥) ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٦٢) .

المطلب الثالث : إظهار الإعجاز البياني في القرآن :

لقد امتاز القرآن الكريم بالجزالة في الألفاظ ، والتناسق في الترتيب ، مما بهر فصحاء العرب ، سواء في مبادئ الآيات ومقاطعها ، أو في ترابط الآيات واتساقها ، فوجدوه على أكمل نظام ، وأتم إتقان .

وإن كل مفسِّر للقرآن يراعي سياق الآيات ، فهو بلا شك يعتبر موضحاً ومبيناً لوجوه من بلاغة القرآن وبيانه وبديعه ؛ لأن الاهتمام بالسياق يوصل إلى المعنى الصحيح المقصود ، وأيضاً يظهر جمال القرآن في نظمه ، وإعجازه في بيانه ، وحين يبعد المفسر عن تتبع السياق ، فإن مآل تفسيره إلى غلط ونقص ، ثم يرجع في النهاية إلى تشويش إعجاز القرآن الكريم البياني على المخاطبين .

وقد ظهر الإعجاز البياني جلياً ، في كتب المتشابه من القرآن : وهي كثيرة منها :

البرهان في توجيه متشابه القرآن ، **لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني** ، المتوفى في حدود سنة خمسمائة .

ودرة التنزيل وغرة التأويل في المتشابه ، **لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي** ، المتوفى سنة ست وستمائة .

وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، **لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي**،المتوفى سنة ثمان وسبعمائة .(١)(٢)

فالمؤلفون في متشابه القرآن يعمدون إلى السياق غالباً ؛ للتعرف على سبب الاختلاف بين آية وأخرى ، في الترتيب ، أو المبنى أو نحو ذلك من الاختلاف .

---

(١) هو صاحب غرائب التفسير وعجائب التأويل ، وأسرار التكرار في القرآن ، والمشهور أن وفاته حدود خمس وخمسمائة ، ولكن محقق غرائب التأويل يرجح أن وفاته بعد خمس وثلاثين وخمسمائة أو خلالها . انظر معجم الأدباء (١٢٥/١٩) ، وغاية النهاية (٢٩١/٢) ، والأعلام (٤٤/٨) ، وغرائب التفسير (٣٤/١) .

(٢) انظر الإتقان (٥٩٥/٢) ، وملاك التأويل طبع بتحقيق الدكتور سعيد جمعه الفلاح .

وإليك مثالاً موضحاً لدور السياق في بيان إعجاز القرآن ، والمثال من كتاب : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، وهو أحسن كتب المتشابه،[1] : قال –رحمه الله –: عند قوله –تعالى– في الانشقاق :﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ ﴾ [الانشقاق: ٢٢] وفي سورة البروج : ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ ﴾ [البروج: ١٩] " للسائل أن يسأل عن اختصاص الأول بقوله :﴿يُكَذِّبُونَ ﴾ بلفظ المضارع ، والثانية بقول :

﴿فِى تَكْذِيبٍ ﴾ بلفظ المصدر مع اتحاد المعنى المقصود ؟ والجواب عن ذلك – والله أعلم – أن آية الانشقاق تقدمها وعيد أخراوي ، كله لم يقع بعد ، وهم مكذبون بجميعه ، فجيء هنا باللفظ المقول على الاستقبال وإن كان يصلح للحال ؛ ليطابق الإخبار لأنه عما يأتي ولم يقع بعد ، فجيء بما يطابقه في استقباله ، فأما آية البروج فقد تقدمها قوله –تعالى–: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ ﴾ [البروج: ١٧] وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدم ومضى زمانه ، وهؤلاء مستمرون على تكذيبهم فقيل : ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ ...فجيء في كل من الآيتين بما يناسب ." [2]

وإبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم –المعجزة الخالدة – مهمٌّ في دعوة الناس إلى تصديق المعجزة الإلهية ، من جهة البيان الذي لا يأتي بمثله الخلق ولو اجتمعوا ، كما قال –تعالى–:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن المعلوم أن الناس عموماً لا بد من حاجتهم إلى تفسير ما يُشْكِل عليهم ، من كتاب الله ، ومرجعهم في ذلك التفاسير ، فعلى المفسر بيان الحق ، وتوضيح وجهه ، من غير توانٍ في إظهار عظمة نظمه ، ودقة ترابطه ، وجمال حبكه ؛ علَّ ذلك أن يكون سبباً في رسوخ إيمان المؤمنين ، ودخول طالبي الحق المبين هذا الدين .

يقول الشيخ محمد عبد الله دراز –رحمه الله– في وصف ترابط القرآن : إنه كالبنيان، وانتقاله بين الآيات كانتقاله بين حجرات البناء وفنائه ، بل إن معاني القرآن في السورة متناسقة ليس كذلك

---

(١) انظر الإتقان (٢/٥٩٥) .

(٢) ملاك التأويل (٢/١١٤١-١١٤٢) ، لأحمد الغرناطي ، تحقيق سعيد الفلاح .

فحسب ، " بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان ، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما ، كما يلتقي العظمان عند المفصل ، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب ، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب ، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين ، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً ، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد ، مع اختلاف وظائفه العضوية " (١).

---

(١) النبأ العظيم صفحة (١٩٥-١٩٦) .

المبحث الرابع: دلالة السياق القرآني ، وعلاقتها بتفسير القرآن بالقرآن :

لقد كانت طرق المفسرين في التفسير كثيرة ومتنوعة ، وإذا تأملنا تفاسير السلف خاصة ، نجد طرقهم في التفسير متنوعة ، أشهرها :

١-تفسير القرآن بالقرآن .

٢- تفسير القرآن بالسنة.

٣-تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤-تفسير القرآن باللغة العربية.

وأصح هذه الطرق وأقواها، تفسير القرآن بالقرآن ؛ لأن القرآن كلام الله – سبحانه وتعالى –، وأوضح بيان لأي كلام تبيين صاحب الكلام .

وتفسير القرآن بالقرآن تتعدد أنواعه ومنها :

١- آية مخصصة لعموم أخرى :

كما في قوله -تعالى-: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤] عموم يدخل فيه كل والد : مسلماً كان أم كافراً ، والآية خطاب للنبي- ﷺ - ووالداه مشركان (١). وخص بقوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ

---

(١) ودليل موت والدي النبي ﷺ على الشرك : ما رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا قرابة المقربين ، عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله : أين أبي ؟ قال : "في النار " ، فلما قفّى دعاه فقال "إن أبي وأباك في النار" ، (١٩١/١) رقم الحديث (٢٠٣) ، قال النووي في شرحه : " وفيه : أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار ، وليس هذا مؤاخذة قبل بلاغ الدعوة ، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم –"، (٧٩/٣) ، وفي مسند أحمد (٣٥٩/٥) رقم (٢٣٠٨٨) قال ﷺ : "سألت ربي –عز وجل- أن يأذن لي في زيارة قبر أم محمد ، فأذن لي ، فسألته أن يأذن لي فأستغفر لها فأبى.." الحديث ، وبنحوه عند ابن جرير بإسناد صحيح . انظر تحقيق شاكر (٥١٢/١٤) عند تفسير الآية (١١٣) من التوبة .

أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التوبة: ١١٣] فالأمر بالاستغفار في الآية الأولى : ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ خاص بالوالدَين المسلمَين ؛ بدليل النهي عن الاستغفار للمشركين في الآية الثانية .

٢- آية مبيّنة لإجمال أخرى :

ففي قوله -تعالى-: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١] إجمال ، فالمتلو علينا في هذه الآية غير واضح ، ولكن بيّنه الله – سبحانه – في السّورة نفسها ، بقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] (١) .

وقوله : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧] أبهم المنعم عليهم ، وقد بيّنه في قوله : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩] (٢).

٣-آية مقيّدة لإطلاق أخرى :

في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الشورى: ٥] إطلاق لمن في الأرض ، فيدخل المؤمن والكافر ، ولكن قيّد الإطلاق قولُ الله -عزّ وجـــلّ- : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا﴾ [غافر ٧-٩] الآيات ، فأخرجت الكافر فلا تستغفر له الملائكة .

٤ – تفسير لفظة غريبة في آية ، بأشهر منها في آية أخرى :

– في حجارة قوم لوط قال -تعالى-:﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ۝٨٢﴾ [هود: ٨٢] فكلمة ﴿سِجِّيلٖ﴾ غريب معناها ، وحكى الله -عز وجل – عن الملائكة في سورة الـــذاريات : أن المراد بكلمة : ﴿سِجِّيلٖ﴾ الطين ، فقـــال : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ۝٣٣﴾

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني (٨/٢) ، طبعة دار المعرفة ببيروت .

(٢) أضواء البيان (١١/١) .

[الذاريات: ٣٢ – ٣٣] فكان فيها توضيح لمعنى : سِجّيلٍ (١).

٥ – تفسير معنى آية بأخرى :

–قال –تعالى–: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النســاء: ٤٢] فمعنى التسوية :أن يكونوا تراباً مع الأرض ، ويوضح هذا المعنى قوله سبحانه :﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبا: ٤٠] (٢).

هذه بعض أنواع تفسير القرآن بالقرآن ، ووقوع التفسير بها ؛ لأنه تبيين الإشكال ودفعه في الآية بآية أخرى ، وغالباً ما يكون هذا التّفسير في سورٍ متفرِّقةٍ ، والرَّابط بين الآية المفسِّرة والمفسَّرة : هو الموضوع ، أو الكلمة المفردة .

ولكن هناك نوعٌ من تفسير القرآن بالقرآن ، يتميَّزُ بكونه في السّورة الواحدة ، بل في الآيات المتوالية ، وإن شئت فقل في الجملة الواحدة من الآية الكريمة . وهو ما سبقت تسميته بالسياق : بيان اللفظ أو الجملة في الآية ، بما لا يخرجه عن السابق واللاحق ، إلا بدليل صحيح يجب التسليم له ، كما سيأتي تفصيله في القواعد – إن شاء الله –.

ومما يتميز به هذا النوع كثرة وروده في الآيات بل هو لا ينفك عنها بطبيعة اللغة، وأيضاً : لا نزاع في اتصاله بما قبل وبما بعد ، بخلاف ما سبق من الأمثلة فبينهما اختلاف في الموضع من القرآن ، فقد يقال باختلاف المعنى بين الموضعين فيمتنع تفسير هذا بذاك .

ومن الأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن في السورة الواحدة :

قوله –تعالى–: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٨١] ففي هذه الآية دليل على أن معنى السيئة هنا : ليس المعنى العام ، وإنما أراد بها الشرك بدليل قوله بعدها: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٢) ، وأضواء البيان (٢٤/١) ، طبع عالم الكتب ببيروت .

(٢) وانظر تفسير القرآن العظيم (٤٧٣/١) ، وانظر موضوع مصادر التفسير ، للشيخ مساعد بن سليمان الطيار ، في مجلة البيان العدد (٩٥) صفحة (٢٠) ، بتصرف واختصار .

[البقرة: ٨٢]" فكان معلوماً بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات ، غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان ."(١)

وهذا التفسير للسيئة مقتبس من سياق الآيتين ونظمهما معاً .-والله أعلم -.

ومن قول الله -تعالى- : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة: ٤٥] **استدلّ أبو حنيفة - رحمه الله-**: على أن المسلم يقتل بالكافر ؛ بدليل العموم في النفس ، وفي آخر الآية ما ينقضه ، وهو قوله : ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾[المائدة: ٤٥] فهي قرينة على عدم دخول الكافر؛ لأن صدقته لا تكفر عنه شيئاً ، إذ لا تنفع الأعمال الصالحة مع الكفر .(٢)

فانظر إلى سياق الجمل كيف يفسر بعضه بعضاً .

وفي قوله -تعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾ [المائدة: ٩٥] قال مجاهد : " متعمداً لقتله ناسياً لإحرامه " (٣)، ولكن قوله في آخر الآية: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾[المائدة: ٩٥] دليلٌ على أنه مرتكب لمعصية ، و الناسي لإحرامه غير مرتكب إثماً ، حتى يقال فيه : ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾(٤).

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تبين وجه ارتباط السياق بتفسير القرآن بالقرآن ، وأثره في بيان الصحيح ، ورد ما يلزم منه إهمال سياقات الكلام ، بل هي أكثر وأقوى في الاستدلال غالباً من التفسير للآية بآية في سورة أخرى ، كما ذكرت سابقاً -والله أعلم- .

---

(١) جامع البيان (٤٢٩/١) ، وتحقيق شاكر (٢٨٢/٢) .

(٢) انظر أضواء البيان (١٣/١-١٤) .

(٣) جامع البيان (٤٢/٥) ، وتحقيق شاكر (٩/١١) .

(٤) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٤/١) للشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- .

الفصل الثاني

طريقة تناول ابن جرير لدلالة السياق القرآني :

وفيه تسعة مباحث :-

المبحث الأول : الأصل أن الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه.

المبحث الثاني : إذا تتالت كلمتان والثانية نعت فإنها تحمل على سابقتها .

المبحث الثالث : أولى تفسير للآية ما كان في سياق السورة .

المبحث الرابع : النظر إلى ابتداء الآيات معين على معرفة مناسبة خاتمتها.

المبحث الخامس : إذا لزم من تفسير الآيات التكرار الذي لا معنى له ، فذلك خُلفٌ ينزّه القرآن عنه .

المبحث السادس : يختار من المعاني ما اتسق وانتظم معه الكلام .

المبحث السابع : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم .

المبحث الثامن : الأولى في التفسير أن يكون الوعيد على ما فتح به الخبر من الفعل المذكور السابق .

المبحث التاسع : لا يفسر السياق إلا بالظاهر من الخطاب .

مدخل للقواعد:

حين يسترسل القارئ لجامع البيان ، للإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – ، يرى كل قول ومعه دليله أو تعليله ، ويجد الاستدلال في كلامه ظاهرة غير متكلفة ، ولو جمعت نظائر هذا القول وما في معناه ، لحصل لديك الجزم بأنها قواعد حرص الإمام على تطبيقها، وهذه القواعد ينصّ عليها بلفظها أو معناها في مواضع ، ولا يذكرها في أخرى ، ولكن يحصل عند المتأمل استحضار القاعدة فيما شابهها من المواضع ؛ لأن طريقة الإمام واحدة في التفسير كله غالباً .

ولقد كانت القواعد التي سار عليها الإمام – فيما يخص بحث هذه الرسالة وهو ما يتعلق بدلالة السياق القرآني حسب حصري لها – تسع قواعد جمعت في هذا الباب : واختصت كل قاعدة بمبحث، محاولة لتأصيل وتقعيد منهج الإمام ابن جرير –رحمه الله– في التعامل مع السياق ، وهي كالتالي : –

المبحث الأول : الأصل أن الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه .

المبحث الثاني : إذا تتالت كلمتان والثانية نعت فإنها تحمل على سابقتها .

المبحث الثالث : أولى تفسير للآية ما كان في سياق السورة .

المبحث الرابع : النظر إلى ابتداء الآيات معين على معرفة مناسبة خاتمتها .

المبحث الخامس : إذا لزم من تفسير الآيات التكرار الذي لا معنى له ، فذلك خُلفٌ ينزّه القرآن عنه.

المبحث السادس : يختار من المعاني ما اتسق وانتظم معه الكلام .

المبحث السابع : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم ، بل يدخل من يشابههم .

المبحث الثامن : الأولى في التفسير أن يكون الوعيد على ما فتح به الخبر من الفعل المذكور السابق .

المبحث التاسع : لا يفسر السياق إلا بالظاهر من الخطاب .

وكل قاعدة كما ترى أُفردت في مبحث مستقل ؛ ليتمَّ النظر إليها ، وإلى تطبيقاتها بشيء من التفصيل ، عسى أن تتضح في الأذهان ، وتستعمل في تفسير القرآن ، وغيره من البيان .

المبحث الأول: الكلام على اتصال السياق، ما لم يدل دليل على انقطاعه:

تلاحظ في هذه القاعدة ، أنها تعتبر السياق أياً كان متصلا ، ولا يقال بانفصاله عما قبله ، أو عما بعده ، إلا بدليل على الانقطاع ، وهذه القاعدة هي أساس التفسير بالسياق ، وقد كانت عمدة للإمام في مواضع كثيرة جداً يتعذّر حصرها .

وبعد جمع المواضع التي استعمل ابن جرير فيها هذه القاعدة ، صنفت ما يتعلق بالقاعدة فظهرت هذه التفريعات وجعلتها في مطالب :

المطلب الأول : نصّ القاعدة ، وطريقة تعامل الإمام مع الجمل المعترضة .

المطلب الثاني : أدلة اتصال السياق مما نصّ عليه الإمام الطبري –رحمه الله – : وهي : الذين، وإذ ، والضمير ، وعند ، وحتى ، والاستثناء ، وأم ، وبل ، والعطف، والتعليل ، والاستفهام ، وذلك ، وتلك ، وكذلك .

المطلب الثالث : أدلة انقطاع السياق مما نصّ عليه الإمام الطبري –رحمه الله– : نصّ الآية، والسنة، والإجماع ، وأقوال الصحابة ، وسبب النزول ، وترجيح المعنى الأغلب ، والاستئناف ، واللغة ، والإعراب .

المطلب الرابع : مواضع محتملة لاتصال السياق وانقطاعه .

المطلب الخامس : مواضع لم يطبق فيها الإمام قاعدة اتصال السياق .

المطلب الأول : نصّ القاعدة :

يفسّر كلام الله –عز وجل– على اعتبار كون الكلام الأول وما بعده في موضوعٍ واحدٍ ، وجنسٍ واحدٍ ، ولا يقال بانقطاعه عما قبله أو ما بعده إلا بدليل ، وقد نصّ الإمام على هذه القاعدة في الآية الواحدة مع جملها ، وبين الآيات المتعددة ، وإليك الأمثلة على النوعين :

أولا : نصّ الإمام على اعتبار كون الكلام الأول وما بعده في موضوع واحد ، وجنس واحد، ولا يقال بانقطاعه عما قبله أو ما بعده إلا بدليل في الآية الواحدة : جاء نصّ ابن جرير– رحمه الله – على القاعدة في آية واحدة بالنظر إلى جملها نظر الترابط فيما بينها ، وتكميل بعضها لبعض معنى موضوعٍ واحدٍ ، وسأعرض لهذا فيما يلي معنوناً لها بالفوائد .

فوائد استعمال قاعدة اتصال السياق :

ولإظهار أهمية هذه القاعدة يحسن إيراد ما تحصل من فوائد تفسيرية لكلام الله الكريم ومن هذه الفوائد :

–أ– تحديد مرحلة نزول الآية .

–ب– تعيين المعنى للآية ، وتوضيح المراد منها .

–ج– تحديد المخاطب .

–أ– من فوائد استعمال قاعدة اتصال السياق في الآية الواحدة : تحديد مرحلة نزول الآية: كما في قوله:﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾[البقرة: ١٩٤] **قال –رحمه الله–:** "اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه : ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ **فقال بعضهم :** ...نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل...فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأعزّ الله سلطانه ، أمر المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى سلطانهم ، وأن لا يعدوَ بعضهم على بعض كأهل الجاهلية ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن قاتلكم أيها المؤمنون من المشركين فقاتلوهم كما قاتلوكم ،وقالوا :

أُنزلت هذه الآية على رسول الله- ﷺ -بالمدينة وبعد عمرة القضية[(١)]...قال مجاهد :...فقاتلوهم فيه كما قاتلوكم .

قال أبو جعفر : وأشبه التأويلين بما دلّ عليه ظاهر الآية : الذي حكي عن مجاهد ؛ لأن الآيات قبلها إنما هي أمر من الله للمؤمنين بجهاد عدوّهم على صفة ، وذلك قوله : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٠] والآيات بعدها ، وقوله : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ إنما هو في سياق الآيات التي فيها الأمر بالقتال والجهاد ، والله -جلّ ثناؤه- إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة ، فمعلوم بذلك أن قوله : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ مدني لا مكي ، إذ كان فرض قتال المشركين لم يكن وجب على المؤمنين بمكة ، وأن قوله : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ نظير قوله : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ وأن معناه : فمن اعتدى عليكم في الحرم فقاتلكم ، فاعتدوا عليه بالقتال ، نحو اعتدائه عليكم بقتاله إياكم ؛ لأني قد جعلت الحرمات قصاصاً ، فمن استحلّ منكم أيها المؤمنون من المشركين حرمة في حَرَمي ، فاستحلوا منه مثله فيه ."[(٢)] .

فكان ورود الآية بين آيات الجهاد باليد والآمرة بالقتال ، حاكماً على أن وقت نزولها ومعناها متصل مع تلك الآيات السابقة واللاحقة ؛ لأن الجهاد بالقتال لم يفرض إلا بعد مكث النبي- ﷺ - بالمدينة زمناً ، وأما بمكة وأول المقام بالمدينة فالمشروع هو : كف الأيدي ، والعفو حتى يأتي الله بأمره[(٣)].

---

(١) عمرة القضية في السنة السابعة من الهجرة ، وتسميتها من الاقتضاء ؛ ولذلك تسمى عمرة القصاص ، فهي مقاصة للكفار الذين منعوه عام الحديبية في السنة السادسة ، وأقام النبي - ﷺ - بمكة ثلاث ليال . انظر السيرة النبوية لابن هشام (١٢/٤) ، ومختارات من زاد المعاد لابن عثيمين صفحة (١٠١) .

(٢) جامع البيان (٢٠٥/٢) ، وتحقيق شاكر (٥٨٠/٣) .

(٣) انظر الآيات الآمرة بكف الأيدي والعفو : في البقرة (١٠٩) ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ، والنساء (٧٧) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الآية ، والجاثية (١٤) ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ وغيرها وراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -

-ب- ومن فوائد استعمال اتصال السياق في الآية الواحدة : تعيين المعنى : ففي قوله -تعالى- : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾[الأعراف: ١٨٧] **قال -رحمه الله-:** "اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك [أي : في معنى ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾] ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ثقلت الساعة على أهل السماوات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها ؛ لخفائها عنهم ، واستئثار الله بعلمها...وقال آخرون : معنى ذلك : أنها كبرت عند مجيئها على أهل السماوات والأرض...وقال آخرون : معنى قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ : على السماوات والأرض...

قال أبو جعفر:وأولى ذلك عندي بالصواب:قول من قال:معنى ذلك : ثقلت الساعة في السماوات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها ؛ لأن الله أخفى ذلك عن خلقه ، فلم يطلع عليه منهم أحداً ، وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ ، وأخبر بعده : أنها لا تأتي إلاّ بغتة ، فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق ، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك(١) .

فورود جملة بين جمل في موضوع معين ، ينبغي تفسير هذه الجملة بإلحاقها مع معنى الجمل الأخرى ، فهو أولى من غيره .(٢)

-ج- ومن فوائد استعمال اتصال السياق في الآية الواحدة : تحديد المخاطب : ففي تفسير

-

(جزء ٢/٥٠) طبع دار الكتب العلمية ، ومفاتيح الغيب للرازي (جزء ٢٢١/٣) طبع دار الكتب العلمية ١٤١١هـ .

(١) جامع البيان (١٣٧/٦-١٣٨) ، وتحقيق شاكر (٢٩٥/١٣) .

(٢) انظر في تحديد المعنى في الآية الواحدة : البقرة (٧٦) ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ جامع البيان (٤١٥/١) و(٢٨٠) ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ الآية ، جامع البيان (١١٤/٣) ، والنساء (٢) ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧٠/٣-٥٧٣) ، وهود (١١٤) ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ الآية جامع البيان (١٢٩/٧-١٣١) .

قوله –تعالى– : ﴿وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾[البقرة: ٢٨٢] الآية **قال –رحمه الله–** بعد أن ذكر الأقوال في تفسيرها : "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ بمعنى: ولا يضارّهما من استكتب هذا ، أو استشهد هذا، بأن يأبى على هذا إلا أن يكتب له وهو مشغول بأمر نفسه ، ويأبى على هذا إلا أن يجيبه إلى الشهادة وهو غير فارغ...وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره ؛ لأن الخطاب من الله –عز وجل– في هذه الآية من مبتدئها إلى انقضائها على وجه افعلوا أو لا تفعلوا ، إنما هو خطاب لأهل الحقوق ، والمكتوب بينهم الكتاب ، والمشهود لهم أو عليهم بالذي تداينوه بينهم من الديون ، فأما ما كان من أمر أو نهي فيها لغيرهم ، فإنما هو على وجه الأمر والنهي للغائب غير المخاطب ، كقوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وكقوله :﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾[البقرة: ٢٨٢] وما أشبه ذلك، فالوجه إذ كان المأمورون فيها مخاطبين بقوله:﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ بأن يكون الأمر مردوداً على المستكتب والمستشهد ، أشبه منه بأن يكون مردوداً على الكاتب والشهيد ، **ومع ذلك فإن الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيّين عن الضرار لقيل: وإن يفعلا فإنه فسوق بهما ؛ لأنهما الثان ، وأنهما غير مخاطبين بقوله :﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ بل النهي بقوله :﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ نهي للغائب غير المخاطب ، فتوجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية ، أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه .**"⁽¹⁾

وهكذا تكون الدقة في تتبع السياق ، بالنظر للأوامر ، فلما كان أصل الخطاب في الآية لأهل الحقوق بخطاب الحاضر ، ودخل معه خطابات للغائب ، فالأولى جعل الخطاب الحاضر لمن افتتح بهم الخطاب ، والغائب لغيره ؛ مراعاةً لاطّراد الأسلوب في الآية ، فهو أولى من نقضه وتغييره .

ودونك مثال آخر في المخاطب بقوله –تعالى– : ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة ٢٠] **قال –رحمه الله–** ": اختلف فيمن عنُوا بهذا الخطاب : فقال بعضهم : عُني به أمة محمد –ﷺ–...وقال آخرون : عُني به قوم موسى –ﷺ–...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ

---

(١) جامع البيان (٣/١٣٤-١٣٧) ، وتحقيق شاكر (٦/٩٠) .

﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، خطاب لبني إسرائيل، حيث جاء في سياق قوله : ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠] ومعطوفاً عليه ، ولا دلالة في الكلام تدلّ على أن قوله : ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مصروف عن خطاب الذين ابتدئ بخطابهم في أوّل الآية ؛ فإذا كان ذلك كذلك، فأن يكون خطاباً لهم أولى من أن يقال : هو مصروفٌ عنهم إلى غيرهم..."(١)

ثانياً : نصّ الإمام على اتصال السياق بين الآيات المتعددة :

وأما نصه على السياق المتصل بين الآيات المتعددة فكثير ، وسأعرض لهذه الأمثلة من خلال الفوائد التالية :

-أ- تحديد المعنى .

-ب- تحديد المخاطب .

-أ- أما تحديد المعنى : ففي قوله -تعالى- : ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦] **قال أبو جعفر -رحمه الله-** : "ومعنى ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة: ٢٦٤] ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ الآية... وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أموالهم رئاء الناس في هذه الآية ، نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله :﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ .

قال أبو جعفر : وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، إلا أن معاني قولهم في ذلك -

---

(١) جامع البيان (٥١١/٤-٥١٢) ، وتحقيق شاكر (١٦٤/١٠) . وانظر مواضع أخرى في البقرة (١٠٢) ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية ، جامع البيان (٥٠٧/١-٥٠٨) ، والنساء (٤) ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ جامع البيان (٥٨٣/٣-٥٨٤) .

وإن اختلفت تصاريفهم فيها – عائدة إلى المعنى الذي قلنا في ذلك ، وأحسنهم إبـــانة لمعناها وأقربهم إلى الصواب قولاً فيها : السدي[١]...[قال]: هذا مثل آخر لنفقة الرياء ، أنه ينفق ماله يرائي الناس به ، فيذهب ماله منه وهو يرائي ، فلا يأجره الله فيه ، فإذا كان يوم القيامة ، واحتاج إلى نفقته وجدها قد أحرقها الرياء ، فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت ، وكثر عياله ، واحتاج إلى جنته ، جاءت ريح فيها سَموم ، فأحرقت جنته، فلم يجد منها شيئاً ، فكذلك المنفق رياء...

[ثم قال أبو جعفر] : وإنما دللنا أن الذي هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه ؛ لأن الله –جـــلّ ثناؤه– تقدم إلى عباده المؤمنين بالنهي عن المنّ والأذى في صدقاتهم ، ثم ضرب مثلاً لمن منّ وآذى من تصدّق عليه بصدقة ، فَمَثَّله بالمرائي من المنافقين ، المنفقين أموالهم رئاء الناس ، وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظيرة ما ضرب لهم من المثل قبلها، فكان إلحاقها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مَثَلٌ ما لم يجر له ذكر قبلها ولا معها ." [٢]

يتضح من هذا التقعيد أن الأمثال المتوالية من غير فاصل تعتبر واحدة في معناهـــا ، ولا يقـــال بأنها: مثل لشيء لم يجر له ذكر في السياق ، – ويدخل غير الأمثال إذا اتَّحد الموضوع –؛ إذ الكـــلام على اتصاله محقق ، ما لم يدل دليل على انقطاعه .[٣]

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، أحد موالي قريش ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، كان إماما في الوقائع وأيام الناس، ومفسرا ، روى عن ابن عباس وأنس ، توفي سنة سبع أو ثمان وعشرين ومائة . طبقات ابـــن ســـعد (٦/٣٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤) ، وتهذيب التهذيب (١/١٥٨) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١/١٠٩).

(٢) جامع البيان (٣/٧٤-٧٨) ، وتحقيق شاكر (٥/٥٤١) .

(٣) وانظر مثله في النور (٣٥) ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية ، جامع البيان (٩/٣٢١) ، وهناك أمثلة أخرى على القاعدة عامة : مثل الأنعام (٨٩) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الآية جامع البيـــان (٥/٢٦٠-٢٦١)، والتوبـــة (١٢٢) ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ الآية ، جامع البيان (٦/٥١٦) ، وهود (٥) ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ الآية ، (٦/٦٢٧) ، و(١١٤) ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ الآيـــة ، جـــامع البيـــان (٧/١٣١) ، ويوسف (١١١) ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الآية ، جامع البيان (٧/٣٢٥) ، والنحل (٦٩) ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ الآية ، جامع البيان (٧/٦١٤) ، والحج (٧٣-٧٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا
-

وعند تفسير قوله –تعالى- : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء: ٨٥] **قال أبو جعفر** في تعيين معنى الشفاعة : "يعني بقوله –جلّ ثناؤه- : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ من يَصِرْ يا محمد شفعاً لوتر أصحابك ، فيشفعهم في جهاد عدوّهم وقتالهم في سبيل الله ، وهو الشفاعة الحسنة... ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً ﴾ يقول : ومن يشفع وتر أهل الكفر بالله على المؤمنين به ، فيقاتلهم معهم ، وذلك هو الشفاعة السيئة...وقد قيل : إنه عنى بقوله : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ الآية، شفاعة الناس بعضهم لبعض . وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا ، ثم عمّ بذلك كل شافع بخير أو شرّ، وإنما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك ؛ لأنه في سياق الآية التي أمر الله نبيّه – ﷺ – فيها بحضّ المؤمنين على القتال ، فكان ذلك بالوعد لمن أجاب رسول الله – ﷺ – ، والوعيد لمن أبى إجابته ، أشبه منه من الحثّ على شفاعة الناس بعضهم لبعض ، التي لم يجر لها ذكر قبل ، ولا لها ذكر بعد ."(١)

وقد أشار الرازي –رحمه الله– إلى حتمية تعلق الآية بالجهاد ؛ لئلا تنقطع الآية عما قبلها (٢) ، وقد يحمل المعنى على أن الآية مستأنفة ، سيقت لبيان ثواب النبي – ﷺ – من تحريضه المؤمنين على الجهاد .(٣)

وقد يقال : إنها عامة في كل شفاعة ، وتدخل الشفاعة في الجهاد دخولاً أوليًّا بدلالة السياق ، ولكن الأولى ما رجحه ابن جرير – رحمه الله – .

ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ الآيتين ، جامع البيان (١٩٠/٩) ، والأحزاب (٥٥-٥٦) ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾ الآيتين ، جامع البيان (٣٢٨/١٠)، والصافات (٢) ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ ﴾ جامع البيان (٤٦٨/١٠) .

(١) جامع البيان (١٨٨/٤) ، وتحقيق شاكر (٥٨٠/٨) .

(٢) مفاتيح الغيب (جزء١٠/١٦٥) .

(٣) انظر روح المعاني (١٤٣/٤) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧٤٨/١) تحقيق عبد القادر عطا .

–ب– وأما تحديد المخاطب : ففي قوله –تعالى– :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) ﴾ [البقرة: ١١٤] حدّد الخطاب بالنصارى والمسجد مسجد بيت المقدس ؛ بدلالة السياق : **فقال –رحمه الله–**: "اختلف في المعنيّ بالخطاب : فقال بعضهم : الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى ، والمسجد بيت المقدس...وقال آخرون : وهو بختنصر وجنده ، ومن أعانهم من النصارى، والمسجد بيت المقدس...وقال آخرون : بل عنى الله –عز وجل– بهذه الآية مشركي قريش ، إذ منعوا رسول الله – ﷺ – من المسجد الحرام...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية : قول من قال : عنى الله –عز وجل– بقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ النصارى ، وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس ، وأعانوا بختنصر على ذلك، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه ، بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده . والدليل على صحة ما قلنا في ذلك : قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها ، وأن لا مسجد عنى الله –عز وجل– بقوله : ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ إلا أحد المسجدين ، إما مسجد بيت المقدس، وإما المسجد الحرام ، وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام ، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله– ﷺ – وأصحابه من الصلاة فيه ، صحّ وثبت أن الذين وصفهم الله –عز وجل– بالسعي في خراب مساجده ، غير الذين وصفهم الله بعمارتها ، إذْ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية ، وبعمارته كان افتخارهم ، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم، وأخرى : أن الآية التي قبل قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذَمّ أفعالهم (١) ، والتي بعدها نبهت بذمّ النصارى ، والخبر

---

(١) وهي قوله –تعالى– : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) ﴾ [البقرة: ١١٣] .

عن افترائهم على ربهم، (١) ولم يَجْرِ لقريش ولا لمشركي العرب ذكر ، ولا للمسجد الحرام قبلها فيوجه الخبر – بقول الله –عز وجل– : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ – إليهم وإلى المسجد الحرام ، وإذْ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أَوْلى بالآية أن يوجه تأويلها إليه ، وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها ، إذ كان خبرها لخبرهما نظيراً وشكلاً، إلاّ أن تقوم حجّة يجب التّسليم لها بخلاف ذلك ، وإن اتفقت قصصها فاشتبهت ."(٢)

وعند قوله –تعالى– : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨) ﴾ [الأعراف: ١٩٨] **قال –رحمه الله–**:"...﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ وهذا خطاب من الله نبيّه – ﷺ –، يقول : وترى يا محمد آلهتهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ؛ ولذلك وحّد ، ولو كان أمر النبيّ –ﷺ – بخطاب المشركين لقال : وترونهم ينظرون إليكم . وقد رُوي عن السديّ في ذلك...[أنه] قال : هؤلاء المشركون . وقد يحتمل قول السديّ هذا أن يكون أراد بقوله : هؤلاء المشركون ، قول الله : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ ﴾ وقد كان مجاهد يقول في ذلك:... –: "...﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ما تدعوهم إلى الهدى .

---

(١) وهي قوله –تعالى– : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) ﴾ [البقرة: ١١٦] .

(٢) جامع البيان (١/٥٤٥–٥٤٧) ، وتحقيق شاكر (٢/٥٢٠) . وانظر سورة البقرة (١٧٧) ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ ﴾ الآية ، حامع البيان (٢/١٠٠) ، وآل عمران (١٧٩) ﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾الآية حامع البيان (٣/٥٢٩) ، و(١٨٨) ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) ﴾ حامع البيان (٣/٥٤٩) ، والأنعام (٦٥) ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ﴾الآية حامع البيان (٥/٢٢٣) ، و(٩١) ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ ﴾ الآية ، حامع البيان (٥/٢٦٢–٢٦٤) ، والأعراف (١٦٩) ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ الآية ، حامع البيان (٦/١٠٥) ، والأنفال (٦) ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦) ﴾ حامع البيان (٦/١٨٢–١٨٣).

وكأنّ مجاهداً وجّه معنى الكلام إلى أن معناه : وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون ، فهو وَجْهٌ ، ولكن الكلام في سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه."(١)

وعند تفسير قوله -تعالى- : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٢٦﴾ [الأنعام: ٢٦] **قال -رحمه الله -** : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله :﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ فقال بعضهم: معناه : هؤلاء المشركون المكذّبون بآيات الله ، ينهون الناس عن اتباع محمد- ﷺ -والقبول منه ، وينأون عنه : يتباعدون عنه...وقال بعضهم : بل معناه : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن القرآن أن يُسمع له ويعمل بما فيه...وقال آخرون : معنى ذلك : وهم ينهون عن أذى محمد -ﷺ - ، وينأون عنه : يتباعدون عن دينه واتّباعه...[فـ] ابن عباس يقول : نزلت في أبي طالب (٢)، كان ينهى عن محمد أن يُؤْذَى ، وينأى عما جاء به أن يؤمن به...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية : قول من قال : تأويله : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن اتباع محمد – ﷺ – من سواهم من الناس ، ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ عن اتباعه . وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به ، والخبر عن تكذيبهم رسول الله - ﷺ - ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ خبراً عنهم ، إذ لم يأتنا ما يدلّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم ، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدلّ على صحة ما قلنا ، من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله – ﷺ – ، دون أن يكون خبراً عن خاصّ منهم..."(٣)

فلا يقال : إن هذه الآية مخاطب بها فرد - كأبي طالب – مع أن سابقها ولاحقها على خطاب

---

(١) جامع البيان (١٥١/٦) ، وتحقيق شاكر (٣٢٤/١٣) .

(٢) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، ولد قبل الهجرة بخمس وثمانين سنة ،وهو الد علي ، وعم النبي-ﷺ -، وكافله ، ومربّيه ، وناصره ، دعاه الرسول – ﷺ – إلى الإسلام فامتنع ، ونزل فيه قول الله : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: ٥٦] ، توفي كافراً قبل الهجرة بثلاث سنين . انظر الأعلام للزركلي (٣١٥/٤) .

(٣) جامع البيان (٧١/٥-٧٣) ، وتحقيق شاكر (٣١١/١١) .

الجماعة ، إلا بدليل صارفٍ الخطابَ عنهم إليه .

فتبيّن مما مضى أن كل خطاب لمعيّن وما يتبعه من الجمل لا يصرف عنه إلى غيره إلا بدليل .

ولقاعدة الاتصال لابد من توضيح طريقة تعامل الإمام مع الجمل المعترضة :

كان عمل الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله– مع الجمل المعترضة فناً ؛ للوصول إلى التفسير السليم ، والمعنى الواضح ، فهو يختصر ما بين الجمل الطويلة ، للوصول إلى المعنى بكل وضوح ، كما في قوله –تعالى– :﴿ يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢ ﴾ [الحج: ١٢] **قال – رحمه الله –** : "يقول –تعالى ذِكْرُه– : وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة ، ارتد عن دين الله ، يدعو من دون الله آلهة لا تضرّه إن لم يعبدها في الدنيا ، ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها . ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ يقول : ارتداده ذلك داعياً من دون الله هذه الآلهة هو : الأخذ على غير استقامة ، والذهاب عن دين الله ذهاباً بعيداً ."(١)

فأعاد هذه الآية إلى ما عطفت عليه أول الكلام ، وهو الحديث عن حال من يعبد الله على حرف حال الفتنة بالضراء ، بعد ذكر حاله في السراء ، وحذف جملة : ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١ ﴾ [الحج: ١١] .

ولا يقال بالاعتراض إلا بدليل : ففي تفسير قوله –تعالى– :﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٢٨ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] **قال –رحمه الله –** :"...يعني بذلك –تعالى ذِكْرُه –: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم ، فإنهم ظالمون ، ليس لك من الأمر شيء ،فقوله :﴿شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ منصوب عطفاً على قوله :﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٢٧] ، وقد يحتمل أن يكون تأويله : ليس لك من الأمر شيءٌ حتى يتوب عليهم، فيكون نصب ﴿يَتُوبَ﴾ بمعنى «أو» التي هي في معنى : «حتى» .

---

(١) جامع البيان (١١٧/٩) . وانظر مثالين آخرين : في آل عمران (٣٥) ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٢/٣) ، والأحزاب (٢٤-٢٥) ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ ﴾ الآيتين ، جامع البيان (٢٨٢/١٠) .

قال أبو جعفر : والقول الأول أولى بالصواب ؛ لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحدٍ سوى خالقهم ، قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك ."(١)

وكأنّ الدليل على هذا عنده هي : الفطرة التي تقر بأن الله -عز وجل- لا يحدّ فعله وملكه شيء ، وهذا الدليل يؤيد اتصال الكلام السابق واللاحق بالجملة المعترضة :﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ ، فمعنى الأمر : عائد إلى كل ما سبق ، من التوبة والكبت والقطع والتعذيب ، وغيرها من الأمور ، ولا يخصّ بأنّ معنى : ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ التوبة عليهم فقط ، والتعميم بدلالة الفطرة ، كما يفهم من كلام ابن جرير. —والله أعلم -.

ولا يصار إلى القول بالاعتراض إلا عند الحاجة : فعند تفسيره قوله -تعالى- : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾[البقرة: ١٠٢] عمّم الخطاب لعموم الناس ، ولم يخصه باليهود فقط، **فقال أبو جعفر** :"وقوله -جلّ ثناؤه-:﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ خبر مبتدأ عن المتعلِّمين من الملَكين ما أنزل عليهما ، وليس بجواب لقوله : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢] بل هو خبر مستأنف ؛ ولذلك رُفع فقيل : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ فمعنى الكلام إذاً : وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا : إنما نحن فتنة ، فيأبون قبول ذلك منهما ، فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه . وقد قيل : إن قوله : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ خبر عن اليهود ، معطوف على قوله : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾[البقرة: ١٠٢] ...﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ وجعلوا ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ،والذي قلنا أشبه بتأويل الآية ؛ لأن إلحاق ذلك بالذي يليه من الكلام ما كان للتأويل وجه صحيح ، أوْلى من إلحاقه بما قد حِيْل بينه وبينه من معترض الكلام"(٢).

أي : أنّ تفسير الجمل حال تتابعها ينبغي فيه وصلها بما يليها ، وذلك أولى من إلحاقها بما بَعُد

---

(١) جامع البيان (٤٣١/٣) ، وتحقيق شاكر (١٩٤/٧) .

(٢) جامع البيان (٥٠٧/١-٥٠٨) ، وتحقيق شاكر (٤٤٥/٢) . وانظر النساء (١٢٧) ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٣٠١/٤-٣٠٢) ، وانظر الأعراف (١٩٩) ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ جامع البيان (١٥٣/٦) .

منها ؛ حيث يلزم من ذلك كون الكلام الفاصل معترضاً ، ولا يصار إلى ذلك إلا إذا لم يكن للتأويل على وصلها وجه صحيح .

وفي موضع حدّد المخاطب بما يخالف ظاهر السياق : ففي قوله -تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾ [النساء: ١٣٧] :**قال-رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم:** تأويله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ به ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ﴾ يعني : النصارى بعيسى ، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ به ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ بمحمد ، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ ...**وقال آخرون** :بل عني بذلك:أهل النفاق أنهم آمنوا ثم ارتدّوا ،ثم آمنوا ثم ارتدّوا، ثم ازدادوا كفراً بموتهم على كفرهم...**وقال آخرون** :بل هم أهل الكتابين: التوراة والإنجيل، أتوا ذنوباً في كفرهم فتابوا ، فلم تقبل منهم التوبة فيها مع إقامتهم على كفرهم...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : عني بذلك أهل الكتاب الذين أقرّوا بحكم التوراة ، ثم كذبوا بخلافهم إياه ، ثم أقرّ من أقرّ منهم بعيسى والإنجيل ، ثم كذب به بخلافه إياه ، ثم كذّب بمحمد-ﷺ- والفرقان ، فازداد بتكذيبه به كفرا على كفره . وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب في تأويل هذه الآية ؛ لأن الآية قبلها في قصص أهل الكتابين ، أعني قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦]، ولا دلالة تدلّ على أن قوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ منقطع معناه من معنى ما قبله ، فإلحاقه بما قبله أوْلَى ، حتى تأْتي دلالة دالة على انقطاعه منه ." (١)

و لم يذكر ابن جرير -رحمه الله - سببَ نزولٍ فيهم ، **وقد أشار الآلوسي**(٢) **-رحمه الله- إلى سبب النزول بالتمريض فقال : "روي عن ابن عباس ."**(٣) **وهو عند البغوي** (١) **-رحمه الله-**

---

(١) جامع البيان (٣٢٦/٤) ، وتحقيق شاكر (٣١٤/٩) .

(٢) هو محمود أفندي بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، نسبة إلى آلوس جزيرة وسط نهر الفرات ، وبغداد موطن أجداده، ولد سنة سبع عشرة ومائتين وألف ، مفسر محدث أديب بغدادي ، له تفسير روح المعاني وهو أشعري العقيدة وفي تفسيره شيء من التفسير الإشاري للصوفية ، والفوائد السنيّة في علم آداب البحث ، وغيرهما ، توفي سنة سبعين ومائتين وألف . انظر الأعلام (١٥٣/٧) ،والتفسير والمفسرون(٣٥٢/١) ، والمفسرون بين التأويل الإثبات للمغراوي (٢٤١/٢-٢٤٢) .

(٣) روح المعاني (٢٤٨/٤) .

(١) هو أبو محمد ، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء ، نسبة لبيع الفرو ، البغوي نسبة لبلدة بغ وتسمى بغشور بخراسان وهي
-

من طريق الكلبي ، عن أبي صالح (١) عن ابن عباس (٢) ، وهي أوهى الطرق ، وأضعفها عن ابن عباس (٣).

وهذا القول بدلالة السياق عند ابن جرير موضع خلاف بين المفسرين ، والظاهر في الآية التي قبلها أنها خطاب للمؤمنين كما في غيرها من الآيات ، ثم قوله –تعالى- : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ يدل على أناس بخصوصهم ؛ لأن من عموم أهل الكتاب من أسلم وحسن إسلامه.(٤)–والله أعلم –.

وقد كان من آثار قاعدة الاتصال: ترجيح قراءة على أخرى: قال ابن جرير –رحمه الله–:

" ولكنّي أظنّ أن الذين تأوّلوا ذلك خبراً عن اليهود ، وجدوا قوله :﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩١] (٥) فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرءوه على وجه الخطاب لهم : ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ﴾ فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم ، إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم ، وغير ذلك من التأويل ، والقراءة أشبه بالتنزيل ؛ لما وصفت قبل من أن

-

نسبة شاذة ، فقيه شافعي محدث مفسر ، له كتاب شرح السنة ، وتفسير معالم التنزيل ، ومصابيح السنة ، توفي سنة ست عشرة وخمسمائة ، وقيل عشر وخمسمائة . انظر سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩) ، وطبقات المفسرين للسيوطي صفحة (٣٨) ، ووفيات الأعيان (١٣٦/٢) ، والأنساب (١/) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١٥٧/١) ، ومقدمة محقق شرح السنة (٢٠/١) .

(١) هو باذام ، ويقال : باذان ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، تابعي ، روى عن علي ، وابن عباس ، قال ابن معين: ليس به بأس ، وإذا حدّث عن الكلبي فليس بشيء . وقال ابن حجر : ضعيف يرسل من الثالثة . انظر تقريب التهذيب (١٢١/١)، وميزان الاعتدال (٢٩٦/١) ، وسير أعلام النبلاء (٣٧/٥) .

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٤٨٩/١) ، تحقيق خالد العك ، ومروان مسوار ، الطبعة الرابعة لدار المعرفة ١٤١٥هـ.

(٣) انظر الإتقان (١٢٣٢/٢) ، تعليق الدكتور مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثانية لدار ابن كثير ١٤١٤هـ .

(٤) انظر التحرير والتنوير (٢٣١/٣) لابن عاشور .

(٥) وقراءة ابن كثير وأبي عمرو : بالغائب [الياء] في (يجعلون ، يبدون ، يخفون) ووافقهما ابن محيصن، واليزيدي ، وأما الباقون فقرؤوا : بالخطاب [بالتاء في الجميع] ، انظر كتاب السبعة صفحة (٢٦٢) ، والنشر (٢٦٠/٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٢٢/٢) ، والمهذب في القراءات العشر صفحة (٢١٦) .

قوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان ، وهو به متصل ، فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم ."(١)

فاستدلّ بكون السياق في أول هذه الآية عن المشركين على ترجيح قراءة الياء للغائب العائد عليهم أيضاً ، و لم يرجح القراءة بالخطاب الحاضر لليهود ؛ لأنه يفصل الخطاب ويقطعه عن المشركين ، والأصل اتصال السياق . -والله أعلم- .

---

(١) جامع البيان (٥/٢٦٤) ، وتحقيق شاكر (١١/٥٢٥) ، وانظر مثله في آل عمران (١١٥) ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ ، جامع البيان (٣/٤٠٢-٤٠٣) .

المطلب الثاني : أدلة اتصال السياق مما نصّ عليه الإمام الطبري –رحمه الله–:

ذكر ابن جرير – رحمه الله – دلائل تحدد اتصال الكلام ، وتربطه بما قبله وبما بعده، وهي تختلف في تعداد تكررها ، فمنها ما تكرر وروده وكثر ، ومنها ما قلّ ؛ ولأن أقل الجمع ثلاثة على الصحيح [1]رتبت ما ورد ثلاث مرات فما فوق تحت الكثير ، وما دون الثلاثة جعلته في القليل :

القسم الأول : ما كثر وروده .

القسم الثاني : ما قل وروده .

القسم الأول : ما كثر وروده :

١- (إذ) في ثلاثين موضعاً .

٢- الضمير في خمسة عشر موضعاً .

٣- الظرف (يوم) في أربعة عشر موضعاً .

٤- (الذين) في ثلاثة عشر موضعاً .

٥- التعليل في عشرة مواضع .

٦- الاستفهام في سبعة مواضع .

٧- العطف في خمسة مواضع .

٨- (ذلك) في خمسة مواضع .

٩- (كذلك) في خمسة مواضع .

١٠- الاستثناء في ثلاثة مواضع .

---

[1] أقل الجمع ثلاثة عند أكثر المتكلمين ، وذكر ابن برهان : أنه قول الفقهاء قاطبة ، وهو مذهب مالك ، وحكي عن ابن عباس ، ومشايخ المعتزلة ، وقال آخرون : إن أقلّ الجمع حقيقة الاثنان ، كالاسفراييني ، والباقلاني ، والغزالي ، وابن الماجشون ، والبلخي، وابن داود الظاهري ، وعلي بن عيسى النحوي ، ونفطويه ، وبعض الحنابلة ، وحكي عن عمر ، وزيد بن ثابت . انظر شرح الكوكب المنير (١٤٤/٣-١٤٥) .

القسم الثاني : ما قل وروده :

١- (حتى) في موضعين .
٢- (بل) في موضعين .
٣- (عند) في موضع .
٤- (تلك) في موضع .
٥- (أم) في موضع .
٦- القسم المعطوف في موضع .
٧-(التشبيه) في موضع .
٨- الجار والمجرور في موضع .

القسم الأول : ما كثر وروده :

١- (إذ) في ثلاثين موضعاً : فقد كانت (إذ) موصلة للكلام ، ورابطة بين الآيات في سياق واحد متسق ، ومن هذه المواضع :

أ- ما نصّ فيها - رحمه الله - على كون (إذ) صلة لما قبلها من الكلام .
ب - ذكر الإمام ابن جرير (إذ) وأعادها على ما سبق ، وتكررت في آيات لحقت .
ج- (إذ) رابطة بين الآيات ، ومظهرة للمناسبات .

أ- ما نصّ فيها - رحمه الله - على كون (إذ) صلة لما قبلها من الكلام : عند قوله -تعالى- : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٤] **قال -رحمه الله-** : " يعني بذلك : والله ذو سمع لقول امرأة عمران، وذو علم بما تضمره في نفسها ، إذ نذرت له ما في بطنها محرّراً . القول في تأويل قوله : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥] يعني بقوله-جلّ ثناؤه-: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ فـ ﴿إِذْ﴾من صلة ﴿سَمِيعٌ﴾ " (١)

---

(١) حامع البيان (٣/٢٣٤) ، وتحقيق شاكر (٦/٣٢٨) . وانظر مواضع مثلها في : الأنفال (٩) ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ ، حامع البيان (٦/١٨٨) ، والنمل (٧) ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
-

ب- ذكر الإمام ابن جرير -رحمه الله- (إذ) وأعادها على ما سبق ، وتكررت في آيات لحقت : ففي تفسير سورة الأنفال : عند قوله -تعالى- : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) ﴾ [الأنفال: ٤٣] **قال أبو جعفر :** " يقول -تعالى ذِكْرُه- : وإنَّ اللهَ يا محمد سميعٌ لما يقول أصحابُك ، عليمٌ بما يضمرونه ، إذ يريك الله عدوّك وعدوّهم : ﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾."(١)

ثم قال : في قوله -تعالى- : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨]:" ...فتأويل الكلام : وإن الله لسميعٌ عليمٌ في هذه الأحوال ، وحين زيّن لهم الشيطان خروجهم إليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم ، وحسّن ذلك لهم ، وحثهم عليكم..."(٢)

ثم قال : في قوله -تعالى- : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) ﴾ [الأنفال: ٤٩] : " يقول -تعالى ذِكْرُه-: وإن الله لسميع عليم في هذه الأحوال ، وإذ يقول المنافقون ، وكَرَّ بقوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ على قوله : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾."(٣)

ج- (إذ) رابطةٌ بين الآيات ، ومظهرةٌ للمناسبات : فعند تفسير قوله -تعالى- : ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) ﴾ [الكهف: ١٠] **قال- رحمه الله- :** "

سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) ﴾ ، حامع البيان (٤٩٦/١٠) ، وسورة ص (٣١) ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) ﴾ ،حامع البيان (٥٧٧/١٠)،وفصلت (١٤) ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآية حامع البيان (٩٤/١١) ، والفتح (٢٦) ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ الآية حامع البيان (٣٦٤/١١) ، والنجم (١٦) ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) ﴾ حامع البيان (٥١٧/١١) .

(١) حامع البيان (٢٥٨/٦) ، وتحقيق شاكر (٥٦٩/١٣) .

(٢) حامع البيان (٢٦٥/٦) ، وتحقيق شاكر (١١/١٤) .

(٣) حامع البيان (٢٦٦/٦) ، وتحقيق شاكر (١٢/١٤) ، والآية من الأنفال (٤٣) .

يقول –تعالى ذِكْرُه– لنبيّه محمد – ﷺ – : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩] حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل ، هرباً بدينهم إلى الله..." (١).

٢– الضمير في خمسة عشر موضعاً : وقد أشار ابن جرير –رحمه الله– إلى كونه رابطاً

---

(١) جامع البيان (١٨٢/٨) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٣٤) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ، جامع البيان (٢٦١/١) ، وآل عمران (٤٥) ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٨/٣) و(٨١) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ الآية ، جامع البيان (٣٢٨/٣) ، و(١٠٣) ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ الآية ، جامع البيان (٣٨٠/٣) ، و(١٢١) ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ ، جامع البيان (٤١٤/٣) ، و(١٢٤) ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ ، جامع البيان (٤٢١/٣) ، و(١٥٣) ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ الآية ، جامع البيان (٤٧٦/٣) ، والمائدة (١١٠) ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ الآية ، جامع البيان (١٢٧/٥)، والأنعام (٧٤) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ الآية ، جامع البيان (٢٣٨/٥) ، والأنفال (١١-١٢) ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ الآيتين ،جامع البيان (١٩٢/٦) ، ويوسف (٤) ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ ، جامع البيان (١٤٨/٧)، وإبراهيم (٣٥) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ، جامع البيان (٤٦٠/٧)، والأنبياء (٥٢) ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ ، جامع البيان (٣٦/٩) ، والسجدة (١٢)﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ جامع البيان (٢٣٦/١٠) ، والأحزاب (٧) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ ، جامع البيان (٢٦١/١٠) ، و(١٠) ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ الآية ، جامع البيان (٢٦٥/٩) ، والصافات (٨٥) ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ، جامع البيان (٥٠٠/١٠) ، وغافر (٤٧) ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ ، جامع البيان (٦٨/١١)، والأحقاف (٢٩) ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ﴾ الآية، جامع البيان (٢٩٦/١١) .

وموصّلاً للكلام ، ويعمد الإمام إلى إرجاع الضمير إلى ما تقدم حتى يتصل السياق.

ولتوضيح تطبيق ابن جرير لذلك أسوق هذه المثال :

في قوله -تعالى- : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾ [الكهف: ٣٢ - ٣٤] **قال -رحمه الله- :** " يقول -تعالى ذِكْرُه- لنبيّه محمد - ﷺ - : واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله ، الذين سألوك أن تطرُد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ، مَثلاً..."(١)

فأرجع الضمير (هم) إلى من كان السياق متحدثاً عنهم ، فربط السياق ، واتصلت المقاطع .

أما إلام يرجع الضمير فإليك الجواب من تطبيقات ابن جرير -رحمه الله- :

أ- الضمير يعود إلى أقرب متقدم أولى من الأبعد : كما في قول الله -تعالى- :﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) ﴾ [الأنعام: ٨٩] **قال أبو جعفر:** "يقول -تعالى ذِكْرُه- : فإن يكفر يا محمد بآيات كتابي الذي أنزلته إليك ، فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم، ...ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهؤلاء : فقال بعضهم : عُني بهم كفار قريش ، وعني بقوله : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ الأنصار...وقال آخرون : معنى ذلك : فإن يكفر بها أهل مكة ، فقد وكلنا بها الملائكة...وقال آخرون : عني بقوله : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني : قريشاً ، وبقوله : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ﴾ الأنبياء الذين سمّاهم في الآيات التي مضت قبل هذه الآية...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : عني بقوله : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ ﴾ كفار قريش ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ يعني به : الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله -تعالى ذِكْرُه- في الآيات قبل هذه الآية ، وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى، وفي التي بعدها عنهم ذكر ، فما بينها بأن يكون خبراً عنهم أوْلَى وأحقّ من أن يكون خبراً عن

---

(١) جامع البيان (٢٢٢/٨) . وانظر الطلاق (٦) ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ الآية ، جامع البيان (١٣٧/١٢) .

غيرهم ." (١)

ب- لا يعني القول برجوع الضمير للأقرب بطلان الأبعد لزوماً ، بل قد يكون محتملاً : كما في قوله -تعالى- : ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٥﴾ [العنكبوت: ١٥]، **قال -رحمه الله-** : "﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يقول : وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين ، وحجة عليهم...ولو قيل : معنى : "﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين ، وجعل الهاء والألف في قوله : ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ كناية عن العقوبة أو السخط ونحو ذلك ، إذ كان قد تقدم ذلك في قوله : ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤﴾ [العنكبوت: ١٤] كان وجهاً من التأويل ."(٢)

ج- وإذا لم يُرجع بضمير في الكلام إلى مقدّم فهو دليل انقطاع : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤] **قال -رحمه الله-**: " اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله – تعالى ذِكْرُه – بهذه الآية : فقال بعضهم : عُني بها : الذين نهى الله نبيّه عن طردهم...وقال آخرون : عنى بها قوماً استفتوا النبيّ – ﷺ- في ذنوب أصابوها عظام ، فلم يؤيسهم الله من التوبة...وقال آخرون: بل عُني بها قوم من المؤمنين كانوا أشاروا على النبيّ – ﷺ – بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم ، فكان ذلك منهم خطيئة ، فغفرها الله لهم وعفا عنهم ، وأمر نبيّه – ﷺ – إذا أتوه أن يبشرهم بأن قد غفر لهم خطيئتهم التي سلفت منهم ، بمشورتهم على النبيّ – ﷺ – بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بتأويل الآية : قول من قال : المعنيون بقوله :

---

(١) جامع البيان (٥/٢٥٩-٢٦١) ، وتحقيق شاكر (١١/٥١٥) . وانظر أمثلة أخرى في البقرة (١٧٠) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢/٨٣) ، ويوسف (١١١) ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الآية ، جامع البيان (٧/٣٢٥) ، ولقمان (٦) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ الآية ، جامع البيان (١٠/٢٠٥) .

(٢) جامع البيان (١٠/١٢٨) .

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ غير الذين نهى الله النبي -ﷺ- عن طردهم ؛ لأن قوله : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ خبر مستأنف بعد تقضي الخبر عن الذين نهى الله نبيّه - ﷺ - عن طردهم ، ولو كانوا هم لقيل : وإذا جاءوك فقل سلام عليكم ، وفي ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأوّلين ما ينبئ عن أنهم غيرهم ."[1]

د- وإذا تقدّم أن الضّمير رابطٌ وموصّلٌ للكلام ، وأن عوده إلى الأقرب أولى من عوده إلى الأبعد ، فإن ثمة قواعد تتعلق بالضمير ، ظهرت من خلال دراستي موضوع السّياق في تفسير شيخ المفسرين ، يحسن عرضها هنا إتماماً للفائدة : وهي :

- الأصل ألا يقال بمرجع ضمير لمعيّن لم يتقدم ذكره : فعند قوله -تعالى- :﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ [هود: ٥] **قال -رحمه الله-** : " اختلف القرأة في قراءة قوله : ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ على تقدير يفعلون من «ثنيت» ، والصدور منصوبة [2] ، واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : ذلك كان من فعل بعض المنافقين ، كان إذا مرّ برسول الله - ﷺ - غطّى وجهه وثنى ظهره...وقال آخرون : بل كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله ، وظنّاً أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك...وقال آخرون : إنما كانوا يفعلون ذلك ؛ لئلا يسمعوا كتاب الله...وقال آخرون : إنما هذا إخبار من الله نبيّه - ﷺ - عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ، ويبدون له المحبة والمودّة ، وأنهم معه وعلى دينه . يقول -جلّ ثناؤه- : ألا إنهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله ، ثم أخبر -جلّ ثناؤه- أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم . وقال آخرون : كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً...ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: «ألا إِنَّهُمْ تَثْنُونِي صُدُورُهُمْ»[3]...

---

[1] جامع البيان (٢٠٦/٥) ، وتحقيق شاكر (٣٩٠/١١) .

[2] وهي القراءة المتواترة لجميع القراء .

[3] قراءة شاذة . انظر المحتسب في توجيه القراءات الشاذة (٣١٨/١) لابن جني .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرأة الأمصار ، وهو: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ على مثال «يفعلون» ، والصدور نصب ، بمعنى : يحنون صدورهم ويكنّونها...**قال أبو جعفر** : فإذا كانت القراءة التي ذكرنا أولى القراءتين في ذلك بالصواب لإجماع الحجة من القرأة عليها ؛ فأولى التأويلات بتأويل ذلك: تأويل من قال : إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم أو تناجوه بينهم ، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية ؛ لأن قوله : ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ بمعنى : ليستخفوا من الله، وأن الهاء في قوله : ﴿مِنْهُ﴾ عائدة على اسم الله، و لم يجر لمحمد ذكر قبل ، فيجعل من ذكره – ﷺ – ، وهي في سياق الخبر عن الله ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، كانت بأن تكون من ذكر الله أولى..." (١)

وقد يحدّد مرجع الضمير ببعيد : ففي قوله –تعالى– : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] **قال –رحمه الله–**: " يقول –تعالى ذِكْرُه –: وإنّ هذا القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والهاء في قوله : ﴿وَإِنَّهُ﴾ كناية الذكر الذي في قوله :﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الشعراء: ٥] " (٢)

وقد يرجع الضمير لغير متقدّم :كما في قوله –تعالى– : ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٣ - ٣٥] (٣) قال في قوله –تعالى–:﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ " يقول : لنمطر عليهم من السماء حجارة من طين ،﴿مُّسَوَّمَةً﴾ يعني : معلّمة...عند ربك يا إبراهيم ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ يعني : للمتعدّين حدود الله ،الكافرين به من قوم لوط ، ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول –تعالى ذِكْرُه –: فأخرجنا من كان في قرية سدوم –قرية قوم لوط–(٤)من أهل

---

(١) جامع البيان (٦/٦٢٧) ، وتحقيق شاكر (١٥/٢٣٣) . وانظر مثله في النحل (٦٩) ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ الآية جامع البيان (٧/٦١٤) .

(٢) جامع البيان (٩/٤٧٥) ، والآية من أول الشعراء (٥) .

(٣) الذاريات (٣٣-٣٥) .

(٤) سدوم قرية من قرى قوم لوط ﷺ ، وهي (سَرمين) من أعمال حلب ، معروفة عامرة . انظر معجم البلدان لياقوت
-

الإيمان بالله ، وهم لوط وابنتاه ،وكنى عن القرية بقوله : ﴿مَن كَانَ فِيهَا﴾ و لم يجر لها ذلك قبل ذلك"(١)

وقد يعود الضمير لغير سابق لظهوره : كما في تفسير قوله -تعالى- : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١] **قال –رحمه الله–** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال بعضهم : معناه : وما يعمر من معمر فيطول عمره ، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمّر عمراً طويلاً ، إلاّ فِي كِتاب عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن تضعه ، قد أحصى ذلك كله ، وعلمه قبل أن يخلقه ، لا يُزاد فيما كتب له ولا ينقص...فالهاء التي في قوله : ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ على هذا التأويل ، وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم الْمُعَمّر الأوّل ، فهي كناية اسم آخر غيره ، وإنما حسُن ذلك ؛ لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأوّل ، وذلك كقولهم : عندي ثوب ونصفه ، والمعنى : ونصف الآخر . وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يُعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته، فذلك هو نقصان عمره . والهاء على هذا التأويل للمُعَمّر الأوّل؛ لأن معنى الكلام : ما يطوّل عمر أحد ، ولا يذهب من عمره شيء فيُنْقَص ، إلاّ وهو في كتاب عبد الله مكتوب ، قد أحصاه وعلمه...

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب : التأويل الأوّل ، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه ، وأشبههما بظاهر التنزيل ." (٢)

هـ– ومن المواضع التي خرجت عن إرجاع الضمير لمتقدم –فيما يظهر – حيث كان في مرجع الضمير – على ما ذكره الإمام – انقطاع في السياق ، أو عوده على بعض السابق دون أن يرجع إليه كله ما يلي :

تفسيره لقوله – تعالى – : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ

(٣/٢٠٠) .

(١) جامع البيان (١١/٤٦٦) .

(٢) جامع البيان (١٠/٤٠٠-٤٠١) .

كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] حيث قال في قوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ " يقول الله : إن الذين سمّيناهم يعني : **زكريا وزوجه ويحيى** ، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا ، والعمل بما يقرّبهم إلينا..."(١)

فهل إرجاعه إلى القريب فقط ؟ أم يشمل كل الأنبياء ؟ وهذه هي سورة الأنبياء ، وقد وافق ابن جرير في إرجاع الضمير إلى النبيين الكريمين المذكورين في الآية : **الرازي وابن كثير** (٢) ، **وخالفهم : أبو السعود** (٣) ، **وصاحبا تفسير الجلالين** (٤) ، **وذكر القولين مع تقديم جملة الأنبياء: القرطبي** (٥) ، **والشوكاني** (٦) ، **والآلوسي** (٧) .**-رحم الله الجميع-.**

وتفسيره لقوله -تعالى- :﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٦ - ٥٨] حيث **قال -رحمه الله-**: "يعني

---

(١) جامع البيان (٩/٧٩-٨٠) .

(٢) انظر مفاتيح الغيب (جزء٢٢/٢١٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٣/١٨٨) .

(٣) في إرشاد العقل السليم (٣/٧٢٤) ، وأبو السعود هو : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، ولد في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، تولى القضاء ، وله تفسير إرشاد العقل السليم ، توفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . انظر شذرات الذهب (٨/٣٩٨) ، والأعلام (٧/٢٨٨) .

(٤) انظر تفسير الجلالين صفحة (٢٩٢) .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (جزء ١١/٢٢٢) ، والقرطبي هو : أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي المالكي المفسر ، ولد سنة سبع وعشرين وستمائة ، قال الذهبي: له تصانيف مفيدة...وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان ا.هـ ، توفي بمصر سنة إحدى وسبعين وستمائة . انظر نفح الطيب (٢/٢١٠) ، والديباج المذهب (٢/٣٠٨) ، وشذرات الذهب (٥/٣٣٥) ، وطبقات المفسرين للسيوطي صفحة (٧٩) ، وطبقات الداوودي (٢/٩٥) ، والأعلام (٦/٢١٧) .

(٦) انظر فتح القدير (٣/٤٢٥) ، والشوكاني هو : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعاني ، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ، في بلدة هجرة شوكان ، من مصنفاته نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، وتحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين ، وهما مطبوعان ، توفي سنة خمسين ومائتين وألف . انظر الأعلام (٧/١٩٠) ، ومقدمة ناشر فتح القدير (١/٤و٧) .

(٧) انظر روح المعاني (١٧/١٣٠) .

–تعالى–بقوله :﴿ هُمْ ﴾ أصحاب الجنة ﴿ هُمْ ﴾ من أهل الجنة في الجنة ."(١)

فهل يمتنع وصلها بقوله :﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ٥٥ ﴾ [يس: ٥٥]؟ وقد فسر بعض السلف التفكّه : بأنواع من اللذات ، وفسر الرازي : ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ ﴾ على أنها : مستأنفة ؛ لبيان كمال اللذة والتنعم ، فإن مما ينغص اللذة : التفكر في حال من يهمّ أمره ، فأخبر الله –عز وجل– أنهم وأزواجهم سواء ، فكملت اللذة (٢) ، وأشار الشوكاني والآلوسي وأبو السعود إلى ذلك (٣).

٣– الظرف (يوم) في خمسة عشر موضعاً :وقد ذكر أنه تفسيرٌ عند قوله –تعالى–: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦ ﴾ [المطففين: ٦] **قال –رحمه الله–:** في ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ﴾ " تفسير عن اليوم الأوّل المخفوض ، ولكنه لما لم يُعِد عليه اللام ردّ إلى مبعوثون ، فكأنه قال : ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس ؟..." (٤)

وفي قوله –تعالى– : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ٣٥ ﴾ [التوبة: ٣٥] **قال أبو جعفر** :" يقول –تعالى ذِكْرُه–: فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا يخرجون حقوق الله منها ، يا محمد : ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥] فاليوم من صلة العذاب الأليم ، كأنه قيل :يبشّرهم بعذاب أليم يعذّبهم الله به في يوم يحمى عليها"(٥).

---

(١) حامع البيان (١٠/٤٥٤) .

(٢) مفاتيح الغيب (حزء٢٦/٩٢) طبع دار الفكر .

(٣) انظر فتح القدير (٤/٣٧٦) ، وروح المعاني (٢٣/٥١) ، وإرشاد العقل السليم (٤/٥١١) .

(٤) حامع البيان (١٢/٤٨٤) . وانظر مثله في طه (١٠٢) ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ١٠٢ ﴾ ، حامع البيان (٨/٤٥٥) .

(٥) حامع البيان (٦/٣٦٢) ، وتحقيق شاكر (١٤/٢٢٩) . وانظر بقية مواضع (يوم) التي أشير فيها أنها صلة : في الأنبياء (١٠٤)﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ الآية ،حامع البيان (٩/٩٤) ، والنور (٢٤) ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ
–

ومثله : (يومئذ) : في قوله -تعالى- : ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)﴾ [النور: ٢٥] قال : " يقول -تعالى ذِكْرُه -: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] (١) يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحقّ على أعمالهم."(٢)

٤- **(الذين) في ثلاثة عشر موضعاً** :وقد نصّ إمام المفسرين على كونها موصلة الكلام بعضه ببعض،وعلى أنها ترجمة وتفسير لما قبلها،ومن ذلك قوله-تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾ [التوبة: ٣٤] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه - : ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤] ويأكلها أيضاً معهم ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾ يقول : بشّر الكثير من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، بعذاب

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)﴾ الآية ،حامع البيان (٢٩٢/٩) ، وسورة ق (٣٠) ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠)﴾ الآية ، حامع البيان (٤٢٥/١١) ، والطور (٩) ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩)﴾ حامع البيان (٤٨٤/١١) ، والمجادلة (١٨) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ الآية ، حامع البيان (٢٤/١٢) ، وكذلك ما أشار إلى اتصاله بيوم تفسيراً : كما في المائدة (١٠٩) ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ الآية ، حامع البيان (١٢٥/٥) ، والنحل (١١١) ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ الآية ، حامع البيان (٦٥٤/٧) ، والإسراء (٥٢) ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ الآية ،حامع البيان (٩٢/٨) ، والعنكبوت (٥٥) ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)﴾ الآية ، حامع البيان (١٥٥/١٠) ، والأحزاب (٦٦) ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦)﴾ ، حامع البيان (٣٣٥/١٠) ، والدخان (١٦) ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦)﴾ ، حامع البيان (٢٣٠/١١) ، والمزمل (١٤) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (١٤)﴾، حامع البيان (٢٨٩/١٢).

(١) النور (٢٤) .

(٢) حامع البيان (٣٩٢/٩) .

أليم لهم يوم القيامة موجعٍ من الله ." ⁽¹⁾

وعند تفسير قوله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ [الماعون: ٦] ⁽²⁾ **قال** :" يقول:الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صَلّوْا ؛لأنهم لا يصلّون رغبةً في ثواب،ولا رهبةً من عقاب ، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم ، فيكفون عن سفك دمائهم ، وَسبْي ذراريهم ، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، يستبطنون الكفر ، ويُظهرون الإسلامَ." ⁽³⁾

فجعل الكلام متصلاً بالمصلين في الآيات الماضية .⁽⁴⁾

٥- التعليل في عشرة مواضع : والتعليل إما بحرف (اللام) : كما في قوله -عز وجل- : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ

---

(١) جامع البيان (٣٥٧/٦) ، وتحقيق شاكر (٢١٧/١٤) .

(٢) الماعون (٦) .

(٣) جامع البيان (٧٠٨/١٢) ، وهذا يدل على أن آخر سورة الماعون مدنية . انظر التحرير والتنوير (جزء٣٠/٥٦٣).

(٤) وانظر بقية مواضع (الذين) في : آل عمران (١٧٢) ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ الآية ، جامع البيان (٥١٨/٣) ، و(١٧٣) ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ جامع البيان (٥٢٠/٣) ، والأنعام (١٢) ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ الآية ، جامع البيان (١٥٧/٥) ، والأنفال (٥٦) ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) ﴾ ، جامع البيان (٢٧٠/٦) ، وهود (١٩) ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ الآية ، جامع البيان (٢٣/٧)، والرعد (٢٨) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية ، جامع البيان (٣٧٩/٧) ، والكهف (١٠١)﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾ الآية، جامع البيان (٢٩١/٨) ، والحج (٤٠) ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ الآية ، جامع البيان (١٦٢/٩) ، وغافر (٣٥) ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ﴾الآية جامع البيان (٥٩/١١) ، والشورى (٣٧-٣٨) ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) ﴾ الآية ، جامع البيان (١٥٤/١١) ، والزخرف (٦٩) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٦٩) ﴾ جامع البيان (٢٠٩/١١) .

ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) ﴾[الفتح: ٥] حيث قال أبو جعفر : " وقوله :﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ على اللام من قوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ [الفتح: ٢] بتأويل تكرير الكلام﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ [الفتح: ١ - ٢] ، إنّا فتحنا لك ؛ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ، ولذلك لم تدخل الواو التي تدخل في الكلام للعطف ، فلم يقل : وليدخل المؤمنين ." (١)

فاللام إذا كانت بدون عاطف ، دليل على أن الكلام مرتبط بالسابق ، ومتصل معناه بمعنى ما قبله .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ (١٢٧) ﴾ [آل عمران: ١٢٧] قال أبو جعفر : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه- : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] ؛ ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ ." (٢)

وهكذا ربط بين الجمل بلام التعليل ، مع وجود فاصل من الكلام .

وقد يكون الرابط تعليلاً بحرف (إنْ) المخففة : فعند قوله -تعالى- : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا (١١٧) ﴾ [النساء: ١١٧] **قال -رحمه الله-** في تأويل الآية : "...ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نولّه ما تولّى ، ونصله جهنم وساءت مصيراً ، ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ ، يقول : ما

---

(١) جامع البيان (٣٣٦/١١) .

(٢) جامع البيان (٤٣٠/٣) ، وتحقيق شاكر (١٩٢/٧) . وانظر مواضع أخرى للام في : النحل (٣٩) ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ (٣٩) ﴾ الآية ، جامع البيان (٥٨٤/٧) و(٦٠) ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾ الآية ، جامع البيان (٦٠٠/٧) ، والروم (٤٥) ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾الآية ، جامع البيان (١٩٤/١٠) ، والحديد (٢٣) ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ الآية، جامع البيان (٦٨٦/١١) ، والحشر (٨) ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ الآية ، جامع البيان (٣٨/١٢-٣٩) ، والمعارج (٢٤-٢٥) ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) ﴾ الآيتين،جامع البيان (٢٣٥/١٢) .

يدعو الذين يشاقون الرسول ، ويتبعون غير سبيل المؤمنين شيئاً من دون الله بعد الله وسواه ، ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ ، يعني : إلا ما سمّوه بأسماء الإناث ، كاللات ، والعزّى ، وما أشبه ذلك ."(١)

أو يكون بحرف (إنّ) المشددة : كما في قوله -تعالى- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)﴾ [الأعراف: ٢٠٦] **قال ابن جرير** : "يقول-تعالى ذِكْرُه-: لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك ، واذكره إذا قرئ القرآن تضرّعاً وخيفةً ، ودون الجهر من القول ، فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع وذلك هو العبادة ." (٢)

٦- الاستفهام في سبعة مواضع : ومنها : في قوله -تعالى- : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢١٥)﴾ [البقرة: ٢١٥] **قال أبو جعفر** : " والخير الذي قال -جلّ ثناؤُه- في قوله : ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ هو المال الذي سأل رسولَ الله - ﷺ - أصحابُه من النفقة منه ، فأجابهم الله عنه بما أجابهم به في هذه الآية ." (٣)

فالاستفهام وجوابه متصل بعضه ببعض ، ومتطابق مرجع كل منهما على الآخر ، فكلّ جوابٍ مقابلٌ للسؤال (٤).

---

(١) جامع البيان (٤/٢٨٠) ، وتحقيق شاكر (٩/٢١١) .

(٢) جامع البيان (٦/١٦٧) ، وتحقيق شاكر (١٣/٣٥٧) . وقد يحتمل الاتصال والانقطاع ، كما في يوسف (٥٠) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ الآية ، جامع البيان (٧/٢٣٣) .

(٣) جامع البيان (٢/٣٥٥) ، وتحقيق شاكر (٤/٢٩٢) . وانظر مثله في : آل عمران (١٦٢) ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ الآية ، (٣/٥٠٤) ، وانظر بقية المواضع في الاستفهام في : الإسراء (٦٨) ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ الآية جامع البيان (٨/١١٣) ، والسجدة (١٠-١١) ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ ، جامع البيان (١٠/٢٣٦) ، وسورة (ق) (٦) ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦)﴾ ، جامع البيان (١١/٤٠٩) .

(٤) انظر الإتقان (٢/٦٢٦) .

٧- العطف في خمسة مواضع : العطف يربط بين الآيات ويصلها بموضوع واحد ويبين المعنى المراد ، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الحج: ٦٨ - ٦٩] حيث قال : " يقول -تعالى ذِكْرُه -لنبيّه محمدٍ - ﷺ - : وإن جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك ، فقل: الله أعلم بما تعملون ونعمل ." (١)

فالجدال الوارد في سياق الآيات هو ما كان في سورة الحج ، وبالأخص في أمر النسك ، الوارد في قوله -تعالى- : ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: ٦٧] .

وكذلك في قوله -تعالى- : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص: ٥ - ٦] **قال -رحمه الله-** : " قوله : ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ عطفٌ على قوله : ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ [القصص: ٤] ومعنى الكلام : أن فرعون علا في الأرض ، وجعل أهلها من بني إسرائيل فِرَقاً ، يستضعِف طائفة منهم ، ونحن نُرِيدُ أنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ استضعفهم فرعون من بني إسرائيل ، وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً ." (٢)

وإرادة الله - تعالى - هي النافذة ، وأمّا ما يريد فرعون ويقصد - من العلو في الأرض واستعباد بني إسرائيل - فلن يدوم .

٨- (ذلك) في خمسة مواضع : ومنها قوله -سبحانه- : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠] فقد ذكر في الآية اسم

---

(١) جامع البيان (٩/١٨٦) .

(٢) جامع البيان (١٠/٢٨) . وانظر المواضع الأخرى في العطف : البقرة (٧٦) ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ الآية ، جامع البيان (١/٤١٢) ، والأعراف (٢٠٥) ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ الآية ،جامع البيان (٦/١٦٥) ، والجاثية (٣٢) ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ ﴾ الآية ، جامع البيان (١١/٢٦٨) .

الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ وأعيد مرتين :

الموضع الأول : في قوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ **قال –رحمه الله–** : "يقول –تعالى ذِكْرُه – : ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كلّ ما في السماوات السبع والأرضين السبع؟ لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة ، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا ، فمجازي المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته . ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ يقول – تعالى ذِكْرُه –: إن علمه بذلك في كتاب ، وهو أمّ الكتاب الذي كتب فيه ربنا –جلّ ثناؤه– قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة . ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ ...وكان ابن جُرَيج يقول في قوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ ...قوله : ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٩] .

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك ؛ لأن قوله :﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إلى قوله:﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أقرب منه إلى قوله : ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ فكان إلحاق ذلك بما هو أقرب إليه أولى منه بما بعد."(١)

الموضع الثاني : في قوله –عز وجل– : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ **قال –رحمه الله–**: " اختلف في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير...

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ ، يعني : هيِّن .

وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك ، وذلك أن قوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ ...إلى قوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ أقرب ، وهو له مجاور ، ومن قوله : ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ متباعدٌ مع دخول قوله : :﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ

---

(١) جامع البيان (١٨٧/٩) .

﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بينهما ، فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام ، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح ." (١)

فكلا الموضعين فيهما ربط بين الجمل ، وقد ذكر المفسرون في الموضع الثاني : احتمال عود اسم الإشارة إلى الآية الماضية ، وهي قوله -تعالى- : ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ فاسم الإشارة يعود إلى حكم الله بين المختلفين يوم القيامة ، والقول الآخر : أن يرجع اسم الإشارة إلى أقرب مذكور ، وهو علم الله – عز وجل- في قوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ .

وقد ذكر القرطبي ، والشوكاني -رحمهما الله- القولين بلا ترجيح (٢) ، **وذكر ابن كثير ، والرازي -رحمهما الله-** القول الذي رجحه ابن جرير (٣) ، **وعمم الآلوسي -رحمه الله-**، عوده إلى العلم ، والكتابة ، والحكم ، وأن ذلك أولى من التخصيص(٤)،**وفي تفسير الجلالين قال :** " علم ما ذكر ".(٥)

٩- **(كذلك) في خمسة مواضع :** فهي تدل على اتصال الكلام وارتباطه بما قبله ، كما في قوله -تعالى- لإبراهيم : ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٤﴾ [الأنعام: ٨٤] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه -: جزينا نوحاً بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحقّ الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه ، وهدينا من

---

(١) جامع البيان (٩/١٨٦-١٨٧) . وانظر الباقي في : النحل (١٠٧) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ جامع البيان (٧/٦٥٢) ، والشورى (١٥) ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾الآية ، جامع البيان (١١/١٣٧) ، والحشر (٤) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ﴾ الآية ، جامع البيان (١٢/٣١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (حزء ١٢/٩٥) طبع دار إحياء التراث العربي ، وفتح القدير (٣/٤٦٨) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٢٧) ، ومفاتيح الغيب (حزء ٢٣/٦٧) طبع دار الفكر ١٤١٠هـ .

(٤) روح المعاني (١٠/٢٩٣) .

(٥) تفسير الجلالين صفحة (١٠١) .

ذرّيته مِنْ بعده مَن ذَكَر -تعالى ذِكْرُه -من أنبيائه لمثل الذي هديناه لـه ، وكمـا جزينـا هـؤلاء بحسن طاعتهم إيانا وصبرهم على المحن فينا، كذلك نجزي بالإحسان كلّ محسن ." (١)

١٠- الاستثناء في ثلاثة مواضع : فهو يدل على اتصاله بالمستثنى منه : كما في قوله -سبحانه- : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٤ ﴾ [التوبة: ٤] **قال -رحمه الله-**:"يقول -تعالى ذِكْرُه - : وأَذَانٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إلى النّاسِ يَوْمَ الحَجّ الأكْبَرِ أنّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ، إلاّ من عهْد الّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أيها المؤمنون..." (٢)

القسم الثاني : ما قلّ وروده :

١- (حتى) في موضعين : كما في قوله -تعالى- : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ١١٠ ﴾ [يوسف: ١١٠] (٣) **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه -: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القُرى ، فدعوا من أرسلنا إليهم فكذّبوهم ، وردّوا ما أتوا به من عند الله ، حتى إذا استيأس

---

(١) جامع البيان (٥/٢٥٧) ، وتحقيق شاكر (١١/٥٠٨) . وانظر بقية المواضع في : الأنعام (٧٥) ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ جامع البيان (٥/٢٤١) ، ويوسف (٦) ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ الآية جامع البيان (٧/١٥٠) ، والكهف (٢١) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٠٤) ، والشورى (٥٢) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٦٢-١٦٣) .

(٢) جامع البيان (٦/٣١٨) ، وتحقيق شاكر (١٤/١٣٢) . وانظر مثله في الفرقان (٥٦-٥٧) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٥٦ ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/٤٠٢) ، والأحزاب (٥٥) ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٣٢٧-٣٢٨) ، وقد يحتمل الاستثناء الوصل أو الانقطاع كما في النمل (١١) ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١ ﴾ جامع البيان (٩/٤٩٩-٥٠٠) .

(٣) يوسف (١١٠) .

الرسل الذين أرسلناهم إليهم منهم أن يؤمنوا بالله ، ويصدّقوهم فيما أتوهم به من عند الله ، وظنّ الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذّبة أن الرسل الذين أرسلناهم قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله من وعده إياهم نصرهم عليهم ، جاءهم نصرنا ." (١)

٢- (بل) في موضعين ، كما في قوله -تعالى- : ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩)﴾ [الروم: ٢٩] **قال -رحمه الله-:** " يقول -تعالى ذِكْرُه -: ما ذلك كذلك ، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان؛ لأن لهم شركاً فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم ، فهم وعبيدهم فيه سواء ، يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه ، فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم ، فأشركوهم في عبادته ، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله اتبعوا أهواءهم ، جهلاً منهم لحقّ الله عليهم ، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته..." (٢)

٣- (عند) في موضع ، يقول -تعالى- : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤)﴾ [النجم: ١٣ - ١٤] **قال أبو جعفر :** " وقوله : ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه -: ولقد رآه عند سدرة المنتهى ، فـ ﴿عِنْدَ﴾ من صلة قوله: ﴿رَآهُ﴾ ..."(٣)

٤- (تلك) في موضع ، وهو قوله -تعالى- : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)﴾ [الأنعام: ٨٣] (٤) **حيث قال** :"يعني -تعالى ذِكْرُه- بقوله : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ قول إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين : أيّ الفريقين أحقّ

---

(١) حامع البيان (٣١٦/٧) ، وتحقيق شاكر (٢٩٦/١٦) . وانظر الثاني في المؤمنون (٦٤-٦٥) ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤)﴾ الآيتين حامع البيان (٢٢٨/٩) .

(٢) حامع البيان (١٨٢/١٠) . وانظر مثله في سورة ص (١-٢) ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)﴾ الآيتين حامع البيان (٥٤٦/١٠-٥٤٧) .

(٣) حامع البيان (٥١٤/١١) .

(٤) الأنعام (٨٣) .

بالأمن ؟ ، أمَن يعبد ربًّا واحداً ، مخلصاً له الدين والعبادة ؟ ، أمْ مَنْ يعبد أرباباً كثيرةً ؟ . وإجابتهم إياه بقولهم : بل من يعبد ربًّا واحداً أحقّ بالأمن ، وقضاؤهم له على أنفسهم ، فكان في ذلك قطع عذرهم ، وانقطاع حجتهم ، واستعلاء حجة إبراهيم عليهم، فهي الحجة التي آتاها الله إبراهيم على قومه ."(١)

٥- **(أم) في موضع** ، وهو : قوله -سبحانه- : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣] **قال أبو جعفر** : " يعني -تعالى ذِكْرُه - بقوله : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ أكنتم ؛ ولكنه استفهم بـ ﴿ أَمْ ﴾ إذ كان استفهاماً مستأنفاً على كلام قد سبقه، كما قيل : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾[السجدة: ١ - ٣] ، وكذلك تفعل العرب في كل استفهامٍ ابتدأتْه بعد كلام قد سبقه ، تستفهم فيه بـ«أمْ»...

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : أكنتم يا معشر اليهود والنصارى ، المكذّبين بمحمد - ﷺ - الجاحدين نبوّته ، حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت ؟ ، أي : أنكم لم تحضروا ذلك ، فلا تدّعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل ، وتنحلوهم اليهودية والنصرانية ، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم ، وولده إسحاق وإسماعيل ، وذرّيتهم بالحنيفية المسلمة ، وبذلك وصوا بنيهم ، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم ، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما تنحلوهم من الأديان والملل من بعدهم . وهذه آيات نزلت تكذيباً من الله - تعالى- لليهود والنصارى ، في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملّتهم ، فقال لهم في هذه الآية : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ فتعلموا ما قال لولده ، وقال

---

(١) جامع البيان (٢٥٥/٥) ، وتحقيق شاكر (٥٠٤/١١) ولا دليل على أنهم قالوا هذا ، وقد بين -رحمه الله- أن جملة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، من كلام الله -تعالى- ، وهذا نقض لما سبق من كلامه -رحمه الله- ، وانظر تعليق شاكر (٥٠٤/١١) .

له ولده ، ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له ." (١)

٦- المقسَم به المعطوف في موضع ، عند قوله -تعالى- : ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الصافات: ١ - ٣] قال -رحمه الله- : " واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ فقال بعضهم : [كمجاهد] هي الملائكة ، تزجُر السحاب تسوقه...وقال آخرون : بل ذلك آي القرآن التي زجر الله بها عما زَجر بها عنه في القرآن...

والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا : ما قال مجاهد ، ومن قال : هم الملائكة ؛ لأن الله -تعالى ذِكْرُه- ابتدأ القسم بنوع من الملائكة ، وهم الصافون ، بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قَسَماً بسائر أصنافهم أشبه ." (٢)

٧- التشبيه في موضع ، في قوله -تعالى- : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝٦﴾ [الأنفال: ٥ - ٦] **قال -رحمه الله-:** " اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف التي في قوله : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ﴾ وما الذي شبه بإخراج الله نبيّه - ﷺ - من بيته بالحقّ ، فقال بعضهم : شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم ، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله ورسوله ، وقالوا : معنى ذلك : يقول الله : وأصلحوا ذات بينكم ، فإن ذلك خير لكم ، كما أخرج الله محمّداً - ﷺ - من بيته بالحقّ فكان خيراً له...وقال آخرون : معنى ذلك : كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحقّ على كُرهٍ من فريق من المؤمنين ، كذلك هم يكرهون القتال ، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم...واختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحويي الكوفيين: ذلك أمرٌ من الله لرسوله - ﷺ - أن يمضي لأمره في الغنائم على كُرهٍ من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون ، وقال آخرون منهم : معنى ذلك : يسألونك عن الأنفال مجادلةً ، كما جادلوك يوم بدرٍ ، فقالوا : أخرجتنا

---

(١) جامع البيان (٦١٢/١-٦١٣) ، وتحقيق شاكر (٩٧/٣-٩٨) .

(٢) جامع البيان (٤٦٧/١٠-٤٦٨) .

للعير و لم تعلمنا قتالاً فنستعدّ له ، وقال بعض نحويي البصرة : يجوز أن يكون هذا الكاف في: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ على قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[الأنفال: ٤] ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ **وقال** : الكاف بمعنى : «على» . **وقال آخر منهم** : هي بمعنى القسم ، قال : ومعنى الكلام : والذي أخرجك ربك .

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قول من قال في ذلك بقول مجاهد ، وقال معناه : كما أخرجك ربك بالحقّ على كرهٍ من فريق من المؤمنين ، كذلك يجادلونك في الحقّ بعد ما تبين ؛ لأن كلا الأمرين قد كان ، أعني : خروج بعض من خرج من المدينة كارهاً ، وجدَالهم في لقاء العدوّ وعند دنوّ القوم بعضهم من بعض ، فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر ، أولى من تشبيهه بما بعُد عنه ." (١)

فلما ورد في السياق تشبيه ، كان أولى الأقوال ما كان المشبه به وارداً في السياق ، دون ما بعد عنه أو لم يذكر .

٨- الجار والمجرور في موضع في قوله -تعالى- : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨] **قال -رحمه الله-** : " يعني -تعالى ذِكْرُه- بقوله : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ : الله نور السموات والأرض ، مَثَل نورِه كمشكاة فيها مصباح ، في بيوت أذن الله أن ترفع...قال أبو جعفر : قد يحتمل أن تكون ﴿مِن﴾ في صلة ﴿يُوقَدُ﴾ (٢) ، فيكون المعنى : تُوقَد من شجرة مباركة ، ذلك المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع ." (٣)

---

(١) جامع البيان (١٨٠/٦-١٨١) ، وتحقيق شاكر (٣٩١/١٣) .

(٢) النور (٣٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب بتاء من فوق مفتوحة وفتح الواو وتشديد القاف ، وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف بالتاء مضمومة وتخفيف القاف ، وقرأ الباقون بالياء . انظر النشر (٣٣٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٢٩٨/٢) .

(٣) جامع البيان (٣٢٩/٩) .

وقد ذكر الرازي أن هذا القول اختيار كثير من المحققين (١)، وذكر أبو السعود ، وفي تفسير الجلالين ، والآلوسي : أن ﴿فِي﴾ متعلقةٌ بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ (٢). والأقوال في الآية كثيرة. –والله أعلم – ، والشاهد هنا : أن الجار والمجرور رابط بين الجمل ، فصار لا بد من تعلق الكلام بالمتقدم والمتأخر ، وأما الخلاف المذكور هنا ففي تعيينه لا في وجوده .

وبعد هذه الأمثلة المتنوعة المتعددة ، يظهر جلياً كم لبعض العبارات والكلمات من تأثير في وصل الكلام بعضه ببعض ! ، مما يؤكد حقيقة قاعدة : الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه ، والتي هي محور موضوع السياق ، وأن اتصال السياق متحتِّم، وتدل عليه دلائل كثيرة ، منها ما سبق ، وغير ما ذكر أكثر . –والله أعلم –.

---

(١) مفاتيح الغيب (جزء ٢٤/٢) .

(٢) إرشاد العقل السليم (١٢٣/٤) ، وروح المعاني (٢٥٤/١٠) ، وتفسير الجلالين صفحة (٣١٥) .

المطلب الثالث: أدلّة انقطاع السياق مما نصّ عليه الإمام الطبري –رحمه الله– :

كان الحديث فيما سبق عن الاتصال وما يتعلق به من أدلةٍ سار عليها الإمام ابن جرير –رحمه الله– ، وفي هذا المطلب سأتكلم عن أدلة الانقطاع ، التي نصّ عليها الطبري –رحمه الله – ، وقد قمت بإحصائها فوجدتها على النحو التالي :

١- نصّ الآية .
٢- السنة .
٣- قول الصحابة .
٤- الإجماع .
٥- سبب النزول .
٦- اللغة .
٧- ترجيح المعنى الأغلب .
٨- الإعراب .

وفيما يلي توضيح لهذه الأدلة مع التمثيل لها من جامع البيان :

١- نصّ الآية : مما يدل على الانقطاع :

أ- ما تحويه الجملة من خبر لا يكون إلا عن معيّنٍ آخر غير من ذكر في السياق، مثال ذلك : في قوله –تعالى– : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة: ٥٣] **قال –رحمه الله– :** " ويقول المؤمنون : أهؤلاء الذين حلفوا لنا بالله جهد أيمانهم كذباً إنّهم لمعنا ؟ . يقول الله –تعالى ذِكْرُه –مخبراً عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم : ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ يقول : ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلاً لا ثواب لها ولا أجر..." (١)

---

(١) جامع البيان (٦٢٢/٤) ، وتحقيق شاكر (٤٠٩/١٠) . وانظر النساء (١٥٥) ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
-

فالحكم بحبوط الأعمال اختصاص إلهيٌّ ليس للبشر ؛ ولذلك بيّن الإمام المفسّر –رحمه الله– انقطاع كلام المؤمنين وابتداء كلام الله –عز وجل– .

ب– وقد يكون انقطاعه بسبب انتهاء حديث شخص ما ، فيكون استطراداً :

كما في قوله –تعالى– : ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣)﴾ [طه: ٥٣] **قال –رحمه الله–** : " وقوله : ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ يقول : وأنهج لكم في الأرض طرقاً...وقوله : ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ **يقول** : وأنزل من السماء مطراً فأخرجنا به ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ ، وهذا خبرٌ من الله –تعالى ذِكْرُه –عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه ، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عمّا سأله عنه ، وثنائه على ربه بما هو أهله . يقول –جلّ ثناؤه– : فأخرجنا نحن –أيها الناس– بما ننزل من السماء من ماء ﴿أَزْوَٰجًا﴾ ، يعني : ألواناً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ ، يعني : مختلفة الطعوم ، والأرايح ، والمنظر ." (١)

إذاً هذا كلام منقطع عن قصة موسى وفرعون ، وهو تذكير بآلاء الله ونعمه على خلقه ؛ لمناسبة المقام إلى هذا الاستطراد ، فانقطع كلام موسى ﷺ عند قوله : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢)﴾ [طه: ٥٢] ويعود تكميل القصة بقوله : ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦)﴾ [طه: ٥٦] (٢) .–والله أعلم –.

ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا﴾ الآية جامع البيان (٤/٣٤٩–٣٥٠) .

(١) جامع البيان (٨/٤٢٤) .

(٢) طه (٥٦) . وهناك أمثلة أخرى ، صنفها ابن القيم على نوعين :

أحدهما : أن يستطرد من الشيء إلى لازمه مثل ...قوله : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٩)﴾ [الزخرف: ٩] ثم استطرد من جوابهم إلى قوله ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [إلى قوله:]﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[الزخرف٩–١٤] وهذا ليس من جوابهم ولكن تقرير له وإقامة الحجة عليهم ...والنوع الثاني : أن يستطرد من الشخص إلى النوع : كقوله :﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣)﴾ [المؤمنون:

٢- دلالة السنة على انقطاع السياق ، كما في تفسير قوله -تعالى- : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠] **قال -رحمه الله -**: " القول في تأويل قوله -تعالى- :﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني بقوله -جلّ ثناؤه- : ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ : سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقاً في أعناقهم ، كهيئة الأطواق المعروفة ، [ثم ساق أحاديث منها قول :]...رسول الله -ﷺ - : "ما من ذي رحمٍ يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله إيّاه فيبخل به عليه ، إلا أخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمّظ حتى يطوّقه " ثم قرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ حتى انتهى إلى قوله : ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [1]...**وقال آخرون** : معنى ذلك : :﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيجعل في أعناقهم طوقاً من نار...**وقال آخرون** : معنى ذلك : سيَحْمِل الذين كتموا نبوّة محمد - ﷺ - من أحبار اليهود ما كتموا من ذلك...**وقال آخرون** : معنى ذلك : سيكلّفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية : التأويل الذي قلناه...؛ للأخبار التي ذكرنا في ذلك عن رسول الله - ﷺ - ، ولا أحد أعلم بما عنى الله -تبارك وتعالى - بتنـزيله منه -عليه الصلاة والسلام - ." [2]

---

١٢ - ١٣] إلى آخره ، فالأول آدم والثاني بنوه...انظر بدائع التفسير ٢٨٩/٤-٢٩٠وهو في التبيان في أيمان القرآن .

(١) لا تخلو أسانيد الأحاديث التي ساقها الطبري من ضعف : فبعضها عن أبي مالك العبدي لم تثبت صحبته ، وفي آخر رجل لم يسمَّ ، ولم تثبت صحبته فهو ضعيف إسناداً ، انظر جامع البيان بتحقيق شاكر (٤٣٣/٧) ، ولكن ذكرت ما يؤيده من الصحيحين .

(٢) جامع البيان (٥٣٢/٣-٥٣٤) ، وتحقيق شاكر (٤٣٣/٧) . وانظر طه (١١-١٢) ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ الآيتين جامع البيان (٣٩٦/٨-٣٩٧) ، والحج (١-٢): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ جامع البيان (١٠٤/٩-١٠٦) ، والدخان (١٠-١٢) ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى

ويؤيّد الأحاديث التي ساقها ابن جرير – وقد ذكرت أحدها – قوله ﷺ : "من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مثّل له شجاعاً أقرع ، له زبيبتان ، يطوّقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه – يعني : شدقيه – يقول : أنا مالك ، أنا كنزك " ثم تلا هذه الآية : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ إلى آخر الآية " (١)

فلا شك أن الآية متعلقة على الراجح بمانعي الزكاة ؛ لتفسير النبي – ﷺ – الآية على هذا المعنى ، ولو لم يكن للزكاة ذكر بالاسم في سياق الآيات .(٢)

وقد وجدت موضعين كان للسنة فيهما دليل على الانقطاع ، أو الاتصال ؛ ولكن الإمام –رحمه الله– لم يذكر شيئاً من السنة :

الموضع الأول : في قوله -تعالى-: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢ - ٣٣] **حيث قال** : "اختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله : ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ : فقال بعضهم : عُني به: رسول الله – ﷺ – ، وعليّ ، وفاطمة (٣) ،

السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ الآيات جامع البيان (١١/٢٢٧-٢٢٨) .

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، وبوبه بنصّ الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] صفحة (٩٤٣) حديث (٤٥٦٥) .

(٢) انظر فتح الباري (٨/٢٣٠) .

(٣) فاطمة بنت رسول الله محمد – ﷺ – القرشية الهاشمية ، سيدة نساء أهل الجنة ، أمها خديجة بنت خويلد ، وهي أصغر بنات النبي – ﷺ – على الصحيح ، كنيتها أم الهاد وأم أبيها ، ولدت قبل البعثة بقليل ، وتزوجها علي بن أبي طالب وعمرها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر بعد وقعة بدر ، ولدت له الحسن والحسين ، وزينب -زوج عبد الله ابن جعفر -، وأم كلثوم -زوج عمر -، وتوفيت بعد رسول الله بستة أشهر ، سنة إحدى عشرة . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٥٢)، وسير أعلام النبلاء (٢/١١٨) ، وشذرات الذهب (١/١٥) .

والحسن (١)، والحسين (٢)، –رضوان الله عليهم–[وساق أحاديث منها :]...قالت عائشة : خرج النبيّ – ﷺ – ذات غداة ، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ(٣) من شعر أسود ، فجاء الحسن ، فأدخله معه ، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤)... **وقال آخرون** : بل عنى بذلك أزواج رسول الله –ﷺ–..." (٥)

فلم يرجّح في هذا الموضع ما أورد من السنة الدالّة على عدم اعتبار دلالة السياق، و لم يعلّق –رحمه الله– على صحة الحديث كما كان جارياً عليه في المواضع الأخرى .

وقد دلّ السياق على دخول الأزواج ، كما ذكر **ابن كثير –رحمه الله–** ؛ لسبب النزول فيهن ، ويدخل قرابته من باب الأولى ، وقد شبّه ابن كثير الخلاف في هذه الآية بالخلاف في المسجد المؤسّس على التقوى **في قوله** –تعالى– : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:

---

(١) هو أبو عبد الله ، الحسن بن علي بن أبي طالب ، سبط رسول الله – ﷺ – وريحانته ، هو وأخوه الحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ولد في نصف رمضان السنة الثالثة من الهجرة ، وهو أشبه الناس برسول الله –ﷺ– ، أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، سنة إحدى وأربعين ، بويع بالخلافة ثم تنازل بها لمعاوية –رضي الله عنه– ، توفي سنة تسع وأربعين ، وقيل غير ذلك . انظر الإصابة (١١/٢) ، وتهذيب التهذيب (٤٠٣/١) .

(٢) هو أبو محمد ، الحسين بن علي بن أبي طالب ، سبط سول الله – ﷺ – وريحانته ، هو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة ، ولد في شعبان ، سنة أربع من الهجرة ، وقتل في كربلاء يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين ، وله ست وخمسون سنة . انظر الإصابة (١٤/٢) ، وتهذيب التهذيب (٤٢٦/١) .

(٣) المرط : كساء من صوف خزٌ ، والمرحَّل : الذي فيه خطوط كرحال الإبل . انظر الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٣٦٠/٣-٣٦١) ، وترتيب القاموس المحيط (٣١٦/٢) ، و(٢٢٩/٤) .

(٤) وقد جاء الحديث في صحيح مسلم بزيادة الحسين وفاطمة وعلي –رضي الله عنهم –، ولفظه "...فجاء الحسن ابن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي – ﷺ – رقم (٢٤٢٤) (١٨٨٣/٤) .

(٥) جامع البيان (٢٩٦/١٠-٢٩٨) .

١٠٨] وهو قباء ؛ لسبب النزول ، ويدخل مسجد النبي -ﷺ- من باب الأولى ، فأفاد وأجاد ، ومثل ذلك الشوكاني –رحمه الله –(١).

ودخول قرابة النبي ﷺ من النسب ليس من طريق الأولى فقط ، بل بنصّ السّنة فقد أدخل النبي ﷺ الحسن والحسين وفاطمة وعليّ في مرطٍ مُرَحَّل ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢).

والموضع الثاني : في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١] **قال–رحمه الله–** : " يقول -تعالى ذِكْرُه - : وقلنا لعيسى : يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيّبه الله لكم دون الحرام ، ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ ﴾ ، تقول في الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كفوا عنّا أذاكم ، وكما قال : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، وهو رجلٌ واحدٌ . " (٣)

ولكن قد عمّم النبي – ﷺ – الخطاب للرسل جميعاً ، ولم يخصّ الخطاب لأحدٍ بعينه فقال : "...وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الآية الماضية] وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢] " الحديث...(٤)

فالسّنة جعلت الخطاب لعامة الرسل ، ويدخل عيسى - ﷺ - في عمومهم ، ولا شكّ أن أولى ما يفسر به القرآن السنة ، ولم يذكرها ابن جرير ، ولعل مندوحة ذلك أن الحديث لم يبلغه ، أما الآية من سورة الأحزاب الماضية فقد أورد النصوص ولم يرجحها على

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٦٥/٣-٤٦٨) ، وفتح القدير (٢٧٨/٤-٢٨٠) طبع دار المعرفة .

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل بيت النبي - ﷺ - رقم (٢٤٢٤) (١٨٨٣/٤) ، والآية من الأحزاب (٣٣) .

(٣) جامع البيان (٢٢٠/٩) .

(٤) الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة ، في كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها رقم (١٠١٥) صفحة (٧٠٣/٢) .

غيرها أو يذكر رأيه فيها ، كما هي عادته -رحمه الله -، وقد عوّد قرّاءه على التحقيق والتدقيق والترجيح .

٣- ترك اتصال السياق لقول الصحابة -رضي الله عنهم- ، عند قوله -تعالى-:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٠] **قال-رحمه الله-** : " وقوله : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : [كمسروق[1]] معناه : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ وهو موسى بن عمران - عليه السلام - ، ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ يعني : على مثل القرآن ، قالوا : ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة ...وقال آخرون : عُني بقوله : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ عبد الله بن سلام [2] **قالوا** : ومعنى الكلام : وشهد شاهدٌ من بني إسرائيل على مثل هذا القرآن بالتصديق . **قالوا** : ومثل القرآن التوراة...

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل ؛ لأن قوله : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ في سياق توبيخ الله -تعالى ذِكْرُه - مشركي قريش، واحتجاجاً عليهم لنبيّه- ﷺ- ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها ، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر ، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت ، ولا دلّ على انصراف الكلام - عن قصص الذين

---

[1] هو أبو عائشة ، مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ، أسلم في حياة النبي - ﷺ- وهو من المخضرمين ، ومن كبار التابعين الثقاة ، من أهل اليمن ، حدّث عن جمعٍ من الصحابة ، شلت يده يوم القادسية، وتوفي سنة ثلاث وستين ، وقيل اثنتين . انظر سير أعلام النبلاء (٤/٦٣) ، وتهذيب التهذيب (٤/٥٩) .

[2] هو أبو يوسف ، عبد الله بن سلام بن الحارث -رضي الله عنه- ، من ذرية يوسف -عليه السلام- حليف الخزرج ، كان من يهود بني قينقاع ، أسلم أول مقدم النبي - ﷺ - المدينة ، وشهد له الرسول بالجنة ، توفي سنة ثلاث وأربعين . انظر الإصابة (٤/٨٠) .

تقدّم الخبر عنهم – معنى ، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله – ﷺ – بأن ذلك عني به : عبد الله بن سلام ، وعليه أكثر أهل التأويل [ومنهم : عبد الله بن سلام نفسه ، وابن عباس ، وسعد بن أبي وقاص(١)، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، والضحاك(٢)، والحسن(٣)، وابن زيد ، ومالك بن أنس ، وغيرهم(٤)] ، قال ابن جرير : وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن ، والسّبب الذي فيه نزل ، وما أريد به ، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك : وشهد عبد الله بن سلام ، وهو الشاهد من بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ ، يعني : على مثل القرآن ، وهو التوراة ، وذلك شهادته أن محمّداً مكتوب في التوراة أنه نبيّ ، تجده اليهود مكتوباً عندهم في التوراة ، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبيّ . " (٥)

وذهب ابن كثير –رحمه الله– إلى أن الشاهد اسم جنس يعمُّ عبد الله بن سلام وغيره؛ لمكية السورة ، وإنما أسلم عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – بالمدينة .(٦)

---

(١) هو أبو إسحاق ، سعد بن أبي وقاص ، وأبو وقاص اسمه مالك بن وهيب ، ويقال : أهيب ، أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين ، شهد بدراً والحديبية ، قال له النبي – ﷺ –فداك أبي وأمي ، وهو أحد الستة أهل الشورى ، توفي سنة خمس وخمسين ، وقيل غير ذلك . انظر تاريخ بغداد (١٤٤/١) ، وحلية الأولياء (٩٢/١) ، والإصابة (٨٣/٣) ، وغاية النهاية (٣٠٤/١) .

(٢) هو أبو القاسم ، الضحاك بن مزاحم الهلالي ، المفسر ، كان من أوعية العلم ، وليس من المجود حديثه ، وهو صدوق في نفسه ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما ، وحديثه في السنن ، له تفسير رواه عنه عبيد بن سليمان ، توفي اثنتين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤) ، وتهذيب التهذيب (٢٢٦/٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢١٦/١) .

(٣) هو أبو سعيد ، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، الواعظ المفسر ، تابعي مولى ، ولد سنة إحدى وعشرين ، له كتاب في التفسير ، رواه عنه جماعة ، توفي سنة عشر ومائة . انظر معرفة القراء الكبار (٦٥/١) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (٢٣٥/١) ، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١٤٧/١) .

(٤) انظر جامع البيان (٢٧٨/١١-٢٨٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٦٢/٧) ، وفتح القدير (١٩/٥) ، وحكى الآلوسي أنه مذهب الجمهور في روح المعاني (جزء٢٦/٢٠) ، دار الفكر ١٤١٤هـ .

(٥) جامع البيان (٢٧٨/١١-٢٨١) .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم (٢٦٢/٧) .

وقال الكلبي : بمدنية الآية في سورة مكية (١) ، ورجح ذلك الشنقيطي (٢)، ونسب الشوكاني لابن جرير القول : بأنه رجل آمَن مِن أهل الكتاب بمكة (٣) ، وليس هذا في تفسير ابن جرير كما سبق .

٤- ترك اتصال السياق ؛ لما عبّر عنه بالإجماع عند أهل التأويل : ففي قوله -تعالى- : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠] **قال -رحمه الله-:** "...اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلاها فيما أوتيا من المولود : فقال بعضهم: جعلا له شركاء في الاسم [أي : أنهما آدم وحواء]...وقال آخرون: بل المعنيّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم ، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد ، وقالوا : معنى الكلام : هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها : أي هذا الرجل الكافر ، حملت حملاً خفيفاً ، فلما أثقلت دعوتما الله ربكما ، قالوا : وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب ، ثم ردّ إلى الخبر عن الغائب ، كما قيل : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] ...

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب : قول من قال : عني بقوله : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ في الاسم لا في العبادة ، وأن المعنيّ بذلك آدم وحوّاء ؛ لإجماع الحجة

---

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٥/٥) .

(٢) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٦/٥) ، والشنقيطي هو : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الحافظ الزاهد، ولد بموريتانيا ، سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف ، أصولي فقيه مفسر لغوي ، له هذا التفسير ، ومذكرة في أصول الفقه ، وغيرهما ،درّس في كلية الشريعة واللغة العربية بجامعة الإمام ،ودرّس بالجامعة الإسلامية والحرم النبوي الشريف ، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف . انظر ترجمته في مقدمة أضواء البيان (٣/١) ، لتلميذه الشيخ القاضي عطية سالم -رحمه الله- ، وكتاب علماء ومفكرون عرفتهم صفحة (١٧١) .

(٣) فتح القدير (١٦/٥) .

من أهل التأويل على ذلك ." [١]

ومعنى الإجماع عند الطبري – رحمه الله– : عدم الاعتداد بمخالفة الواحد والاثنين، وليس الإجماع بمعناه الاصطلاحي عند الأصوليين [٢] ، وإلا فقد أورد قول من قال : بأنه غير آدم ، ورواه عن الحسن –رحمه الله – ، ورجح ابنُ كثير : قولَ الحسن ؛ لأن الروايات في تعيين أن المراد آدم وحواء ليست مرفوعة ، وأصلها مأخوذ من أهل الكتاب كأبي بن كعب فإن ابن عباس رواه عنه [٣] ، وإلى مثل هذا القول ذهب القرطبي[٤]، وقال الآلوسي : وهذا الموضع عندي من المشكلات،ورجح التسليم بالرواية ؛ لأنها مما لا يقال فيها بالرأي.[٥]

٥- ترك اتصال السياق لسبب النزول : ففي قوله –تعالى- : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق: ٣٩ - ٤٠] **قال –رحمه الله–** : " يقول –تعالى ذِكْرُه – لنبيّه محمد –ﷺ -: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء اليهود ، وما يفترون على الله ويكذبون عليه ، فإن الله لهم بالمِرصاد... "[٦].

ويؤيّد قول الإمام –رحمه الله– ما مضى في السياق من ذكر اليهود ، في قوله –تعالى- : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق: ٣٨] التي دلّ سبب النزول على أنها في اليهود ، وهو عن أبي بكر ، قال : جاءت اليهود إلى

---

[١] جامع البيان (١٤٤/٦-١٤٧) ، وتحقيق شاكر (٣٠٨/١٣) .

[٢] انظر الإجماع في التفسير صفحة (١٣٩-١٤١) للشيخ : محمد بن عبد العزيز الخضيري ، رسالة ماجستير ، في جامعة الإمام، ١٤١٦هـ .

[٣] انظر تفسير القرآن العظيم (٢٦٣/٢-٢٦٤) . وأبي بن كعب هو : بن قيس بن عبيد ، أبو المنذر الأنصاري ، سيّد القراء ، قال له النبي – ﷺ -: ليهْنك العلم أبا المنذر ، وقال : إن الله أمرني أن أقرأ عليك ، توفي سنة تسع عشرة وقيل غير ذلك . انظر معرفة القراء الكبار (٢٨/١) ، وسير أعلام النبلاء (٣٤٩/١) ، والإصابة (١٦/١) ، وغاية النهاية (٣١/١).

[٤] الجامع لأحكام القرآن (جزء ٢١٥/٧) .

[٥] روح المعاني (٢٠٢/٦)و(٢٠٦-٢٠٧) .

[٦] جامع البيان (٤٣٥/١١) .

النبيّ - ﷺ - ، فقالوا : يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ . فقال : «خَلَقَ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ وَالاِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثّلاثاءِ ، وَخَلَقَ المَدائِنَ والأَقْوَاتَ والأنهارَ وعُمْرانَها وَخَرَابَها يَوْمَ الأَرْبعاءِ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالمَلائِكَةَ يَوْمَ الخَمِيس إلى ثَلاثِ ساعاتٍ ، يعْنِي مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، وَخَلَقَ فِي أوّلِ الثّلاثِ السّاعاتِ الآجالَ، وفي الثّانِيَةِ الآفَةَ ، وفي الثّالِثَةِ آدَمَ ، قالوا : صدقت إن أتممت ، فعرف النبيّ - ﷺ - ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله : ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٣٨ - ٣٩]".⁽¹⁾

فالذي قطع الحديث عن البعث وهو - في سياق الحديث عن المشركين إلى اليهود- هو سبب النزول ، ولكن يبقى ملاحظة أن سبب النزول ضعيف - والله أعلم -.

ولكن لا يلزم من سبب النزول قطع السياق على الإطلاق : فعند قوله -تعالى-: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥] **قال -رحمه الله-**: "...اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت ، فقال بعضهم : نزلت في الزبير بن العوّام ⁽²⁾ وخصمٍ له من

---

(١) رجال السند كما قال ابن جرير : حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران، عن أبي سنان ، عن أبي بكر ، فابن حميد، اسمه محمد، ضعيف (في تقريب التهذيب:٦٩/٢) ووثّقه شاكر ، وقال : الأغلاط في أحاديثه من جهة مشايخه ، انظر تحقيق شاكر (٤٦/٣و١٨١) ، ومهران بن أبي عمرو : صدوق له أوهام سيئ الحفظ (في تقريب التهذيب:٢١٨/٢) ، وأبو سنان، هو : سعيد بن سنان ، صدوق له أوهام ، (في تقريب التهذيب:٣٥٦/١) وقال شاكر : يخطئ بعض الخطأ (تحقيق شاكر :١٧٢/١) ، وهو من الطبقة السادسة الذين لم يثبت لهم إدراك الصحابة ؛ إذن : فالحديث مرسل وهو ضعيف – والله أعلم –ولكن ورد من طريق آخر عند الحاكم في المستدرك (٥٤٣/٢) قال : أخبرنا أبو سعيد أحمد ابن محمد بن عمرو الأحمسي بالكوفة ، ثنا الحسين بن الربيع ، ثنا حماد بن السري ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة، عن ابن عباس...الحديث ، قال الذهبي في التلخيص : أبو سعيد البقال قال ابن معين : لا يكتب حديثه (٥٤٣/٢) ، فالظاهر ضعفه –والله أعلم -. وانظر أسباب النزول للواحدي ، تحقيق عصام الحميدان صفحة (٣٩٧) .

(٢) هو أبو عبد الله ، الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ، حواريّ رسول الله - ﷺ - ، وابن عمته صفية ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، قيل أسلم وعمره ثلاث عشرة سنة ، وهو أول من سلّ سيفا في سبيل الله ، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، قتله ابن جرموز غدراً في وادي السباع ، سنة ست وثلاثين . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣٢١/٢) ، =

الأنصار، اختصما إلى النبيّ - ﷺ - في بعض الأمور...وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في المنافق واليهودي اللذين وصف الله صفتهما في قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]...

قال أبو جعفر : وهذا القول : أعني قول من قال : عني به المحتكمان إلى الطاغوت -اللذان وصف الله شأنهما في قوله :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ - أولى بالصواب ؛ لأن قوله : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ في سياق قصة الذين ابتدأ اللّه الخبر عنهم بقوله : :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ، ولا دلالة تدلّ على انقطاع قصتهم ، فإلحاق بعض ذلك ببعض -ما لم تأت دلالة على انقطاعه- أوْلَى .

فإن ظنّ ظانّ أن في الذي رُوي عن الزبير...من قصّته وقصّة الأنصاري [1] في شراج الحرّة [2] ، وقول من قال في خبرهما ، فنزلت : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ما ينبئ عن انقطاع حكم هذه الآية وقصتها من قصة الآيات قبلها ، فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحتكمين إلى الطاغوت ، ويكون فيها بيان ما

ومعرفة الصحابة (٣٤٣/١) ، والإصابة (٥/٣) ، وشذرات الذهب (٤٣/١).

[1] القصة بين الزبير بن العوّام ورجل من الأنصار : أنهما اختصما في شراج من الحرّة كانا يسقيان به النخل، فقال الأنصاريّ : سرّح الماء يمرّ! فأبى عليه، فقال رسول الله ﷺ: «اسْقِ يا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إلى جارِكَ!» فغضب الأنصاريّ وقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلوّن وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اسْقِ يا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حتى يَرْجِعَ إلى الجَدْرِ ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إلى جارِكَ!» واستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة .(انظر جامع البيان (١٦١/٤) وقد أورد البخاري نحوها في صحيحه عند تفسير هذه الآية صفحة (٩٥٠) حديث (٤٥٨٥) .

[2] الشرج : مسيل ماء من الحرة إلى السهل ، ترتيب القاموس (٦٩١/٢) مادة (ش ر ج) ، والمراد به هنا : مسيل الماء ، قال أبو عبيد : "كان بالمدينة واديان يسيلان بماء المطر فيتنافس الناس فيه ، فقضى رسول الله ﷺ للأعلى فالأعلى". انظر فتح الباري (٣٦/٥) ، ومعجم البلدان لياقوت (٣٣١/٣) .

احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاريّ ، إذ كانت الآية دلالةً دالّة ، وإذ كان ذلك غير مستحيل ، كان إلحاق معنى بعضٍ ذلك ببعضٍ أولى ، ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد ، إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعضٍ ذلك من بعضٍ ، فيُعدَل به عن معنى ما قبله"(١).

٦- دليل انقطاع السياق من اللغة : فقد يترك طلب اتصال السياق للعموم :

ففي قوله -تعالى- : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤] **قال أبو جعفر:** " يعني بذلك -جلّ ثناؤه - : قل يا محمد لأهل الكتاب -وهم أهل التوراة والإنجيل-...واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية : فقال بعضهم : نزلت في يهود بني إسرائيل الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله -ﷺ -...وقال آخرون : بل نزلت في الوفد من نصارى نجران...

قال أبو جعفر : وإنما قلنا : عنى بقوله : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ : أهل الكتابين ؛ لأنهما جميعاً من أهل الكتاب ، و لم يخصص -جلّ ثناؤه- بقوله : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بَعْضاً دون بعض ، فليس بأن يكون موجّهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة بأولى منه بأن يكون موجّهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل ، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة . وإذ لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر ؛ لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح ، فالواجب أن يكون كل كتابي معنيّاً به ؛ لأن إفراد العبادة لله وحده ، وإخلاص التوحيد له ، واجب على كل مأمور منهيّ من خلق الله ، واسم أهل الكتاب يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل ، فكان معلوماً بذلك أنه عني به الفريقان جميعاً . " (٢).

---

(١) حامع البيان (٤/١٦١-١٦٣) ، وتحقيق شاكر (٨/٥١٨) .

(٢) حامع البيان (٣/٣٠٠) ، وتحقيق شاكر (٦/٤٨٣) . ومثله في الأحزاب (٢٧) ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧] الآية ، حامع البيان (١٠/٢٨٨) ، والطلاق (٤) ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ

-

٧- ويترك طلب اتصال السياق لحمل الكلام على الأغلب :

فعند قوله -تعالى- : ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ [الأنبياء: ٩١] **قال أبو جعفر** :"...واختُلف في الفرج الذي عنى الله -جلّ ثناؤه- أنها أحصنته : فقال بعضهم : عَنَى بذلك فَرْجَ نفسها أنها حفظته من الفاحشة ، وقال آخرون: عَنَى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرئيل منه قبل أن تعلم أنه رسول ربها ، وقبل أن تثبته معرفة ، قالوا : والذي يدلّ على ذلك قوله : ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾ ويعقب ذلك قوله : ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ قالوا : وكان معلوماً بذلك أن معنى الكلام : والتي أحصنت جيبها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا .

قال أبو جعفر : والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك : قول من قال : أحصنت فرجها من الفاحشة ؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه ، والأظهر في ظاهر الكلام ، ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ يقول : فنفخنا في جيب درعها من روحنا ." (١)

٨- ومن أدلة ترك اتصال السياق : الإعراب :

كما في قوله -تعالى- : ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ۝١١٣﴾ [آل عمران: ١١٣] **حيث قال أبو جعفر -رحمه الله-** : " يعني بقوله -جلّ ثناؤه- : ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ ليس فريقا أهل الكتاب - أهل الإيمان منهم والكفر - سواء، يعني بذلك : أنهم غير متساوين، يقول : ليسوا متعادلين ، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد، والخير والشرّ . وإنما قيل: ليسوا سواء ؛ لأن فيه ذكر الفريقَين من أهل الكتاب اللذَيْن ذكرهما الله في قوله : ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ

فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ الآية ، جامع البيان (١٢/١٣٦) .

(١) جامع البيان (٩/٨٠) . وانظر مثله : في الحديد (١٩) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[الحديد: ١٩] الآية ، جامع البيان (١١/٦٨٤) .

﴿الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران: ١١٠] ثم أخبر -جلّ ثناؤه- عن حال الفريقين عنده ، المؤمنة منهما والكافرة ، فقال : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي : ليس هؤلاء سواء ، المؤمنون منهم والكافرون ، ثم ابتدأ الخبر -جلّ ثناؤه- عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم وأثنى عليهم ، بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ونَخْب الجَنان(١) ، ومحالفة الذلّ والصغار ، وملازمة الفاقة والمسكنة ، وتحمّل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة ، فقال : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ الآيات الثلاث ، إلى قوله : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾ [آل عمران: ١١٥] فقوله : ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مرفوعة بقوله : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ . وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمقدّمين منهم في صناعتهم ، أن ما بعد ﴿سَوَاءً﴾ في هذا الموضع من قوله : ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ ترجمة عن ﴿سَوَاءً﴾ ، وتفسيرٌ عنه ، بمعنى : لا يستوي من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ، وأخرى كافرة ، وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى تُرِكَ اكتفاءً بذكر إحدى الفرقتين ، وهي: الأمة القائمة...وأخطئوا تأويل الآية ، فسواء في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء ، لا بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله ." (٢)

وكالاستئناف في قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ [التوبة: ٤٠] **قال** -رحمه الله-: " وقوله : ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ خبر مبتدأ غير مردود على قوله : ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ ؛ لأن ذلك لو كان معطوفاً على الكلمة الأولى لكان نصبا " (١) .

---

(١) النخب : الجبن وضعف القلب .

(٢) جامع البيان (٣/٣٩٧-٣٩٨) ، وتحقيق شاكر (٧/١١٨) .

(١) جامع البيان (٦/٣٧٦) ، وتحقيق شاكر (١٤/٢٦١) . ومثله في : إبراهيم (٤) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾

فاستدل بالرفع في قوله -تعالى- : ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ على أن الجملة مستأنفة جديدة ، منقطعة عما قبلها من الكلام ؛ لأن ما قبلها منصوب وهي مرفوعة .

والاستئناف ليس دليلاً على انقطاع السياق على إطلاقه : ففي قوله -تعالى- : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه -: إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ؛ ولكنه رفع، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها ، والعرب تفعل ذلك..." (١)

وقد يتساوى المعنى بين القطع والوصل : قال -رحمه الله - : " واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦﴾ [الصافات: ١٢٦] فقرأته عامة قرّاء مكة والمدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة :{ اللَّـهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ } رفعاً على الاستئناف ، وأن الخبر قد تناهى عند قوله : {أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ}(٢) ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة : ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦﴾ نصباً ، على الردّ على قوله : ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥] على أن ذلك كله كلام واحد .(٣)

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مع استفاضة القراءة بهما في القرّاء ، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فمصيب ، وتأويل الكلام : ذلك معبودكم أيها

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ الآية ،جامع البيان (٤١٥/٧) . وقد يحتمل الوصل والقطع إعراباً ويصح الوجهان ، كما في : الصافات (٧٨-٧٩) ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ جامع البيان (٤٩٨/١٠) ، و(١٠٨-١٠٩) ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ جامع البيان (٥١٧/٩) .

(١) جامع البيان (٤٨٢/٦-٤٨٣) ، وتحقيق شاكر (٥٠٠/١٤) .

(٢) الصافات (١٢٥) .

(٣) النصب قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وخلف ، والباقون بالرفع . انظر كتاب السبعة صفحة (٥٤٩)، والنشر في القراءات العشر (٣٦٠/٢) ، والمهذب في القراءات العشر (١٧٧/٢) .

الناس الذي يستحقّ عليكم العبادة ، ربكم الذي خلقكم ، وربّ آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئاً ، ولا يضرّ ولا ينفع ."(١)

وَبَعْدُ فقد ذكرت أدلة الانقطاع التي ذكرها الطبري -رحمه الله -في تفسيره ، وليس معنى ذلك حصرها في هذه الأدلة .

وقد تبين أن الأصل : اتصال الكلام ما لم يدل دليل على انقطاعه ، ومن أمثلة ذلك: كون النصّ لا يحتمل أن يكون المتكلم به واحداً ، أو دلّت الأحاديث عن النبي - ﷺ- على انقطاع السياق عما قبله ، أو صح عن جمع من الصحابة -رضي الله عنهم - التفسير بانقطاع السياق ، أو أجمع أهل التفسير عليه ، أو كان سبب النزول دالاً عليه ، أو دلت اللغة على عدم وصل الكلام ، أو كان أغلب استعمال اللغة على معنى منقطع عما قبله ، أو دل الإعراب على الانقطاع ، على ما سبق تفصيله في الأدلة الماضية.-والله أعلم-.

---

(١) جامع البيان (٥٢٣/١٠) .

المطلب الرابع: مواضع محتملة لاتصال السياق وانقطاعه:

هذا وإن كان الأصل اتصال السياق ، فإن هناك مواضع يمكن تفسيرها على الانقطاع أو الانفصال ؛ لاحتمالها الوجهين ، مما يدل على أن السياق هو الأصل والأغلب، ولا حرج من ذكر احتمال الوجهين .

كما في قوله -تعالى- : ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (٢٣)﴾ [النبأ: ٢٣] **قال -رحمه الله-** : " وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ مدة الحُقْب ، فقال بعضهم : مدة ثلاثمائة سنة...**وقال آخرون:** بل مدة الحُقْب الواحد : ثمانون سنة...**وقال آخرون** : الحُقْب الواحد : سبعون ألف سنة... ورُوي عن خالد بن معدان (١) في قوله : ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (٢٣)﴾ ، وقوله :﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[هود: ١٠٧] : أنهما في أهل التوحيد أهل القِبلة ، فإن قال قائل : فما للكفار عند الله عذاب إلاّ أحقاباً ، قيل : إن الربيع (٢) وقتادة قد قالا : إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ، ولا انقطاع ، وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : لابثين فيها أحقاباً ، في هذا النوع من العذاب، هو أنهم : ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)﴾ [النبأ: ٢٤ - ٢٥] فإذا انقضت تلك الأحقاب ، صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك ، كما قال -جلّ ثناؤه- في كتابه : ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ (٥٨)﴾ [ص: ٥٥ – ٥٨] وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية..." (٣)

---

(١) هو أبو عبد الله ، خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي ، الشامي الفقيه ، تابعي أدرك سبعين من الصحابة ، وثقه العجلي وغيره ، قال بالقدر ، توفي سنة ثلاث ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر المعارف صفحة (٦٢٥) ، وسير أعلام النبلاء (٥٣٦/٤) ، وتهذيب التهذيب (٥٣٢/١) .

(٢) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي ، قال الذهبي : كان عالم مرو في زمانه ، وفي تقريب التهذيب : صدوق له أوهام رمي بالتشيع ، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (١٦٩/٦) ، وتقريب التهذيب (٢٤٣/١) .

(٣) جامع البيان (٤٠٤/١٢-٤٠٥) .

وقال –رحمه الله – : " وفي قوله : ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٤ ﴾ [يس: ٤] وجهان أحدهما: أن يكون معناه :إنك لمن المرسلين على استقامة من الحقّ ، فيكون حينئذٍ ﴿ عَلَىٰ ﴾ من قوله: ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٤ ﴾ من صلة الإرسال ، والآخر : أن يكون خبراً مبتدأ ، كأنه قيل : إنك لمن المرسلين . إنك على صراط مستقيم ." (١)

وكذلك فعل القرطبي(٢)، وذكر الزمخشري أنها خبر وصلة (٣)، ووصلها ابن كثير بالآية التي قبلها(٤)، وأما الرازي والشوكاني فقالا : خبرٌ بعد خبر .(٥)

---

(١) جامع البيان (٤٢٥/١٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (جزء٦/١٥) طبع دار الكتب العلمية .

(٣) الكشاف (٣١٤/٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥٤١/٣) .

(٥) مفاتيح الغيب (جزء٤١/٢٦) وفتح القدير (٣٦٠/٤) .وانظر أمثلة أخرى في : آل عمران (١٥) ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ الآية ، حامع البيان (٢٠٦/٣) ، والأحزاب (٦) ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ حامع البيان (٢٦٠/١٠) ، و (٦١) ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ٦١ ﴾ ، حامع البيان (٣٣٤/١٠).

المطلب الخامس : مواضع لم يطبق فيها الإمام قاعدة : الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه :

كان الإمام الطبري -رحمه الله- يؤكد على اتصال الكلام بما قبله وبما بعده ، ولا يعيده إلى متقدم بعيد إلا بدليل ، وهناك من المواضع ما كان خارجاً عن هذا الاستعمال ، وهي كالتالي :

في قوله -تعالى- : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ [النساء: ١٣١] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه- : ولله ملك جميع ما حوته السموات السبع والأرضون السبع من الأشياء كلها ، وإنما ذكر -جلّ ثناؤه- ذلك بعقب قوله : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[النساء: ١٣٠] تنبيهاً منه خلقه على موضع الرغبة عند فراق أحدهم زوجته ؛ ليفزعوا إليه عند الجزع من الحاجة والفاقة والوحشة بفراق سكنه وزوجته ، وتذكيراً منه له أنه الذي له الأشياء كلها ، وأن من كان له ملك جميع الأشياء فغير متعذّر عليه أن يغنيَه وكلّ ذي فاقة وحاجة، ويؤنسَ كلّ ذي وحشة، ثم رجع -جلّ ثناؤه- إلى عذل من سعى في أمر بني أبيرق (١)، وتوبيخهم ، ووعيد من فعل ما فعل المرتدّ منهم ، فقال : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ يقول : ولقد أمرنا أهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يقول : وأمرناكم وقلنا لكم ولهم : ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ ، يقول : احذروا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه، ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ يقول : وإن تجحدوا وصيته إياكم أيها المؤمنون فتخالفوها ، ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ ، يقول : فإنكم لا تضرون بخلافكم وصيته غير أنفسكم ، ولا تَعْدون في كفركم ذلك أن تكونوا أمثال اليهود

---

(١) هم : بشرٌ وبشيرٌ ومبشّرٌ ، وكان بشير رجلاً منافقاً ، وقيل اسمه : طعمة بن أبيرق ، ارتدّ ومات كافراً . انظر جامع البيان (٢٦٥/٤و٢٦٧و٢٦٩) .

والنصارى ، في نزول عقوبته بكم ، وحلول غضبه عليكم ، كما حلّ بهم..." (١)

والآية التي في بني أبيرق مضت قبل آيات كثيرة ، وهي قوله -تعالى- : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥] ، وأما الآية التي أرجعها إلى بني أبيرق فهي قوله -تعالى- : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ والفاصل بينهما بعيد ، ولم أجد من خص بني أبيرق مع عموم الخطاب ، فيما اطلعت عليه ، غير ابن جرير -رحمه الله- ، إلا أن يكون مراده أن بني أبيرق أولى من يدخل في هذا الخطاب مع دخول غيرهم -كما هي عادته-.

وفي قوله -تعالى- : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٧٢﴾ [الحجر: ٧٢] **قال -رحمه الله-:** "وقوله : ﴿لَعَمْرُكَ﴾ يقول -تعالى- لنبيّه محمد -ﷺ- : وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، يقول : لفي ضلالتهم وجهلهم يتردّدون ." (٢)

والسباق واللحاق لهذه الآية ينفي أن يكون هذا الخطاب حاكياً حال قريش مع النبي - ﷺ - ، بل هو يحكي فعل قوم لوط مع لوط - عليه السلام - على الصحيح ، كما ذكر ذلك ابن عطية ، ونقله الآلوسي عنه .(٣)

وفي قوله -تعالى- ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف: ٥٢] **قال -رحمه الله-** : " وقوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ يقول [أي: يوسف عليه السلام] : فعلت ذلك ؛ ليعلم سيدي أني لم أخنه بالغيب ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ : يقول : وأن الله لا يسدّد صنيع من خان الأمانات ، ولا يرشد فعالهم في خيانتهموها ، واتصل قوله : ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ بقول امرأة العزيز : ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٥١﴾ [يوسف: ٥١] ؛ لمعرفة السامعين لمعناه ، كاتصال قول الله : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٣٤﴾ [النمل: ٣٤]

---

(١) جامع البيان (٣١٦/٤-٣١٧) ، وتحقيق شاكر (٢٩٥/٩) .

(٢) جامع البيان (٥٢٦/٧) .

(٣) المحرر الوجيز (١٤٤/١٠) ، وروح المعاني (١٠٨/٨) .

بقول المرأة : ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾[النمل: ٣٤] ، وذلك أن قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٣٤﴾ خبر مبتدأ ، وكذلك قول فرعون لأصحابه في سورة الأعراف: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ وهو متصل بقول الملأ : ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾[الأعراف: ١١٠] " (١).

فجَعَل هذا الكلام من قول يوسف-عليه السلام-،مع أن سياق القصة والحادثة ليس فيه ذكرٌ ليوسف معهم ، بل إن يوسف وقتها كان في السجن ، وقد رجّح ذلك ابن كثير ؛ بدلالة السياق ، وأنه الأنسب والأليق بالكلام ، وقال :" حكاه الماوردي(٢) في تفسيره (٣)، وانتدب لنصره الإمام أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله - فأفرده بتصنيف على حِدَةٍ " (٤)

---

(١) جامع البيان (٧/٢٣٥-٢٣٦) ، وتحقيق شاكر (١٦/١٤١) .

(٢) هو أبو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي الماوردي ؛ لأنه كان يبيع ماء الورد أو يصنعه ، له : تفسير النكت والعيون والحاوي في الفقه الشافعي ، والأحكام السلطانية ، وغيرهما ، توفي سنة خمسين وأربعمائة . انظر الأنساب (٥/١٨١) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/٦٤) ، وطبقات المفسرين للسيوطي صفحة (٧١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١/٤٢٣) ، وشذرات الذهب (٣/٢٨٥) .

(٣) انظر تفسير النكت والعيون للماوردي (٣/٤٨) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٦٣) طبع دار عالم الكتب ، وانظر بعض هذا البحث لشيخ الإسلام في الآية في الفتاوى (١٥/١٣٨-١٥٦) ومن أدلته : على أن اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ليس مرجعه إلى يوسف عليه السلام أنه لم يتقدم من يوسف كلام، ولم يتقدم ذكر عفاف ،بل تقدم قول النسوة : ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: ٥١] ، وقولها : ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٥١] فقط ، ويلزم من القول بأن اسم الإشارة عائد ليوسف أن ترك يوسف للفاحشة إنما كان من أجل العزيز ، ولكن الله-عز وجل-أخبر أنه تركها خوفاً من الله ورجاء لثوابه ولعلمه بأن الله يراه ،لا لأجل مجرد علم مخلوق قال الله -تعالى- : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤] ، ثم حال العزيز ليس الغيرة على امرأته بل عكس ذلك ، فلا ينفع هذا الفعل عنده ، ثم الخيانة ضد الأمانة وهما من جنس الصدق والكذب ، وأما فعل الفاحشة فهو من الظلم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣] ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤] ، ثم قد صدق على المرأة وصف النفس الأمارة بالسوء ، وأما يوسف فإن لم تكن نفسه مرحومة عن هذا الوصف فما في الأنفس مرحوم ...باختصار وتصرف .

وهذه الآية موضع خلاف بين المفسرين ، ولكن ابن جرير -رحمه الله-، لم يذكر فيها إلا قولاً واحداً ، والراجح فيها أن الكلام كلّه كلام المرأة ؛ لاتصاله بكلامها .

وفي سورة المطففين موضعان متشابهان :

الأول:قوله -تعالى- : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ (٨) كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ (٩)﴾ المطففين [: ٨ - ٩] **قال ابن جرير:** "يقول -تعالى ذِكْرُه -لنبيّه محمد- ﷺ -:وأيّ شيء أدراك يا محمد ؟،أيّ شيء ذلك الكتاب؟ثم بين ذلك-تعالى ذِكْرُه-فقال:هو ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ وعنى بالمرقوم : المكتوب ." (١)

والثاني : قوله -تعالى- : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ (٢٠)﴾ [المطففين:١٩ - ٢٠] **قال:** " يقول -تعالى ذِكْرُه -لنبيّه محمد الله ، مُعَجّبه من علّيين : وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما عليون ؟ وقوله : ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ يقول -جلّ ثناؤه- : إن كتاب الأبرار لفي عِلّيين ، ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ : أي مكتوب بأمان من الله إيّاه من النار يوم القيامة ، والفوز بالجنة ." (٢)

فهذان الاستفهامان في السورة : عن المكان ، فكيف يكون الجواب عن المكان بوصف الكتاب ! ، والظاهر من السياق : أن الجواب محذوف تعظيماً ، وما بعده وصف للكتاب ، لا لمكان الكتاب . -والله أعلم-(٣).

وقد جاء في الحديث القدسي عن النبي -ﷺ- أنه قال عن العبد الكافر حين يصعد به إلى السماء : "اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى" وعن العبد المؤمن : "اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة "(٤).

قال الراغب الأصفهاني -رحمه الله- : والسجّين اسم لجهنم بإزاء عليين...وقد

---

(١) جامع البيان (٤٨٨/١٢) .

(٢) جامع البيان (٤٩٥/١٢) .

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي (٤٥٩/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٨٦/٤) ، وبصائر ذوي التمييز للفيروزأبادي (١٩٤/٣)، وتفسير التحرير والتنوير (١٩٥/٣٠-١٩٦) .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٨٧/٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان للبيهقي (٣٥٧/١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "ورجال أحمد رجال الصحيح "(٥٠/٣) .

قيل: إن كل شيء ذكره الله -تعالى- بقوله : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فسَّره [١]، وكل ما ذكر بقوله : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ تركه مبهماً ، وفي هذا الموضع ذكر : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ وكذا في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [٢] ثم فسَّر الكتاب لا السجين والعليين[٣].

وفي ختام هذا المبحث يتبين أهمية قاعدة : الكلام على اتصاله ما لم يدل دليل على انقطاعه ، وأن هناك أدلة لغوية على اتصال السياق وانقطاعه يجب مراعاتها ، وهناك أشياء أخرى يترك السياق لأجلها -سبق الحديث عنها- ، وهذا المبحث أساس دلالة السياق ؛ ولذلك طال عرض الأمثلة فيه ، مع محاولتي الاختصار والاقتصار على أهم المواضع التي فيها توضيحٌ لطريقة التعامل مع المواضع المماثلة –والله تعالى أعلم -.

---

(١) وقد وردت جملة : ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ في : الحاقة (٣) ، والمدثر (٢٧) ، والمرسلات (١٤) ، والانفطار (١٧-١٨) ، والمطففين (٨و١٩) ، والطارق (٢) ، والبلد (١٢) ، والقدر (٢) ، والقارعة (٣و١٠) ، والهمزة (٥) .

(٢) المطففين (١٩) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن صفحة (٣٩٩) .

المبحث الثاني : إذا تتالت كلمتان والثانية نعت فإنها تحمل على سابقتها :

معنى القاعدة : أنّ توارد مفردتين متجاورتين يجعل حمل الثانية نعتاً للمفردة الأولى أفضل من جعلها لمعنى آخر بعيد ، وسبب ذلك طلب اتصال السياق وعدم انقطاعه، ويتضح ذلك بالأمثلة :

ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٥٣] **قال أبو جعفر** : " يعني بقوله: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ واذكروا أيضاً : إذ آتينا موسى الكتاب والفرقان . ويعني بالكتاب : التوراة ، وبالفرقان : الفصل بين الحقّ والباطل...[ولما سُئل ابن زيد عن هذه الآية قال]...: أما الفرقان الذي قال الله -جل وعز- : ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾[الأنفال: ٤١] فذلك يوم بدر ، يوم فرق الله بين الحق والباطل ، والقضاءُ الذي فرق به بين الحق والباطل . قال : فكذلك أعطى الله موسى الفرقان ، فرق الله بينهم ، وسلمه وأنجاه ، فرق بينهم بالنصر ، فكما جعل الله ذلك بين محمد -ﷺ- والمشركين ، فكذلك جعله بين موسى وفرعون .

قال أبو جعفر: وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية...أن الفرقان الذي ذكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع : هو الكتاب الذي فرق به بين الحقّ والباطل ، وهو نعت للتوراة وصفة لها . فيكون تأويل الآية حينئذ: وإذ آتينا موسى التوراة التي كتبناها له في الألواح ، وفرقنا بها بين الحقّ والباطل ، فيكون الكتاب نعتاً للتوراة ، أقيم مقامها استغناءً به عن ذكر التوراة ، ثم عطف عليه بالفرقان ، إذ كان من نعتها...وإنما قلنا هذا التأويل أولى بالآية وإن كان محتملاً غيره من التأويل ؛ لأن الذي قبله من ذكر الكتاب ، وأن معنى الفرقان الفصل...فإلحاقه إذ كان كذلك بصفة ما وليه أَوْلى من إلحاقه بصفة ما بعد منه..." (١)

وهكذا جعل الإمام الكتاب : التوراة ، والفرقان : وصفاً لها ، إلحاقاً للكلام

---

(١) جامع البيان (٣٢٣/١) ، وتحقيق شاكر (٧٠/٢) .

بالقريب الأولى من البعيد ؛ ليتصل الكلام بعضه ببعض ، مع احتمال الأوجه الأخرى ، وهو قول الراغب (١) . ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) ﴾ [الأنبياء: ٤٨] (٢) وذكر نحوه ابن كثير (٣)، وهو القول في تفسير الجلالين(٤)، ورجح ابن القيم والشوكاني التفريق بينهما ، بل جزم ابن القيم بتصحيح هذا القول دون غيره (٥)، فالكتاب : هو التوراة ، والفرقان : الحجة والبيان بالآيات التي أعطاه الله من العصا واليد وغيرهما ، وقال : وهذا أولى وأرجح ، ويكون العطف على بابه(٦)؛ ولكن يشكل عليه الآية الماضية الظاهرة من سورة الأنبياء ، في أن الفرقان والتوراة والضياء والذكر أوصاف وأسماء لشيء واحد على القول الراجح ، وسيأتي تفصيل هذه الآية بعد قليل–بإذن الله تعالى– .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١] **قال –رحمه الله–** : "اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالذكر والرسول في هذا الموضع ، فقال بعضهم : الذكر : هو القرآن ، والرسول : محمد –ﷺ–...وقال آخرون : الذكر : هو الرسول .

والصواب من القول في ذلك : أن الرسول ترجمة عن الذكر ، وذلك نصب ؛ لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة ، فتأويل الكلام إذاً : قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذِكراً من الله لكم ، يذكركم به ، وينبهكم على حظكم ، من الإيمان بالله والعمل بطاعته ، رسولاً يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه..." (٧)

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن صفحة (٦٣٤) .

(٢) انظر روح المعاني (جزء ٤١٠/١) فقد ذكره أول الأقوال وقال : ويؤيده .. .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم (٨٨/١) .

(٤) تفسير الجلالين صفحة (١١) .

(٥) بدائع التفسير (٢٣٠/١) .

(٦) فتح القدير (٨٥/١-٨٦) .

(٧) جامع البيان (١٤٤/١٢) .

وقال ابن كثير -رحمه الله - : " الذكر : القرآن ، كقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ [الحجر: ٩] والرسول مبلّغه " ، وساق رأي ابن جرير و لم يعلّق عليه ⁽¹⁾، وفي تفسير الجلالين فرّق بين الذكر والرسول : فالذكر القرآن ، والرسول : منصوب بفعل مقدر ، أي : وأرسل⁽²⁾ .

وذكر الراغب -رحمه الله -: احتمالهما وجهين من الإعراب : إمّا على البدل ، وهو مثل قول ابن جرير ، أو أنّ ﴿رَسُولًا﴾ منتصب بـ ﴿ذِكْرًا﴾ كأنه قال : قد أنزل الله إليكم كتاباً ذكراً رسولاً يتلو ، نحو قوله : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ﴾ [البلد: ١٤ - ١٥] فيتيماً نصب بقوله : ﴿إِطْعَامٌ﴾ ⁽³⁾ ، كما أشار الشوكانيّ -رحمه الله - إلى أنّه : يختلف المعنى باختلاف وجوه الإعراب ⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ٤٧ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] **قال -رحمه الله-** : " يقول - تعالى ذِكْرُه- : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ ﴾ العدل وهو ﴿الْقِسْطَ ﴾ ، وجعْلُ القسط وهو مُوَحَّدٌ من نعت الموازين وهو جمع ؛ لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر ." ⁽⁵⁾

ففسَّر-رحمه الله – الموازين بالعدل ، وأن معنى الموازين : القسط ، فهما كلمتان ، بمعنى واحد .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٨١/٨-١٨٢) .

(٢) تفسير الجلالين صفحة (٤٩٧) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن صفحة (٣٢٨) .

(٤) فتح القدير (٢٤٧/٥) .

(٥) جامع البيان (٣٣/٩) . وانظر مواضع أخرى مشابهة : في النحل (٦٩) ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ الآية جامع البيان (٦١٣/٧) ، ولقمان (٢-٣) ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ ﴾ الآيتين جامع البيان (٢٠١/١٠) ، وفصلت (٢٨) ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ﴾ الآية جامع البيان (١٠٥/١١) ، والواقعة (٩٥) ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ٩٥ ﴾ جامع البيان (٦٦٨/١١).

وذكر القرطبي -رحمه الله- الحكمة من وصف الموازين بالقسط -العدل- : فقال: " لينبّه على مخالفتها لما يكون في وزن الدنيا من بخس وظلم ." (١)

فهل يلزم من كلمة : ميزان معنى العدل ! ، بحيث يكون ذكر القسط بعد الميزان تأكيداً ؟ أم لابد من تقييد الوزن بالقسط ؟ ؛ لنعرف سبب تفسير ابن جرير للميزان بالعدل، وكون القسط نعتاً للموازين لم أرَ من خالف فيه من المفسّرين . -والله أعلم-.

وثَمَّةَ تفريعات تلحق بهذه القاعدة ومنها :

- لو وجد بين المفردتين عاطف فإنها قد تلحق بسابقتها ، وقد لا تلحق :

- فمثال ما تلحق بسابقتها : ما في قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٦] **قال أبو جعفر** : " يعني – جلّ ثناؤه – بقوله : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ وبين الجنة والنار حجاب ، يقول : حاجز ، وهو السّور الذي ذكره الله -تعالى- فقال : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد: ١٣] وهو الأعراف التي يقول الله فيها : ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ كذلك "(٢).

وهذا القول هو الأشهر ، وهو الثابت عن الصحابة : أنه المكان المرتفع ، بين الجنة والنار ، عليه أهل الأعراف (٣) ، وقيل الأعراف : من عرفوا أهل الجنة والنار ، والحق أنه مكان .(١)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٤/١١) .

(٢) جامع البيان (٤٩٧/٥) ، وتحقيق شاكر (٤٤٩/١٢) . وانظر مواضع أخرى في : آل عمران (٧٩) ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٦/٣) ، والحجر (٨٧) ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٥٤١/٧) ، وطه (١٠٧) ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ جامع البيان (٤٥٨/٨-٤٥٩) .

(٣) انظر بدائع التفسير ، الجامع لتفسير ابن القيم (٢١٤/٢) ، جمع يسري السيد محمد .

(١) روح المعاني للآلوسي (جزء ١٨٤/٨) .

وترجيح أن الأعراف مكان مرتفع وأنه أيضا الحجاب المذكور بين الجنة والنار في الآية، تطبيق لقاعدة المبحث : إذا تتالت كلمتان والثانية نعت فإنها تحمل على سابقتها ، فالكلمة الأولى : هي كلمة : ﴿ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ ، والكلمة الثانية هي : ﴿حِجَابٌ﴾ .

وقد لا تلحق المفردة بما قبلها ؛ لأن المعنى ليس هو الأغلب في الاستعمال : كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً وَذِكۡرًا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨] **قال -رحمه الله-** : " يقول – تعالى ذِكْرُه - : ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ يعني به : الكتاب الذي يفرق بين الحقّ والباطل ، وذلك هو التّوراة في قول بعضهم...وكان ابن زيد يقول في ذلك...: الفرقان : الحق آتاه الله موسى وهارون ، فرق بينهما وبين فرعون ، فقضى بينهم بالحقّ ، وقرأ : ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] قال : يوم بدر .

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل ؛ وذلك لدخول الواو في الضياء ، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك ، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء ؛ لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة ، التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم، فبصّرهم الحلال والحرام ، و لم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الأبصار ، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء .

فإن قال قائل : وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان ، وإن كانت فيه واو فيكون معناه : وضياء آتيناه ذلك ، كما قال : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظًا﴾ [الصافات: ٦ - ٧] ؟ قيل له : إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله ، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ، ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له ، من حجة خبر ، أو عقل ." (١)

---

(١) جامع البيان (٩/٣٤) .

فلم يحمل معنى الضياء على أنه التوراة ؛ لوجود العطف بالواو ، الدال على المغايرة بين المتعاطفين ، فلا يحمل أحدهما على الآخر ؛ لأن ذلك ليس هو الأشهر في استعمال اللغة.

وقال ابن كثير -رحمه الله- : " وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والحلال والحرام ، وعلى ما يحصل نوراً في القلوب ، وهداية وخوفاً وإنابة وخشية ؛ ولهذا قال : ﴿ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١) " وعلى هذا القول الآلوسي ، وأبو السعود ، وصاحبا تفسير الجلالين (٢)، وهذا هو الراجح -والله أعلم-، أن الضياء من آثار التوراة ، فلا مانع من أن تكون ضياء أيضاً نعتاً للفرقان ، والعطف وإن كان يعني المغايرة فإنه يحمل على المعطوف عليه ، كما سبق تفسير : الكتاب والفرقان : بالتوراة مع وجود العطف ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ ﴾ [الأنبياء: ٤٨] (٣) ، فلا مانع من ذلك هنا ؛ لتشابه الموضعين(٤)، ولابن القيم -رحمه الله -تفريق بينهما فأحدهما : النصر بالقوة واليد ، والثاني بالحجة والبرهان (٥).

وتوقف ابن جرير -رحمه الله- في معنى الرجز: من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ ﴾ [الأعراف: ١٣٤] **فقال :** "...اختلف أهل التأويل في ذلك الرّجز الذي أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم ، فقال بعضهم : كان ذلك طاعوناً...وقال آخرون : هو العذاب...

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال : إن الله - تعالى

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٧٧/٣) .

(٢) روح المعاني (جزء ٨٥/١٧) ، وإرشاد العقل السليم ذكره أول قول ، وذكر غيره .(١٧٥/١) ، وتفسير الجلالين صفحة (٢٨٩).

(٣) انظر روح المعاني (جزء ٤١٠/١) .

(٤) انظر أول القاعدة صفحة (٢٠٧-٢٠٨) .

(٥) انظر بدائع التفسير (٢٣٠/١) .

ذِكْرُه- أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز ، وهو العذاب والسخط من الله عليهم ، فزعوا إلى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان: الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ؛ لأن كل ذلك كان عذاباً عليهم، وجائزٌ أن يكون ذلك الرّجز كان طاعوناً ، و لم يخبرنا الله أيّ ذلك كان ، ولا صحّ عن رسول الله -ﷺ - بأيّ ذلك كان- خبرٌ فنسلم له ، فالصواب أن نقول فيه كما قال – جلّ ثناؤه- : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾ ولا نتعدّاه إلاّ بالبيان الذي لا تمانع فيه بين أهل التأويل ، وهو لما حلّ بهم عذاب الله وسخطه ، ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ يقول: بما أوصاك وأمرك به... ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ ﴾ يقول : لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه..." (١)

فكلمة الرّجز لم يفسِّرها بما سبقها في الآية الماضية في قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، و لم يفسِّرها بالطاعون ؛ لعدم الحجة عن النبي-ﷺ -ولا حجّة لأحد الأقوال على الآخر .

وقد رجّح الرازي -رحمه الله- صرف الرجز إلى ما سبق ؛ لأن لفظ الرجز لفظ مفرد محلى بالألف واللام ، فينصرف إلى المعهود السابق ، وهاهنا المعهود السابق هو الأنواع الخمسة التي تقدم ذكرها ، وأما غيرها فمشكوك فيه (٢) ، وحمل : الآلوسي وأبو السعود : معنى الرجز على كل عقوبة وقعت عليهم من العقوبات السابقة حتى طلبوا من موسى أن يدعو لهم .(٣)

---

(١) جامع البيان (٤٢/٦) ، وتحقيق شاكر (٧٠/١٣) .

(٢) مفاتيح الغيب (جزء ١٧٩/١٤) .

(٣) انظر روح المعاني (جزء ٥٤/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣٩٥/٢) .

المبحث الثالث : أولى تفسير للآية ما كان في سياق السورة :

حال تتبّعك للسياق عند الإمام الطبري -رحمه الله- من خلال تفسيره جامع البيان تجده يشير إلى أن الأولى في تفسير الآية ما ورد في السورة نفسها دون ما ورد في غيرها .

وسأعرض لأمثلة هذه القاعدة من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : نص القاعدة ، وما يتعلق بها من تفصيل .

المطلب الثاني : تفسيره الآية بما ورد في السورة نفسها .

المطلب الثالث : تفسيره الآية بما ورد في السورة وغيرها من القرآن .

المطلب الرابع : تفسيره الآية بما ورد في القرآن كله .

المطلب الأول : نص القاعدة وما يتعلق بها من تفصيل :

١- نص القاعدة : واضح في تفسير ابن جرير -رحمه الله – لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦] قال أبو جعفر :"اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزل الله – جلّ ثناؤه– فيه هذه الآية وفي تأويلها : فقال بعضهم...[كابن عباس وابن مسعود[1]] : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ،– يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقوله : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] الآيات الثلاث –، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إلى قوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧]، وقال آخرون...[كالرّبيع بن أنس] : هذا مثلٌ ضربه الله للدنيا ، إن البعوضة تحيا ما جاعت ، فإذا سمنت ماتت ، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن ، إذا امتلئوا من الدنيا ريّاً أخذهم الله عند ذلك ، قال : ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]...وقال آخرون [كقتادة]...: لما ذكر الله العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] .

وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله في هذه الآية وفي المعنى الذي نزلت فيه مذهباً، غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحقّ ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس،

---

[1] هو أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، كان قصيراً جداً ، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة ، خدم النبي -ﷺ- في بيته ، نظر إليه عمر الفاروق فقال: وعاء ملئ علما ، تولى بيت مال الكوفة بعد وفاة النبي -ﷺ- ، توفي بالمدينة ، سنة اثنتين وثلاثين ، وقد جاوز الستين . انظر الإصابة (٣٦٠/٢) ، ومعرفة القراء الكبار (٣٢/١) ، وغاية النهاية (٤٥٨/١) ، وشذرات الذهب (٣٨/١) ، والأعلام (٢٨٠/٤) .

وذلك أن الله جل ذكره أخبر عباده : أنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِءٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ضربها للمنافقين ، دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها ، فلأن يكون هذا القول ،- أعني قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِءٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾ - جواباً لنكير الكفار والمنافقين ما ضُرب لهم من الأمثال في هذه السورة أحقّ وأولى من أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور ، فإن قال قائل: إنما أوجب أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب من الأمثال في سائر السور؛لأن الأمثال التي ضربها الله لهم ولآلهتهم في سائر السور أمثال موافقة المعنى، لما أخبر عنه أنه : لا يستحي أن يضربه مثلاً ، إذْ كان بعضها تمثيلاً لآلهتهم بالعنكبوت، وبعضها تشبيها لها في الضعف والمهانة بالذباب ، وليس ذكر شيء من ذلك بموجود في هذه السورة فيجوز أن يقال : إن الله لا يستحيي أن يضربه مثلاً ما ، فإن ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن قول الله - جلّ ثناؤه- : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِءٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ إنما هو خبر منه جل ذكره أنه لا يستحيي أن يضرب في الحقّ من الأمثال صغيرها وكبيرها ، ابتلاءً بذلك عباده واختباراً منه لهم ؛ ليميز به أهل الإيمان والتصديق به، من أهل الضلال والكفر به ، إضلالاً منه به لقوم ، وهدايةً منه به لآخرين..." (١)

ففسّر -رحمه الله - المراد بالأمثال بما سبق حديث الآيات عنه في سورة البقرة ، مع أن هناك أمثالاً في سور أخرى تنصّ على أحقر المخلوقات ؛ وسبب ذلك : أن تفسير الآية بما ورد في السورة نفسها أولى من تفسيرها بما ورد في غيرها ، وهذه الآية فيها ذكر البعوضة وما فوقها فيدخل في المثل الصغير والكبير ، وقال ابن كثير : في سبب اختيار ابن جرير ؛ لأنه أمس بالسورة وهو مناسب (٢) ، وقدم الرازي والشوكاني لهذه الآية بربطها بما تقدم من

---

(١) جامع البيان (٢١٣/١-٢١٤) ، وتحقيق شاكر (٣٩٨/١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦٢/١) .

الأمثال (١) ، وضعف الآلوسي ما لم يكن فيه ربط بما تقدم وإن جاز ، فالمناسب لكل آية أن ترتبط بما قبلها (٢) .

٢- السياق الإعرابي لا يكون بين سورتين بل في سورة واحدة : ففي قوله تعالى : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] **قال -رحمه الله-** :"...اختلف أهل العربية في المعنى الجالب هذه اللام في قوله : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ ، فكان بعض نحويي البصرة يقول : الجالب لها قوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: ٥] ، فهي في قول هذا القائل صلة لقوله : **جعلهم** ، فالواجب على هذا القول ، أن يكون معنى الكلام : ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل ، نعمة منا على أهل هذا البيت ، وإحساناً منّا إليهم ، إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف ، فتكون اللام في قوله : ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ بمعنى إلى ، كأنه قيل : نعمة لنعمة وإلى نعمة؛ لأن إلى موضع اللام ، واللام موضع إلى ، وقد قال معنى هذا القول بعض أهل التأويل...وكان بعض نحويي الكوفة يقول : قد قيل هذا القول ، ويقال : إنّه -تبارك وتعالى- عجّب نبيّه -ﷺ- فقال : اعجب يا محمد لنِعَم الله على قريش ، في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، ثم قال:فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك،يستدل بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣]، وكان بعض أهل التأويل يوجّه تأويل قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ إلى أُلفة بعضهم بعضاً...

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن هذه اللام بمعنى التعجب ، وأن معنى الكلام : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ، فليعبدوا ربّ هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف . والعرب إذا جاءت بهذه اللام ، فأدخلوها في الكلام للتعجب ، اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها...وأما القول الذي قاله من حَكينا قوله : أنه من صلة قوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] فإن ذلك لو كان كذلك ،

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (جزء ٢/١٤٤) ، وفتح القدير (٥٦/١) .

(٢) روح المعاني (٣٢٩/١) .

لوجب أن يكون ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ بعض ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الفيل: ١]، وأن لا تكون سورة منفصلة من ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامّتان ، كلّ واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ، ما يبين عن فساد القول الذي قاله من قال ذلك (١). ولو كان قوله : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ من صلة قوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ لم تكن ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تامّة حتى توصلَ بقوله : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ؛ لأن الكلام لا يتمّ إلاّ بانقضاء الخبر الذي ذُكر..." (٢)

فتبيّن أن وصل السورة بسورة أخرى وصلاً إعرابيّاً خطأ ؛ لإجماع المسلمين على أن هذه سورة ، وتلك سورة أخرى مستقلة عنها ، فلا يمكن أن يكون سياق بين سورتين. -والله أعلم- .

وقد ذكر بعض المفسرين أن مما يؤيّد الاتصال بين السورتين : أن سورة الفيل وقريش في مصحف أُبيّ بلا فصل (٣) ، وضعّف الرازي هذا القول وما يؤيده ؛ لمخالفة مصحف أُبيّ لما أطبقت عليه المصاحف (٤) .

وقال ابن كثير -رحمه الله- : " قد فُصِل بينهما في المصاحف بالبسملة ، وهذا لا يمنع تعلقها بما قبلها في المناسبات والارتباط ، لا في الإعراب ، وقد جزم بهذا محمد بن إسحاق(٥)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ."(٦)

---

(١) انظر كلام ابن النحاس في القطع والائتناف صفحة (٧٨٤) ، تحقيق أحمد خطاب العمر .

(٢) جامع البيان (١٢/٧٠٠-٧٠٢) .

(٣) إرشاد العقل السليم (٥/٥٧٨) .

(٤) مفاتيح الغيب (جزء ٩٨/٣٢) الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤١١هـ .

(٥) هو أبو بكر ، وقيل أبو عبد الله ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، مولاهم المدني ، إمام حافظ في المغازي والسير ، كثر اختلاف أئمة الجرح والتعديل فيه ، مع اتفاقهم على سعة علمه ، وكثرة اطلاعه ، وجلالته ، وفي تقريب التهذيب : صدوق يدلس ورمي بالتشيع ، توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٣٣/٧) ، وتقريب التهذيب (٥٤/٢) ، ووفيات الأعيان (٢٧٦/٤) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٥٥٧/٥) .

٣- تفسير ما ورد في سورة بما سبق بيانه قبلها فهذا ليس ممنوع : قال -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [الكهف: ٦] : " يعني - تعالى ذِكْرُه- بذلك : فلعلك يا محمد قاتلُ نفسك ومهلكها- على آثار قومك الذين قالوا لك : ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ ﴾ [الإسراء: ٩٠] تمرّداً منهم على ربهم ، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك ، فيصدّقوا بأنه من عند الله - حزناً وتلهّفاً ووجداً ، بإدبارهم عنك ، وإعراضهم عما أتيتهم به ، وتركهم الإيمان بك..."(١)

ففي هذا المثال ذكر ما يقرب من معنى هذه الآية مع سورة سابقة لها ، وهذا القرب في المعنى فقط ، وليس في ارتباط الكلام واتصاله في التركيب الإعرابي ، و هذا مذهب كثير من العلماء في المناسبات بين الآيات والسور ، والفارق واضح بين هذا والقول باتصال سورة قريش بسورة الفيل .-والله أعلم- .

---

(١) جامع البيان (١٧٧/٨) ، ومثله في الجاثية (٩) ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٤/١١) .

المطلب الثاني : تفسيره الآية بما ورد في السورة نفسها، وهو على نوعين :

النوع الأول : بدون تضعيف لما لم يرد فيها .

النوع الثاني : قد يورد ما في السورة ويضعف غيره .

النوع الأول : بدون تضعيف لما لم يرد فيها : كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٨٧)﴾ [القصص: ٨٧] **حيث قال- رحمه الله-** : " يقول - تعالى ذكره-: ولا يصرفنّك عن تبليغ آيات الله وحججه بعد أن أنزلها إليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون بقولهم :﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٤٨] وادع إلى ربك وبلغ رسالته إلى من أرسلك إليه بها..."(١)

ففسر صدّ النبي -ﷺ -عن آيات الله بعد إذ أنزلت عليه ، بقول المشركين له في آية وردت في السورة نفسها ، وفيها صدٌّ وصرفٌ عن رسالته ، بحجّة أنّ القرآن ليس مثل التوراة في قولهم :﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ .

-وقد يفسّر الآية بشبيهها في السورة ، فعند قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾ [الأنعام: ٩١] **قال -رحمه الله-** : " وأمّا قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ فإنه أمرٌ من الله - جلّ ثناؤه - نبيّه محمداً - ﷺ - أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه ، بقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ بقيل : الله ، كأمره إيّاه في موضع آخر في هذه السورة بقوله :﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٣)﴾ [الأنعام: ٦٣] ، فأمره باستفهام المشركين عن ذلك ، كما أمره باستفهامهم

---

(١) جامع البيان (١١٩/١٠) .

إذْ قالُوا : ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٩١] عمن أنزل الكتاب الذي به موسى نُوراً وهدى للناس ، ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ٦٤﴾ [الأنعام: ٦٤] ، كما أمره بالإجابة هاهنا عن ذلك بقيله : ﴿ٱللَّهُ﴾ أنزله على موسى ." [١]

ففسّر هذه الآية بأنها مشتملة على أمر بسؤال المشركين وأمر بالجواب الصحيح عليه في قضية التنزيل ، تماماً كما سبق في السورة نفسها ، أمر بالسؤال وأمر بالجواب في قضية التصرف في الكون وإنجاء المسافر من ظلمات البرّ والبحر في آية ماضية من هذه السورة .

– وقد يفسر الآية بمعنى ما ورد في السورة وهو الأغلب ، قال في قوله تعالى : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠] "يعني – جلّ ثناؤه– بقوله : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى ، فيما يرضيهم عنك من تهوّد وتنصّر ، فصرت من ذلك إلى إرضائهم ، ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم ، ومن بعد الذي اقتصصت عليك من نبأهم في هذه السورة... "[٢]

وفي قوله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة: ٢٥٣] **قال أبو جعفر** : " يعني – تعالى ذِكْرُه– بقوله : ﴿تِلْكَ﴾ الرّسُلَ الذين قصّ الله قصصهم في هذه السورة ، كموسى بن عمران ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وشمويل [٣] ، وداود ،

---

(١) جامع البيان (٥/٢٦٦) ، وتحقيق شاكر (١١/٥٢٨) .

(٢) جامع البيان (١/٥٦٥) ، وتحقيق شاكر (٢/٥٦٣) .

(٣) هو النبي الذي قص الله –تعالى– قصته ، وكان في بني إسرائيل من بعد موسى –ﷺ– ، وقيل اسمه يوشع بن نون ، وقد
–

وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة..." (١)

وفي قولـــــه تعـــــالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٤] قال -رحمـــه الله- :"...وقولـــه : ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ يقول - تعالى ذِكْرُه- : لله الأسماء الحسنى ، وهي هذه الأسماء الـــتي سمّـــى الله بهـــا نفســـه ، الـــتي ذكرها في هاتين الآيتين..." (٢)

روى ذلك عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (حزء١/٩٧) ، ورجّح ذلك ابن كثير في تفسيره (١/٢٨٤).

(١) حامع البيان (٣/٣) ، وتحقيق شاكر (٥/٣٧٨) .

(٢) حامع البيان (١٢/٥٤) . وانظر أمثلة أخرى في : آل عمران (٤٤) {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ} الآيـــة ، حـــامع البيان (٣/٢٦٥) ، والنساء (١٧٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ١٧٤ ﴾ حامع البيان (٤/٣٧٧) ، والمائدة (١١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ الآية ، حامع البيان (٤/٤٨٥) ، و(٣٢) ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ الآية ، حامع البيان (٤/٥٤٦) ، و(٦٧) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ الآية ، حامع البيان (٤/٦٤٦) ، و(٦٨) ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية ، حامع البيان (٤/٦٤٩) ، والأنعام (١٠٤) ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية ، حامع البيان (٥/٢٩٩) ، والتوبة (١٢٤) ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ الآية ، حامع البيان (٦/٥١٨) ، وهود (١٠٠) ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ١٠٠ ﴾ ، حامع البيان (٧/١١٠) ، و(١١٦) ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ الآية ، حامع البيان (٧/ ١٣٥) ، ويوسف (١٠٢) ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ الآية ، حامع البيان (٧/٣١٠) ، والرعد (٣٤) ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ ﴾ الآية ، حامع البيان (٧/٣٩٥) ، وإبراهيم (٥٢) ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ٥٢ ﴾ ، حامع البيان (٧/٤٨٧) ، والحجر (٨٥) ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ الآية ، حامع البيان (٧/٥٣٢) ، والنحل (٢٣) ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ الآية ، حامع البيـــان (٧/٥٧٤) ، و(٧٣) ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٧٣ ﴾ ، حامع

فهذه الأمثلة وما في معناها تؤكد وتوضح منهج التفسير للآية بما ورد في السورة نفسها قبل غيرها من السور ، وإن كان غير باطل التفسير بغيره –كما في تنوّع تفسيرات الإمام للآيات – حسب التقسيم الوارد في هذا المبحث –والله أعلم –.

النوع الثاني : قد يورد ما في السورة ويضعف غيره :

كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ٤٦] **قال –رحمه الله–:**"...اختلف في تأويل الرجوع الذي في قوله : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ : فقال...[بعضهم كأبي العالية [1]] : يستيقنون أنهم يرجعون إليه يوم القيامة . وقال آخرون: معنى ذلك أنهم إليه يرجعون بموتهم .

وأولى التأويلين بالآية القول الذي قاله أبو العالية ؛ لأن الله – تعالى ذِكْرُه– ، قال في الآية التي قبلها : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨] فأخبر – جلّ ثناؤه – أنّ مرجعهم إليه بعد نشرهم وإحيائهم من مماتهم ، وذلك لا شك يوم القيامة ، فكذلك تأويل قوله : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ " . [2]

البيان (٦٢٠/٧) ، ومريم (٥٨) ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾ الآية ، حامع البيان (٣٥٣/٨) ، وطه (٩٩) ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ الآية ، حامع البيان (٤٥٥/٨) ، والنمل (٥٩) ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ الآية ، حامع البيان (٤/١٠) ، والذاريات (٥٠) ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ ، حامع البيان (٤٧٣/١١) ، والنجم (٢٣) ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ الآية حامع البيان (٥٢٣/١١) ، والإنسان (٢٩) ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ ، حامع البيان (٣٧٥/١٢) .

(١) هو رفيع بن مهران البصري ، مقرئ مفسر ، من كبار التابعين ، أدرك زمن النبي –ﷺ– وهو شاب ، وأسلم في خلافة الصديق ، قرأ على أبي بن كعب وغيره ، توفي سنة ثلاث وتسعين ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤) ، وغاية النهاية (٢٨٤/١) .

(٢) حامع البيان (٣٠٢/١) ، وتحقيق شاكر (٢٢/٢) .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٥٨ ﴾ [الصافات: ١٥٨] **قال –رحمه الله–** :"...وقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ولقد علمت الجنة إنهم لَمُشهدون الحساب...وقال آخرون : معناه : إنّ قائلي هذا القول سيُحضرون العذاب في النار...

وأوْلى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : إنّهم لمحضَرُون العذاب ؛ لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة ، إنّما عُنِيَ به الإحضار في العذاب (١)، فكذلك في هذا الموضع ." (٢)

وفي هذين المثالين تضعيف التفسير الذي لم يرد في السورة ؛ لأنه يتغير المعنى معه أو يبعد ، وهناك فرق بين أمثلة هذا القسم وبقية الأقسام التي لا يضعَّف فيها الوارد في غير السورة ، أما التفسير بالتمثيل على شيءٍ وَرَد ذِكْره في الآية فإنه كثيرٌ في القرآن ، وكتاب الله –عزّ وجلّ– يفسّر بعضه بعضاً .

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ٥٧ ﴾ [الصافات: ٥٧] وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٧ ﴾ [الصافات: ١٢٧] ، وهذه الآية مثلهما .

(٢) جامع البيان (٥٣٥/١٠-٥٣٦) . ومثلهما في البقرة (١٢٤) ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٢٤] الآية ، جامع البيان (٥٧٧/١) .

المطلب الثالث : تفسيره الآية بما ورد في السورة وغيرها من القرآن :

فقد حكى ابن جرير -رحمه الله- الإجماع من أهل التأويل على تفسير آية بما ورد في السورة ، مع الجزم بدخول غيرها من السور في معناها : فعند قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود: ١٢٠] **قال أبو جعفر** : " يقول - تعالى ذِكْرُه- : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ الذين كانوا قبلك ، ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ فلا تجزع من تكذيب من كذّبك من قومك ، وردّ عليك ما جئتهم به ، ولا يضق صدرك فتترك بعض ما أنزلت إليك، من أجل أن قالوا : ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾[هود: ١٢] ، إذا علمت ما لقي من قبلك من رسلي من أممها...وأما قوله : ﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله : فقال بعضهم: معناه : وجاءك في هذه السورة الحقّ...وقال آخرون : معنى ذلك: وجاءك في هذه الدنيا الحقّ...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك : قول من قال : وجاءك في هذه السورة الحقّ ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله ، فإن قال قائل : أو لم يجيء النبي -ﷺ- الحقّ من سور القرآن إلا في هذه السورة ؛ فيقال : وجاءك في هذه السورة الحقّ ؟ قيل له : بلى قد جاءه فيها كلها ، فإن قال : فما وجه خصوصه إذاً في هذه السورة بقوله : ﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ ؟ قيل : إن معنى الكلام : وجاءك في هذه السورة الحقّ مع ما جاءك في سائر سور القرآن ، أو إلى ما جاءك من الحقّ في سائر سور القرآن ، لا أن معناه : وجاءك في هذه السورة الحقّ دون سائر سور القرآن ." ⁽¹⁾

وفي هذا الموضع حكى الإجماع **ابن جرير -رحمه الله-** على أن اسم الإشارة راجع إلى السورة ذاتها دون غيرها ، وأن هذا التثبيت لئلا يزيغ بما قالوا سابقاً :﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ

---

(١) جامع البيان (٧/١٤٢-١٤٤) ، وتحقيق شاكر (١٥/٥٣٩) .

جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾[هود: ١٢] ، ولا يعني ذلك خروج غيرها من السور عن الحق –حاشا وكلا– وإنما المراد جاءك في هذه السورة مع غيرها ، فهو حق مضاف إلى حق .

وفي قوله تعالى : ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١] **قال –رحمه الله– :** " يقول : وأمَنَة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذين ذَكَرهم في هذه السورة وغيرهم ، من فزع يوم العذاب الأكبر ، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قِبل الله –تبارك وتعالى– . " (١)

وهذه الأمثلة توضح أنه ينبغي ذكر ما ورد في سياق السورة مما يتصل بالمعنى ، ولا يمتنع دخول غيره إن كان المعنى متماثلاً .

---

(١) جامع البيان (١٠/٥٤٣) . وانظر بقية الأمثلة في : الأنعام (١٢٦) ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ ، جامع البيان (٥/٣٤١) ، والأعراف (١٧٦) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ الآية ، جامع البيان (٦/١٢٨) ، والرعد(٣٨) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد: ٣٨] الآية جامع البيان (٧/٣٩٨) ، والنحل (٤٩) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ، جامع البيان (٧/٥٩٤) ، و(١٢٥) ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الآية ، جامع البيان (٧/٦٦٣) ، والأنبياء (٣٧) ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ ، جامع البيان (٩/٢٨) .

المطلب الرابع : تفسيره الآية بما ورد في القرآن كله :

ففي قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٩] **قال أبو جعفر** :"... يعني بقوله - عزّ ذِكْره - : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ﴾ هكذا يبيّن ، أي : كما بينت لكم أعلامي وحججي ، وهي آياته في هذه السورة ، وعرفتكم فيها ما فيه خلاصكم من عقابي ، وبينت لكم حدودي وفرائضي ، ونبهتكم فيها على الأدلة على وحدانيتي ، ثم على حجج رسولي إليكم ، فأرشدتكم إلى ظهور الهدى ، فكذلك أبين لكم في سائر كتابي الذي أنزلته على نبيي محمد -ﷺ- آياتي وحججي ، وأوضحها لكم لتتفكروا في وعدي ووعيدي وثوابي وعقابي ، فتختاروا طاعتي التي تنالون بها ثوابي في الدار الآخرة ، والفوز بنعيم الأبد على القليل من اللذات ، واليسير من الشهوات ، بركوب معصيتي في الدنيا الفانية، التي من ركبها كان معاده إليّ ، ومصيره إلى ما لا قِبَل له به من عقابي وعذابي ." (١)

وهذا النوع تدل عليه الكلمة : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ فهي تشبيه ما ورد في السورة بما جاء في القرآن كله .

وفي ختام المبحث : تبين أنّ منهج ابن جرير -رحمه الله- مراعاة اتصال السياق في السورة ، وأن كل سورة لها استقلالها في المعنى والتركيب اللغوي ، وأن الأولى تفسير الآية بما ورد في سياق السورة مما يتصل بمعناها ، وقد يضعف ما لم يرد في السورة وقد لا يضعفه، وقد يفسِّر الآية بما ورد في القرآن كله ، والسبب في مثل هذا التنوع -والله أعلم- وضوح المعنى في الآيات عند التفسير بما ورد في السورة وغيرها ، وأن التفسير قد يحتمل العموم وقد لا يحتمله .

---

(١) حامع البيان (٣٨١/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٤٧/٤) . وانظر أمثلة أخرى في : الأنعام (٥٥) ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ حامع البيان (٢٠٧/٥) ، والأعراف (١٧٤) ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ حامع البيان (١١٨/٦) ، والروم (٢٩) ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية ، حامع البيان (١٨٢/١٠).

المبحث الرابع : النظر إلى ابتداء الآيات معين على معرفة مناسبة خاتمتها :

إن النظر إلى ابتداء الكلام الفصيح البليغ -وأولى ذلك كلام الله -مُعِيْنٌ على معرفة مناسبة ختامه ، ففواصل القرآن حين يُتَأَمَّل في مناسبة ختامها لابتدائها يخرج من هذا بفوائد كبيرة ، و لم تكن المناسبة هي آخر الفوائد بل يتلوها فوائد أعظم ، وأهمها معرفة المعنى .

هذا وإن النظر إلى أول الكلام وآخره هو تطبيق لمسألة السياق .

وسأسوق أمثلة هذا المبحث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول :ابتداء الآية معين على معرفة مناسبة ختامها : وهو قسمان :

١- ختام الآيات بالأسماء الحسنى .

٢- ختام الآيات في قصة معينة بغير الأسماء الحسنى .

المطلب الثاني : ابتداء الآيات معين على معرفة معنى ما بعدها .

المطلب الثالث : ختام الآية يعين على معرفة معنى أولها .

المطلب الرابع : مواضع لم يستعمل فيها ابن جرير -رحمه الله- قاعدة النظر إلى ابتداء الآيات معين على معرفة مناسبة خاتمتها .

المطلب الأول:ابتداء الآية معين على معرفة مناسبة ختامها :وهو قسمان :

١- ختام الآيات بالأسماء الحسنى .

٢- ختام الآيات في قصة معينة بغير الأسماء الحسنى .

١- ختام الآيات بالأسماء الحسنى :

سيأتي في الأمثلة توضيح لمنهج ابن جرير -رحمه الله- في تفسير الأسماء الحسنى ، بما يناسب ورودها في ختام الآية ، بعد سياق جمل متعددة في موضوع معين ، فهي تعتبر من قواعده في التفسير بالسياق ؛ مما يعطي الاهتمام بالسياق ووجوب مراعاته .

ففي قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء: ١٢] قال -رحمه الله- في ختام الآية : " ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يقول : ذو علم بمصالح خلقه ومضارّهم ، ومن يستحق أن يعطى من أقرباء من مات منكم وأنسبائه من ميراثه ، ومن يحرم ذلك منهم ، ومبلغ ما يستحقّ به كلّ من استحقّ منهم قسماً ، وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم . ﴿حَلِيمٌ﴾ يقول : ذو حلم على خلقه وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة ، على ظلم بعضهم بعضاً في إعطائهم الميراث لأهل الجلد والقوّة من ولد الميت وأهل الغناء والبأس منهم ، دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده وإناثهم ." (١)

فمع عموم علم الله -عز وجل- وحلمه على جميع الخلق ، إلا أن ورود الاسمين الجليلين في ختام آية المواريث يجعل تعيين العلم المقصود أولاً : العلم بحال الورثة ، ومن

---

(١) جامع البيان (٦٣١/٣) ، وتحقيق شاكر (٦٨/٨) .

أنفعهم للمورِّث ، ويجعل تعيين الحلم المقصود أولاً : الحلم في تـرك معاجلـة المخـالف في توزيـع الإرث على خلاف ما شرعه الله تعالى ؛ لدلالة السياق .

وهكذا دواليك في الأمثلة التاليـة : في قولـه تعـالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) ﴾ [الأحـزاب: ٣٤] **قـال ـرحمـه الله- :** " وقولـه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ يقول – تعالى ذِكْرُه- : إن الله كـان ذا لطـف بكـنّ ، إذ جعلكـنّ في البيوت التي تُتلى فيها آياته والحكمة ، خبيراً بكُنّ إذ اختاركن لرسوله أزواجاً ." (١)

وفي قولـه تعـالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ (٩) ﴾ [الحديـد: ٩] **قال ـرحمـه الله- :** " وقوله : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ يقـول - تعالى ذِكْرُه- : وإن الله بإنـزاله على عبده ما أنـزل عليـه مـن الآيـات البيِّنـات - لهـدايتكم وتبصيركم الرشاد- لذو رأفة بكم ورحمة ، فمن رأفته ورحمته بكم فَعَلَ ذلك ." (٢)

ففي الأمثلة الماضية ونحوها تلحظ أن أسمـاء الله -عـزّ وجـلّ- لهـا دلالاتهـا ومعانيهـا مطلقاً ، ومن السبل المهمة للوصول إلى معانيهـا الظـاهرة الحاضـرة في الآيـة : النظـر إلى أول الآية ، إذ أن أول الآية أو ما يسبق من الكلام ، يعـين علـى معرفـة مناسـبة الختـام ، الجالـب حتماً لمعرفة المعنى بدقة وصفاء وجلاء .

٢-ختام الآيات في قصة معينة بغير الأسمـاء الحسـنى : سـبق الحـديث عـن الختـام بالأسماء الحسنى، وهنا عن ختم الآية بغير الأسماء الحسنى ، وتحت هذا النوع أمثلة كثيرة منها:

قولــــه تعــــالى : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ

---

(١) جامع البيان (٢٩٩/١٠) .

(٢) جامع البيان (٦٧٣/١١) . وانظر أمثلة أخرى في البقرة (٢٥٦) ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ الآية ، جامع البيان (٢٣/٣) ، والأنفال (٦١) ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ الآية ، جامع البيان (٢٧٩/٦) ، والحـج (٧٤) ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾ جامع البيان (١٩٠/٩) ، والشعراء (٢٢٠) ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٢٢٠) ﴾ جامع البيان (٤٨٧/٩) ، وغيرها كثير .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: ٣٣] **قال** -رحمه الله- : في قوله -عزّ وجلّ- : ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فروي عن ابن عباس في ذلك...: ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ يقول: ما تظهرون ، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ يقول : أعلم السرّ كما أعلم العلانية ، يعني : ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار...وقال الحسن :...إن الله لما خلق آدم رأت الملائكة خلقاً عجيباً ، فكأنهم دخلهم من ذلك شيء ، فأقبل بعضهم إلى بعض ، وأسرّوا ذلك بينهم ، فقالوا : وما يهمّكم من هذا المخلوق ، إن الله لم يخلق خلقاً إلا كنّا أكرم عليه منه...وعن قتادة [نحو قول الحسن] .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أن معنى قوله : ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ وأعلم مع علمي غيب السموات والأرض ما تظهرون بألسنتكم، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ وما كنتم تخفونه في أنفسكم ، فلا يخفى عليّ شيء ، سواء عندي سرائركم وعلانيتكم ، والذي أظهروه بألسنتهم ما أخبر الله – جلّ ثناؤه- عنهم أنهم قالوه ، وهو قولهم : ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠] والذي كانوا يكتمونه : ما كان منطوياً عليه إبليس ، من الخلاف على الله في أمره ، والتكبر عن طاعته ؛ لأنه لا خلاف بين جميع أهل التأويل أن تأويل ذلك غير خارج من أحد الوجهين اللذين وصفت ...فإذْ كان لا قول في تأويل ذلك إلا أحد القولين اللذين وصفت ، ثم كان أحدهما غير موجودة على صحته الدلالة من الوجه الذي يجب التسليم له ، صحّ الوجه الآخر...فالذي حكي عن الحسن وقتادة ومن قال بقولهما في تأويل ذلك ، غير موجودة الدلالة على صحته من الكتاب ولا من خبر يجب به حجة ، والذي قاله ابن عباس يدلّ على صحته خبر الله – جلّ ثناؤه- عن إبليس وعصيانه إياه إذ دعاه إلى السجود لآدم ، فأبى واستكبر ، وإظهاره لسائر الملائكة من معصيته وكبره ، ما كان له كاتماً قبل ذلك..."(١)

---

(١) جامع البيان (١/٢٥٩-٢٦١) ، وتحقيق شاكر (١/٤٩٨) .

فمع أن علم الله -عز وجل- عام لكل ما يظهر ويسرّ من الخلق ، إلا أن السياق يجعل ذكر المناسب للسياق -بالنص عليه - له داع في التفسير ، وما لم يدل عليه دليل فيطّرح القول به .

وفي قوله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] **قال أبو جعفر** : "وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ يقول : والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم ، من إقامة حدودها وترك ذلك ، وغيره من أموركم ، وهو مجازيكم على ذلك ، يقول : فاتقوا أن تضيعوا شيئاً من حدودها . -والله أعلم- ." (١)

فجعل المتحدَّث فيه ، وهو الصلاة والأمر بإقامتها هو الذي يعلمه الله في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ ، وأدخل غيرها من أمور العباد أيضاً .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] قال -رحمه الله- : " يقول - تعالى ذِكْرُه- : وإن تعدّوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها ، والقيام بشكرها إلاّ بعون الله لكم عليها . ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ يقول : إن الإنسان الذي بدّل نعمة الله كفراً ﴿ لَظَلُومٌ ﴾ : يقول : لَشاكر غير من أنعم عليه ، فهو بذلك من فعله واضع الشكر في غير موضعه ، وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم واستحقّ عليه إخلاص العبادة له ، فعبد غيره ، وجعل له أنداداً ليضلّ عن سبيله ، وذلك هو ظلمه ، وقوله : ﴿ كَفَّارٌ ﴾ يقول : هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه ؛ لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه ، وتركه طاعة من أنعم عليه ." (٢)

فقول الإمام : إنّه الإنسان الذي بدل نعمة الله كفراً ، رجوع إلى الآيات السابقات ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٨]

---

(١) جامع البيان (١٤٨/١٠) .

(٢) جامع البيان (٤٥٩/٧) .

الآيات [1].

---

[1] إبراهيم (٢٨-٣٠) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٤٨) ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝٤٨ ﴾ ، جامع البيان (٣٠٦/١) ، والأعراف (٢٠٥) ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝٢٠٥ ﴾ جامع البيان (١٦٦/٦) ، والتوبة (٤٧) ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾ الآية ، جامع البيـــان (٣٨٥/٦) ، و(٤٩) ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ الآية ، جامع البيان (٣٨٧/٦) ، و(١١٢) ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١١٢ ﴾ جامع البيان (٤٨٧/٦) ، ويونس (٣٦) ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ﴾ الآية ، جامع البيـــان (٥٦١/٦)، و(٣٩) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ الآية، جامع البيان (٥٦٢/٦) ، و(٩٠) ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨٩ ﴾ جامع البيان (٦٠٤/٦) ، و(١٠٠) ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الآية ، جامع البيان (٦١٦/٦) ، وهود (٥٠) ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠ ﴾ جامع البيان (٥٧/٧) ، ويوسف (٨) ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٨ ﴾ جامع البيان (١٥٢/٧) ، و(١٤) ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ۝١٤ ﴾ جامع البيان (١٥٧/٧) ، و(١٨) ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ جامع البيان (١٦٢/٧) ، و(٢١) ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ الآية ، جامع البيان (١٧٤/٧) ، و(٤٤) ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ۝٤٤ ﴾ جامع البيان (٢٢٤/٧) ، والنحل (٣٥) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾، جامع البيان (٥٨٢/٧) ، و(٤٣) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ الآية ، جامع البيان (٥٨٧/٧) ، ومريم (٣٧) ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧ ﴾ جامع البيان (٣٤٣/٨) ، والحج (٥٤) ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ جامع البيان (١٧٩/٩) ، والمؤمنون (١٧) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ۝١٧ ﴾ جامع البيان (٢٠٦/٩) ، والشعراء (٢٠٩) ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ۝٢٠٨ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٢٠٩ ﴾ جامع البيان (٤٨٠/٩) ، والقصـــص (٤) ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤ ﴾ جامع البيان (٢٧/١٠) ، و(٩) ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ الآية ، جامع البيان (٣٣/١٠) ، و(٥٧) ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ جـــامع البيـــان (٩٠/١٠) ،

=

المطلب الثاني : ابتداء الآيات معين على معرفة معنى ما بعدها :

١- وقد يكون ذلك بعد طول فصل : كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١٩٩)﴾ [الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩] **قال -رحمه الله-** : " يقول : فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد ، الذين حتّمتُ عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول : لم يكونوا ليؤمنوا به ؛ لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء ، وهذا تسلية من الله نبيه محمّداً - ﷺ - عن قومه ؛ لئلا يشتدّ وجده بإدبارهم عنه، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن ؛ لأنه كان - ﷺ - شديداً حرصه على قبولهم منه ، والدخول فيما دعاهم إليه ، حتى عاتبه ربه على شدّة حرصه على ذلك منهم ، فقال له: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٣)﴾ [الشعراء: ٣] ، ثم قال مؤيِسَه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته ، كما هلك بعض الأمم الذين قصّ عليهم قصصهم في هذه السورة: ولو نزلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك ، فإنك رجل منهم ، ويقولون لك : ما

= والعنكبوت (١٣) ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾الآية ، حامع البيان (١٢٦/١٠) ، و(٣٤) ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٣٤)﴾ حامع البيان (١٣٩/١٠) ، و(٤٢) ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ ، حامع البيان (١٤٣/١٠) ، و(٦٣) ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾حامع البيان (١٥٩/١٠) ، و(٦٧) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾الآية ، حامع البيان (١٦٠/١٠) ، ولقمان (٢٥) ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ الآية ، حامع البيان (٢٢٠/١٠) ، والزمر (٢٦) ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾الآية حامع البيان (٦٣٠/١٠) و(٦٣) ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية ، حامع البيان (٢٢/١١) ، والدخان (٢٠-٢١) ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠)﴾ حامع البيان (٢٣٣/١١) ، والجاثية (١٩) ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية ، حامع البيان (٢٥٩/١١) ، والملك (٢٨) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨)﴾ حامع البيان (١٧٤/١٢) ، والمرسلات (١٥) ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (١٨)﴾ حامع البيان (٣٨٤/١٢) .

أنت إلا بشر مثلنا ، وهلا نــزل به مَلَك ، فقرأ ذلك الأعجم علــيهم هــذا القــرآن ، و لم يكــن لهم علة يدفعون بها أنه حقّ ، وأنه تنــزيل من عندي ، ما كــانوا بــه مصــدّقين ، فخفِّــضْ مــن حرصك على إيمانهم به ." (١)

فاتضح المراد مــن قولــه : ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ بما افتتحت به السورة ، من تسلية النبي -ﷺ -؛ لعدم إيمــانهم بقولــه تعــالى لــه : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ ، مما أكد أن المعنى أن هدايتهم التوفيقية ليســت بيــد الــنبي ﷺ بــل هي بيد الله –عز وجل – ، وهذا الفاصل بين الآيتين بعيد محلــه ، لكنــه فاصــل بقصــص كلــها لتأكيد لهذا المعنى ، فليس بعيداً على الحقيقة ، خاصة إذا استحضــر المتأمــل : أن فــواتح الســور وخواتمها تخدم مقاطعها ، وتتحد بهذا محاور السورة ومواضيعها .-والله أعلم -.

٢– وقد يكون المعِيْن على معرفة المعنى قريباً في الآية نفسها وهو الأكثر :

كمــا في قولــه تعــالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] **قال** **-رحمه الله -** : في تفســير قولــه تعــالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ ﴾ " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلــك : فقــال بعضــهم...ومــا كان الله ليطلع محمداً على الغيب ، ولكن الله اجتباه فجعلــه رســولاً ، وقــال آخــرون :...أي : فيما يريد أن يبتليكم به ؛ لتحذروا ما يــدخل علــيكم فيــه ، : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ ﴾ يعلمه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بتأويله : وما كــان الله لــيطلعكم علــى ضــمائر قلوب عباده ، فتعرفوا المؤمنين منهم ، من المنافق والكافر ، ولكنه يميــزُ بينــهم بــالمحن والابــتلاء -كما ميز بينهم بالبأساء يوم أُحد – وجهاد عدوّه ، وما أشبه ذلك مــن صــنوف المحــن ، حــتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم ، غير أنه – تعالى ذِكْــرُه- يجــتبي مــن رســله مــن يشــاء ،

---

(١) جامع البيان (٤٧٨/٩) .

فيصطفيه ، فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم بوحيه ذلك إليه ورسالته...وإنما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية ؛ لأن ابتداءَها خبر من الله – تعالى ذِكْرُه- أنه غير تارك عباده – يعني : بغير مِحَن –حتى يفرّق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم ، ثم عقّب ذلك بقوله : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ، فكان فيما افتتح به من صفة إظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر ، دلالة واضحة على أن الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفي عنهم من باطن سرائرهم ، إلا بالذي ذكر أنه مميِّز به نعتَهم ، إلا من استثناه من رسله الذي خصه بعلمه ." (١)

فلما نظر الإمام الطبري –رحمه الله- إلى ما سبقها من الجمل ، تبين له أن المراد بالغيب : ظهور كفر الكافر ونفاق المنافق ، إذاً الافتتاح بأي خبر الأولى في معنى ما وليه أن يكون متعلقاً به ، فيحمل معنى قوله : ﴿لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ على معرفة ضمائر قلوب العباد ، وتمييز المؤمن من الكافر والمنافق ، وهذا النظر الدقيق إذا اتّبع فهو المعين على المعنى الصحيح السليم – إن شاء الله -.

وفي قوله تعالى : ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: ٦٧] **قال –رحمه الله- :** " وقوله : ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يقول – تعالى ذِكْرُه-: وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك ، بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك ، وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله ، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرّءوا منها ، إِنَّكَ لَعَلَىَ طريقٍ مسْتَقِيمٍ ، غير زائل عن محجة الحقّ والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك ، وهم الضلاّل على قصد السبيل ؛ لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ، ومطاعمهم ، وعبادتهم الآلهة ." (٢)

وهنا جعل الإمام الطبري –رحمه الله- المقصود بالدعوة في قوله تعالى : ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ

---

(١) جامع البيان (٥٢٩/٣-٥٣٠) ، وتحقيق شاكر (٤٢٦/٧) .

(٢) جامع البيان (١٨٦/٩) .

رَبِّكَ﴾ الدعوة إلى المنسك وهو الذبح ؛ لأن الجملة الماضية مخبرة عن أن الأمم كلها لها منسك، فالذي يؤمر به الرسول – ﷺ – هنا هو الدعوة إلى توحيد الله في المنسك ، وعدم الاكتراث لشبه المشركين فيه قبل أن يكون المعنى الدعوة المطلقة .

وفي آيتين متشابهتين وهما قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٨] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن: ١٥] .

قال–رحمه الله– في الآية الأولى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ " يقول – تعالى ذِكْرُه– للمؤمنين : واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التي خوّلكموها الله ، وأولادكم التي وهبها الله لكم ، اختبار وبلاء ، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم ؛ لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حقّ الله عليكم فيها ، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ يقول : واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا ، وأطيعوا الله فيما لكم فيها ، تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم . " (١)

وفي الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ **قال–رحمه الله–** : "يقول – تعالى ذِكْرُه– : ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة ، يعني : بلاء عليكم في الدنيا ، وقوله : ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ يقول : والله عنده ثوابٌ لكم عظيم ، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم ، وأطعتم الله –عزّ وجلّ– وأدّيتم حقّ الله في أموالكم ، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة ." (٢)

---

(١) جامع البيان (٦/٢٢٢) .

(٢) جامع البيان (١٢/١١٨-١١٩) ، وتحقيق شاكر (١٣/٤٨٦) . وانظر مواضع أخرى في النساء (١١٩-١٢٠) ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ الآيتين ، جامع البيان (٤/٢٨٥) ، والزمر (٣-٤) ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الآيتين ، جامع البيان (١٠/٦١٢) .

فخصّ المعنى في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي قوله : ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بما كان السياق فيه ، وهو الحديث عن الموفق والمستقيم عند حصول الفتنة في الأموال والأولاد .

المطلب الثالث:ختام الآية يعين على معرفة معنى أولها :

الكلام المتتابع يجب أن يكون مرتبطاً بعضه ببعض ، وقد سبق أن أول الكلام يعين على الوصول إلى المعنى ، فكذلك آخر الكلام يعين على الوصول إلى معنى أوله ، وإليك بعض الأمثلة :

ففي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٠] **قال أبو جعفر** : "يقول - تعالى ذِكْرُه- : أقسم لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل على الإخلاص وتوحيدنا ، والعمل بما أمرناهم به ، والانتهاء عما نهيناهم عنه ، وأرسلنا إليهم بذلك رُسُلاً ، ووعدناهم على ألسنِ رسلِنا إليهم على العمل بطاعتنا الجزيلَ من الثّواب ، وأوعدناهم على العمل بمعصيتنا الشديد من العقاب ، كلّما جاءهم رسول لنا بما لا تشتهيه نفوسهم ، ولا يوافق محبّتهم ، كذّبوا منهم فريقاً ، ويقتلون منهم فريقاً ، نقضاً لميثاقنا الذي أخذناه عليهم، وجرأةً علينا ، وعلى خلاف أمرنا ." (١)

فالميثاق المذكور في أول الآية في قوله : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يُفهَم معناه بالشيء المنصوص عليه الذي هم نقضوه ، من فعل القتل والتكذيب في قوله : ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ فعكس نقض العهد والميثاق بالتكذيب والتقتيل للأنبياء ، إمضاؤه بالتصديق والنصر والتأييد .

ومن طريقة الإمام -رحمه الله- في مواضع : أن يشير في أول الآية إلى ما سيرد في آخرها ، حرصاً على التوضيح ، والفهم الكامل للآية :

كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧] **قال -رحمه الله-:**

---

(١) جامع البيان (٤/٦٥٠) ، وتحقيق شاكر (٤٧٧/١٠) .

" يقول – تعالى ذِكْرُه– : ومن حجج الله تعالى على خلقه ، ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه ، اختلاف الليل والنهار ، ومعاقبة كلّ واحد منهما صاحبه ، والشمس والقمر ، لا الشمس تدرك القمر ، وَلا اللّيْلُ سابقُ النّهارِ ، وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ، لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر ، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان بما لكم بإجراء الله إياهما لكم ، طائعين له في جريهما ومسيرهما ، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما ، أو يستطيعان لكم نفعاً أو ضرّاً ، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم ، فله فاسجدوا ، وإياه فاعبدوا دونهما..." (١)

فقوله في أول تفسير الآية : ومن حجج الله تعالى على خلقه ، ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه ، اختلاف الليل والنهار...: هو المنصوص عليه في ختام الآية : ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فكان ذكر الآيات من خلق الله ؛ ليستدل بها على تفرد الله وحده ، واستحقاقه للعبادة بدليل ختم الآية بالنهي عن السجود لهذه المخلوقات ، فعظمتها ليست دليلاً على أنها آلهة، بل دليل على استحقاق خالقها للعبادة .

---

(١) جامع البيان (١١٢/١١) . وانظر موضعاً آخر في فصلت (٣٩) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ الآية ، جامع البيان (١١٣/١١) .

المطلب الرابع : مواضع لم يستعمل فيها ابن جرير –رحمه الله– قاعدة : النظر إلى ابتداء الآيات معين على معرفة مناسبة خاتمتها:

لقد ظهرت طريقة الإمام ابن جرير –رحمه الله – في الاستعانة بجميع الألفاظ وكيفية ترتيبها على توضيح معاني كتاب الله– عزّ وجل – ، وكان هذا الأعمّ الأغلب ، ولكن هناك بعض المواضع التي ظهر أنها خرجت عن هذا التعامل الذي قرّره –رحمه الله– ، والأولى السير بها على الطريقة الماضية ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء: ٢١] **قال –رحمه الله–** : " يقول – تعالى ذِكْرُه– لنبيّه محمد –ﷺ– : انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين همّ أحدهما الدار العاجلة ، وإياها يطلب ، ولها يعمل ، والآخر الذي يريد الدار الآخرة ، ولها يسعى ، موقناً بثواب الله على سعيه ، كيف فضّلنا أحد الفريقين على الآخر ، بأن بصرّنا هذا رشده ، وهديناه للسبيل التي هي أقوم ، ويسرناه للذي هو أهدى وأرشد ، وخذلنا هذا الآخر ، فأضللناه عن طريق الحقّ ، وأغشينا بصره عن سبيل الرشد ، ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ يقول : وفريق مريد الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات ، بعضهم على بعض ؛ لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة ، وأكبر تفضيلاً بتفضيل الله بعضهم على بعض ، من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا ، فيما بسطنا لهم فيها ." (١)

وهذا التفضيل في هذه الآية واقع في الدنيا بين المؤمنين والكافرين ، فما الذي يمنع من أن يكون التفاضل في الآخرة بينهم أيضاً – أعني : الكفار والمؤمنين – المؤمنون يتفاضلون في الدرجات ، والكفار يتفاضلون في الدركات ، فيتفاوت كل فريق في مرتبته ودرجته ، ويتفاوت الفريقان المؤمنون مع الكافرين من باب الأولى .(٢)

---

(١) جامع البيان (٥٧/٨) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٣٣/٣-٣٤) .

وإن كان ثَمَّ سبب لتخصيص المؤمنين عند ابن جرير -رحمه الله- ، فقد يكون تسمية المتفاضَل عليه بالدرجة على أنها مراتب الجنان ، وأما في النار فتسمّى دركات -نعوذ بالله من النار ونسأل الله الجنة والله أعلم - .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ (١٣٦) ﴾ [الأعراف: ١٣٦] **قال -رحمه الله-** : " ﴿ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ يقول : فعلنا ذلك بهم ، بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا (١) التي أريناهموها ، ﴿ وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ يقول : وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم غافلين قبل حلولها بهم ، أنها بهم حالّة ، والهاء والألف في قوله : ﴿ عَنۡهَا ﴾ كناية من ذكر النقمة ، فلو قال قائل : هي كناية من ذكر الآيات ، ووجه تأويل الكلام إلى : وكانوا عنها معرضين ، فجعل إعراضهم عنها غفولاً منهم إذ لم يقبلوها ، كان مذهباً..." (٢)

ثم قال في آية بعدها شبيهة بها : وهي قوله تعالى : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) ﴾ [الأعراف: ١٤٦] " ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ يقول - تعالى ذِكْرُه- : صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها، فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا ، عقوبة منا لهم على تكذيبهم بآياتنا ، ﴿ وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ يقول : وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه غافلين ، لا يتفكّرون فيها ، لاهين عنها ، لا يعتبرون بها ، فحقّ عليهم حينئذ قول ربنا ، فعطبوا ." (٣)

---

(١) هي الآيات والعلامات والمعجزات الدالة على صدق الرسل -عليهم الصلاة والسلام- .

(٢) جامع البيان (٤٣/٦) ، وتحقيق شاكر (٧٥/١٣) .

(٣) جامع البيان (٦١/٦-٦٢) وتحقيق شاكر (١١٥/١٣) .

والجملتان متماثلتان [١]، فالأولى أن يكون مرجع الهاء من : ﴿عَتَهَا﴾ في الآية الأولى إلى الآيات ، كما كان مرجعها في تفسيره للآية الثانية ؛ لأن الجملتين تعليل للإغراق [٢]، وقد ذكره ابن جرير -رحمه الله- لكن على وجه الاحتمال ، و لم يقدِّمه .

والقول برجوع الهاء إلى الانتقام ، مروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما -، ويستدل له بكلمة : انتقمنا في قوله : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [٣].

ومثلهما تأويله قوله تعالى : ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)﴾ [الشعراء: ٦٤ - ٦٨] **قال -رحمه الله-:** " ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول : وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما آتاك الله من الحق المبين ." [٤]

ثم في قوله تعالى عن عاد : ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ [الشعراء: ١٣٩] **قال -رحمه الله- :** " ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ يقول - تعالى ذِكْرُه- : إنّ في إهلاكنا عاداً بتكذيبها رسولها ، لعبرةً وموعظةً لقومك يا محمد ، المكذّبيك فيما أتيتهم به من عند ربك ، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول : وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله"[٥].

والموضع الأول فيه خلاف بين المفسرين ، والمقصود : أن الأولى في المواطن المتشابهة أن يتشابه تفسيرها أيضاً ، إلا ما دلّ الدليل على افتراق فيفارَق بينها .[٦]

---

[١] في تفسير الجلالين قال عند تفسير الآية المتأخرة:"تقدم مثله"صفحة (١٥٥) ،والموضع الأول في صفحة (١٥٣).

[٢] فتح القدير (٢٣٨/٢) .

[٣] الجامع لأحكام القرآن (جزء ٢٧٢/٧) ، والموضع الثاني في (٢٨٣/٧) ، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥هـ .

[٤] جامع البيان (٤٥٠/٩) .

[٥] جامع البيان (٤٦٤/٩) .

[٦] يراجع تفصيل الآلوسي -رحمه الله-عند الآية (٦٧) من الشعراء (١٣٤/١١-١٣٨) فقد ذكر رأي أبي السعود، أن المقصود بالأكثر قوم محمد -ﷺ- وأنه الذي تقتضيه جزالة النظم من مطلع السورة إلى آخرها ، وضعف قول من قال: الأكثر من
-

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ ﴾ [الفرقان: ٥٠] **قال -رحمه الله-** : " يقول - تعالى ذِكْرُه- : ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهوراً ؛ لنحيي به الميت من الأرض ، بين عبادي ليتذكروا نعمي عليهم ، ويشكروا أياديّ عندهم ، وإحساني إليهم ، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ يقول : إلا جحوداً لنعمي عليهم، وأياديّ عليهم ." (١)

والمقصود أن الختام في الأولى : إن كان الحديث عن الماء أن يدخل أولاً ، وتذكر هذه النعمة ، ولا مانع من ذكر غيرها ؛ لعموم الختام في قوله : ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ، فيقال مثلاً في المعنى هنا : فأبى أكثر الناس إلا كفراً بنعمة الماء ، فنسبوا السقيا إلى الأنواء (٢) ، ثم يذكر العموم فيقال : وهذه فعلة الإنسان الكافر .

وفي ختام القاعدة : يتبين المنهج السديد في تفسير الآية بالنظر والتأمل في الجمل كلها ، سواء كان النظر إلى الجمل الأولى ، أو إلى الجمل الأخيرة ، وقد ذكرت أمثلة على القسمين ، وتفسير كل هذه الجمل يجب أن يكون بما يكون معه سياق الكلام على أحسن بيان ، وأجمل نظام ، فيظهر الالتئام والتماسك ، فيؤيد الكلام بعضه بعضاً .

= القوم المتحدث عنهم ؛ لأن الحديث عن القوم المكذبين ، ووقوع العذاب عليهم ، فكيف يخبر أن أكثرهم لم يؤمنوا بعد الإخبار عن هلاكهم وإنجاء المؤمنين من العذاب ؟ واختار الآلوسي هذا مستدلاً بأن صدر السورة وآخرها تسلية وتثبيت للنبي -ﷺ- عن تكذيب قومه له وكفرهم بالكتاب المنزل عليه ، ونهيه أن يهلك نفسه إن لم يؤمنوا ، ثم قال : وكذا يقال في جميع ما يأتي . وانظر إرشاد العقل السليم (٢١٥/٤) .

(١) جامع البيان (٣٩٧/٩) .

(٢) جمع نوء ، وهو النجم إذا سقط في المغرب ، وطلع الذي بعده في المشرق ، وبين كل نجم والآخر ثلاثة عشر يوماً ، إلا نجمة الجبهة فتزيد يوماً . انظر مختار الصحاح مادة (ن و أ) .

المبحث الخامس : إذا لزِم من تفسير الآيات التّكرار الذي لا معنى له فذلك خُلفٌ يُنَزَّهُ القرآن عنه:

لقد فاق القرآن كل أنواع الكلام إعجازاً وبلاغةً ، ومن تمام الكلام وكماله أن لا يكون فيه تكرار بلا فائدة ، فإن لزم من التفسير التّكرار الذي لا فائدة منه فذلك مما ينزّه القرآن عنه ، مما يعني خطأ ذلك التفسير ووجوب إبداله بما يليق بكلام الله العزيز.

وسيكون الحديث في هذا المبحث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : نص القاعدة .

المطلب الثاني : الأمثلة على القاعدة .

المطلب الثالث : الجواب على ما تكرر في القرآن .

المطلب الرابع : مواضع لم يستعمل فيها ابن جرير-رحمه الله- قاعدة : إذا لزم من تفسير الآيات التّكرار الذي لا معنى له فذلك خُلفٌ ينزه القرآن عنه .

المطلب الأول : نص القاعدة :

أبدأ الدخول إلى نص القاعدة من خلال هذا المثال الذي يعتبر تطبيقاً لها :

ففي قوله –تعالى- : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] **قال أبو جعفر –رحمه الله-** : "... و لم نحتج إلى الإبانة عن وجه تكرير الله ذلك في هذا الموضع ، إذ كنا لا نرى أن : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] من فاتحة الكتاب آية ، فيكون علينا لسائلٍ مسألة بأن يقول : ما وجه تكرير ذلك في هذا الموضع ، وقد مضى وصف الله - عزّ وجلّ - به نفسه في قوله : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى، ومجاورتها لصاحبتها ؟ بل ذلك لنا حجة على خطأ دعوى من ادعى أن : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من فاتحة الكتاب آية ، إذ لو كان ذلك كذلك لكان ذلك إعادة آية بمعنى واحد ، ولفظ واحد مرتين ، من غير فصل يفصل بينهما ، وغير موجود في شيء من كتاب الله آيتان متجاورتان مكرّرتان ، بلفظ واحد ، ومعنى واحد ، لا فصل بينهما من كلام يخالف معناه معناهما ، وإنما يؤتى بتكرير آية بكمالها في السورة الواحدة، مع فصول تفصل بين ذلك ، وكلام يُعترض به بغير معنى الآيات المكرّرات ، أو غير ألفاظها ، ولا فاصل بين قول الله –تبارك وتعالى اسمه -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وقول الله : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، من : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ." (١)

فهنا قد استدلّ الإمام الطبري –رحمه الله – بالسياق على أن البسملة ليست من الفاتحة ؛ لما يلزم من تكرار في تفسير : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في البسملة ، وفي وسط سورة الفاتحة،بلا فائدة محصلة من ذلك، مما ينزه عنه الكلام البليغ ، فضلاً عن المعجز.(٢)

---

(١) حامع البيان (١/٩٣-٩٤) ، وتحقيق شاكر (١/١٤٦) .

(٢) مسألة هل البسملة من الفاتحة ؟ محل خلاف بين العلماء : فقد عدّها الشافعي وابن المبارك آية من الفاتحة ؛ واستدلوا بأن الصحابة أثبتوها في المصاحف ، و لم يعدّها أبو حنيفة ومالك والأوزاعي آية ، واختلفت الرواية عن أحمد ، والمنصور عند

-

وقد اعتبر الإمامُ ابن جرير –رحمه الله– هذا التكرار دليلاً على أن البسملةَ ليست مِنَ الفاتحةِ ؛ لعدم الفاصلِ بينها وقوله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، ولعدم وجود معنى جديد في هذا التّكرار .

أصحابه عدم عدّها آية ؛ لحديث : "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين" رواه مسلم وغيره، فلو كانت آية لعدّها وبدأ بها ، ولا يتحقق التنصيف بعدّها كما في الحديث ؛ ولأن مواضع الآي تثبت بالتواتر و لم ينقل التواتر فيها. انظر المغني لابن قدامة (٤٨٠/١-٤٨٢) بتصرف .

وقيل : لا يصح الاستدلال بعدّها آية في المصحف ؛ لأن المصاحف العثمانية قد وضعت على هذين القولين : فعدّت البسملة آية: في المصحف المكي والكوفي. و لم يعد ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧] آية ، و لم تعد البسملة آية : في المصحف المدني والبصري والشامي، وقد عدّها آية من القراء : ابن كثير وعاصم والكسائي . انظر إتحاف فضلاء البشر (٣٥٧/١) .

وهناك قول آخر : بأن عدّ الآيات لم يكن في المصاحف العثمانية ، وإنما هذا مأخوذ عن أهل العد في الأمصار ، وهو مأخوذ عن الصحابة رضي الله عنهم ، وهذا أقرب والله أعلم ، وقد أشرت لنحو هذا في كتاب سورة الصلاة ترتج بها المساجد والمصليات ولكن في الطبعة الأخيرة صفحة (٢٠) .

المطلب الثاني : الأمثلة على القاعدة :

لقد تعدّدت الأمثلة على هذه القاعدة ، وتبيّن أن التّكرار فيها ، يكونُ مَرجِعه إلى شيئين : إمّا الكلمات ، وإمّا الحروف ، وسيكون التمثيل عليهما :

- ١ - الأمثلة على القاعدة من الكلمات :

في قوله -تعالى- : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠]
قال أبو جعفر : " يقول -تعالى ذِكْرُه- : ما الصدقات إلا للفقراء والمساكين ومن سمّاهم الله -جلّ ثناؤه- ، ثم اختلف أهل التأويل في صفة الفقير والمسكين ، فقال بعضهم : الفقير: المحتاج المتعفف عن المسألة ، والمسكين : المحتاج السائل...وقال آخرون : الفقير : هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، والمسكين : هو الصحيح الجسم منهم...وقال آخرون : الفقراء: فقراء المهاجرين ، والمساكين : من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج...وقال آخرون : المسكين : الضعيف الكَسْب...وقال بعضهم : الفقير من المسلمين ، والمسكين من أهل الكتاب...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قول من قال : الفقير : هو ذو الفقر والحاجة ، ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع ، والمسكين : هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم ؛ وإنما قلنا إن ذلك كذلك وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسألة ، لإجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر ، وأن معنى المسكنة عند العرب : الذّلة ، كما قال الله -جلّ ثناؤه- : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] يعني بذلك الهون ، والذّلة لا الفقر . فإذْ كان الله -جلّ ثناؤه- قد صنّف من قسم له من الصدقة المفروضة قسماً بالفقر ، فجعلهم صنفين ، كان معلوماً أن كل صنف منهم غير الآخر ، وإذْ كان ذلك كذلك كان لا شكّ أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة ، والفقير

المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذي لا مسكنة فيه ، والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع إلى فقره المسكنة ، وهي الذلّ بالطلب والمسألة ، فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه : إنما الصدقات للفقراء المتعفّف منهم الذي لا يسأل ، والمتذلل منهم الذي يسأل..." (١)

والمقصد من المثال طريقة التعامل مع المعطوفات : ﴿لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ فهؤلاء غير أولئك ، وأما الفرق بينهما فهو محل خلاف بين العلماء ، وليس هذا محل تفصيله . –والله أعلم– .

وفي قوله –تعالى– : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: ٩٦] **قال أبو جعفر** : "يقول –تعالى ذِكْرُه– : أُحِلّ لَكُمْ : أيها المؤمنون ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ وهو ما صيد طريّاً ، وعني بالبحر في هذا الموضع الأنهار كلها...**قال أبو جعفر** : فتأويل الكلام : أحلّ لكم أيها المؤمنون طريّ سمك الأنهار ، الذي صدتموه في حال حلكم وحرمكم ، وما لم تصيدوه من طعامه الذي قَتَله ثم رَمَى به إلى ساحله ، واختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ فقال بعضهم: عُني بذلك: ما قذف به إلى ساحله ميتاً... وقال آخرون : عني بقوله : ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ : المليح من السمك [أي : المملَّح] ، فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم: أحلّ لكم سمك البحر ومليحه في كلّ حال ، في حال إحلالكم وإحرامكم...وقال آخرون: ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ : ما فيه...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا : قول من قال : طعامه : ما قذفه البحر ، أو حسر عنه فوجد ميتاً على ساحله ، وذلك أن الله –تعالى ذِكْرُه – ذَكَر قبله صيد الذي يصاد ، فقال : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يصد منه ، فقال : أحلّ لكم ما صدتموه من البحر ، وما لم تصيدوه منه . وأما المليح ، فإنه ما كان منه ملّح بعد الاصطياد فقد دخل في جملة قوله : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ فلا وجه

---

(١) جامع البيان (٣٩٦/٦-٣٩٧) ، وتحقيق شاكر (٣٠٥/١٤) .

لتكريره ؛ إذ لا فائدة فيه ، وقد أعلم عباده – تعالى ذِكْرُه – إحلاله ما صيد من البحر بقوله : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك : ومليحه الذي صيد حلال لكم ؛ لأن ما صيد منه فقد بيّن تحليله طريّاً كان أو مليحاً ، بقوله : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة..." (١)

---

(١) جامع البيان (٥/٦٩-٧٠) ، وتحقيق شاكر (١١/٥٧) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٤٨) ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ جامع البيان (١/٣٠٨) ، و(٧١) ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ الآية جامع البيان (١/٣٩٤-٣٩٥) ، و(٨٧) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾الآية جامع البيان (١/٤٤٩) ، و(١٧٧) ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٠٣) ، وآل عمران (٣) ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ٣﴾ جامع البيان (٣/١٦٨) ، و(٤٨) ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ جامع البيان (٣/٢٧٢-٢٧٣) ، والنساء (٥) ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٥﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٨٩) ، والمائدة (٤) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾الآية جامع البيان (٤/٤٣٠) ، و(٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾الآية جامع البيان (٤/٤٧٨) ، و(٩٣) ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٧-٣٩) ، و(٩٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾الآية جامع البيان (٥/٥٦) ، و(١٠٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] الآية جامع البيان (٥/١٠٦-١٠٨) ، و(١١٠) ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ الآية جامع البيان (٥/١٢٨)، والأنعام (١٣) ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٥٩) ، و(٦٩) ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾الآية جامع البيان (٥/٢٨٠)، والأعراف (١٢) ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾الآية جامع البيان (٥/٤٤٠) ، وطه (١٢٤) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾ الآية جامع البيان (٨/٤٧٢) ، والأحقاف (١٥) ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾الآية جامع البيان (١١/٢٨٤-٢٨٥) ، والحشر (٧) ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٣٧) ، والقيامة (١٨) ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ جامع البيان (١٢/٣٤٠-٣٤١) .

فضعّف قول من قال : معنى : الطّعام المُمَلّح ؛ لأن الصيد قد يملّح فيدخل معناه في معنى الطعام المعطوف على الصيد ، فيلزم منه التّكرار بلا فائدة ، وكلام الله -عزّ وجلّ- ينزّه عن ذلك .

٢ - الأمثلة على ما يقرب من معنى القاعدة ، بذكر حروف قيل فيها : إنها زائدة لا معنى لها :

وإنما ذكرت هذه المسألة هنا ؛ لقربها وشبهها في الضعف من القول الذي يلزم منه تكرار بلا فائدة : ففي قوله -تعالى- : ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٠٠] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل العربية في حكم «الواو» التي في قوله : ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ ، فقال بعض نحويي البصريين : هي واو تجعل مع حروف الاستفهام ، وهي مثل «الفاء» في قوله : ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] ، قال : وهما زائدتان في هذا الوجه ، وهي مثل «الفاء» التي في قوله : فالله لتصنعنّ كذا وكذا ، وكقولك للرجل : أفلا تقوم ، وإن شئت جعلت الفاء والواو هاهنا حرف عطف، وقال بعض نحويي الكوفيين : هي حرف عطف أدخل عليها حرف الاستفهام .

والصواب في ذلك عندي من القول : أنها واو عطف أدخلت عليها ألف الاستفهام ، كأنه قال -جلّ ثناؤه- : وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وكُلّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، ثم أدخل ألف الاستفهام على «وكلما» ، فقال : قالوا : سمعنا وعصينا أَوَكُلّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فريقٌ مِنْهُمْ ، وقد بيّنا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له ، فأغنى ذلك عن إعادة البيان على فساد قول من زعم أن الواو والفاء من قوله : ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ و ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ زائدتان لا معنى لهما ." (١)

---

(١) جامع البيان (٤٨٧/١) ، وتحقيق شاكر (٣٩٩/٢) .

ووجه الزيادة المنفيّة في هذا المثال : إذا قلنا : إن الواو والفاء من قوله : ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ و﴿أَفَكُلَّمَا﴾ لا معنى لهما ، حيث بين الإمام الطبري –رحمه الله– ، أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له ، والصواب أنهما حرفا عطف بعد همزة استفهام .(١)

---

(١) وانظر موضعين آخرين في : المائدة(٤) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٣٩) ، والقلم (٦) ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ جامع البيان (١٢/١٨١) .

المطلب الثالث:الجواب على ما تكرر لفظه في القرآن :

من خلال المواضع المتعلقة بقاعدة نفي التكرار بلا فائدة ، أجاب الإمام الطبري – رحمه الله– عن مواضع فيها تكرار ، وبين الفائدة منه ، فكان على هذا النحو :

-١- التكرار قد يكون مراعاة لتناسب ختام كل آية مع ما قبلها من الجمل :

كما في قوله -تعالى- : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء: ١٣٢] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه- : ولله ملك جميع ما حوته السموات والأرض ، وهو القيم بجميعه ، والحافظ لذلك كله ، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يؤوده حفظه وتدبيره...فإن قال قائل : وما وجه تكرار قوله : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ في آيتين إحداهما في إثر الأخرى ؟ (١) قيل : كرّر ذلك ؛ لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض في الآيتين ، وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه ، وفي الأخرى حفظ بارئه إياه ، وعلمه به بتدبيره ، فإن قال : أفلا قيل : وكان الله غنيّاً حميداً ، وكفى بالله وكيلاً ؟ قيل: إن الذي في الآية التي قال فيها : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١] مما صلح أن يختم ما ختم به من وصف الله بالغني وأنه محمود، و لم يذكر فيها ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير ؛ فلذلك كرّر قوله : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ ." (٢)

ومن هنا يتبيّن أن التكرار الموجود في بعض المواضع لحِكَم ، منها : مراعاة تناسب ختام كل آية مع ما قبلها من الجمل ، فأسماء الله -عزّ وجلّ- في ختام الآيات لها معنى مناسب لما قبلها ، ولا تجمع الأسماء بغير مناسبة ؛ ولذلك تعاد الجملة مرة أخرى ، كما

---

(١) النساء (١٣١) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ .

(٢) جامع البيان (٣١٧/٤-٣١٨) ، وتحقيق شاكر (٢٩٧/٩) .

في تكرار قوله : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ ؛ لتختم بما يناسبها من الأسماء الحسنى .

– ٢ – جعل الآيات المكررة في سورتي الرحمن والمرسلات ترجع كل جملة مكرّرة منها إلى ما قبلها :

لقد كان ابن جرير –رحمه الله–يفسر ما تكرر في سورة الرحمن والمرسلات بجعل الآية المكررة من سورة الرحمن والمرسلات عائدة إلى ما قبلها .

فقوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سورة الرحمن : راجعة على كل نعمة سبقتها :

ففي قوله –تعالى– : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرحمن: ١٧ – ٢١].

قال –رحمه الله– في الآية الأولى : " وقوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٨] يقول : فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التي أنعم بها عليكم – من تسخيره الشمس لكم في هذين المشرقين والمغربين ، تجري لكما دائبة بمرافقكما ، ومصالح دنياكما ومعايشكما – تكذبان ."

وقال في الثانية:"وقوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٢١]يقول –تعالى ذِكْرُه –: فبأيّ نعم الله ربكما معشر الجنّ والإنس تكذّبان من هذه النعم التي أنعم عليكم ، من مَرْجه البحرين ، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك ." [1]وهكذا بقيّة المواضع .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ من سورة المرسلات ، راجعة إلى ما ذكر قبلها من الأخبار :

كما في قوله –تعالى– : ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المرسلات:١١ – ١٥] **قال –رحمه الله–** : " وقوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ يقول –تعالى ذِكْرُه –: الوادي الذي يسيل في جهنم من صديد أهلها للمكذبين

---

[1] جامع البيان (٥٨٥/١١و٥٨٨) .

بيوم الفصل ." (١)

وفي قوله -تعالى- : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) ﴾ [المرسلات: ١٦ - ١٩] قال -رحمه الله- : " ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بأخبار الله التي ذكرناها في هذه الآية ، الجاحدين قُدرته على ما يشاء ." (٢)وهكذا بقية المواضع .

وأستطرد فأسوق مثالا آخر من كتب المتشابه : قال الكرماني في حكمة تكرار قوله -تعالى- : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٧-٤٨ ، ١٢٢-١٢٣] : " لأنّ كلّ واحدة صادفت معصية تقتضي تنبيهاً ووعظاً ، وكل واحدةٍ وقعت في غير وقت الأخرى، فالمعصية الأولى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] والثانية : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[البقرة: ١٢٠] " (٣).

– ٤ – وقد تذكر كلمة مشابهة للأولى في المعنى –وليس في اللفظ كما سبق– فيفسر الثانية بالأولى :

فمن ذلك قوله -تعالى- : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) ﴾ [الأعراف: ١٨٨] قال أبو جعفر : " يقول -تعالى ذِكْرُه -لنبيّه محمّدٍ - ﷺ - : قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيّان مرساها : ﴿ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ يقول : لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي ، ولا دفع ضرّ يحلّ بها عنها ، ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ أن أملكه من ذلك بأن يقوّيني عليه ويعينني...وقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ ﴾ يقول : وما مسني الضرّ..." (٤)

---

(١) جامع البيان (٣٨٤/١٢) .

(٢) جامع البيان (٣٨٤/١٢) .

(٣) انظر البرهان في متشابه القرآن للكرماني صفحة (٤٢) .

(٤) جامع البيان (١٤١/٦) ، وتحقيق شاكر (٣٠١/١٣) . ومثله في الحجر (٦٣-٦٤) ﴿ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ الآيتين جامع البيان (٥٢٤/٧) .

ففسّر الضرّ الأول ، والسّوء التالي : بالضر ، وهما متقاربان ، فالضرّ سوء الحال ، وهو مقابل النفع ، والسّوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، ومن الأحوال النفسية ، والبدنية ، والخارجة من فوات مالٍ وجاهٍ وفقد حميمٍ (١) ، وكلّ سوءٍ فهو ضررٌ ، وفيه نقصُ نفعٍ .

– ٥ – وقد يفسر كلمتين متتاليتين بأنهما من باب إضافة الشيء إلى نفسه :

كما في قوله -تعالى- : ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٥ - ١٦] **قال -رحمه الله-**:"وقوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه -: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدّث به نفسه ، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه ، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ يقول : ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق ، والوريد : عرق بين الحلقوم والعلباوين ، والحبل : هو الوريد ، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه . " (٢)

هذه بعض الأسباب التي ذكرها الطبري -رحمه الله- **وقد ذكر الكرماني -رحمه الله-** أسباباً غيرها ، منها : قطع الاشتراك : كقوله -تعالى- : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] (٣).

وكذلك المطابقة : كقوله -تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١] خص السمع بالذكر ؛ لما في الآية من قوله : ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ [البقرة: ١٨١] ؛ ليكون مطابقاً (٤).

وقد يكون التّكرار لاختلاف الأقوال : كقوله -تعالى- : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾

---

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن ، مادة ضرٌّ ، صفحة (٥٠٣-٥٠٤) ، ومادة سوأ صفحة (٤٤١) .

(٢) جامع البيان (٤١٥/١١) . ومثله أيضا آية (١٩) ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ جامع البيان (٤١٨/١١) .

(٣) البرهان في متشابه القرآن صفحة (٢٠) .

(٤) المرجع السابق صفحة (٣٦) .

[المائدة: ٧٢، ٧٣] قالوا : إن كل قول لفرقة من فرق النصارى .[١] ا.هـ .

وقد يكون الفرق بين بعض المفردات غير واضح فيظهره ويبرزه :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٤) ﴾ [الأحقاف: ١٣ - ١٤] **قال -رحمه الله- :** " يقول -تعالى ذِكْرُه -: إنّ الّذِينَ قالُوا ربّنا اللّهُ الذي لا إله غيره ، ثُمّ اسْتَقامُوا على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك ، و لم يخالفوا الله في أمره ونهيه ..." [٢]

فقول : ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وعطف الاستقامة عليه ، دال على فرق ، ففعل الإيمان لا يلزم منه المداومة ، فأكدها بالاستقامة ، وهي أمر زائد على إعلان الإيمان .

---

(١) المرجع السابق صفحة (٥٥-٥٦) .

(٢) حامع البيان (٢٨٣/١١) . وانظر مواضع أخرى في هود (٥٨) ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾ حامع البيان (٦١/٧) ، والحج (٥٥) ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) ﴾ حامع البيان (١٨١/٩) .

المطلب الرابع : مواضع لم يستعمل فيها الإمام الطبري –رحمه الله– قاعدة إذا لزم من تفسير الآيات التكرار الذي لا معنى له فذلك خُلفٌ ينزه القرآن عنه :

لقد برزت طريقة ابن جرير–رحمه الله–وفكرته ، ولكن هناك مواضع قد تكون بخلاف القاعدة ، ومنها :

في قوله –تعالى– : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ ﴾ [فصلت: ٦ – ٧]... قال –رحمه الله– : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ " اختلف أهل التأويل في ذلك : فقال بعضهم : معناه : الذي لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم ، وتزَكّي أبدانهم ، ولا يوحّدونه...وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين لا يقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها ، ولا يعطونها أهلها...

والصواب من القول في ذلك : ما قاله الذين قالوا : معناه : لا يؤدّون زكاة أموالهم، وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة ، وأنّ قوله في : ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ دليلاً على أن ذلك كذلك ؛ لأنّ الكفار الذين عُنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، فلو كان قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ مراداً به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، لم يكن لقوله : ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ معنى ؛ لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة ، وفي إتباع الله قوله : ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معنيّ بها زكاة الأموال..."(١).

وموضع الضّعف في هذا التفسير ليس عدم تطبيق القاعدة ، بل إن تطبيقها هنا واضح ؛ ولكن تعارضها مع وقت النزول هو القادح ، وذلك أنّ زكاة المال : إنّما فرضت

---

(١) جامع البيان (٨٦/١١) .

بالمدينة ، والآية من أول المكي (١)، وأكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم ، على أنّ الزّكاة هنا : هي التّوحيد...وهو أصل كلّ زكاة ونماء (٢) ، وهذا الوجه أوفق لتأليف النظم.(٣) فلا يلزم من الشهادة بالتوحيد إثبات اليوم الآخر .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤] **قال -رحمه الله-** : " وقوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ يقول : لعن أصحاب الأخدود ، وكان بعضهم يقول : معنى قوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ خبر من الله عن النار أنها قتلتهم . وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود من هم ؟ . فقال بعضهم : قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس...وقال آخرون: بل الذين أحرقتهم النار هم الكفار الذين فَتَنوا المؤمنين...عن الرّبيع بن أنس قال : كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين ، اعتزلوا الناس في الفتر ، وإنّ جباراً من عبدة الأوثان أرسل إليهم ، فعرض عليهم الدخول في دينه ، فأبوا ، فخدّ أخدوداً (٤)، وأوقد فيه ناراً ، ثم خيّرهم بين الدّخول في دينه ، وبين إلقائهم في النار ، فاختاروا إلقاءهم في النار ، على الرجوع عن دينهم ، فألقوا في النار ، فنجّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق ، بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار ، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم ، فذلك قول الله : ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ [البروج: ١٠] في الآخرة ، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠] في الدنيا...

وأولى التأويلين بقوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ : لُعِن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود ، وإنما قلت : ذلك أولى التأويلين بالصواب ؛ للذي ذكرنا عن الربيع من العلة ، وهو أن الله أخبر أن لهم عذاب الحريق مع عذاب جهنم ، ولو لم

---

(١) انظر المحرر الوجيز (١٤/١٦٤) .

(٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم (٤/٩٥) ، وعزاه لإغاثة اللهفان صفحة (٤٩) .

(٣) روح المعاني للآلوسي (٢٣/١٥١) .

(٤) الأخدود : الشقّ في الأرض ، والحفرة المستطيلة فيها . انظر مقاييس اللغة (٢/١٤٩) مادة خدّ ، وترتيب القاموس (٢/٢٠) مادة خدد .

يكونوا أحرقوا في الدنيا لم يكن لقوله : ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ معنى مفهوم ، مع إخباره أن لهم عذاب جهنم ؛ لأن عذابَ جهنم هو عذاب الحريق مع سائر أنواع عذابها في الآخرة..." (١)

ولكن ختام السورة يدل على أن الله لم يوقع على أصحاب الأخدود الكفرة العقاب الدنيوي ؛ ولذلك نبّه الله -عزّ وجلّ- على كمال قدرته بإيقاع العذاب في الدنيا بما فعل بالجنود ، فرعون وثمود ، ولو شاء لفعل بأصحاب الأخدود مثل ذلك ، ولكنه -تعالى- لم يشأ ذلك .(٢)

وهكذا يتّضح للقارئ قاعدة : إذا لزم من تفسير الآيات التكرار الذي لا معنى له فذلك خُلفٌ ينزّه القرآن عنه ، فقد اتضح نص القاعدة ، وأتبع بأمثلة على نوعيه : الكلمات التي قيل فيها : إن فيها تكرار ، والأحرف التي قيل فيها : إنها زائدة ، ثم ذكرت إجابة الإمام الطبري على ما تكرّر في القرآن بأجوبة سديدة ، ثم جاءت الإشارة إلى بعض ما خرج عن القاعدة والأولى خلافه . -والله أعلم -.

---

(١) جامع البيان (١٢/٥٢٣-٥٢٦) .

(٢) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب (جزء٣٠/١١٣و١١٦) طبعة الحلبي الأولى .

المبحث السادس : يختار من المعاني ما اتّسَق وانتظم معه الكلام :

تتنوع معاني الجمل على اختلاف مساقات الكلام ؛ ولذلك يجب على المفسِّر اختيار الأنسب للمقام ، والمتفق مع حال الكلام .

وسيكون عرض الأمثلة من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : نص القاعدة .

المطلب الثاني : يختار من المعاني ما يناسب سياق الكلام .

المطلب الثالث : المعنى المضاد والمقابل للجمل والكلمات .

المطلب الرابع : ذكر معنى ما سيجيء في مستقبل الجمل والآيات المتأخرة أوّلَ ورود مقطعها.

المطلب الخامس : مواضع لم يستعمل فيها الإمام الطبري –رحمه الله– قاعدة : اختيار المعاني التي يتّسق وينتظم معها الكلام .

المطلب الأول : نص القاعدة :

على المفسِّر لكلام الله -عزّ وجلّ- أن يبذل جهده في حمل معاني الآيات على المعاني التي ينتظم معها الكلام ، ويكون على مساقٍ واحدٍ لا يتنافى ولا يتنافر .

يوضِّح هذا تفسيره لقوله -تعالى- : ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[البقرة: ٢٨٢] **قال أبو جعفر** : " يعني بقوله -جلّ ثناؤه- : ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا﴾ فإن كان المدين الذي عليه المال ﴿سَفِيهًا﴾ : يعني جاهلاً بالصواب في الذي عليه أن يملّه على الكاتب...وقال آخرون : بل السّفيه في هذا الموضع الذي عناه الله : الطفل الصغير...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية : تأويل من قال : السفيه في هذا الموضع : الجاهل بالإملاء ، وموضع صواب ذلك من خطئه ؛ لما قد بيّنا قبل من أن معنى السفه في كلام العرب : الجهل ، وقد يدخل في قوله : ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾ كلّ جاهل بصواب ما يملّ من خطئه ، من صغير وكبير ، وذكر وأنثى ، غير أن الذي هو أولى بظاهر الآية أن يكون مراداً بها كل جاهل -بموضع خطأ ما يمل وصوابه -من بالغي الرجال الذين لا يولّى عليهم والنساء ؛ لأنه جل ذكره ابتدأ الآية بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾[البقرة: ٢٨٢] والصبيّ ومن يولّى عليه لا يجوز مداينته ، وأن الله - عزّ وجلّ - قد استثنى من الذين أمرهم بإملال كتاب الدين مع السفيه : الضعيف ، ومن لا يستطيع إملاله ، ففي فصله -جل ثناؤه – الضعيف من السفيه ، ومن لا يستطيع إملاء الكتاب ، في الصفة التي وصف بها كل واحد منهم ، ما أنبأ عن أن كل واحد من الأصناف الثلاثة الذين ميّز بين صفاتهم ، غير الصنفين الآخرين ، وإذا كان ذلك كذلك، كان معلوماً أن الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوّة على الإملال ، غير أنه وضع عنه فرض الإملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه ، وأن الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن إملاله وإن كان شديداً رشيداً ، إما لعيّ لسانه أو خرس به ، وأن الموصوف بأنه

لا يستطيع أن يمل : هو الممنوع من إملاله ، إما بالحبس الذي لا يقدر معه على حضور الكاتب الذي يكتب الكتاب فيمل عليه ، وإما لغيبته عن موضع الإملال فهو غير قادر من أجل غيبته عن إملال الكتاب ، فوضع الله -عزّ وجلّ- عنهم فرض إملال ذلك ؛ للعلل التي وصفنا إذا كانت بهم ، وعذرهم بترك الإملال من أجلها ، وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم وليّ الحقّ بإملاله ، فقال : ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ يعني : وليّ الحقّ ، ولا وجه لقول من زعم أن السفيه في هذا الموضع هو الصغير ، وأن الضعيف هو الكبير الأحمق ؛ لأن ذلك إن كان كما قال يوجب أن يكون قوله : ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ هو العاجز من الرجال - العقلاء الجائزي الأمر في أموالهم وأنفسهم - عن الإملال ، إما لعلة بلسانه من خرس أو غيره من العلل ، وإما لغيبته عن موضع الكتاب ، وإذا كان ذلك كذلك معناه ، لبطل معنى قوله : ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ ؛ لأن العاقل الرّشيد لا يولّى عليه في ماله ، وإن كان أخرسَ أو غائباً ، ولا يجوز حكم أحدٍ في ماله إلا بأمره ، وفي صحة معنى ذلك ما يقضي على فساد قول من زعم أن السّفيه في هذا الموضع: هو الطفل الصغير ، أو الكبير الأحمق..." (١)

فنفى تفسير السفيه : بالصغير ، والضعيف : بالكبير الأحمق ؛ لأنه يوجب تفسير : قوله ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ بالعاجز من الرجال ؛ والرشيد لا يولى عليه في ماله ، ولو كان أخرس أو غائباً ؛ لأن بعد هذه الجملة : ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ ففسد بذلك تفسير الذي لا يستطيع أن يمل بالعاجز من الرجال جائزي التصرف ؛ لتناقضه مع الحكم بإملال وليه ، فهذا لا يكون إلا بإذن الولي صاحب المال العاقل و لم يذكر ذلك في الآية ، بالإضافة إلى أن الصّغار لم يدخلوا في الآية ابتداء ؛ لأن الخطاب في ابتدائها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، والصبيّ ومن يولّى عليه لا يجوز مداينته .

---

(١) جامع البيان (٣/١٢١-١٢٢) ، وتحقيق شاكر (٦/٥٧) .

المطلب الثاني: يُختار من المعاني ما يُناسب سياق الكلام :

لقد كان الإمام الطبري –رحمه الله يختار المعاني المناسبة ، ويقتنصها بدقة من خلال سياقات الآيات ، ومن الأمثلة على ذلك :

قوله –تعالى- : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢]..." ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ **قال أبو جعفر** : إن قال لنا قائل : أوَ إلى بني آدم الموت والحياة فيُنهى أحدهم أن يموت إلا على حالة دون حالة ؟ قيل له: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت ، وإنما معنى : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي : فلا تفارقوا هذا الدين وهو الإسلام أيام حياتكم ، وذلك أن أحدا لا يدري متى تأتيه منيته ؛ فلذلك قال لهم : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ؛ لأنكم لا تدرون متى تأتيكم مناياكم من ليل أو نهار ، فلا تفارقوا الإسلام فتأتيكم مناياكم وأنتم على غير الدين الذي اصطفاه لكم ربكم ، فتموتوا وربكم ساخط عليكم ، فتهلكوا ." (١)

فاختار المعنى المناسب للمخاطب ، الذي لا يستطيع تقديم الموت ، ولا ردّه عن نفسه ، فبيّن أن المراد هو مداومة الاستقامة حتى إذا جاء الموت كان على أحسنِ حال منها، وليس مدافعة الموت الذي ليس له به قدرة .

وفي قوله –تعالى- : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] قال أبو جعفر : " يعني –تعالى ذِكْرُه –[بقوله] : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أيام بدر وأُحد ، ويعني بقوله : ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ نجعلها دولاً بين الناس مصرَّفة ، ويعني بالناس : المسلمين والمشركين ، وذلك أن الله – عزّ وجلّ – أدال المسلمين من المشركين ببدر ، فقتلوا منهم سبعين ، وأسروا سبعين ، وأدال المشركين من المسلمين بأُحد، فقتلوا منهم سبعين ، سوى

---

(١) جامع البيان (٦١٢/١) ، وتحقيق شاكر (٩٦/٣) .

من جرحوا منهم ، يقال منه : أدال الله فلاناً من فلان فهو يديله منه إدالةً ، إذا ظفِرَ به فانتصر منه ، مما كان نال منه المدَال منه..." (١)

ولما كانت السورة تتحدث عن وقائع غزوة أحد ، وتسلي المؤمنين ، وتوجّههم وتقوِّمهم ،دل على أن المراد ما وقع من انتصار في بدر ، وهزيمة في أحد.

وفي قوله -تعالى- : ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٨] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -تعالى ذِكْرُه -: فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم ، من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم ، وعلى جهاد عدوّهم ، والاستعانة بالله في أمورهم ، واقتفائهم مناهج إمامهم ، على ما أبلوا في الله – ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ يعني : جزاءً في الدنيا ، وذلك النصر على عدوّهم وعدوّ الله ، والظفر والفتح عليهم ، والتمكين لهم في البلاد ، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ ﴾ يعني : وخير جزاء الآخرة ، على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة، وذلك الجنة ونعيمها..." (٢)

فذكر -رحمه الله- أن الثواب الذي لهم في الدنيا في قوله : ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ هو النصر، وقد تقدم في الآية أنهم قاتلوا نصرة للدين ، بل وذكر الله قولهم فقال : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٧] وأمّا : ثوابهم في الآخرة في قوله : ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ ﴾ فقد طلبوا في دعائهم : مغفرة ذنوبهم وإسرافهم في أمرهم -كما سبق- .(٣)

---

(١) حامع البيان (٣/٤٤٨-٤٤٩) ، وتحقيق شاكر (٧/٢٣٩) .

(٢) حامع البيان (٣/٤٦٦) ، وتحقيق شاكر (٧/٢٧٥) .

(٣) وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٩) ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ حامع البيان (١/١٥١) ، و(١٣) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾الآية حامع البيان (١/١٦١) ، والنساء (٢٨) ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ حامع البيان (٤/٣٢) .

المطلب الثالث : المعنى المضادّ والمقابِل للجمل والكلمات :

لقد وصف الله -عزّ وجلّ- كتابه بأنه مثاني فقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣] **قال ابن كثير -رحمه الله-** عند تفسير هذه الآية : " **قال مجاهد** : يعني : القرآن كلّه متشابه مثاني ، **وقال قتادة** : الآية تشبه الآية ، والحرف يشبه الحرف ، **وقال الضحاك** : ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ ترديد القول ؛ ليفهموا عن ربهم -تبارك وتعالى-، **وقال عكرمة والحسن** : ثنّى الله فيه القضاء ، زاد الحسن : تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، **وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** : ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ مردّد ، ردّد موسى في القرآن ، وصالح ، وهود ، والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في أمكنة كثيرة، **وقال سعيد بن جبير** : عن ابن عباس-رضي الله عنهما- : ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ قال : القرآن يشبه بعضه بعضاً ، ويردّ بعضه على بعض ، **وقال بعض العلماء : ويروى عن سفيان بن عيينة** [1] : معنى قوله -تعالى- : ﴿ مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ ﴾ أنّ سياقات القرآن تارة : تكون في معنى واحد ، فهذا من المتشابه ، وتارة : تكون بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا من المثاني ، كقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤] ، وكقوله - عزّ وجلّ- : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) ﴾ [المطففين: ٧] إلى أن قال : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) ﴾ [المطففين: ١٨] ، ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) ﴾ [ص: ٤٩] إلى أن قال :﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) ﴾ [ص: ٥٥] ، ونحو هذا من السياقات ، فهذا كله من المثاني ، أي : في معنيين اثنين ، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضاً ، فهو المتشابه ، وليس هذا

---

[1] هو أبو محمد ، سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي المكي ، الحافظ ، مولى ، ولد سنة سبع ومائة ، محدّث مفسر ، يدلّس عن الثقات ، عاش إحدى وتسعين سنة ، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة . انظر سير أعلام النبلاء (٤٥٤/٨) ، ووفيات الأعيان (٣٩١/٢) ، وشذرات الذهب (٣٥٤/١) .

من المتشابه المذكور في قوله -تعالى- : ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران: ٧] ذاك معنى آخر ." (١)

ومن المثاني -كما سبق -: أن يذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا مثانٍ .

ويشبه هذا إلى حدٍّ ما ، عطف بعض الجمل على بعض في : جزاء المؤمنين والكافرين، وفي تنويع العقاب وتقابله مع الثواب .

والأمثلة على ذلك قد تكون كلماتٍ أو جملاً :

- ١ - الأمثلة عل المعنى المتقابل بين الكلمات :

في قوله -تعالى- : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٥] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه -: ثم بدّلنا أهل القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء ، مكان السيئة : وهي البأساء والضرّاء. وإنما جعل ذلك سيئة ؛ لأنه مما يسوء الناس ، ولا تسوؤهم الحسنة، وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة..." (٢)

فاستدلّ على أن الحسنة الرخاء وسعة المعيشة ؛ لأنها ضد ما أخذوا به من قبل ، أعني: البأساء والضراء .

وقال -تعالى- : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝﴾ [الجن: ١٣] **قال -رحمه الله-** : " وقوله : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ يقول-: قالوا : وأنّا لمّا سمعنا القرآن - الذي يهدي إلى الطريق المستقيم - آمنّا به ، يقول: وصدّقنا به ، وأقررنا أنه حقٌّ من عند الله ، ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ يقول : فمن يصدّق بربه : ﴿فَلَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٢/٤) .

(٢) جامع البيان (٨/٦) ، وتحقيق شاكر (٥٧٣/١٢) .

يَخَافُ بَخْسًا ﴾ يقول : لا يخاف أن ينقص من حسناته ، فلا يجازى عليها ، ﴿ وَلَا رَهَقًا ﴾ ولا إثماً يُحمل عليه من سيئات غيره ، أو سيئةً [لم] يعملها ." (١)

فالبخس : النّقص في الحسنات ، وضدّه الرّهق : وهو زيادة ؛ ولكن في السيئات .

وفي قوله –تعالى- : ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) ﴾ [النبأ: ٢٤ - ٢٥] **قال –رحمه الله- :** " وقوله : ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ يقول : لا يَطْعَمون فيها برداً يُبرّد حرّ السعير عنهم ، إلاّ الغسّاق ، ولا شراباً يرويهم من شدّة العطش الذي بهم إلاّ الحميم...وقوله : ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه -: لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلاّ حميماً قد أغلي حتى انتهى حرّه ، فهو كالْمُهْل يَشْوِي الوجوه ، ولا برداً إلاّ غَسّاقاً...فإن قال قائل : فإنك قد قلت : إن الغَسّاق : هو الزمهرير ، والزمهرير : هو غاية البرد ، فكيف يكون الزمهرير سائلاً ؟ . قيل : إن البرد الذي لا يُستطاع ولا يُطاق ، يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد."(٢)

فالغسّاق مقابل الحميم شديد الحرارة ؛ إذاً : هو باردٌ شديد البرودة ، وقد ورد في الحديث أن عذاب النار من الحرارة والبرودة ، فقال – ﷺ – : " اشتكت النار إلى ربّها ،

---

(١) جامع البيان (١٢/٢٦٧) .

(٢) جامع البيان (١٢/٤٠٥-٤٠٨) .وانظر بقية المواضع في : النور (٥٨) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٤٥) ، والشعراء(١٠٠-١٠١) ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) ﴾ جامع البيان (٩/٤٥٦) ، وفاطر (٢١) ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ (٢١) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٠٦) ، وغافر (٥٨) ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ﴾الآية جامع البيان (١١/٧٢) ، و(٧٨) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾الآية جامع البيان (١١/٨٠) ، والرحمن (٦) ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) ﴾ جامع البيان (١١/٥٧٥) ، والمجادلة (١٨) ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾الآية جامع البيان (١٢/٢٤) ، والملك (٢٨) ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) ﴾ جامع البيان (١٢/١٧٣) ، والنبأ (٤٠) ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٤١٨) ، والتكوير (١٦) ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ (١٦) ﴾ جامع البيان (١٢/٤٦٩) .

فقالت : رب أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفسٌ في الشتاء ، ونفسٌ في الصّيف ، فهو أشدّ ما تجدون من الحرّ ، وأشدّ ما تجدون من الزمهرير " (١) .

- ٢ - الأمثلة على المعنى المضاد والمقابل بين الجمل :

في قوله -تعالى- : ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ ﴾ [الأنبياء: ٩] **قال -رحمه الله-** : " وقوله : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه -: فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات ، ﴿ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ وهم أتباعها الذين صدّقوها وآمنوا بها ، وقوله : ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه - : وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم ."(٢)

فالمسرفون هم المكذّبون بالرسل ، مقابلةً لهم بالذين أنجاهم الله ؛ لتصديقهم بالرسل .

وقد تكون المقابلة في جواب كلام :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ ﴾ [الحج: ٤٩ - ٥٠] **قال -رحمه الله-** : يقول-تعالى ذِكْرُه- لنبيّه محمّدٍ - ﷺ -: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم، اتّباعاً منهم لكلّ شيطان مريد : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا ، وعذابه في الآخرة أن تَصْلَوْه ، ﴿ مُّبِينٌ ﴾ يقول : أبيِّن لكم إنذاري ذلك وأُظهره ؛ لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك ، لا أملك لكم غير ذلك ، فأما تعجيل العقاب وتأخيره -الذي تستعجلونني به -فإلى الله ، ليس ذلك إليّ ولا أقدر

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، صفحة (٦٦٦) ، حديث (٣٢٦٠) ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر...،(٤٣١/١-٤٣٢) ، حديث (٦١٧) ، وهذا لفظ مسلم .

(٢) جامع البيان (٨/٩) .

عليه"[1].

فقوله : ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ جواب لطلبهم العذاب المذكور في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧] والجواب : مقابل السؤال ولا شكّ ؛ ولذلك صحّ قوله : فأمّا تعجيل العقاب وتأخيره –الذي تستعجلونني به– فإلى الله ، ليس ذلك إليّ ولا أقدر عليه .

---

[1] جامع البيان (١٧٣/٩) . وانظر مثله في النساء (١٦٢) ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾الآية جامع البيان (٣٦٣/٤) ، وانظر بقية مواضع هذا النوع عامة في : آل عمران (١٩٨) ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾الآية جامع البيان (٥٥٨/٣) ، والمؤمنون (٢٩-٣٠) ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٢٩﴾ الآيتين جامع البيان (٢١١/٩) ، والأحزاب (٢٣) ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية جامع البيان (٢٨١/١٠) ، والزمر (٣٣) ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾ الآية جامع البيان (٤/١١-٥) ، والنجم (٣٠) ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾الآية جامع البيان (٥٢٥/١١) ، والممتحنة (٦) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾الآية جامع البيان (٦١/١٢) ، والجمعة (١١) ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ الآية جامع البيان (٩٩/١٢) ، والأعلى (١٠-١١) ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ جامع البيان (٥٤٦/١٢).

المطلب الرابع : يذكر معنى ما سيجيء في الجمل والآيات المتأخرة في أول ورود مقطعها :

وسبب ذلك النهج طلب توضيح المراد ، وهذا الوارد المتأخر قد يكون في الآية الواحدة ، وقد يكون بعدها :

-١ – الأمثلة في الآية الواحدة على ذكر معنى الوارد المتأخر في أول تفسير الآية:

في قوله –تعالى- : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾﴾ [محمد: ١٠] **قال –رحمه الله–** : " يقول –تعالى ذِكْرُه- : أفلم يَسِر هؤلاء – المكذّبون محمّداً -ﷺ-، المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب – في الأرض سفراً ، وإنّما هذا توبيخ من الله لهم ؛ لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام ، فيرون نقمة الله التي أحلّها بأهل حِجْرِ ثمود ، ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحلّ الله بسَبَأ ، فقال لنبيه – عليه الصلاة والسلام – وللمؤمنين به : أفلم يسر هؤلاء المشركون سفراً في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم ، من الأمم المكذّبة رسلها ، الرّادّة نصائحها ؟ . ألم نهلكها فندمّر عليها منازلها ونخرّبها ؟ . فيتعظوا بذلك ، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم إياه ، فينيبوا إلى طاعة الله في تصديقك ، ثم توعّدهم –جلّ ثناؤه- ، وأخبرهم إن هم أقاموا على تكذيبهم رسوله ، أنه مُحِلٌّ بهم من العذاب ما أحلّ بالذين كانوا من قبلهم من الأمم ، فقال : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ يقول : وللكافرين من قريش المكذبي رسول الله -ﷺ- من العذاب العاجل ، أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمّداً -ﷺ-. "(١)

فقول الإمام الطبري –رحمه الله– : أنه تهديد للكفار ووعظ ، يدل عليه قوله

---

(١) جامع البيان (٣١١/١١) .

-تعالى-: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ فاختار من المعاني والمقاصد ما ناسب السياق وانتظم معه الكلام.

وفي قوله -تعالى- : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [محمد: ٢٠] **قال -رحمه الله- :** " يقول -تعالى ذِكْرُه -: ويقول الذين صدّقوا الله ورسوله :هلاّ نزلت سورةٌ من الله ، تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار، ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ يعني: أنّها محكمة بالبيان والفرائض...وقوله : ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ﴾ يقول : وذُكر فيها الأمر بقتال المشركين..." (١)

فالمقصود ليس طلب تنزيل سورة فقط أيّاً كانت ، وإنما المطلوب سورة معينة لها صفة أساسية ، وهي : أنها تأمر بالجهاد ؛ بدليل عتاب الله لهم على إعراضهم عما طلبوه من فرض الجهاد وتشريعه .

– ٢ – الأمثلة على ذكر المعنى الوارد المتأخر في آية مستقلة في أول تفسير للمقطع التي هي فيه ، وقد يكون ختام الآية بالأسماء الحسنى ، أو غيرها :

أ- فمثال تفسير ختام الآية بأسماء الله الحسنى بما يرد بعدها : قول الله -تعالى- : ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١٢] **قال-رحمه الله-:** "وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه -: هذا الذي وصفتُ لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما ، وتزييني السماء الدنيا بزينة الكواكب على ما بيّنت ، تقدير العزيز في نقمته من أعدائه ، العليم بسرائر عباده وعلانيتهم ، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم ."(٢)

ثم قال في قوله -تعالى- : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣] : "يقول -تعالى ذِكْرُه -: فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجّة التي

---

(١) جامع البيان (٣١٨/١١) .

(٢) جامع البيان (٩٣/١١) .

بيّنتها لهم يا محمد ، ونبهتهم عليها ، فلم يؤمنوا بها ، و لم يقرّوا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره ، فقل لهم : أنذرتكم أيها الناس : صاعقة تهلككم ، مثل صاعقة عاد وثمود." (١)

ففسّر ختام الآية بالأسماء الحسنى في قوله -تعالى- : ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ بأنّ العزّة في انتقامه من الكفار ، وهذا التّفسير مناسب للتّعقيب بالآية التي بعدها في قوله -تعالى- : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣)﴾ .

ب- ومثال تفسير ختم الآية بغير الأسماء الحسنى بما يدلّ عليه ما بعدها : قوله -تعالى- : ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٢٦)﴾ [الأحقاف: ٢٦] قال -رحمه الله- : " يقول: وعاد عليهم ما استهزءوا به ، ونزل بهم ما سخروا به ، فاستعجلوا به من العذاب، وهذا وعيد من الله -جلّ ثناؤه- لقريش ، يقول لهم : فاحذروا أن يحلّ بكم من العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله ما حلّ بعاد ، وبادروا بالتوبة قبل النقمة ." (٢)

ثم قال أول الآية التالية وهي قوله -تعالى- : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧)﴾ [الأحقاف: ٢٧] : " يقول -تعالى ذِكْرُه- لكفار قريش محذّرهم بأسه وسطوته ، أن يحلّ بهم على كفرهم : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾ أيها القوم من القُرَى ما حول قريتكم ، كحِجْرِ ثمود ، وأرض سدوم ، ومأرب ، ونحوها ، فأنذرنا أهلها بالمَثُلات ، وخرّبنا ديارها ، فجعلناها خاوية على عروشها ." (٣)

فالذي دلّ على المعنى التحذيري ما بعدها من ذكر أحوال المهلَكين قبل هذه الأمّة.

وفي قوله -تعالى- : ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥)﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٥] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه -: إن هذا الذي خلقته وحيداً، فكّر فيما أنزل على

---

(١) جامع البيان (٩٣/١١) . ومثله في الحشر (١-٢) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾الآيتين جامع البيان (٢٧/١٢) .

(٢) جامع البيان (٢٩٥/١١) .

(٣) جامع البيان (٢٩٥/١١) .

عبده محمّدٍ -ﷺ-من القرآن ، وقدّر فيما يقول فيه..." (١)

فالتفكير واقع من هذا الرجل -وهو الوليد بن المغيرة (٢)- في القرآن ماذا يقول فيه ؛ بدليل قوله – تعالى – بعدها حكاية عن الوليد : ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ ؛ لأنه إنما قال هذا الكلام بعد تفكيره وتقديره، فالمفكَّر فيه هو المتكلم فيه قطعاً، وهو القرآن .

---

(١) حامع البيان (٣٠٨/١٢) . وانظر مواضع أخرى في : الفتح (١٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية حامع البيان (٣٣٨/١١) ، وسورة ق (٤١-٤٢) ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ الآيتين ، حامع البيان (٤٣٨/١١) ، والممتحنة (٤) ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ الآية حامع البيان (٥٩/١٢) ، والحاقة (٣٨-٤٠) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الآيات حامع البيان (٢٢٢/١٢) ، والإنسان (٢٣-٢٤) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ الآيتين حامع البيان (٣٧٣/١٢) ، والمرسلات (٧-١٥) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾﴾ الآيات حامع البيان (٣٨٢/١٢) .

(٢) هو أبو عبد شمس ، المخزومي ، أحد رؤساء قريش ، ومن قضاة العرب ، وأول من خلع نعليه في الجاهلية لدخول الكعبة ، أدرك الإسلام شيخاً هرماً فعاداه ، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، وهو والد سيف الله المسلول ، خالد بن الوليد . انظر المعارف صفحة (٥٥١) ، وحامع البيان (٣٠٩/١٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٤) ، والأعلام (١٤٤/٩) .

المطلب الخامس : مواضع لم يستعمل فيها الإمام الطبري –رحمه الله– قاعدة : اختيار المعاني التي يتّسق وينتظم معها الكلام :

لقد حصل من عرض الأمثلة الماضية : أنّ الإمام الطبري –رحمه الله- يسير على قاعدة لها ميزها وفوائدها ، ويأتي تعليقه عليها واضحاً جليّاً ، وهذا في الأعم الأغلب ؛ ولكن هناك مواضع لم تكن على هذا النحو ، وهي قليلة منها :

في قوله –تعالى- : ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ ﴾ [الذاريات: ١٩] قال –رحمه الله: "يقول –تعالى ذِكْرُه -: وفي أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم حقّ لسائلهم المحتاج إلى ما في أيديهم والمحروم ، وبنحو الذي قلنا في معنى السائل ، قال أهل التأويل ، وهم في معنى : المحروم مختلفون ، فمن قائل : هو المحارَف (١) الذي ليس له في الإسلام سهم...[أو] الذي لا يكون له مال إلا ذهب ، قضى الله له ذلك...ومن قائلٍ : هو المتعفّف الذي لا يسأل الناس شيئاً...وقائلٍ : هو الذي لا سهم له في الغنيمة ...وقائلٍ : هو الذي لا ينمى له مال...وقائلٍ : هو الذي قد ذهب ثمره وزرعه...وكان الشعبيّ يقول في ذلك : أعياني أن أعرف ما المحروم .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج ، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره ، فصار ممن حرمه الله ذلك ، وقد يكون بسبب تعفّفه وتركه المسألة ، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة ؛ لغيبته عن الوقعة ، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ ، كما قال –جلّ ثناؤه- : ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ ﴾ (٢)".

فهنا لم يقل بالتضادّ بين : السائل والمحروم -كما هي عادته في مواضع كثيرة غيرها- ، وكان الأولى : أن يُختار لمعنى المحروم ما يقابل السّائل ، فيقال : هو الذي لا

---

(١) المحارَف : هو المحدود المحروم ، الذي لا ينمى له مال ، وهو ضدّ المبارَك . انظر مختار الصحاح صفحة (١٠٥) .

(٢) جامع البيان (٤٥٦/١١-٤٥٩) .

يسأل وهو محتاج ، على أيِّ حال كان ، حتى ينتظم الكلام ويكون على معنى بيِّن مناسب.

وفي قوله -تعالى- : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ [النجم: ٤٨] **قال رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه - : وأن ربّك ﴿هُوَ أَغْنَىٰ﴾ : من أغنى من خلقه بالمال وأقناه ، فجعل له قُنية أصول أموال ، واختلف أهل التأويل في تأويله : فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك ...وقال آخرون : عُني بقوله : ﴿أَقْنَىٰ﴾ : أخدم...وقال آخرون : بل عُني بذلك : أنه أغنى من المال ، وأقنى : رضي...وقال آخرون : بل عُني بذلك : أنه أغنى نفسه ، وأفقر خلقه إليه...وقال آخرون : بل عُني بذلك : أنه أغنى من شاء من خلقه ، وأفقر من شاء..."(١)

و لم يرجّح مقابلة الغنى مع الفقر ، وقد قال به جماعةٌ من المفسرين -كما أورد- وهي الأنسب والأوفق للكلام .

وفي قوله -تعالى- : ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ [العاديات: ٢] **قال -رحمه الله-**: " اختلف أهل التأويل في ذلك : فقال بعضهم : هي الخيل تُوري النارَ بحوافرها...وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنّ الخيل هِجْنَ الحرب بين أصحابهنّ ورُكْبانهنّ...وقال آخرون : بل عُني بذلك: الذين يُورون النار بعد انصرافهم من الحرب...وقال آخرون : بل معنى ذلك : مكر الرجال...وقال آخرون : هي الألسنة...وقال آخرون : هي الإبل حين تسير تَنْسِفَ بمناسمها الحصى(٢)...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْرُه -أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً ، فالخيل تُوري بحوافرها ، والناس يورونها بالزّند، واللسان مثلاً يوري بالمنطق ، والرجال يورون بالمكر مثلاً ، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب ، و لم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعضٌ دون بعض ، فكلّ ما

---

(١) جامع البيان (١١/٥٣٥-٥٣٦) .

(٢) المَنْسِم خفّ البعير . مختار الصحاح صفحة (٤٨٠) مادة (ن س م) .

أوْرت النارَ قدْحاً ، فداخلةٌ فيما أقسم به ؛ لعموم ذلك بالظاهر ." (١)

و لم يحمل ما أقسم الله به في سورة العاديات على محملٍ واحد ، مع عطف بعضها على بعض ، ولو قال : يدخل الخيل أولها في الوصف لكان أحسن .

هذه نقاط القاعدة السادسة ، عسى أن تكون واضحة فقد تبيّن فيها : نص القاعدة ، وطريقة البحث عن المقابل المضاد في الكلمات والجمل ، حيث إنه من طريقة القرآن ونهجه في عرض المثاني ، وكذا يحسن بالمفسر عرض ما سيرد متأخراً في تفسير أوّل الآية أو الآيات ؛ لأنه أوضح في بيان المراد ، ثم عرض لما خرج عن هذه القاعدة من التطبيق ، وأن الأولى اختيار ما يناسب المقام . -والحمد لله رب العالمين- .

---

(١) جامع البيان (١٢/٦٦٧-٦٦٩) . وانظر مثله في طه (٥٩-٦٠) ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ ﴾ الآيتين جامع البيان (٨/٤٢٧) .

المبحث السابع : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يُشابههم :

يربط الإمام الطبري –رحمه الله- كثيراً الخطاب بمن نزلت فيه الآيات حسب سياقها ، وهنا يتضح أنه بهذا التعيين لا يقصد عدم دخول غيرهم في الخطاب ، كلا ؛ إذ القرآن نزل لجميع الخلق ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧].

وقبل الدخول للقاعدة أذكر نبذةً مختصرةً عن أصل هذا المبحث ، وهو قاعدة أصولية مختلف فيها : هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب ؟.

وتتضح هذه القاعدة من خلال التمثيل بآيات اللعان : وهي قول الله –تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النور: ٦ - ٩] ، الآيات التي نزلت في عويمر العجلاني(١) أو هلال بن أمية(٢) ، يرى الجمهور أن كلمة "الذين" صيغة من صيغ العموم ، ولا حاجة إلى دليل آخر لإثبات العموم ، من قياس أو غيره ، بل هو ثابت بعموم النص.(٣) ، والقول الآخر : أن العبرة بخصوص السبب (٤) ومعناه : أن لفظ الآية مقصور على التي نزلت فيه ، أما أشباهها فلا يعلم الحكم من نص الآية ، بل بدليل آخر هو : القياس ، إذا استوفى شروطه ، أو بالحديث النبوي الذي روي عنه-ﷺ -:"حكمي على الواحد حكمي على الجماعة"(٥).

---

(١) هو عويمر بن أبي أبيض بن العجلان ، وأبيض لقب لبعض آبائه . انظر الإصابة (٤٥/٥) .

(٢) هو هلال بن أمية بن عامر الأنصاري الواقفي ، شهد بدراً وما بعدها ، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم . انظر الإصابة (٢٨٩/٦) .

(٣) ويمثّلهم : الإمام أحمد والشافعي وأكثر المالكية والحنفية . انظر شرح الكوكب المنير (١٧٧/٣-١٧٨) .

(٤) ويمثله : الإمام مالك وأبو ثور والمزني والقفال والدقاق من الشافعية . انظر شرح الكوكب المنير (١٧٨/٣) .

(٥) هذا الحديث لا أصل له ، وفي معناه مما له أصل قوله ﷺ :" وما قولي لامرأة واحدة إلا كقولي لمائة امرأة "رواه الترمذي -

فيلاحظ أنّ نهاية العمل مع النصّ عند الفريقين : هو القول بتعدي النص -الذي له سبب معيّن - مَنْ نزلت فيه إلى غيره ؛ ولكن : هل هذا التعدي بالنص نفسه ؟ أو بغيره ؟ هذا هو محل الخلاف⁽¹⁾.

ويشير شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله- إلى نتيجة الخلاف فيقول : "والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب ، هل يختص بسببه أم لا ؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين ، وإنما غاية ما يقال : إنها تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ ، والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً أو نهياً ، فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته ، وإن كانت خبراً بمدحٍ أو ذمٍ ، فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته أيضاً " .⁽²⁾

وسأعرض لأمثلة هذا المبحث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : نص القاعدة ، والأمثلة الموضحة لها .

المطلب الثاني : التعامل مع ما ورد فيه سبب نزول .

المطلب الثالث : التعامل مع ما ورد فيه لفظ عموم .

المطلب الرابع : موضع لم يستعمل فيه الإمام الطبري -رحمه الله- قاعدة : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم .

-

بنحوه في كتاب السير ، باب ما جاء في بيعة النساء (١٢٩/٤) ، (٤٣٦/١) حديث (١٥٩٧) ، وبين الدارقطني أن حديث الترمذي على شرط الشيخين ، وأحمد نحوه (٣٥٧/٦) حديث (٢٧٠٥١-٢٧٠٥٥) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٧/٢) حديث (١٣٠٠) ، وانظر كشف الخفا للعجلوني بتصرف صفحة (٤٣٦) ، والمقاصد الحسنة صفحة (١٩٢-١٩٣) .

(١) انظر مناهل العرفان (١٢٥/١-١٢٦) دار إحياء الكتب العربية .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، (٣٣٨/١٣-٣٣٩) ، وانظر كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية صفحة (٣٣و٥٠) .

المطلب الأول : نص القاعدة ، والأمثلة الموضحة لها :

١- نص القاعدة : قد يحدِّد المفسِّر المخاطب بالآية بأنهم قوم معيَّنون ، ولكن لا يفهم من ذلك خروج غيرهم من الخطاب ، ولو كان ذلك لذهبت فوائد عظيمة من قصصٍ وأخبار كثيرة ، ساقها الله – عزّ وجلّ – في كتابه للعبرة ، والخطاب فيها لمعيَّنين :

ففي قوله –تعالى- : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾** ﴾ [البقرة: ٢٧] **قال–رحمه الله–:** "...اختلف أهل المعرفة في معنى العهد الذي وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه ، فقال بعضهم : هو وصية الله إلى خلقه ، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله -ﷺ- ، ونقضُهم ذلك تركهم العمل به . وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم ، وإياهم عنى الله جل ذكره بقوله: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ** ﴾ [البقرة: ٦] وبقوله: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ** ﴾ [البقرة: ٨] ، فكلّ ما في هذه الآيات فعَذْلٌ لهم[1]، وتوبيخ إلى انقضاء قصصهم ، قالوا : فعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة ، من العمل بما فيها ، واتباع محمد -ﷺ- إذا بعث ، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم ، ونقضهم ذلك : هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته ، وإنكارهم ذلك ، وكتمانهم علمَ ذلك النّاسَ، بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننّه للناس ولا يكتمونه ، فأخبر الله –جلّ ثناؤه- : أنهم نبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، وقال بعضهم: إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق ، وعهده إلى جميعهم في توحيده : ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته ، وعهده إليهم في أمره ونهيه : ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها، الشاهدة لهم على صدقهم ، قالوا : ونقضهم ذلك :

---

[1] العذل : الملامة . وانظر معجم مقاييس اللغة (٢٥٨/٤) ، وترتيب القاموس المحيط (١٧٩/٣) .

تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة ، وتكذيبهم الرسل والكتب ، مع علمهم أن ما أتوا به حق . وقال آخرون: العهد الذي ذكره الله جل ذكره ، هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم...

وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك : قول من قال : إن هذه الآيات نزلت في كفار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله -ﷺ- وما قرب منها من بقايا بني إسرائيل ، ومن كان على شركه من أهل النفاق...وقد دللنا على أن قول الله -جلّ ثناؤه- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ وقوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فيهم أنزلت ، وفي من كان على مثل الذي هم عليه من الشرك بالله ، غير أن هذه الآيات عندي وإن كانت فيهم نزلت، فإنه معنيّ بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضلال ، ومعنيّ بما وافق منها صفة المنافقين خاصةً جميعُ المنافقين ، وبما وافق منها صفة كفار أحبار اليهود جميع من كان لهم نظيراً في كفرهم ، وذلك أن الله -جلّ ثناؤه- يعمّ أحياناً جميعهم بالصفة ؛ لتقديمه ذكر جميعهم في أول الآيات التي ذكرتْ قصصهم ، ويخصّ أحياناً بالصفة بعضهم لتفصيله في أول الآيات بين فريقيهم ، أعني : فريق المنافقين من عبدة الأوثان وأهل الشرك بالله ، وفريق كفار أحبار اليهود...وإنما قلت : إنه عنى بهذه الآيات من قلت إنه عَنَى بها ؛ لأن الآيات من مبتدأ الآيات الخمس والستّ من سورة البقرة فيهم نزلت إلى تمام قصصهم ، وفي الآية التي بعد الخبر عن خلق آدم وبيانه في قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] ، وخطابه إياهم - جلّ ذِكْره- بالوفاء بذلك خاصة دون سائر البشر ما يدلّ على أن قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧] مقصود به كفّارهم ومنافقوهم ، ومن كان من أشياعهم من مشركي عبدة الأوثان على ضلالهم ، غير أن الخطاب وإن كان لمن وصفت من الفريقين فداخل في أحكامهم وفيما أوجب الله لهم من الوعيد والذمّ والتوبيخ كلّ من كان على

سبيلهم ومنهاجهم ، من جميع الخلق وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي..." (١)

ففي هذا المثال يتضح كيفية التعامل مع الآيات المخاطبة لمعينين : حيث لا مانع من جعل الخطاب لأشخاص حال نزوله ، مثل : اليهود أو المنافقين ، ولكن لا يعني ذلك اختصاص محتوى الخطاب وتوجيهاته بهم ، بل يدخل من يشابههم ويشاكلهم في الوصف والعمل . وهذا هو معنى القاعدة .

- ٢ - الأمثلة الموضحة للقاعدة :

بعد ذكر نص القاعدة ومثالها الموضّح لها ، يحسن ذكر أمثلة أخرى يكون من مجموعها : إبراز معنى القاعدة ، وتأكيد العمل بها ، والأمثلة كثيرة منها :

في قوله -تعالى- : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٥] **قال -رحمه الله -:** "...اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية: فقال بعضهم : عُني بها المسلمون من أمة محمد - ﷺ - وفيهم نزلت...وقال آخرون : عُني ببعضها أهل الشرك وببعضها أهل الإسلام...

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندي أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْرُه - توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان ، وإياهم خاطب بها ؛ لأنها بين إخبارٍ عنهم وخطابٍ لهم ، وذلك أنها تتلو قوله : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٤] ويتلوها قوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾[الأنعام: ٦٦]، وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذّبين ، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك ، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين ، كان بيِّناً أن ذلك وعيد لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك وتأخر الخبر عنه بالتكذيب ، لا لمن لم يجر له ذكر ، غير أن ذلك وإن كان كذلك فإنه قد عمّ وعيده

---

(١) جامع البيان (٢١٩/١-٢٢١) ، وتحقيق شاكر (٤٠١/١) .

بذلك : كل من سلك سبيلهم ، من أهل الخلاف على الله، وعلى رسوله ، والتكذيب بآيات الله ، من هذه وغيرها..." (١)

وهذا نصٌّ واضحٌ في الاهتمام بتحديدِ المخاطب من السّياقِ ، بمراعاة ما قبل الآية وما بعدها ، وأن الآية ونحوها تتبع بسباقها ولحاقها ، ومع القولِ بتحديد المخاطب ، فإنه يدخل في الخطاب كلّ من شابه المعيَّن في صفته ،وسلك سبيله ، فيشمله الوعيد ونحوه (٢).

وفي قوله -تعالى- : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

قال –رحمه الله– :"...فإن قال قائل : أفمنسوخ ذلك ؟ قيل : لا دلالة عندنا على أنه منسوخ، إذْ كان جائزاً أن يكون ، وإن كان الله أنزله على نبيّه –عليه السّلام- في تعريفه عِشْرةَ من لم يؤمر بقتاله من المشركين ، مراداً به تأديب نبيّ الله والمسلمين جميعاً في عِشْرة الناس وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم ، فيكون وإن كان من أجلهم نزل تعليماً من الله خلقه صفة عِشْرة بعضهم بعضاً ، [إذا] لم يجب استعمال الغلظة والشدّة في بعضهم ، فإذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمل الواجب ، فيكون قوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ أمراً بأخذه ما لم يجب غير العفو ، فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك ، فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة...وأما قوله : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ **فإنه أمر من الله –تعالى– نبيّه –ﷺ– أن يعرض عمن جهل . وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيّه ، فإنه تأديب منه – عزّ ذكره– لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم** ، لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حقّ الله ، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين

---

(١) جامع البيان (٢٢٣/٥) ، وتحقيق شاكر (٤٢١/١١) .

(٢) اختلف المفسرون في المراد بالآية : فمنهم ذهب إلى العموم ، ومنهم من قال : هي في الكفار ، ومنهم من قال : هي في المسلمين ، فذهب القرطبي أن الصحيح أنها في المسلمين أهل الصلاة ١٢/٧-١٣، وأنكر ابن عاشور على من جعل الآية في المسلمين ، وساق حديث البخاري مرفوعاً لما نزلت : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: أعوذ بوجهك...، الحديث ، ووجهه بأنه عليه الصلاة والسلام كان يخاف من أن يصل عذاب الكافرين إلى المؤمنين...وله في ذلك تفصيل ٢٨٥/٧/٤ ، والأول أولى على ما ذكر ابن جرير .

حَرْبٌ . " (١)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ ﴾ [البروج: ١١] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- : إنّ الذين أقرّوا بتوحيد الله ، وهم هؤلاء القوم الذين حرّقهم أصحاب الأخدود ، وغيرهم من سائر أهل التوحيد..." (٢)

ففي الأمثلة الماضية يتبين أن قول المفسر : إن الله -عزّ وجلّ- خاطب المشركين أو اليهود أو غيرهم بدليل سياق الآيات أو سبب النزول ، معناه : حال نزوله ، وأن هذا الخطاب لا يختص بهم بل يدخل غيرهم ممن هو على شاكلتهم إلى يوم القيامة ، بل حتى الخطاب للنبي -ﷺ- لا يعني اختصاصه بالخطاب ، إلا ما ورد الدليل على أنه خاص به -ﷺ-. (٣)

---

(١) حامع البيان (١٥٣/٦-١٥٤) ، وتحقيق شاكر (٣٢٩/١٣) .

(٢) حامع البيان (٥٢٨/١٢) . وانظر مواضع أخرى في : آل عمران ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٥ ﴾ حامع البيان (٣٥٣/٣) ، والمائدة (٤٤) ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾الآية حامع البيان (٥٨٨/٤) ، والإسراء (٢٢) ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢ ﴾ حامع البيان (٥٧/٧)و(٣٣) ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾الآية حامع البيان (٧٦/٧) ، و(٨٥) ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الآية حامع البيان (١٤٣/٧-١٤٤) ، والإنسان (٨) ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ ﴾ حامع البيان (٣٦٠/١٢) .

(٣) فقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل: ١ خطاب للنبي- ﷺ- ؛ ولكنه عام للأمة عند الجمهور ، ولا يكون خاصّاً بالرسول إلا بدليل ، كما في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأحزاب: ٥٠] ، فـ ﴿ خَالِصَةً لَّكَ ﴾ قرينة دلّت على خصوص الخطاب ، وعدم دخول الأمة فيه . انظر شرح الكوكب المنير (٢١٨/٣) ، والواضح في أصول الفقه للدكتور محمد الأشقر صفحة (١٩١-١٩٢) .

المطلب الثاني : التعامل مع ما ورد فيه سبب نزول :

في قوله -تعالى- : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ ﴾ [البقرة: ١١] **قال -رحمه الله -**: " اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية : فروي عن سلمان الفارسي[١] أنه كان يقول : لم يجيءْ هؤلاء بعد...وقال آخرون :...هم المنافقون...

وأولى التأويلين بالآية : تأويل من قال : إن قول الله -تبارك اسمه- : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ ﴾ نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله -ﷺ -، وإن كان معنياً بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة، وقد يحتمل قول سلمان عند تلاوة هذه الآية : ما جاء هؤلاء بعد، أن يكون قاله : بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله -ﷺ -، خبراً منه عمن هو جاء منهم بعدهم ولما يجيء بعد ، لا أنه عنى أنه لم يمض ممن هذه صفته أحد ، وإنما قلنا أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك صفة من كان بين ظهراني أصحاب رسول الله -ﷺ -على عهد رسول الله -ﷺ - من المنافقين، وأن هذه الآيات فيهم نزلت، والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن من قول لا دلالة على صحته من أصلٍ ولا نظير"[٢].

وإذا ثبت نزول الآية في معينين لم يجز أن يقال بنزولها في غيرهم ؛ لأن سبب النزول ليس بالاجتهاد وإنما هو بالنقل ، ولكن إنما يقال بدخول غيرهم إذا وافقوهم

---

[١] هو أبو عبد الله ، سلمان الفارسي ، أصله من رامهرمز أو أصبهان ، وقصّة إسلامه مليئة بالعبر ، فقد كان مجوسياً ، ثم تنصّر، فلم يزل من راهب إلى آخر ، حتى سرق فبيع ، فسمع بمحمد - ﷺ - فامتحن صدقه ، ونظر صفاته، التي في التوراة والإنجيل فآمن ، وذلك في السنة الأولى من الهجرة ، وأول حضورٍ له الخندق ؛ لأنه كان مسترقّاً قبلها، وهو صاحب فكرة الخندق ، توفي سنة ست أو سبع وثلاثين . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٨/١-٢٣٦) ، وتاريخ بغداد (١٦٣/١) ، وسير أعلام النبلاء (٥٠٥/١) ، والإصابة (١١٣/٣) .

[٢] جامع البيان (١٥٨/١-١٥٩) ، وتحقيق شاكر (٢٨٧/١) .

وشاكلوهم في صفاتهم ؛ لأن القرآن نزل لهداية العالمين ، من بعثة نبيّنا محمّد -ﷺ- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦] **قال -رحمه الله-** :"...اختلف أهل العلم في حكم قول الله -عزّ وجلّ- : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ ﴾ هل هو خاصّ في أهل بدر؟ أم هو في المؤمنين جميعاً ؟ . فقال قومٌ : هو لأهل بدرٍ خاصة ؛ لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله -ﷺ- مع عدوّه وينهزموا عنه، فأمّا اليوم فلهم الانهزام...وقال آخرون : بل هذه الآية حُكمها عامٌّ في كلّ من ولّى الدُّبر عن العدوّ منهزماً...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي ، قول من قال : حكمها محكم ، وأنها نزلت في أهل بدر ، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين..." (١)

وفي هذه الآية حكم ووعيد نزل في أهل بدر ، ولكن لا يصحّ جعل الحكم خاصّاً بهم مع عدم الدليل ، وإنما يقال بالنّسخ أو الخصوصيّة بدليل وبرهان ، ويبطل القول بالخصوص عند عدم دليل التخصيص ، ويصبح اللفظ عامّاً لكلّ من يصلح لهم الخطاب .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ﴾ [الأنعام: ٩٣] **قال - رحمه الله -** :"...وقد اختلف أهل التأويل في ذلك : فقال بعضهم فيه : [هذا تسفيةٌ من الله وتجهيل للعرب في معارضة عبد الله بن سعد بن أبي سرح (٢) لنبيّ الله - ﷺ - بدعوى

---

(١) جامع البيان (٢٠١/٦-٢٠٢) ، وتحقيق شاكر (٤٣٦/١٣) .

(٢) هو الصحابيّ ، عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث ، كان مؤمناً من كتبة الوحي ، ثم ارتدّ وسب دين الإسلام ، -

أنه جاء بمثل ما جاء به رسول الله -ﷺ -والحنفي مسيلمة (١) لنبي الله -ﷺ - بدعوى النبوة]...، وقال آخرون : بل نزل ذلك في عبد الله بن سعد خاصّة...وقال آخرون : بل القائل : ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ مسيلمة الكذّاب...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : أن يقال : إن الله قال : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ ولا تَمَانُعَ بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال : إني قد قلت مثل ما قال محمد ، وأنه ارتدّ عن إسلامه ولحق بالمشركين . فكان لا شكّ بذلك من قيله مفترياً كذباً . وكذلك لا خلاف بين الجميع : أن مسيلمة ، والعنسيّ (٢) الكذّابين : ادّعيا على الله كذباً أنه بعثهما نبيين ، وقال كلّ واحد منهما : إن الله أوحى إليه ، وهو كاذبٌ في قيله ، فإذ كان ذلك كذلك ، فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله كذباً ، وقائلاً في ذلك الزمان وفي غيره : أوحى الله إلي، وهو في قيله كاذب لم يوح الله إليه شيئاً ، فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب

فأهدر الرسول - ﷺ- دمه عند فتح مكة ، وجاء به عثمان إلى الرسول -ﷺ- فعفا عنه ، وأسلم ، ثم حسن إسلامه، فأصبح من قواد الجيوش ، وهو أخ لعثمان بن عفان من الرضاعة ، ولاه عثمان على مصر كلها ، وكان محموداً ، توفي سنة ست وثلاثين ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٣/٣٣) ، والإصابة (٤/٧٦) ، وشذرات الذهب (١/٤٤) .

(١) هو أبو ثمامة ، مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن بكر بن حبيب الحنفي الوائلي ، ولد ونشأ باليمامة ، وهي حالياً تسمى بالجبيلة ، قرب العيينة بوادي حنيفة في نجد ، ادّعى النبوة ، وتبعه قومه ، وتزوج سجاح التي تنبأت ، وتبعها قومها من بني تميم ، توفي النبي- ﷺ - قبل أن يقضي على فتنته، وأرسل أبو بكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد فقتله وانتصر على جيشه ، سنة إحدى أو اثنتي عشرة . انظر المعارف صفحة (١٧٠و٢٦٧و٤٠٥) ، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٤٦) ، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٩٥)،والكامل في التاريخ (٢/٢٤٣-٢٤٧) .

(٢) هو عيهلة الأسود بن كعب العنسي ، من مذحج ، ارتدّ وتنبّأ بصنعاء ، وغزا نجران ، وسار إلى صنعاء ، وملك من مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين إلى عدن ، واستطار أمره كالحريق ، وأمر النبي بقتاله أو قتله غيلة ، فأجابوه وقتله فيروز ، وكان أول أمره إلى آخره ثلاثة شهور . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٤٦) ، والكامل لابن الأثير (٢/٢٢٧-٢٣٠) .

بعضهم ، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم ، وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب..." (١)

ففي هذين المثالين يظهر جليّاً أنّ آيات الله المنزلة إن كانت ذا سبب ومخاطبين معاصرين لنزولها ، فإنّ هذا لا يعني اختصاصها بهم ، وإنما يدخل في معناها كلّ من شابههم .

ويمكن التفريق بين من نزلت الآيات بسببه وبين من شابهه : بأنّ دخول من نزلت فيه الآية قطعيٌّ لا يخرج مطلقاً من دلالة الآية ، وأما غيره فهو محل اجتهاد ونظر(٢). هل هو مشابه لمن نزلت بسببه الآيات أم لا ؟ . وهذا لا يتعارض مع قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وإنما يجعل إدخال الشخص في مضمونها مشروطاً بتوفّر الصّفات وصحّة القياس فيمن يقال بدخوله في مدلول الآيات .– والله أعلم – .

---

(١) جامع البيان (٥/٢٦٨-٢٦٩) ، وتحقيق شاكر (٥٣٣/١١) . وانظر مواضع أخرى في : النساء (١٣٤) ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾الآية جامع البيان (٣١٩/٤) ، و(١٣٥)﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾الآية جامع البيان (٣٢٠/٤)، والنحل (٩١)﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٦/٧) ، والنور (٢٣)﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٢/٩) .

(٢) انظر شرح الكوكب المنير (١٨٧/٣) .

المطلب الثالث : التعامل مع ما ورد فيه لفظ عموم :

في قوله -تعالى- : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١١٤] **قال – رحمه الله –** :"...فإن قال قائل : ومن الذي عُني بقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ ﴾ وأيّ المساجد هي ؟ . قيل : إنّ أهل التأويل في ذلك مختلفون : فقال بعضهم : الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه : هم النصارى ، والمسجد : بيت المقدس... وقال آخرون: وهو بختنصّر وجنده ومن أعانهم من النصارى ، والمسجد : مسجد بيت المقدس...وقال آخرون: بل عنى الله -عزّ وجلّ- بهذه الآية مشركي قريش ، إذ منعوا رسول الله – ﷺ -من المسجد الحرام...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التي ذكرها بتأويل الآية : قول من قال : عنى الله -عزّ وجلّ- بقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ : النصارى ، وذلك أنّهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس ، وأعانوا بختنصر على ذلك، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده . والدليل على صحة ما قلنا في ذلك : قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها ، وأن لا مسجد عنى الله -عزّ وجلّ- بقوله : ﴿ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ ﴾ إلاّ أحد المسجدين ، إمّا مسجد بيت المقدس ، وإمّا المسجد الحرام . وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان معلوماً أنّ مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام ، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله -ﷺ - وأصحابه من الصلاة فيه ، صحّ وثبت أن الذين وصفهم الله -عزّ وجلّ- بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها ، إذْ كان مشركو قريش بنو المسجد الحرام في الجاهلية ، وبعمارته كان افتخارهم، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على

غير الوجه الذي يرضاه الله منهم ، وأخرى : أن الآية التي قبل قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ مَضَت بالخبر عن اليهود والنصارى وذَمّ أفعالهم [١]، والتي بعدها نبّهت بذمّ النّصارى والخبر عن افترائهم على ربهم[٢] ، ولم يَجْرِ لقريش ولا لمشركي العرب ذكر ، ولا للمسجد الحرام قبلها ، فيوجه الخبر بقول الله -عزّ وجلّ- : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ إليهم وإلى المسجد الحرام . وإذْ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أوْلى بالآية أن يوجه تأويلها إليه : هو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها، إذ كان خبرها لخبرهما نظيراً وشكلاً ، إلاّ أن تقوم حجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك ، وإن اتفقت قصصها فاشتبهت . فإن ظنّ ظانّ أن ما قلنا في ذلك ليس كذلك ، إذْ كان المسلمون لم يلزمهم قط فرض الصلاة في المسجد [المقدس ، فمنعوا من الصلاة فيه ، فيلجئون] [٣] توجيه قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ إلى أنّه معنيّ به مسجد بيت المقدس ، فقد أخطأ فيما ظنّ من ذلك ، وذلك أن الله -جلّ ذِكْره - إنما ذكر ظلم من منع من كان فرضه الصلاة في بيت المقدس من مؤمني بني إسرائيل ، وإياهم قصد بالخبر عنهم بالظلم والسعي في خراب المسجد ، وإن كان قد دلّ بعموم قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ أن كلّ مانعٍ مصليّاً في مسجد لله فرضاً كانت صلاته فيه أو تطوّعاً ،

---

[١] وهي قوله عن أهل الكتاب :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١١٣] وما قبلها .

[٢] وهي قوله-تعالى-: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١١٦] .

[٣] في تحقيق شاكر أشار : إلى أن العبارة هكذا وردت في النسخ المطبوعة والمخطوطة ، ولعلّ فيها سقطا وتحريفاً ، ويمكن أن يكون الكلام هكذا " فإن ظنّ ظانّ أن ما قلنا في ذلك ليس كذلك ، إذْ كان المسلمون لم يلزمهم قط فرض الصلاة في مسجد بيت المقدس ، فمنعوا من الصلاة فيه ، وكان النصارى واليهود لم يمنعوهم قط من الصلاة فيه، فيجوز توجيه قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [البقرة: ١١٤] إلى أنه معنيّ به مسجد بيت المقدس". انظر تحقيق شاكر (٥٢٣/٢) .

وكلّ ساعٍ في خرابه فهو من المعتدين الظالمين ." (١)

ويستفاد من المثال أن العموم يؤخذ من لفظ العموم في الآية ، وهو ﴿ وَمَنْ ﴾ ، فهو يشمل من نزلت فيه الآيات ومن شابهه؛ لكن دخول من نزلت فيه الآيات دخولٌ أوليٌّ .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المائدة: ٨٧] **قال -رحمه الله-**:"...واختلفوا في معنى الاعتداء الذي قال -تعالى ذِكْرُه- : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ فقال بعضهم : الاعتداء الذي نهى الله عنه في هذا الموضع : هو ما كان عثمان بن مظعون(٢) همّ به من جبّ نفسه ، فنُهِي عن ذلك، وقيل له : هذا هو الاعتداء...وقال آخرون : بل ذلك هو ما كان الجماعة من أصحاب رسول الله - ﷺ - همّوا به من تحريم النساء ، والطعام ، واللباس ، والنوم ، فنُهوا أن يفعلوا ذلك ، وأن يستنّوا بغير سنة نبيّهم محمّد - ﷺ -...**وقال بعضهم** : بل ذلك نهي من الله -تعالى ذِكْرُه- أن يتجاوز الحلال إلى الحرام...وقد بيّنا أن معنى الاعتداء : تجاوز المرء ماله إلى ما ليس له في كلّ شيء...

قال أبو جعفر : وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله -تعالى ذِكْرُه - قد عمّ بقوله: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ النهي عن العدوان كله ، كان الواجب أن يكون محكوماً لما عمّه بالعموم ، حتى يخصه ما يجب التسليم له ، وليس لأحد أن يتعدّى حدّ الله -تعالى- في شي من الأشياء مما أحلّ أو حرّم ، فمن تعدّاه فهو داخل في جملة من قال -تعالى ذِكْرُه- : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ . وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في : أمر عثمان بن مظعون ، والرّهط

---

(١) جامع البيان (١/٥٤٥-٥٤٧) ، وتحقيق شاكر (٢/٥٢٠) .

(٢) هو أبو السائب ، عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي ، من سادة المهاجرين ، هاجر الهجرتين ، توفي بعد بدر ، وهو أول من مات من المهاجرين بعد بدر ، قبّله رسول الله ﷺ بعد موته ، ودموعه تسيل على خدّ عثمان ، وصلى عليه ، وهو أول من دفن في البقيع ، سنة ثلاث من الهجرة ، وقيل اثنتين . انظر حلية الأولياء (١/١٠٢) ، وسير أعلام النبلاء (١/١٥٣) ، والإصابة (٤/٢٢٥) ، وشذرات الذهب (١/٩) .

الذين همّوا من أصحاب رسول الله -ﷺ- بما همّوا به من تحريم بعض ما أحلّ الله لهم على أنفسهم ، ويكون مراداً بحكمها كلّ من كان في مثل معناهم ، ممن حرّم على نفسه ما أحلّ الله له ، أو أحلّ ما حرّم الله عليه ، أو تجاوز حدّاً حدّه الله له ، وذلك أن الذين همّوا بما همّوا به من تحريم بعض ما أحلّ لهم على أنفسهم ، إنّما عوتبوا على ما همّوا به من تجاوزهم ما سُنّ لهم وحُدّ إلى غيره ." (١)

فاستفيد العموم من النهي المطلق في قوله : ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ فيدخل تحت النهي : كلّ ما كان اعتداء سواء بالتحليل أو بالتحريم ، ودخول المعتدي إن كان فاعلاً أولى من دخول من نزلت فيه الآيات ؛ لأن من نزلت فيهم الآيات لم يكن منهم فعلٌ بل همٌّ فقط .

وفي قوله -تعالى- : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] **قال -رحمه الله-** : " وقوله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ يعني بقوله -جلّ ثناؤه- : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إن مُبغضَك يا محمد وعدوّك ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ يعني بالأبتر : الأقلّ الأذلّ المنقطع دابره ، الذي لا عَقِبَ له. واختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك : فقال بعضهم : عُنِي به العاص بن وائل السهمي(٢)...وقال آخرون : بل عُنِي بذلك : عُقْبة بن أبي مُعَيط(٣)...وقال آخرون : بل عُنِي بذلك جماعة من قريش...

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْرُه- أخبره أن مُبغض رسول الله -ﷺ- هو الأقلّ الأذلّ المنقطع عقبه ، فذلك صفة كلّ من أبغضه من

---

(١) جامع البيان (٥/١٢-١٣) ، وتحقيق شاكر (٥٢١/١٠) .

(٢) هو العاص بن وائل السهمي ، والد الصحابي عمرو بن العاص ، من المستهزئين ، وكانت حرفته معالجة الخيل والإبل ، وكان من الحكام في الجاهلية ، مات بعد ورم في رجله لم يُدرَ ما سببه ! ، ولم يعرف تحديد وفاته . انظر المعارف صفحة (٢٨٥و٥٧٦) ، والأعلام (١١/٤) .

(٣) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، أبو الوليد وكنيته ابن أبي معيط ، كان شديد الأذى للمسلمين ، وكان من أسرى بدر ، وقتله النبي ﷺ بعدها صبراً . انظر المعارف صفحة (١٥٥) ، والسيرة النبوية لابن هشام (٢٩٨/٢) ، والأعلام (٣٦/٥) .

الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخصٍ بعينه ." (١)

فكلّ من أبغض دعوة الإسلام وحاربها ، فهو منقطعٌ منهزمٌ هالكٌ ، سواءٌ كان الفاعل لذلك في عهد نبيّنا محمد -ﷺ- وحياته ، أو كان في زمنٍ بعده إلى قيام الساعة .

وفي مثل هذه المواضع يتضح بجلاء : أن ما كان فيه لفظ عموم مثل : مَنْ ، أو الأمر، أو النهي المطلق ، فيشمل جميع ما يندرج تحته من أيِّ شخصٍ كان ، وقد يكون اللفظ مفرداً فلا مانع من دخول جمع تحته ، إذا تشابهوا في وصف الآية ؛ لأن العبرة ليست بخصوص السبب بل بعموم اللفظ . -والله أعلم- .

---

(١) جامع البيان (١٢/٧٢٥-٧٢٦) . وانظر مواضع أخرى في : آل عمران (١٩٩) ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٦٠) ، والزمر (٣١) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١ ﴾ جامع البيان (١١/٤)، وفصلت (٤٠) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ الآية جامع البيان (١١/١١٥) ، والهمزة (١) ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ جامع البيان (١٢/٦٨٧-٦٨٨) .

المطلب الرابع : موضع لم يستعمل فيه الإمام الطبري -رحمه الله- قاعدة تعين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم ، بل يدخل من يشابههم :

لقد نهج الإمام -رحمه الله- باطراد غالب على تطبيق هذه القاعدة ،ولكن هناك موضع واحد لم يتعامل معه التعامل نفسه :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] **قال أبو جعفر** : "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم [كابن عيينة] : معناه : سأنزع عنهم فهم الكتاب...وأصرفهم عن آياتي .

قال أبو جعفر : وتأويل ابن عيينة هذا يدلّ على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيداً لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا -ﷺ- دون قوم موسى ؛ لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد -ﷺ- دون موسى -عليه السلام- . وقال آخرون في ذلك : معناه : سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته ، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته ، في توحيده وعدله ، وغير ذلك من فرائضه ، والسموات والأرض وكلّ موجود من خلقه فمن آياته ، والقرآن أيضاً من آياته ، وقد عمّ بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبّرين في الأرض بغير الحقّ ، وهم الذين حقّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والأدّكار بها مصروفون ؛ لأنهم لو وُفّقوا لِفَهْم بعض ذلك فَهُدوا للاعتبار به اتعظوا وأنابوا إلى الحقّ ، وذلك غير كائن منهم ؛ لأنه -جلّ ثناؤه- قال : ﴿وَإِن يَرَوْا۟

﴿كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ فلا تبديل لكلمات الله ." (١)

وقد عمَّمَ الإمام –رحمه الله– معنى الآيات التي يصرف عنها المتكبرون على وجه العموم من عهد موسى –ﷺ–أو غيره ، واستدل بالعموم في قوله : ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ وهذا صحيح ؛ ولكن السياق هنا : في اليهود ، والأحسن أن يقال : يدخل اليهود أولاً ، ولا يلزم من معنى الآيات أن يكون القرآن وحده؛ لأن القرآن لم ينزل في عهد موسى–ﷺ –، ويدخل غير اليهود ممن شابههم تبعاً .

وقد قال أبو السعود –رحمه الله– : بـ" ارتباط الآية بوعد اليهود بدخول الأرض المقدسة ، أو بمواعظ التوراة ، وعلى هذا يكون الكلام مع موسى –ﷺ – ، والآية متعلقة بقوله : ﴿سَأُو۟رِيكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أو بما تقدمه " (٢) . **وقال الآلوسي –رحمه الله–** : " وجوَّز الطِّيبي(٣) : كونها متصلة بقوله : ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف: ١٤٥] ، وقيل: الكلام مع كافري مكة ، والآية متصلة بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ [الأعراف: ١٠٠] ، وإيراد قصة موسى وفرعون ؛ للاعتبار في أن فرعون لم يستطع إبطال آيات موسى –ﷺ – " (٤) . وأجاز ابن عاشور (٥) الوجهين : أن تكون متصلة بما قبلها وتكملة لها ، وفي هذا تعريض بكفار العرب ، أو تكون جملة معترضة عن كفار قريش ،

---

(١) جامع البيان (٦٠/٦-٦١) ، وتحقيق شاكر (١١٢/١٣) .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤٠٣/٢) .

(٣) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، كان غنيّاً فأنفق حتى عاد فقيراً ، من مؤلفاته : شرح المشكاة ، وشرح الكشاف ، توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . انظر الدرر الكامنة (١٥٦/٢) .

(٤) انظر روح المعاني (٩٠/٦) .

(٥) هو محمد بن الطاهر بن محمد عاشور ، مالكي المذهب ، رئيس المفتين في تونس ، وشيخ جامع الزيتونة ، ومن أعضاء المجمَعين العربيين في دمشق والقاهرة ، له : التفسير العظيم المسمى : بالتحرير والتنوير ، وقد اهتمّ فيه باللغة والبيان بأسلوب واسع ، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف . انظر المفسرون بين التأويل والإثبات لآيات الصفات (٣٥٧/٢) للمغراوي .

وصفاتهم مطابقة لما ذكر في الآية أتم انطباق .⁽¹⁾

وفي ختام القاعدة تبينت طريقة العمل الصحيحة مع القرآن لفهمه كما هو وقت نزوله ، وما يصاحب النزول من أسباب وما يلحق به من توابع ، مع مراعاة سياق الآيات في السورة نفسها ، واستحضار حقيقة : أن القرآن ليس مقصوداً به من نزلت فيه الآيات أو كانت بسببه ، بل إنه نزل لكافة البشرية إلى قيام الساعة . –والله الموفق للصواب– .

---

(١) التحرير والتنوير (جزء ١٠٥/٩) .

المبحث الثامن : الأولى في التفسير أن يكون الوعيد على ما فتح به الخبر من الفعل المذكور السابق :

يمتاز القرآن الكريم بأنه لا يذكر القصص والأخبار لذاتها ، وإنما لما يحصل منها من الدروس والتوجيهات ، ولابد حال النظر إلى هذه التوجيهات في ختام الحوادث والأخبار وغيرها من اعتبار رجوعها إلى ما ذكر من أفعال سابقة ، هذا هو الأصل المتبع ، وهو معنى هذه القاعدة باختصار .

وسأعرض لأمثلة هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : نص القاعدة ، والأمثلة الموضحة لها .

المطلب الثاني : الأمر والنهي .

المطلب الأول : نص القاعدة ، والأمثلة الموضحة لها :

نص القاعدة : من عادة القرآن وطريقته : التعقيب على الأوامر والنواهي ، والترغيب والترهيب ، ونحو ذلك ، والواجب في فهم التعقيب أن يفسَّر على أنه عائد إلى ما سبق التعقيب ، دون ما لم يجر له ذكر .

وإليك هذا المثال الواضح في تفسير القاعدة وتطبيقها :

في قوله –تعالى- : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ⑩﴾ [البقرة: ١٠] **قال –رحمه الله–**: في قوله –تعالى- : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ " اختلفت القرأة في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ مخففة الذال مفتوحة الياء ، وهي قراءة عُظْم قرأة أهل الكوفة . وقرأه آخرون : ﴿ يُكَذِّبُونَ ﴾ بضم الياء وتشديد الذال، وهي قراءة عُظْم قرأة أهل المدينة والحجاز والبصرة .⁽¹⁾ وكأن الذين قرأوا ذلك بتشديد الذال وضم الياء رأوا أن الله –جلّ ثناؤه – إنما أوجب للمنافقين العذاب الأليم ، بتكذيبهم نبيّه –ﷺ – وبما جاء به ، وأن الكذب لولا التكذيب لا يوجب لأحد اليسير من العذاب، فكيف بالأليم منه ؟! . وليس الأمر في ذلك عندي كالذي قالوا ، وذلك أن الله –عزّ وجلّ – أنبأ عن المنافقين في أول النبأ عنهم في هذه السورة ، بأنهم يكذبون بدعواهم الإيمان ، وإظهارهم ذلك بألسنتهم خداعاً لله –عزّ وجلّ- ولرسوله وللمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ⑧ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: ٨ - ٩] بذلك من قيلهم مع استسرارهم الشك والريبة ، وما يخدعون بصنيعهم ذلك إلا أنفسهم ، دون رسول الله –ﷺ –والمؤمنين ، وما يشعرون بموضع خديعتهم أنفسهم، واستدراج الله –عزّ وجلّ – إياهم بإملائه لهم في قلوبهم شك النفاق وريبته ، والله زائدهم شكّاً وريبة بما كانوا يكذبون الله

---

(١) قرأ بالأولى –التخفيف وفتح الياء -: عاصم وحمزة والكسائي وخلف ، وقرأ بالثانية –التشديد مع ضم الياء: الباقون . انظر إتحاف فضلاء البشر (٣٧٨/١) ، والمبسوط في القراءات العشر صفحة (١١٥) .

ورسوله والمؤمنين ، بقولهم بألسنتهم :﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ وهم في قيلهم ذلك كَذَبة ؛ لاستسرارهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله -ﷺ -، فأولى في حكمة الله -جلّ جلاله-أن يكون الوعيد منه لهم ، على ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح أفعالهم وذميم أخلاقهم ، دون ما لم يجر له ذكر من أفعالهم، إذ كان سائر آيات تنزيله بذلك نزل ، وهو أن يفتتح ذكر محاسن أفعال قوم ، ثم يختم ذلك بالوعْد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم ، ويفتتح ذكر مساوئ أفعال آخرين، ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم . فكذلك الصحيح من القول في الآيات التي افتتح فيها ذكر بعض مساوئ أفعال المنافقين ، أن يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من قبائح أفعالهم ، فهذا هذا ، مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا ، وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا، وأن الصواب من التأويل ما تأوّلنا : من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب الأليم على الكذب الجامع معنى الشكّ والتكذيب ، وذلك قول الله -تبارك وتعالى -: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ① ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ② ﴾ [المنافقون: ١ - ٢] والآية الأخرى في المجادلة : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ⑯ ﴾ [المجادلة: ١٦] فأخبر -جلّ ثناؤه - أنّ المنافقين بقيلهم ما قالوا لرسول الله - ﷺ - ، مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون كاذبون. ثم أخبر -تعالى ذِكْرُه- أن العذاب المهين لهم على ذلك من كذبهم . ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئون في سورة البقرة : ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [بالتشديد] لكانت القراءة في السورة الأخرى : والله يشهد إن المنافقين لمكذّبون؛ ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيداً على التكذيب ، لا على الكذب..." (١)

فهنا رجح أن المراد : معنى التكذيب ، وأنها القراءة الصحيحة ، دون معنى الكذب ، وعليه ضعّف القراءة الأخرى ، مستدلاً بافتتاح الحديث عن تكذيب المنافقين لا كذبهم ،

---

(١) جامع البيان (١٥٧/١-١٥٨) ، وتحقيق شاكر (٢٨٤/١) .

وعزّز ذلك بآيات أخر في المنافقين من سور أخرى ، فطريقة القرآن إذا افتتح بخبر وختم بوعيد ونحوه بعده ، أن يعيد الختام على ما افتتح الحديث عنه ، دون ما لم يجر له ذكر ، فالمقصود والشاهد هنا أن الختام يعود على السابق وإن اختلف في تحديده .

وسيأتي لمسألة القراءات والترجيح بينها وتضعيف بعضها مزيد بيان في الباب الثاني –إن شاء الله– ، ولكن يلزم توجيه معنى القراءة المشددة المتواترة التي ضعفها الإمام الطبري –رحمه الله– بقوله : "الواجب من القراءة ما اخترنا"...وقوله : "ولو كان الصّحيح من القراءة على ما قرأه القارئون " يقصد القراءة بالتشديد ، فإنّ معنى القراءة بالتشديد على ما قاله جمع من المفسرين والقراء : يكذّبون الرسل ويردّون على الله –عزّ وجلّ– ويكذبون بآياته ، وأما قراءة التخفيف : فترجع إلى قولهم : السابق ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.[1]

وقال ابن كثير –رحمه الله–: " وقد كانوا متّصفين بهذا وهذا ، فقد كانوا كذَبَة، ويُكذّبون بالغيب ، يجمعون بين هذا وهذا ." [2]

والتحقيق : أن قراءة التخفيف دلت عليها الآية نفسها حين كانت قراءتها مخففة ، ودلالة ما قبلها في تكذيب الله لهم بقوله : ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ ودلالة ما بعدها في قوله : ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤] فقولهم لشياطينهم : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ كذب لقولهم : ﴿ءَامَنَّا﴾ ، فحسنت القراءة بالتخفيف ؛ ليكون الكلام على نظام واحد مطابق لما قبله، وقراءة التشديد فيها استدلال بما سبق أيضاً ، فقوله –تعالى– : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] أي : مرض الشكّ ، ومن شكّ في شيء لم يتيقّنه ولا أقرّ بصحّته ، ومن لا يقرّ بالشيء ولا آمن بصحّته فقد كذّب به وجحده ، فهم مكذّبون لا كاذبون ، وفيها مبالغةٌ في الذمّ ؛ لأنّ كلّ مكذّب كاذب ، وليس كلّ كاذب

---

[1] انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩٨/١) ، والتفسير الكبير (٧٢/٢) ، وتفسير الجلالين صفحة (٥) .

[2] تفسير القرآن العظيم (٤٧/١) .

مكذّباً . (١)

وفي قوله -تعالى- : ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣] **قال أبو جعفر**: "...اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالذين كفروا : في هذا الموضع ، والمراد بقوله : ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ : فقال بعضهم : المعنيّ بالذين كفروا : اليهود ، وبالذين لا يعقلون : أهل الأوثان...وقال آخرون : بل هم أهل ملة واحدة ، ولكن المفترين المتبوعون، والذين لا يعقلون : الأتباع...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن المعنيين بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ الذين بحّروا البحائر ، وسيّبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل ، وحَمَوا الحوامي ، مثل : عمرو بن لحي(٢) وأشكاله ، ممن سنّ لأهل الشرك السنن الرديئة ، وغيّر دين الله دين الحقّ ، وأضافوا إلى الله -تعالى ذِكْرُه- أنه هو الذي حرّم ما حرّموا ، وأحلّ ما أحلّوا ، افتراء على الله الكذب وهم يعلمون ، واختلاقاً عليه الإفك وهم يفهمون ، فكذّبهم الله -تعالى ذِكْرُه- في قيلهم ذلك، وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرّموا ، فقال -تعالى ذِكْرُه- : ما جعلت من بحيرة ولا سائبة ؛ ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك ، ويفترون على الله الكذب . وأن يقال : إن المعنيين بقوله : ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ هم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين ، فهم لا شكّ أنهم أكثر من الذين سنّوا ذلك لهم ، فوصفهم الله -تعالى- بأنهم لا يعقلون ؛ لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن ، وأخبروهم أنها من عند الله كذبة في إخبارهم أَفَكَة ، بل ظنّوا أنهم فيما يقولون محقّون ، وفي أخبارهم صادقون . وإنما معنى الكلام : وأكثرهم لا

---

(١) انظر كتاب الكشف في القراءات السبع (٢٢٨/١-٢٢٩) ، لمكي القيسي ، تحقيق محيي الدين رمضان .

(٢) هو أبو ثمامة ، عمرو بن لحي بن قَمَعَة بن خِندف الأزدي من قحطان ، جلب الأصنام إلى جزيرة العرب ، بعد أن كانت على التوحيد دين إسماعيل -عليه الصلاة والسلام -، قال فيه رسول الله -ﷺ -:" رأيت عمرو بن لحي بن قَمَعَة بن خِندف أبا بني كعب هؤلاء يجر قصبه في النار " أي أمعاءه . انظر مسلم (٢١٩١/٤)،والأعلام (٢٥٧/٥).

يعقلون أن ذلك التحريم الذي حرّمه هؤلاء المشركون وأضافوه إلى الله -تعالى ذِكْرُه- كذب وباطل... ولا معنى لقول من قال : عني بالذي كفروا : أهل الكتاب ، وذلك أن النكير في ابتداء الآية من الله -تعالى ذِكْرُه- على مشركي العرب ، فالختم بهم أولى من غيرهم ، إذ لم يكن عرض في الكلام ما يصرف من أجله عنهم إلى غيرهم . "(١)

فالكذب المقصود هنا تابع لمن تحدث الله عنهم قبل ، وهم المشركون ، الذين شرعوا ما لم يأذن به الله في شأن الأنعام ، وليس له اتصال باليهود ؛ إذ ما قبله في المشركين .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ٤٤ ﴾ [الأنعام: ٤٤] **قال-رحمه الله-**: "...فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة [لم يُفتحا لهم] ، ولم تفتح لهم أبواب أخر غيرهما كثيرة ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه ، وإنما معنى ذلك : فتحنا عليهم استدراجاً منّا لهم ، أبوابَ كلّ ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا إياهم بالبأساء والضرّاء؛ ليتضرّعوا ، إذ لم يتضرّعوا وتركوا أمر الله -تعالى ذِكْرُه-؛ لأن آخر هذا الكلام مردودٌ على أوّله ، وذلك كما قال -تعالى ذِكْرُه- في موضع آخر من كتابه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩٥ ﴾ [الأعراف: ٩٤ - ٩٥] ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية [أنّهم نسوا ما] ذكّرهم ، بقوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ هو : تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه إياهم من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة ، ومن الضرّ في الأجسام إلى الصحة والعافية ، وهو فتح أبواب كلّ شيء كان أغلق بابه عليهم ، مما جرى ذكره قبل قوله : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، فردّ قوله : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ عليه . ويعني -تعالى- بقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾

---

(١) جامع البيان (٥/٩٣-٩٤) ، وتحقيق شاكر (١٣٤/١١) .

يقول : حتى إذا فرح هؤلاء المكذّبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة والصحة في الأجسام..."(١)

وهذه الآية فيها خبرٌ عن أممٍ سابقة ، حين كذّبت رسلها فابتلاها الله بالبأساء والضرّاء علّها تتضرّع ، قال –تعالى– : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٤] فالله –عزّ وجلّ– ابتلاهم بالبأساء : وهي الفقر ، والضراء : وهو المرض ، فلما كذّبت فتح عليها أبواب كل شيء سدّ عنهم قبل ذلك ، ففتح الله عليهم أبواب كل شيء ليس مطلقاً ، بل في الرزق البدني والمالي ؛ لأنه ضدّ البأساء والضراء ، ولا تدخل الرحمة والهداية فيما وهبهم الله بهذا الفتح ؛ لأنه استدراج من الله –عزّ وجلّ– لهم لما نسوا ما ذكّروا به ، وهذا المعنى مستند إلى قاعدة: آخر الكلام مردود على أوّله .(٢)

– ٢ – أمثلة موضّحة للقاعدة : سبق الحديث عن نصّ القاعدة ، ولكن يحسن ذكر ما يعضدها ، ويوضحها من الأمثلة ، ومنها :

قوله –تعالى– : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥] قال –رحمه الله– : " يقول –تعالى ذِكْرُه– : إن الذين جحدوا توحيد الله وكذّبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول: ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه ، وعن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة ، لم يخصص منها بعضاً دون بعض ، ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ ...واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال

---

(١) جامع البيان (١٩٢/٥) ، وتحقيق شاكر (٣٥٧/١١) .

(٢) ومثل ما سبق : في الأنعام (٦٨)﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٥/٥) .

بعضهم : معناه : سواء العاكف فيه : وهو المقيم فيه ، والباد في أنه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر...وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه [وهو : أن العاكف : المقيم ، والبادي : القادم إليه من بلده هما في حرمته سواء]...وإنما اخترنا الذي اخترنا في ذلك؛ لأن الله -تعالى ذِكْرُه- ، ذكر في أوّل الآية : صدّ من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ثم ذكر - جلّ ثناؤه - صفة المسجد الحرام ، فقال : {الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ} فأخبر -جلّ ثناؤه- : أنه جعله للناس كلهم ، فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه . ثم قال : ﴿ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ فكان معلوماً أنّ خبره عن استواء العاكف فيه والباد ، إنما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار أنهم صدّوا عنه المؤمنين به ، وذلك لا شكّ طوافهم، وقضاء مناسكهم به والمقام ، لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم..." (١)

إذاً معنى قوله -تعالى- : ﴿ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ هو في دخول المسجد الذي جعله الله -تعالى - للناس جميعا؛ لأن ما قبلها حديث عن صدّ الكفار المؤمنين أن يدخلوا المسجد الحرام .

---

(١) جامع البيان (١٢٨/٩-١٢٩) . وانظر مواضع أخرى في :النساء (١٦٠) ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ١٦٠ ﴾ جامع البيان (٣٦٢/٤) ، والأنعام (٣٦) ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ الآية جامع البيان (١٨٤/٥) ، والأعراف (١٥٢) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الآية جامع البيان (٧٠/٦) ، وهود(٨) ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٧) ، والنحل (٥٩) ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٠/٧) ، و(٨٨) ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ٨٨ ﴾ جامع البيان (٦٣٣/٧) ، وطه(١٦) ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ١٦ ﴾ جامع البيان (٤٠٤/٨) ، والأنبياء (٣) ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٩) .

المطلب الثاني : الأمر والنهي :

حين يذكر في الآية أمر ويختم بنهي ، أو يذكر نهي ويختم بأمر ، فإن الأولى في تفسير التالي أن يكون على مقابلة الأول ، ومن أمثلة ذلك :

قوله -تعالى- : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

قال أبو جعفر : "...اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ فقال بعضهم : معنى ذلك : فأتوا نساءكم إذا تطهرن من الوجه الذي نهيتكم عن إتيانهن منه في حال حيضهن ، وذلك الفرْج الذي أمر الله بترك جماعهنّ فيه في حال الحيض...وقال آخرون: معناه : فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله فيه أن تأتوهن منه ، وذلك الوجه هو الطّهرُ دون الحيضِ . فكان معنى قائل ذلك في الآية : فأْتوهنّ من قُبُل طهرهنّ لا من قُبُل حيضهن...وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأتوا النساء من قبل النكاح لا من قبل الفجور...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك عندي : قول من قال : معنى ذلك : فأتوهن من قُبُل طهرهن ، وذلك أن كل أمر بمعنى فنهيٌ عن خلافه وضده ، وكذلك النهي عن الشيء أمر بضده وخلافه . فلو كان معنى قوله : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ فأتوهنّ من قِبَل مخرج الدم الذي نهيتكم أن تأتوهن من قبله في حال حيضهن؛ لوجب أن يكون قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾ تأويله : ولا تقربوهنّ في مخرج الدم دون ما عدا ذلك من أماكن جسدها ، فيكون مطلقاً في حال حيضها إتيانهن في أدبارهنّ ، وفي إجماع الجميع على أن الله -تعالى ذِكْرُه- لم يطلق في حال الحيض من إتيانهنّ في أدبارهن شيئاً حرّمه في حال الطهر ، ولا حرم من ذلك في حال الطهر شيئاً أحلّه في حال الحيض ، ما يعلم به فساد هذا القول . وبعد : فلو كان معنى ذلك على ما تأوّله قائلو هذه المقالة لوجب أن يكون الكلام : فإذا تطهرن فأتوهن في حيث أمركم الله، حتى يكون معنى الكلام حينئذ على

التأويل الذي تأوّله ، ويكون ذلك أمراً بإتيانهن في فروجهن ؛ لأن الكلام المعروف إذا أريد ذلك أن يقال : أتى فلان زوجته من قبل فرجها، ولا يقال : أتاها من فرجها إلا أن يكون أتاها من قبل فرجها في مكان غير الفرج..."(١)

فرجّح الإمام الطبري-رحمه الله- أن المراد بالأمر : هو مقابل النهي ، ولما كان النهي عن إتيان الحائض جعل الأمر بما يقابله ، وهو الأمر بإتيانها بعد ذهاب حيضها في المكان الذي نُهي المكلف عن الإتيان فيه حال الحيض .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) ﴾ [البقرة: ٢٢٦]...﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال أبو جعفر : "يعني -تعالى ذِكْرُه- بذلك : فإن رجعوا إلى ترك ما حلفوا عليه أن يفعلوه بهنّ من ترك جماعهن فجامعوهن وحنثوا في أيمانهم ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ : لما كان منهم من الكذب في أيمانهم بأن لا يأتوهن ثم أتوهن ، ولما سلف منهم إليهن من اليمين على ما لم يكن لهم أن يحلفوا عليه، فحلفوا عليه ، ﴿ رَّحِيمٌ ﴾: بهم وبغيرهم من عباده المؤمنين..." (٢)

فختام الآية من وعد بالمغفرة لمن فاء ورجع ، عائد إلى ما عزموا عليه من الامتناع عن إتيان نسائهم.

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ (١٤٥) ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ... ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قال أبو جعفر : " يقول -تعالى ذِكْرُه- لموسى إذ كتب في الألواح من كلّ شيء : خذها بجدّ في العمل بما فيها واجتهاد ، وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها ، وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بي، فإن من أشرك بي منهم ومن غيرهم ، فإني سأريه في الآخرة عند مصيره إليّ ﴿ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ وهي نار الله التي أعدّها لأعدائه . وإنما

---

(١) جامع البيان (٢/٤٠١-٤٠٢) ، وتحقيق شاكر (٤/٣٨٨) .

(٢) جامع البيان (٢/٤٣٤) ، وتحقيق شاكر (٤/٤٦٥) .

قال : ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه : سأريك غداً إلام يصير إليه حال من خالف أمري !، على وجه التهدّد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره . وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم: بنحو ما قلنا في ذلك...وقال آخرون : معنى ذلك: سأدخلكم أرض الشام ، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة...وقال آخرون : معنى ذلك : سأريكم دار قوم فرعون ، وهي مصر...(١)

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ؛ لأن الذي قبل قوله –جلّ ثناؤه-: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أمرٌ من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة ، فأولى الأمور بحكمة الله –تعالى- أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيّعه وفرّط في العمل لله ، وحاد عن سبيله ، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر."(٢)

فعلم من رد ختام الآية إلى أولها : أن الوعيد مناسب ومقابل لما قبله من الأمر بحفظ التوراة والعمل بها ، هذا في أول نزول الخطاب فدخولهم أولي فيستقيم العمل بهذه القاعدة، بالإضافة إلى دخول من بعدهم في معناها –كما سبق تقريره في المبحث الماضي وهو : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم .

وفي ختام المبحث يتبين معنى القاعدة : وأن كل وعد أو وعيد مختوم بتعليق وتوجيه فهو راجع إلى الوعد والوعيد ، وكذا كل أمر أو نهي ، وعُقّب عليه بخلافه فيحمل على نقيض الأول ، وقد عزّزت ذلك بذكر الأمثلة ؛ ليستفاد منها في توضيح تطبيقات القاعدة . –والله الموفق –.

---

(١) في تحقيق شاكر إشارة إلى وجود بياض بعد هذا النص ، بمقدار خمسة أسطر . (١١١/١٣) .

(٢) جامع البيان (٦/٥٩-٦٠) ، وتحقيق شاكر (١٣/١١٠) . وانظر مواضع أخرى في : آل عمران (١٥٠) ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ⁽¹⁵⁰⁾﴾ جامع البيان (٣/٤٦٧) ، والمائدة (٩٢) ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٦-٣٧) ، والأعراف (٣١) ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٧٢) .

المبحث التاسع : لا يفسر السياق إلا بالظاهر من الخطاب:

كثيراً ما يعلّل الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسيره جامع البيان المذهب الذي يراه ويرجّحه على غيره بالظاهر من الخطاب ، وهذا يدلّ على سعة هذا المبحث وتشعّبه ، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه ، فسأعرض لأهم الأمثلة من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : نص القاعدة .

المطلب الثاني : ضوابط استعمال الظاهر من الخطاب .

المطلب الثالث : متى يترك الأظهر من الخطاب ويصار إلى غيره .

المطلب الرابع : مواضع لم يستعمل فيها الإمام الطبري –رحمه الله– قاعدة : تفسير السياق بالظاهر من الخطاب .

وقبل الدخول إلى المبحث أقدم بأوضح التعريفات للظاهر عند الأصوليين : **قال السرخسي–رحمه الله–** (١) : " هو ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمّل ، وهو الذي يسبق إلى العقول والأوهام ؛ لظهوره موضوعاً فيما هو المراد ." (٢)

---

(١) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل ، شمس الأئمة ، من كبار قضاة الحنفية ، من أهل سرخس في خراسان ، من أهم مصنفاته : المبسوط في أصول الفقه ، وشرح الكافي ، والأصول ، توفي سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، وقيل غير ذلك. انظر الجواهر المضية (٢/٢٨)، والفتح المبين (١/٢٦٤) ، وتاج التراجم صفحة (٢٣٥) .

(٢) أصول السرخسي (١/١٦٣-١٦٤) طبع دار الكتاب العربي بمصر ، ١٣٧٢هـ ، والسرخسي من الحنفية ، وقد عرف الظاهر أبو زيد الدبوسي فقال : ما ظهر للسامع بنفس السمع . وقال البزدوي : الظاهر اسم لكل كلام ظهر المراد به للسامع بصيغته . وراجع تفسير النصوص في الفقه الإسلامي (١/١٤٢-١٤٣) للدكتور : محمد أديب صالح . وقد سبق ذكر دلالات الألفاظ من حيث الظهور والخفاء ، وأنه قد وقع الخلاف بين الجمهور والحنفية فيها ، ينظر التمهيد صفحة (٦١) و(٧٤) وما بعدها .

المطلب الأول : نصّ القاعدة :

يعمد المفسّر إلى بيان كلام الله –عزّ وجلّ – على وجهه الأظهر حين سماعه ، الأغلب في استعماله ، ولا ينتقل إلى الأقل الأغرب إلا بشروط سيأتي بيانها – إن شاء الله –.

ومن أمثلة هذه القاعدة : قوله –تعالى– : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ ﴾ [البقرة: ٦٥] **قال –رحمه الله–** :"...عن مجاهد : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ ﴾ قال : مسخت قلوبهم ، ولم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه الله لهم : ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾[الجمعة: ٥].

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله مجاهد ، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف ، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت[١]، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] ، وأنّ الله –تعالى ذِكْره – أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم ، وأنهم عبدوا العجل ، فجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وأنهم أُمروا بدخول الأرض المقدسة ، فقالوا لنبيهم : ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ ﴾ [المائدة: ٢٤] فابتلاهم بالتّيه . فسواءٌ قائل قال : هم لم يمسخهم قردة ، وقد أخبر –جل ذكره – أنه جعل منهم قردة وخنازير ، وآخر قال : لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم من الخلاف على أنبيائهم والنّكال والعقوبات التي أحلها الله بهم . ومن أنكر شيئاً من ذلك وأقرّ بآخر منه ، سئل البرهان على قوله ، وعورض فيما أنكر من ذلك بما أقرّ به ، ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو أثر صحيح . هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة، التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة

---

[١] وذلك في قوله تعالى في المائدة (٦٠) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الآية .

عليه، وكفى دليلاً على فساد قولٍ إجماعها على تخطئته . " (١)

فقول مجاهدٍ –رحمه الله – لا دليل عليه بل الآية على الإخبار بخلافه ؛ لأن الظاهر يجب إعماله ، والذهاب إلى مدلوله .

قال ابن كثير –رحمه الله– : " مسخهم الله إلى صورة القردة ، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر ، وليست بإنسان حقيقة ، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر، ومخالفة له في الباطن ، كان جزاؤهم من جنس عملهم...[وقال في سند قول مجاهد] وهذا سند جيد عن مجاهد ، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره ، قال الله –تعالى– : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[المائدة: ٦٠] الآية ."(٢)

والفصْل في تضعيف القول : أنْ إجماع المفسرين على خلافه ، وكفى به دليلاً :

قال القرطبي –رحمه الله–: بعد ذكر ما قاله مجاهد : " ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم"(٣).

وقال الرازي –رحمه الله–: " وإذا جاز المسخ أمكن إجراء الآية على ظاهرها ، ولم يكن لنا حاجة إلى التأويل الذي ذكره مجاهد ، وإن كان ما ذكره مستبعد جداً . " (٤)

وقال الآلوسي –رحمه الله– : " وظاهر القرآن أنهم مسخوا قردة على الحقيقة، وعلى ذلك جمهور المفسرين ، وهو الصحيح ." (٥)

وفي قوله –تعالى– : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾ [الرعد: ٢] قال–رحمه

---

(١) جامع البيان (٣٧٣/١) ، وتحقيق شاكر (١٧٣/٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٠١/١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤٤٣/١) .

(٤) التفسير الكبير (جزء ١١٩/٣) .

(٥) روح المعاني (٤٤٧/١) .

الله-:"...واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ فقال بعضهم : تأويل ذلك : الله الذي رفع السموات بعمَد لا ترونها...وقال آخرون : بل هي مرفوعة بغير عمد...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال : كما قال الله -تعالى- : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ فهي مرفوعة بغير عمد نراها ، كما قال ربنا -جلّ ثناؤه- . ولا خبر بغير ذلك ، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه . "(١)

ففي هذا المثال تلاحظ تفسير الآية على ظاهرها دون التكلف في تحميلها غيره.

قال ابن كثير -رحمه الله- : " روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد ، أنهم قالوا : لها عمد ولكن لا ترى . وقال إياس بن معاوية(٢) : السماء على الأرض مثل القبة ، يعني بلا عمد ، وكذا روي عن قتادة ، وهذا هو اللائق بالسياق ، والظاهر من قوله -تعالى- : ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾[الحج: ٦٥] فعلى هذا يكون قوله : ﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾ تأكيداً لنفي ذلك ، أي : هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها ، وهذا هو الأكمل في القدرة ." (٣)

وفي قوله -تعالى- : ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾[البقرة: ٥٦] قال - رحمه الله -:"يعني بقوله : ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم﴾ : ثم أحييناكم . وأصل البعث : إثارة الشيء من محلّه ، ومنه قيل : بعث فلان راحلته : إذا أثارها من مبركها للسير...ويعني بقوله : ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ من بعد موتكم بالصاعقة التي أهلكتكم ، وقوله : ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ يقول :

---

(١) جامع البيان (٣٢٨/٧-٣٢٩) ، وتحقيق شاكر (٣٢٣/١٦) .

(٢) هو أبو واثلة ، إياس بن معاوية بن قرة المزني الليثي ، قاضي البصرة ، ضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل ، وثقه ابن معين والنهبي ، وقال الذهبي : قلّما روي عنه ، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة . انظر المعارف صفحة (٤٦٧) ، وحلية الأولياء (١٢٣/٣) ، وشذرات الذهب (١٦٠/١) ، وميزان الاعتدال (٢٨٣/١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤٨٠/٢-٤٨١) .

فعلنا بكم ذلك ؛ لتشكروني على ما أوليتكم من نعمتي عليكم ، بإحيائي إياكم استبقاء مني لكم ؛ لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم ، بعد إحلالي العقوبة بكم بالصاعقة التي أحللتها بكم، فأماتتكم بعظيم خطئكم الذي كان منكم فيما بينكم وبين ربكم . وهذا القول على تأويل من تأوّل قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم ﴾ ثم أحييناكم . وقال آخرون : [كالسدي] معنى قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم ﴾ أي : بعثناكم أنبياء...**قال أبو جعفر** : وتأويل الكلام على ما تأوله السدي : فأخذتكم الصاعقة ، ثم أحييناكم من بعد موتكم ، وأنتم تنظرون إلى إحيائنا إياكم من بعد موتكم ، ثم بعثناكم أنبياء لعلكم تشكرون . وزعم السدي أن ذلك من المقدّم الذي معناه التأخير ، والمؤخّر الذي معناه التقديم...وهذا تأويل يدل ظاهر التلاوة على خلافه ، مع إجماع أهل التأويل على تخطئته . والواجب على تأويل السدي الذي حكيناه عنه أن يكون معنى قوله :﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ تشكروني على تصييري إياكم أنبياء ." (١)

وحمل البعث على جعلهم أنبياء ليس هو ظاهر معناه في اللغة ، مع كونه مخالفاً لقول المفسرين ، وإنما الظاهر في البعث بعد الموت : هو إخراج الأموات حقيقة من قبورها إرجاع بعد خروج أرواحها .

---

(١) جامع البيان (٣٣٠/١) ، وتحقيق شاكر (٨٤/٢) .

المطلب الثاني : ضوابط استعمال الأظهر وحدوده :

بعد بيان نص قاعدة تفسير السياق بالظاهر من الخطاب ، سأعرض ضوابط استعمال الظاهر والتفسير به ، وأن لذلك حدوداً تجعل هذا أولى من غيره ، وأن الظاهر قد يتعدّد ، فيرجح أعلاها مرتبة في الظهور ، ومن هذه الضوابط :

١- يقدم المصرح به دون ما لم يجر له ذكر : فقد يكون المتبادر قد جرى له ذكر في الكلام تصريحاً ، وقد يكون ذكره جرى بالمعنى لا بالتصريح ، فيقدّم المصرّح به في السياق على الذي لم يوجد له ذكر :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة: ٤٥] **قال أبو جعفر** :"...اختلف أهل التأويل في المعني به : ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ **فقال بعضهم** : عُني بذلك المجروحُ ووليّ القتيل...**وقال آخرون** : عَنَى بذلك الجارحَ ، وقالوا معنى الآية : فمن تصدّق بما وجب له من قَوَدَ أو قصاص على من وجب ذلك له عليه فعفا عنه فعفوه ذلك عن الجاني كفارة لذنب الجاني المجرم ، كما القصاص منه كفارة له ، قالوا : فأما أجر العافي المتصدّق فعلى الله...

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عني بقوله : فمن تصدّق به فهو كفارة له المجروح ، فلأن تكون الهاء في قوله : ﴿لَّهُۥ﴾ عائدة على : "مَنْ" أولى -من أن تكون مِنْ ذِكْر مَنْ لم يَجْر له ذِكْر إلا بالمعنى دون التصريح- وأحْرى ، إذ الصدقة هي المكفرة ذنب صاحبها ، دون المتصدّق عليه في سائر الصدقات غير هذه ، فالواجب أن يكون سبيل هذه سبيل غيرها من الصدقات"⁽¹⁾.

فالضمير عادة يعود إلى أقرب مذكور -وهو الصريح دون غيره -، والصدقة

---

(١) جامع البيان (٦٠٢/٤) ، وتحقيق شاكر (٣٦٢/١٠) .

تكفِّر ذنب صاحبها ، دون من تُصُدِّقَ بها عليه ، والكفارة من جنس الصدقات ، فثواب التكفير لمن فَعَلها لا لمن فُعِلت له .

-٢ – ومن ضوابط التفسير بالظاهر :

أن يكون المعنى الظاهر مما يفيد المخاطب: ففي قوله -تعالى- : ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٧] **ذكر أبو جعفر – رحمه الله –** اختلافهم في المقرّبين مَنْ هما ؟ فقال: "...وكان المقرّبان ابني آدم لصلبه أحدهما : هابيل ، والآخر : قابيل[١]...وقال آخرون [كالحسن] : اللذان قرّبا قرباناً وقصّ الله -عزّ ذكره- قصصهما في هذه الآية ، رجلان من بني إسرائيل لا من ولد آدم لصلبه..."[٢]

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب ، أن اللذين قرّبا القربان كانا ابني آدم لصلبه ، لا من ذريته من بني إسرائيل . وذلك أن الله – عزّ وجلّ – يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة ، والمخاطبون بهذه الآية كانوا عالمين أن تقريب القربان لله لم يكن إلا في ولد آدم دون الملائكة والشياطين وسائر الخلق غيرهم . فإذا كان معلوماً ذلك عندهم ، فمعقول أنه لو لم يكن معنيّاً بـ ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ اللذَين ذكرهما الله في كتابه ابناه لصلبه ، لم يفدْهم بذكره – جلّ جلاله – إياهما فائدة لم تكن عندهم . وإذْ كان

---

[١] هما ابنا آدم لصلبه ، كان يولد لآدم -عليه السلام - في كل بطن ذكر وأنثى ، فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر ، وكانت أخت هابيل دميمة ، وأخت قابيل وضيئة ، فأراد أن يستأثر بها على أخيه ، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قرباناً فمن تقبل منه فهي له ، فتقبل من هابيل ، ولم يتقبل من قابيل ، فكان من أمرهما ما قص الله في هذه الآية . انظر المعارف صفحة (١٧-١٨) .

[٢] إسناد هذا القول إلى الحسن ضعيف ، فالراوي عن الحسن عند ابن جرير هو عمرو بن عبيد شيخ القدرية والمعتزلة ، قال حميد : يكذب على الحسن ، وكذا قال ابن عوف ، وقال أحمد : ليس بأهل أن يحدث عنه ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وفي الإسناد أيضا : سهل بن حنيف عن عمرو ، ولم يسمع منه . انظر تهذيب الكمال ١٢٣/٢٢ ، وتاريخ بغداد ١٦٦/١٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٠٤/٦، والإجماع في التفسير للدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري صفحة (٢٩٠) .

غير جائز أن يخاطبهم خطاباً لا يفيدهم به معنى ، فمعلوم أنه عنى بـ ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ [ابني آدم لصلبه] ، لا بَني بنيه الذين بَعُد منه نسبهم ، مع إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل على أنهما كانا ابني آدم لصلبه ، وفي عهد آدم وزمانه ، وكفى بذلك شاهداً ." (١)

فحين تقرأ الآية تعرف أن المراد من ذكر : ابني آدم أنهما لصلبه ؛ لأن عدم القول بذلك يوحي بأن جملة ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ لا فائدة منها فهي تحصيل حاصل ؛ لأن من المعلوم أن القربان كان في المكلفين من بني آدم ، وهذا لا يقال به ، أضف إلى ذلك ما ورد في السياق من أن الرجل القاتل لم يعرف كيف يواري سوءة أخيه في قوله -تعالى- عنه : ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: ٣١].

وقد نصّ على ذلك ابن جرير **-رحمه الله- فقال** : " وهذا أيضاً أحد الأدلة على أن القول في أمر ابني آدم بخلاف ما [روي]...عن الحسن ؛ لأن الرجلين اللذين وصف الله صفتهما في هذه الآية ، لو كانا من بني إسرائيل ، لم يجهل القاتل دفن أخيه..." (٢)

-٣- ومن ضوابط التفسير بالظاهر : إذا كانت الآية نازلة على معيّن أن ينظر إلى ما يفهمه المعين من ظاهر اللفظ حين إطلاقه :

ففي قوله -تعالى- : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ [هود: ٤٠] **قال -رحمه الله-** : " وقوله : ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : **فقال بعضهم**: معناه : انبجس الماء من وجه الأرض ، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ : وهو وجه الأرض...**وقال آخرون**: هو تنوير الصبح ، من قولهم : نوّر الصبح تنويراً...**وقال آخرون** : معنى ذلك: وفار أعلى الأرض وأشْرَفَ مكانٍ فيها بالماء . **وقال** : ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ : أشرف الأرض...**وقال آخرون**: هو التنور

---

(١) جامع البيان (٥٣٠/٤) ، وتحقيق شاكر (٢٠٢/١٠) .

(٢) جامع البيان (٥٣٧/٤) ، وتحقيق شاكر (٢٢٤/١٠) .

الذي يختبز فيه...وكان ابن عباس يقول في معنى : ﴿وَفَارَ﴾ : نبع...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله : ﴿التَّنُّورُ﴾ قول من قال : هو التنور الذي يختبز فيه ؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها ، وذلك أنه –جل ثناؤه– إنما خاطبهم بما خاطبهم به ؛ لإفهامهم معنى ما خاطبهم به . ﴿قُلْنَا﴾ لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحاً أن نعذّبهم به ، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ الذي جعلنا فورانه بالماء آية بمجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه ، ﴿احْمِلْ فِيهَا﴾ يعني : في الفلك..." (١)

– ٤ – ومن ضوابط التفسير بالظاهر : أن لا يقال بتقديم الكلام بعضه على بعض إلا أن يمتنع فهمه على ترتيبه : ففي قوله –تعالى– : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٥] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : معناه : فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة . **وقال** : معنى ذلك : التقديم وهو مؤخر...عن قتادة قوله : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ **قال** : هذه من تقاديم الكلام ، يقول : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة...**عن ابن عباس ، قوله** : إنما يريد اللّه لِيُعَذِّبَهُمْ بها فِي الآخرة . **وقال آخرون** : بل معنى ذلك : إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ، بما ألزمهم فيها من فرائضه...الحسن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ **قال** : بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله ...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا ، التأويل الذي ذكرنا عن الحسن [القول الثاني] ؛ لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل ، فصرف تأويله إلى ما دلّ عليه

---

(١) جامع البيان (٧/ ٤٠-٤١) ، وتحقيق شاكر (١٥/ ٣١٨) .

ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لا دلالة على صحته ، وإنما وجه من وجه ذلك إلى التقديم وهو مؤخّر ؛ لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجهاً يوجّهه إليه ، وقال : كيف يعذّبهم بذلك في الدنيا ، وهي لهم فيها سرور ، وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه : إلزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه ، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس ، ولا راج من الله جزاء ، ولا من الآخذ منه حمداً ولا شكراً ، على ضجرٍ منه وكرهٍ ." (١)

فتفسير كلام الله –تعالى– يكون على الترتيب الذي يكون في الآية نفسها ، هذا هو الأصل والقاعدة ، إلا أن يصعب فهمه على هذا النحو فيقال : حينئذٍ بالتقديم والتأخير ، وظاهر الآية تعذيب المنافقين بأموالهم وأولادهم في الدنيا ، فينظر المفسِّر إلى أوجه ذلك التعذيب ، فإن ظهر له وجهٌ قال به ويكون الكلام على ظاهره ، وإلا قال بالتقديم والتأخير –والله أعلم– .

وقد أنكر ابن القيم –رحمه الله– على من قال بالتقديم والتأخير ، وذكر اختيار ابن جرير، ووافقه على أن الكلام على ترتيبه ، ولكنه حمل معنى العذاب على التعب والنصب في طلب الدنيا ؛ لأن العذاب هو الموجع المؤلم الشاق ، ولا أتعب ممن جعل الدنيا أكبر همه .(٢)

– ٥ – ومن ضوابط استعمال الظاهر : النظر إلى استعمالات القرآن في مواضع أخرى بعد حمله على الظاهر : ففي قوله –تعالى– : ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥] **قال –رحمه الله–** : " اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ **فقال بعضهم** : معنى ذلك : ماتت...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : وإذا الوُحوش اختلطت... وقال آخرون : بل معنى ذلك : جمعت...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى : ﴿حُشِرَتْ﴾ : جمعت فأميتت؛

---

(١) جامع البيان (٦/٣٩٠-٣٩١) ، وتحقيق شاكر (١٤/٢٩٥) .

(٢) انظر إغاثة اللهفان (١/٤٦) وما بعدها .

لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر : الجمع ، ومنه قول الله : ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾[ص: ١٩] يعني : مجموعة ، وقوله: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٣] ، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله ، لا على الأنكر المجهول ." (١)

ولا شكّ أنّ القرآن الكريم تعاد المواعظ فيه والقصص ، فيكون فيها تفسيراً لمبهمها ونحوه ، وله عادات في استعمال بعض الأساليب والألفاظ ، متى ما اعتني بها استفيد منها .

– ٦ – ومن ضوابط استعمال الظاهر : الدلائل اللفظية الدالة عليه :

كما في قوله –تعالى– : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة: ١٤ - ١٥] **قال –رحمه الله–** : " وقوله : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ اختلف أهل الرواية في معنى ذلك : **فقال بعضهم** : معناه : بل للإنسان على نفسه شهود من نفسه ، ولو اعتذر بالقول مما قد أتى من المآثم ، وركب من المعاصي ، وجادل بالباطل...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة ولو تجرّد...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب...وقال آخرون : بل معنى ذلك : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ لم تقبل...

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معناه : ولو اعتذر ؛ لأنّ ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل ، وذلك أن الله –جل ثناؤه– أخبر عن الإنسان أنّ عليه شاهداً من نفسه ، بقوله : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ فكان الذي هو أولى أن يتبع ذلك ، ولو جادل عنها بالباطل ، واعتذر بغير الحقّ ، فشهادة نفسه عليه به أحقّ وأولى من اعتذاره

---

(١) جامع البيان (١٢/٤٥٩–٤٦٠) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٧) ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (١/٢٢١) ، وإبراهيم (٩) ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[إبراهيم: ٩] الآية جامع البيان (٧/٤٢٣–٤٢٤) ، والنور (٣٦) ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٣٣٠) .

بالباطل."(١).

وفي هذا المثال يتضح استفادة معنى جديد بالنظر إلى الجملتين المتتابعتين ، فقوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ يحمل على اعتذار الإنسان بلسانه ؛ لإثبات الله -عزّ وجلّ- قبل ذلك أن الإنسان شاهد على نفسه في قوله : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ .

- ٧ – ومن ضوابط استعمال الأظهر في الألفاظ أنه : إذا كان اللفظ له استعمال أغلب حمل عليه دون غيره : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: ١٧ وغيرها] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه -: ولقد سهّلنا القرآن ، بيّناه وفصّلناه للذكر ، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ ، وهوّناه...وقوله : ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ يقول : فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر . **وقد قال بعضهم في تأويل ذلك** : هل من طالب علم أو خير فيُعان عليه ، وذلك قريب المعنى مما قلناه ، ولكنّا اخترنا العبارة التي عبرناها في تأويله ؛ لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره..." (٢)

وتفسير كلام الله -عزّ وجلّ- على مقتضى ظاهر المعاني ، وأغلب الاستعمالات: يكون في الحروف والكلمات :

-أ- فمثال الظاهر في الحروف : قوله -تعالى- : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة: ٣٦] **قال -رحمه الله-**: " وأمّا قوله : ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ فإنّ معناه : فلا تعصوا الله فيها ، ولا تحلوا فيهنّ ما حرّم الله عليكم ، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من

---

(١) جامع البيان (١٢/٣٣٧-٣٣٨) . وانظر مواضع أخرى في : المعارج (١١) ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٢٣٠) ، والمزمل (١) {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} جامع البيان (١٢/٢٧٨) .

(٢) جامع البيان (١١/٥٥٥-٥٥٦) .

سخط الله وعقابه...ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله : ﴿فِيهِنَّ﴾ : **فقال بعضهم** : عاد ذلك على الاثني العشر الشهر ، **وقال** : معناه : فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم ، والهاء والنون عائدة : على الأشهر الأربعة...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك: فلا تظلموا – في تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالاً وحلالها حراماً – أنفسكم...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب ، قول من قال : فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم باستحلال حرامها ، فإن الله عظمها وعظّم حرمتها . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويله ؛ لقوله : ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾ فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة إذا كَنَّتْ عنه : فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون، ولأربعة أيام بقين ، وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين ، قالت : فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ، ولأربع عشرة مضت . فكان في قوله –جل ثناؤه– : ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ وإخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فِيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة ، الدليل الواضح على : أن الهاء والنون من ذكر الأشهر الأربعة ، دون الاثني العشر ؛ لأن ذلك لو كان كناية عن الاثني عشر شهراً لكان : فلا تظلموا فيها أنفسكم . فإن قال قائل : فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثني عشر ، وإن كان الذي ذكرت هو المعروف في كلام العرب ، فقد علمت أن من المعروف من كلامها إخراج كناية ما بين الثلاث إلى العشر بالهاء دون النون...قيل : إن ذلك وإن كان جائزاً فليس الأصحّ الأعرف في كلامها ، وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأعرف أولى من توجيهه إلى الأنكر . " (١)

---

(١) جامع البيان (٣٦٦/٦-٣٦٧) ، وتحقيق شاكر (٢٣٧/١٤) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٣١) ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ جامع البيان (٢٥٢/١-٢٥٤) ، والأنعام

-

-ب- **ومثال الظاهر في الكلمات** : قوله -تعالى- : ﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨﴾ [يس: ٢٨] **قال -رحمه الله-**:"...واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه : **فقال بعضهم** : [كمجاهد] عُنِي بذلك : أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة ، ولا بعث إليهم نبيّاً...**وقال آخرون** : بل عُني بذلك : أن الله -تعالى ذِكْرُه- لم يبعث لهم جنوداً يقاتلهم بها؛ ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة...

وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية ، وذلك أن الرسالة لا يقال لها : جند ؛ إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك : الرّسُل ، فيكون وجهاً ، وإن كان أيضاً من المفهوم بظاهر الآية بعيداً ، وذلك أن الرسُل من بني آدم لا ينزلون من السماء ، والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جنداً ، وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم ." (١)

وهذا المثال واضح في صرف معنى : الجند الذين نفى الله نزولهم ، من : بني آدم ، إلى الملائكة بسبب التعبير عن وصولهم إلى المكلفين بالإنزال وهو ظاهر في الملائكة ، أما البشر فلا ينزلون ، بل يرسلون ويبعثون .(٢)

---

(٢٨) ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾الآية حامع البيان (١٧٥/٥) ، وطه (١٤) ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ حامع البيان (٨/٤٠٠-٤٠١) ، والمؤمنون (٦١) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ حامع البيان (٢٢٦/٩) .

(١) حامع البيان (١٠/٤٣٧-٤٣٨) .

(٢) وقد كان تقديم الظاهر في التفسير كثيراً جداً ، ومنه في : آل عمران (١٧) ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ حامع البيان (٣/٢٠٨-٢٠٩) ،و(٢٨) ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية حامع البيان (٢٢٩/٣) ، و(١١٣) ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣﴾ حامع البيان (٤٠٢/٣) ، والنساء (٤٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ الآية حامع البيان

(١٢٦/٤) ، و(١٠٥) ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٩/٤-٢٧٠) ، و(١١٧) ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٩/٤-٢٨٠) ، و(١٣٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٣/٤) ، و(١٥٣) ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٦/٤) ، والمائدة (١١٤) ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ﴾ الآية جامع البيان (١٣٢/٥-١٣٣) ، والأنعام (٦٥) ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢١٨/٥) ، و(١٤١) ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٩/٥) ، والأعراف (٢) ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٦/٥) ، و(٣) ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٧/٥) ، و(٤) ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ جامع البيان (٤٢٧/٥) ، و(٤٦) ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠١/٥-٥٠٢) ، و(١٠١) ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٦-١٣) ، والتوبة (٣) ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣١٦/٦-٣١٧) ، و(٤٧) ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٤/٦-٣٤٩) ، و(١٢٢) ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ الآية جامع البيان (٥١٦/٦-٥١٧) ، وهود (٤٣) ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٥/٧-٤٦) ، و(١٠٨) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ الآية جامع البيان (١١٨/٧) ، ويوسف (٨٠) ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٩/٧-٢٧٠) ، و(٨٨) ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٩/٧-٢٩٠) ، وإبراهيم (٤٨) ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ جامع البيان (٤٨٢/٧-٤٨٣) ، والحجر (٢٠) ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ جامع البيان (٥٠٢/٧-٥٠٣) والنحل (٢٦) ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ جامع البيان (٥٧٧/٧-٥٧٨) ، والإسراء (١) ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٨-٦) ، و(١٦) ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ جامع البيان (٥٢/٨-٥٣)، و(٣٦) ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ

وقد يكون المعنى الظاهر الذي حمل عليه النص : قاعدة أصولية في فهم النص: كالأمر للوجوب : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا

بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية جامع البيان (٨/٨٠-٨١) ، و(٧١) ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٨/١١٥-١١٦)، والكهف (١٩) ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٠٢-٢٠٣) ، و(٨٢) ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٦٨-٢٦٩) ، ومريم (٦٤) ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية جامع البيان (٨/٣٦٠-٣٦١) ، وطه (٨) ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ ⑧﴾ جامع البيان (٨/٣٩٤-٣٩٥) ، و(١٥) ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ⑮﴾ الآية جامع البيان (٨/٤٠٤) ، والحج (٤٠) ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٦٥-١٦٦) ، و(٧٨) ﴿وَجَٰهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٩١) ، والنور (٦١) ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٩/٣٥٢-٣٥٤) ، والشعراء (٢١٨-٢١٩) ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّٰجِدِينَ﴾ جامع البيان (٩/٤٨٥-٤٨٧) ، والنمل (٦٦) ﴿بَلِ ادَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى الْءَاخِرَةِ﴾ جامع البيان (١٠/٨-٩)، ولقمان (٦) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ الآية جامع البيان (١٠/٢٠٢) ، والسجدة (٥) ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ⑤﴾ جامع البيان (١٠/٢٣٢) ، و(٧) ﴿الَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ⑦﴾ جامع البيان (١٠/٢٣٤)،ويس (٥٢) ﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ الآية جامع البيان (١٠/٤٥١-٤٥٢) ، والجاثية (٢٣) ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (١١/٢٦٢) ، والذاريات (١٧) ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ جامع البيان (١١/٤٥٤-٤٥٥) ، والواقعة (١٧) ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ جامع البيان (١١/٦٢٨-٦٢٩) ، و(٧٥) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ النُّجُومِ﴾ جامع البيان (١١/٦٥٨) ، و(٨٩) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ جامع البيان (١١/٦٦٧) ، والقيامة (٢) ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ جامع البيان (١٢/٣٢٧) ، والإنسان (٢٧) ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ جامع البيان (١٢/٣٧٤) ، والأعلى (٦-٧) ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٥٤٥) ، والفجر (٧) ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ جامع البيان (١٢/٥٦٨) ، و(١٠) ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ﴾ جامع البيان (١٢/٥٧١) ، والمسد (٤) ﴿وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ جامع البيان (١٢/٧٣٦-٧٣٧) .

تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النور: ٣٣] **قال** -**رحمه الله**-:"...واختلف أهل العلم في وجه مكاتبة الرجل عبده الذي قد علم فيه خيراً ، وهل قوله : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ على وجه الفرض ؟ أم هو على وجه الندب؟. **فقال بعضهم** : فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيراً إذا سأله العبد ذلك...وقال آخرون : ذلك غير واجب على السّيّد ، وإنما قوله : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ : نَدْب من الله سادةَ العبيد إلى كتابة من علم فيه منهم خير لا إيجاب...**قال مالك بن أنس**: الأمر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك ، و لم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحداً على أن يكاتب عبده . وقد سمعت بعض أهل العلم إذا سُئل عن ذلك فقيل له : إن الله -تبارك وتعالى -يقول في كتابه : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ يتلو هاتين الآيتين : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا ﴾ [المائدة: ٢] ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠] **قال مالك** : فإنّما ذلك أمر أذِن الله فيه للناس ، وليس بواجب على الناس ولا يلزم أحداً . **وقال الثوريّ** : إذا أراد العبد من سيّده أن يكاتبه ، فإن شاء السّيّد أن يكاتبه كاتبه ، ولا يُجْبر السّيّد على ذلك...

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : واجب على سيد العبد أن يكاتبه إذا علم فيه خيراً ، وسأله العبد الكتابة ، وذلك أن ظاهر قوله : :﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ ظاهر أمر ، وأمر الله فرضٌ الانتهاء إليه ، ما لم يكن دليلٌ من كتاب أو سنة على أنه ندب..." (١).

ثم قال -**رحمه الله**-: " وقوله : ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[النور: ٣٣] يقول -تعالى ذِكْرُه -: وأعطُوهم من مال الله الذي أعطاكم . ثم اختلف أهل التأويل في المأمور بإعطائه من مال الله الذي أعطاه : مَنْ هو ؟ . وفي المال : أيّ الأموال هو ؟ . فقال بعضهم: الذي أمر الله بإعطاء المكاتب من مال الله هو مولَى العبد المكاتَب ، ومال الله الذي أُمر

---

(١) جامع البيان (٣١٢/٩-٣١٣) .

بإعطائه منه هو مال الكِتابة ، والقدر الذي أمر أن يعطيه منه الربع . **وقال آخرون** : بل ما شاء من ذلك المولى...وقال آخرون : بل ذلك حضّ من الله أهل الأموال على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠] **قال** : فالرّقاب التي جعل فيها أحد سُهْمان الصدقة الثمانية هم المكاتَبون ، **قال** : وإياه عنى -جل ثناؤه- بقوله : ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ : أي : سَهْمَهم من الصدقة...

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي : القول الثاني ، وهو قول من قال : عَنَى به إيتاءَهم سهمهم من الصدقة المفروضة . وإنما قلنا ذلك أولى القولين ؛ لأن قوله : ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أمر من الله – تعالى ذِكْرُه – بإيتاء المكاتَبين من ماله الذي آتى أهل الأموال ، وأمر الله فرض على عباده الانتهاءُ إليه ، ما لم يخبرهم أن مراده الندْب..." (١)

وكما هو واضح من المثالين المتتاليين أن سبب الترجيح هنا قاعدة أصولية معلومة من خطابات الشارع بالاستقراء والتتبع ، وهذه القاعدة صارت ظاهر خطابات الشارع الحكيم ، والأدلة على أن الأمر للوجوب كثيرة (٢)، فإذا ورد أمر في خطاب فالواجب والأصل حمله على الوجوب ؛ لأنه الظاهر ، إلا إذا دل الدليل على صرفه عنه إلى الاستحباب أو الإباحة .

– ٨ – ومن ضوابط استعمال الظاهر اللفظية : إذا كان اللفظ الظاهر عامّاً فلا يجوز لأحد تخصيصه إلا بدليل : ففي قوله -تعالى- : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

---

(١) جامع البيان (٣١٥/٩-٣١٧) .

(٢) ومن الأدلة على أن الأمر إذا أطلق فهو للوجوب : قول الله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] فالأمر مطلق ، والتحذير بالفتنة والعذاب الأليم ، دال على وجوب فعل الأمر . انظر الأصول من علم الأصول لابن عثيمين صفحة (١٦) الطبعة الثالثة لجامعة الإمام ١٤٠٥هـ .

رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المائدة: ٨٩] **قال أبو جعفر**:"...اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله : ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ على ما هي عائدة ، ومن ذكر ما ؟ فقال بعضهم : هي عائدة على "ما" التي في قوله : ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ ...

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام على هذا التأويل : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارة ما عقدتم منها : إطعام عشرة مساكين . وقال آخرون : الهاء في قوله : ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ عائدة على اللغو ، وهي كناية عنه . قالوا : وإنما معنى الكلام : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم إذا كفرتموه ، ولكن يؤاخذكم إذا عقدتم الأيمان ، فأقمتم على المضيّ عليه بترك الحنث والكفارة فيه ، والإقامة على المضيّ عليه غير جائزة لكم ، فكفّارة اللغو منها إذا حنثتم فيه : إطعام عشرة مساكين...

قال أبو جعفر : والذي هو أولى عندي بالصواب في ذلك : أن تكون الهاء في قوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ عائدة على "ما" التي في قوله : ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ ؛ لما قدّمنا فيما مضى قبل أن من لزمته في يمينه كفارة وأوخذ بها ، غير جائز أن يقال لمن قد أوخذ : لا يؤاخذه الله باللغو ، وفي قوله –تعالى- : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ دليل واضح أنه لا يكون مؤاخذ بوجه من الوجوه من أخبرنا –تعالى ذِكْرُه –أنه غير مؤاخذه . فإن ظنّ ظانّ أنه إنما عنى –تعالى ذِكْرُه –بقوله : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ بالعقوبة عليها في الآخرة إذا حنثتم وكفّرتم ، إلا أنه لا يؤاخذهم بها في الدنيا بتكفير، فإن إخبار الله –تعالى ذِكْرُه –وأمره ونهيه في كتابه : على الظاهر العامّ عندنا...دون الباطن العامّ الذي لا دلالة على خصوصه ، في عقل ، ولا خبر ، ولا دلالة من عقل ولا خبر ، أنه عنى –تعالى ذِكْرُه –بقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ بعض معاني المؤاخذة دون جميعها . وإذ كان ذلك كذلك، وكان من لزمته كفارة في يمين حنث فيها مؤاخذاً بها بعقوبة في ماله عاجلة ، كان معلوماً أنّه غير

الذي أخبرنا –تعالى ذِكْرُه –أنه لا يؤاخذه بها." (١).

فتحديد اليمين التي فيها كفارة بيمين اللغو مخالف لظاهر الآية التي فيها نفي المؤاخذة، ولا شك أن الكفارة إذا قيل بلزومها في لغو اليمين فهي مؤاخذة مثبتة لا منفية ، وهذه المؤاخذة مطلقة فلا يصح تخصيص عدم المؤاخذة في الدار الآخرة وإثبات المؤاخذة في الدنيا بغير دليل على هذا التخصيص ؛ لأنه لفظ عام ظاهر ، والتخصيص خلاف الظاهر .

– ٩ – ومن ضوابط استعمال الأظهر : إذا قيل بأن هذا القول في الآية هو الأظهر فلا يعني أن غيره يكون بالضرورة خطأً ، وإنما له حظٌّ من النظر ووجه في القبول والصحة: ففي قوله –تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) ﴾ [الطور: ٢١] **قال –رحمه الله–** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : معناه : والذين آمنوا واتّبعتهم ذرّياتهم بإيمان ، ألحقنا بهم ذرّياتهم المؤمنين في الجنة ، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم ، تكرمة لآبائهم

---

(١) جامع البيان (٥/١٧) ، وتحقيق شاكر (١٠/٥٢٥) . وانظر مواضع أخرى في : المائدة (٩٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٤) ، والأنعام (٣٩) ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٨٧-١٨٨) ، و(١٥١) ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٩١-٣٩٢)، والأعراف (١٥٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية جامع البيان (٦/٧٠-٧١)، و(١٥٨) ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٨٨) ، و(١٧٥) ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) ﴾ جامع البيان (٦/١٢١-١٢٢) ، و(١٨٩) ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٤٣-١٤٤) ، والأنبياء (٣١) ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) ﴾ جامع البيان (٩/٢٢) ، والفرقان (٢٤) ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) ﴾ جامع البيان (٩/٣٨٢) ، والسجدة (١٦) ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) ﴾ جامع البيان (١٠/٢٣٩-٢٤٠) .

المؤمنين ، وما ألتنا⁽¹⁾ آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّياتهم التي بلغت الإيمان بإيمان ، ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار التي لم تبلغ الإيمان ، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء...وقال آخرون نحو هذا القول ، غير أنهم جعلوا الهاء والميم في قوله : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ من ذكر الذرّية ، والهاء والميم في قوله : ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الثانية من ذكر الذين . وقالوا : معنى الكلام : والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم الصغار ، وما ألتنا الكبار من عملهم من شيء... **وقال آخرون** : بل معنى ذلك : الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِم ذُرِّيَّتَهُمْ فأدخلناهم الجنة بعمل آبائهم ، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء...وقال آخرون : إنما عنى بقوله : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ⁽²⁾: أعطيناهم من الثواب ما أعطينا الآباء...

وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل...: والذين آمنوا بالله ورسوله ، وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان بإيمان ، وآمنوا بالله ورسوله ، ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الإيمان فآمنوا في الجنة ، فجعلناهم معهم في درجاتهم ، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم ، تكرمة منا لآبائهم ، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئاً . وإنما قلت : ذلك أولى التأويلات به ؛ لأن ذلك الأغلب من معانيه ، وإن كان للأقوال الأخر وجوه ." ⁽³⁾.

فقضية الظاهر لا شك أنها مقوية للقول ، ولكن يبقى للأدلة الأخرى حظها ووجهتها في مواضع أخرى ، مما يعني احتمال رجحانها ، وسيأتي قريباً الحديث عن ترك

---

(١) أي : ما أنقصنا ، بمعنى أن الله –عز وجل– أدخل الأبناء بفضيلة الآباء ، وما أنقص الآباء من أجورهم شيئاً . انظر تفسير غريب القرآن لابن الملقن ، صفحة (٤١١) ، تحقيق سمير طه المجذوب .

(٢) قرأ بالجمع بألف وكسر التاء أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب ، وقرأ بالإفراد بدون ألف ورفع التاء : ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف . انظر كتاب السبعة في القراءات صفحة (٦١٢) ، والمبسوط في القراءات العشر صفحة (٣٥١).

(٣) جامع البيان (١١/٤٨٧-٤٨٩) .

الظاهر لأسباب عديدة ، منها على سبيل المثال : إجماع المفسرين على القول بغير الظاهر .

- ١٠ - **ومن ضوابط استعمال الظاهر** : أن الظاهر قد يحتمل أقوالاً عديدة : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤] **قال -رحمه الله-**:"...ثم اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى اللّهُ بها إبراهيمَ نبيّه وخليلَهُ – صلوات الله عليه –، **فقال بعضهم** : هي شرائع الإسلام ، وهي ثلاثون سهماً...**وقال آخرون** : هي خصال عشرٌ من سنن الإسلام...**وقال بعضهم** : بل الكلمات التي ابتلي بهن عشر خلال ، بعضهنّ في تطهير الجسد ، وبعضهنّ في مناسك الحجّ... **وقال آخرون** : بل ذلك : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ في مناسك الحجّ...[وروي] عن أبي صالح مولى أم هانىء في قوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قال منهن : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، ومنهن آيات النسك : {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ}[البقرة : ١٢٧]...[وقال] مجاهد في قوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمرٍ ، فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً . قال : نعم . قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين . قال : تجعل البيت مثابة للناس ، قال : نعم . [قال:] وأمْناً ، قال : نعم .[قال :] وتجعلنا مسلمين لك، ومن ذرّيتنا أمة مسلمة لك ، قال : نعم . [قال :] وترينا مناسكنا وتتوب علينا ، قال : نعم . قال : وتجعل هذا البلد آمناً ، قال : نعم . قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم ، قال: نعم...[وقال] مجاهد : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال : ابتلي بالآيات التي بعدها : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ...**[وقال] الربيع في قوله** : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فالكلمات : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، وقوله : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥] ، وقوله : ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] ، وقوله : ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥] الآية ، وقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] الآية ، قال : فذلك كلّه من الكلمات التي ابتلي بهنّ إبراهيم...] **وقال آخرون** : بل ذلك مناسك الحجّ

خاصة...**وقال آخرون** : هي أمور منهن الختان...**وقال آخرون** : بل ذلك الخلال الستّ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلي بهنّ فصبر عليهنّ...**وقال آخرون**...عن السّديّ : الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم ربه : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إنّ الله - عزّ وجلّ- أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه ، وأمره أن يعمل بهنّ فأتمهنّ ، كما أخبر الله -جل ثناؤه- عنه أنه فعل . وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات ، وجائز أن تكون بعضه ؛ لأن إبراهيم -صلوات الله عليه - قد كان امتُحن فيما بلغنا بكل ذلك ، فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمْره الواجب عليه فيه . وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز لأحد أن يقول : عنى الله بالكلمات التي ابتلي بهنّ إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ، ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر عن الرسول- ﷺ -، أو إجماع من الحجة ، ولم يصحّ فيه شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته...ولو قال قائل في ذلك: إن الذي قاله مجاهد ، وأبو صالح ، والربيع بن أنس ، أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهباً ؛ لأن قوله : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وقوله : ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ ، وسائر الآيات التي هي نظير ذلك ، كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلي بهنّ إبراهيم ." (١)

– ١١ – ومن ضوابط استعمال الأظهر : قد يكون القولان في الآية وجهين محتملين ، ويذكر لأحدهما سياق الآية دليلاً ، ويبقى للقول الآخر حظ من النظر :

ففي قوله -تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا

---

(١) جامع البيان (٥٧٥/١-٥٧٦) ، وتحقيق شاكر (٧/٣) .

عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠] **قال –رحمه الله–:** " يعني بذلك –جلّ ثناؤه– : وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، فإن الله لا يبخس أحداً من خلقه أنفق في سبيله مما رزقه من ثواب نفقته في الدنيا ، ولا من أجرها يوم القيامة . ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي : ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن ، ولكنه يجازيه به ويثيبه عليه . كما :...[روى عن] قتادة أنه تلا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ قال : لأن تفضل حسناتي في سيئاتي بمثقال ذرّة أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها...وبنحو الذي قلنا في ذلك صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ ...[حيث] قال : « إنّ اللّهَ لا يَظْلِمُ المُؤْمِنَ حَسَنَةً ، يُثابُ عَلَيْها الرِّزْقَ فِي الدّنْيا وُيجْزَى بها فِي الآخِرَةِ ، وأمّا الكافِرُ فَيُطْعَمُ بها فِي الدّنْيا ، فإذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ لَمْ تَكُنْ لَه حَسَنَةٌ »[1] ... **وقال آخرون في ذلك**...[كابن مسعود–رضي الله عنه–] : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين ، ثم نادى مناد من عند الله : « ألا من كان يطلب مظلمة، فليجئ إلى حقه فليأخذه! » قال : فيفرح –والله– المرء أن يذوب[2] له الحقّ على والده أو ولده أو زوجته ، فيأخذ منه وإن كان صغيراً . ومصداق ذلك في كتاب الله –تبارك وتعالى –: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيقال له : « ائت هؤلاء حقوقهم » أي : أعطهم حقوقهم . فيقول : أي ربّ من أين وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول الله لملائكته : أي ملائكتي : انظروا في أعماله الصالحة ، وأعطوهم منها ! . فإن بقي مثقال ذرة من حسنة ، قالت الملائكة –وهو أعلم بذلك منها–: يا ربنا أعطيْنا كلّ ذي حقّ حقه ، وبقي له مثقال ذرّة من حسنة . فيقول للملائكة : ضعّفوها لعبدي ، وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة! . ومصداق ذلك في كتاب الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ : أي : الجنة يعطيها ، وإن فنيت حسناته وبقيت

---

[1] ورد نحوه عند مسلم في صحيحه وغيره ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا ، حديث (٢٨٠٨) (٤/٢١٦٢) .

[2] يذوب أي : يثبت .

سيئاته ، قالت الملائكة –وهو أعلم بذلك-: إلهنا فنيت حسناته وبقي سيئاته، وبقي طالبون كثيراً . فيقول الله : ضعّفوا عليها من أوزارهم ، واكتبوا له كتاباً إلى النار!. قال صدقة[1]: « أو صكّاً إلى جهنم » ، شكّ صدقة أيتهما قال[2]...**قال أبو جعفر**: فتأويل الآية على تأويل عبد الله هذا : إن الله لا يظلم عبداً وجب له مثقال ذرّة – قِبَل عبدٍ له آخر في معاده ويوم لقائه – فما فوقه ، فيتركه عليه فلا يأخذه للمظلوم من ظالمه ؛ ولكنه يأخذه منه له ، ويأخذ من كل ظالم لكل مظلوم تَبِعَتَهُ قِبَلَهُ . ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ يقول: وإن توجد له حسنة يضاعفها ، بمعنى : يضاعف له ثوابها وأجرها . ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يقول : ويعطه من عنده أجراً عظيماً . والأجر العظيم : الجنة على ما قاله عبد الله ، ولكلا التأويلين وجه مفهوم،أعني التأويل الذي قاله ابن مسعود ، والذي قاله قتادة . وإنما اخترنا التأويل الأوّل ؛ لموافقته الأثر عن رسول الله – ﷺ – مع دلالة ظاهر التنزيل على صحته ، إذ كان في سياق الآية التي قبلها ، التي حثّ الله فيها على النفقة في طاعته ، وذمّ النفقة في طاعة الشيطان ، ثم وصل ذلك بما وعد المنافقين في طاعته بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ." [3]

---

(١) هو صدقة بن أبي سهل ، ترجم في تعجيل المنفعة ولم يذكر فيه جرحاً فهو ثقة . انظر تعجيل المنفعة صفحة (١٢٥) ، وتحقيق شاكر (٣٦٣/٨) .

(٢) ورد في الإسناد أبو عمرو ، قال : الشيخ أحمد شاكر بمعناه : ولم أتمكن من التعرّف عليه بالتحديد ، وقد نقل ابن كثير إسناد ابن أبي حاتم وهو : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن هارون بن عنترة عن عبد الله ابن السائب قال : سمعت زاذان يقول، قال عبد الله بن مسعود...، وهذا الإسناد صحيح وهو موقوف على ابن مسعود ، ومثل هذا له حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال فيه بالرأي ، وابن مسعود لا يأخذ عن أهل الكتاب ، ولا يقبل الإسرائيليات انظر تحقيق شاكر (٣٦٣/٨-٣٦٤) ، وقال ابن كثير بعد ذكره ، وبعد ذكر إسناد ابن جرير : " ولبعض هذا الأثر شاهد في الصحيح". انظر تفسير القرآن العظيم (٤٧١/١) .

(٣) جامع البيان (٩١/٤-٩٣) ، وتحقيق شاكر (٣٥٩/٨) . وانظر مواضع أخرى في المائدة (٨٣) ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ الآية جامع البيان (٧/٥-٨) ، والرحمن (٣) ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ جامع البيان (٥٧٢/١١) .

فكلا القولين له وجه ، ولكن أحدهما : اجتمع له ظاهر اللفظ ، وموافقة الحديث النبوي ، وسياق الآية ، فكان أولى .

وهناك ما توقّف الإمام -رحمه الله- في حمله على أحد ما يحتمله ظاهر الكلام :

ففي قوله : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ [الرحمن: ٣] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه -: خلق آدم وهو الإنسان في قول بعضهم...وقال آخرون : بل عنى بذلك الناس جميعاً ، وإنما وحّد في اللفظ؛ لأدائه عن جنسه ، كما قيل : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ [العصر: ٢] والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب ؛ لاحتمال ظاهر الكلام إياهما ." (١)

فهذه الضوابط وغيرها : تظهر أن تحديد الظاهر في السياق يعني أنه الأولى ، ولكن مع مراعاة حال المخاطب ، وما يفيده الخطاب ، ومراعاة ترتيب الكلام على سياقه دون تقديم ولا تأخير ، وحمل معنى اللفظ على الأغلب من معانيه في الاستعمال ، وهذه الأولوية ليست مطلقة ، بل قد تحتمل الأوجه الأخرى الترجيح ، وقد تدخل جميعها في المعنى ؛ لأنه لا مرجّح لأحدها على الآخر ، ولكن كلما قوي جانب أحد الأقوال بمجموع أدلته فاق الأقوال الأخرى قوة . -والله أعلم-.

---

(١) جامع البيان (٥٧٢/١١) .

المطلب الثالث : أحوال يترك فيها القول بالظاهر في التفسير :

سبق الحديث عن وجوب استعمال الظاهر في فهم كلام الله –عزّ وجلّ –، ولكن هناك حالات يترك القول فيها بالظاهر في الآية ؛ لأدلة أقوى ، وقد نص على ذلك الإمام الطبري –رحمه الله–في مواضع : منها :

قوله –تعالى– : ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ٦٦﴾ [البقرة: ٦٦]

قال –رحمه الله–: معقباً على قولٍ :"...وأمّا الذي قال في تأويل ذلك: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني : الحيتان ، عقوبة لما بين يدي الحيتان من ذنوب القوم وما بعدها من ذنوبهم ، فإنه أبْعَدَ في الانتزاع ، وذلك أن الحيتان لم يجر لها ذكر فيقال : ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ فإن ظنّ ظانّ أن ذلك جائز وإن لم يكن جرى للحيتان ذكر ؛ لأن العرب قد تكني عن الاسم ولم يجر له ذكر ، فإن ذلك وإن كان كذلك ، فغير جائز أن يترك المفهوم من ظاهر الكتاب ، والمعقول به ظاهرٌ في الخطاب والتنزيل إلى باطن لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا خبر عن الرسول –ﷺ– منقول ، ولا فيه من الحجة إجماع مستفيض..." (١)

فقد نص الإمام الطبري –رحمه الله – في هذا الموضع على بعض الأدلة التي يترك الظاهر لها وهي :

١– إذا دل دليل من النص القرآني على أن هذا الظاهر غير مقصود ، وهو دليل من سياق الكلام ، أوفهمٌ لاستعمالات العرب .

٢– إذا دل الحديث النبوي الصحيح على أن المعنى غير ما يظهر في الكلام ، والسنة هي المفسرة والموضحة للقرآن كما قال –تعالى– : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤] .

---

(١) جامع البيان (٣٧٦/١–٣٧٧) ، وتحقيق شاكر (١٨٠/٢) .

٣-إذا أجمع العلماء على قول دون غيره (١)، وقد قال النبي - ﷺ - : "...سألت الله -عزّ وجلّ- أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها .." الحديث . (٢)

وكذلك نصّ الإمام الطبري -رحمه الله-: على أسباب أخرى منها :

٤- الضرورة أو الحاجة الماسة : فهي سبب الانتقال من الظاهر إلى غيره : **قال -رحمه الله-** : " ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام ، المستعمل في ألسن العرب ، دون الأقلّ ما وجد إلى ذلك سبيل ، و لم يضطرنا حاجة إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد،فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفيّ من الكلام والمعاني ."(٣)

٥- ترك الظاهر والأخذ بالخفيِّ من المعاني إذا حسُن كما في المثل لا الخبر :

والمثل في قوله -تعالى- :﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور: ٤٠] **قال -رحمه الله -** : " فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : لم يكد يراها ، مع شدّة هذه الظلمة التي وصف ، وقد علمت أن قول القائل : لم أكد أرى فلاناً ، إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته

---

(١) انظر موضعاً آخر نص فيه على هذه الأشياء في : آل عمران (٢٠٠) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ الآية جامع البيان (٣،/٥٦٣) .

(٢) رواه أحمد بهذا اللفظ عن أبي بصرة (٣٩٦/٦) حديث (٢٧٢٦٧) ، وبألفاظ أخرى عند أبي داود عن أبي مالك الأشعري في كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤٥٢/٤) حديث (٤٢٥٣) ، وابن ماجه عن أنس ، في كتاب الفتن، باب السواد الأعظم (١٣٠٣/٢) حديث (٣٩٥٠)، والترمذي عن ابن عمر ، في كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤٠٥/٤) حديث (٢١٦٧) ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وروى الدارمي في المقدمة عن عمرو بن قيس نحوه "ولا يجمعهم على ضلالة " باب ما أعطي النبي -ﷺ- من الفضل (٤٢/١) حديث (٥٤) ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي مالك الأشعري (٢٩٢/٣) حديث (٣٤٤٠) ، وقال الزركشي في المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر صفحة (٦٢) : " واعلم أن طرق هذا الحديث كثيرة ، ولا يخلو من علة ، وأوردت منها طائفة ،يتقوى بعضها ببعض"،وصححه الألباني:في آداب الزفاف صفحة (١٦٨) .

(٣) جامع البيان (٢٤٩/٣) عند الآية (٣٩) ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ الآية .

بعد جهد وشدّة ، ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه ، فكيف فيها ؟. قيل : في ذلك أقوال نذكرها ، ثم نخبر بالصواب من ذلك : أحدها : أن يكون معنى الكلام : إذا أخرج يده رائياً لها لم يكد يراها ، أي : لم يعرف من أين يراها . والثاني : أن يكون معناه : إذا أخرج يده لم يرها ، ويكون قوله : ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ في دخوله في الكلام ، نظير دخول الظنّ فيما هو يقين من الكلام ، كقوله : ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨] ونحو ذلك . والثالث : أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد ، كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة ، وقد رآه ، ولكن بعد إياس وشدة . وهذا القول الثالث : أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب «أكاد» في كلامها . والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها : قول أوضح من جهة التفسير ، وهو أخفى معانيه . وإنما حسُنَ ذلك في هذا الموضع ، أعني أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر؛لأن ذلك مَثَل لا خبر عن كائن كان...".(١)

وإليك بعض من أمثلة ترك الظاهر للحديث النبوي ، أو إجماع المفسرين ، أو كثرة القائلين :

بعد عرض الأسباب التي يترك الظاهر لغيره عند الإمام الطبري-رحمه الله-: سأمثل على ترك الظاهر للحديث النبوي ، أو لإجماع المفسرين أو لكثرة القائلين ، يترك السياق من أجل الحديث النبوي إذا كان صحيحاً فقط :

ففي قوله -تعالى- : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] **قال أبو جعفر**: "...واختلف في قوله : ﴿شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ **فقال السّديّ** : هو خبرٌ من الله عن نفسه وملائكته ، أنه -جلّ ثناؤه -قال هو وملائكته ، إذ أقرّ بنوا آدم بربوبيته حين قال لهم : ألست بربكم ؟ . فقالوا : بلى . فتأويل الكلام على هذا

---

(١) جامع البيان (٩/٣٣٦) .

التأويل : وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ . قالوا : بلى . فقال الله وملائكته : شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين . وقد ذكرت الرواية عنه [أي : السدي] بذلك فيما مضى [وهي قوله : وذلك حين يقول–تعالى ذِكْرُه–: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [آل عمران: ٨٣] ، وذلك حين يقول : ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩] يعني : يوم أخذ منهم الميثاق ، ثم عرضهم على آدم –عليه السلام–] والخبر الآخر الذي رُوِي عن عبد الله بن عمرو [1] عن النبيّ – ﷺ – بمثل ذلك [قال : «أخِذُوا مِنْ ظَهْره كمَا يُؤْخَذُ بالمِشْطِ مِنَ الرأس ، فَقالَ لَهُمْ : ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ ، قالَتِ المَلائِكَةُ : ﴿شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [2]] وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل بعض بني آدم لبعض ، حين أشهد الله بعضهم على بعض . وقالوا: معنى قوله: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وأشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك...

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : ما رُوِي عن رسول الله – ﷺ–

---

[1] هو عبد الله بن بن عمرو بن العاص السهمي القرشي ، هو وأبوه صحابيان ، أسلم قبل أبيه ، كان اسمه العاص فغيّره النبي –ﷺ– إلى عبد الله ، قيل : لم يكن بينه وبين والده إلا ثنتي عشرة سنة ، كان كثير العبادة والفضائل ، روى أحاديث كثيرة، توفي سنة خمس وستين ، وقيل غير ذلك . انظر حلية الأولياء (٢٨٣/١) ، وسير أعلام النبلاء (٨٠/٣) ، والإصابة (١١١/٤) ، وشذرات الذهب (٧٣/١) .

[2] وإسناده هو : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، قال : حدثنا أحمد بن أبي طيبة ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك ، وعن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال: قال رسول الله الحديث ، قال ابن كثير –رحمه الله –: أحمد بن أبي طيبة هذا : هو أبو محمد الجرجاني ، قاضي قومس ، كان أحد الزهاد أخرج له النسائي في سننه ، وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ، وقال ابن عدي : حدث بأحاديث كثيرة غرائب ، وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حمزة بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ، وكذا رواه ابن جرير عن منصور به ، وهذا أصح –والله أعلم –. فصحح كونه موقوفاً دون رفعه إلى النبي– ﷺ–. انظر تفسير القرآن العظيم (٢٥١/٢) ، وسيأتي حكم ابن جرير –رحمه الله – في النص بقوله :"ولا أعلمه صحيحاً "، وانظر تحقيق شاكر (٢٣٢/١٣-٢٣٣) .

إن كان صحيحاً ، ولا أعلمه صحيحاً ؛ لأنّ الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدّثوا بهذا الحديث عن الثوري ، فوقفوه على عبد الله بن عمرو و لم يرفعوه ، و لم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه . وإن لم يكن ذلك عنه صحيحاً ، فالظاهر يدلّ على أنه خبر من الله عن قيل بني آدم بعضهم لبعض ؛ لأنه -جلّ ثناؤه - قال : ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرّين حين أقرّوا ، فقالوا : بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين ." (١)

وكذا قد يترك الأغلب في اللغة إذا صحّ الحديث : كما في قوله -تعالى- : ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩] حيث ذكر أقوالاً في معنى العتيق ، ورجح : معنى القديم ؛ لأنه الأغلب في اللغة ، ما لم يكن الحديث المروي عن النبي -ﷺ-:"إنما سمّي البيت العتيق ؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قطّ " صحيحاً(٢).

فامتنع من القول بالأغلب في اللغة إذا كان الحديث النبوي صحيحاً ، أما لو كان ضعيفاً فالمعوّل عليه الأغلب في اللغة .(٣)

ومثال ترك الظاهر من الخطاب لكثرة القائلين به من السلف :

كما في قوله -تعالى- : ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ

---

(١) جامع البيان (١١٧/٦) ، وتحقيق شاكر (٢٤٩/١٣) .

(٢) وإسناده عند ابن جرير : حدثني محمد بن سهل البخاري ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : أخبرني الليث، عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن الزهري ، عن محمد بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ورفعه . جامع البيان (١٤١/٩-١٤٢) ، وفي التقريب عبد الله بن صالح صدوق كثير الغلط (٤٢٣/١) ، ورواه الترمذي في تفسير سورة الحج ، وقال حديث حسن غريب ، ومن وجه آخر مرسلا عن الزهري (٣٠٤/٥) ، وقال ابن أبي حاتم : لا يحتمل أن يكون مرفوعا عن النبي -ﷺ-، وهو موقوف على عبد الله بن الزبير أشبه . انظر علل الحديث (٢٧٤/١) .

(٣) ومثله في الإخلاص (٢) ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ جامع البيان (٧٤٤/١٢) .

وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٦] **قال -رحمه الله-**: اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية ، وفي من نزلت ، فقال بعضهم : نزلت في الحارث بن سويد الأنصاري[1]، وكان مسلماً فارتدّ بعد إسلامه...وقال آخرون : [كالحسن] عنى بهذه الآية أهل الكتاب وفيهم نزلت...

قال أبو جعفر : وأشبه القولين بظاهر التنزيل : ما قال الحسن ، من أن هذه الآية معنيّ بها أهل الكتاب على ما قال ، غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر ، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن ، وجائز أن يكون الله -عزّ وجلّ- أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدّوا عن الإسلام ، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمد -ﷺ- في هذه الآيات ، ثم عرّف عباده سنته فيهم ، فيكون داخلاً في ذلك كل من كان مؤمناً بمحمد -ﷺ- قبل أن يبعث ، ثم كفر به بعد أن بعث ، وكلّ من كان كافراً ثم أسلم على عهده -ﷺ- ثم ارتدّ وهو حيّ عن إسلامه ، فيكون معنيّاً بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ،ممن كان بمثل معناهما ، بل ذلك كذلك -إن شاء الله-."[2]

فذكر -رحمه الله- أولاً الأظهر من الآية ؛ ولكنّه أحجم عنه لكثرة القائلين بخلافه ، ثم جمع بينهما .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق: ٤٠] قال -رحمه الله- : "وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي أُمر به من الليل : فقال بعضهم : عنى به صلاة العَتَمة...وقال آخرون : هي الصلاة بالليل في أيّ وقت صلى...:

---

(١) هو الحارث بن سويد بن الصامت ، أخو الجلاس ، فيه خلاف في تعيينه وهذا هو المشهور ، ارتد على عهد رسول الله ولحق بالكفار فنزلت هذه الآية ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [آل عمران (٨٦-٨٩)] ، فحمل رجل هذه الآيات فقرأهن عليه ، فقال الحارث : والله ما علمتك إلا صدوقاً ، وإن الله لأصدق الصادقين ، فرجع وأسلم ، وحسن إسلامه ، قيل : إنه قُتِل بعد قَتْله المجذّر في أُحُد . انظر الإصابة (٢٩٣/١) ، وأسد الغابة (٣٩٦/١-٣٩٧) .

(٢) جامع البيان (٣٣٩/٣-٣٤٠).وانظر مثله في : المدثر (٥) ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ جامع البيان (٢٩٩/١٢-٣٠٠).

عن مجاهد : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ قال : من الليل كلّه .

والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب : وذلك أن الله -جلّ ثناؤه - قال : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ فلم يَحُدّ وقتاً من الليل دون وقت . وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل ، وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، فهو بأن يكون أمراً بصلاة المغرب والعشاء ، أشبه منه بأن يكون أمراً بصلاة العَتَمة ؛ لأنهما يصلّيان ليلاً .

[وقال أيضاً -رحمه الله-:] " وقوله : ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ ...واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود : **فقال بعضهم** : عُنِي به الصلاة، قالوا : وهما : الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب...عن ابن عباس ، قال : قال لي رسول الله -ﷺ-: " يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب أدبار السجود "[1]...**وقال آخرون** : عنى بقوله : ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ : التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات ، دون الصلاة بعدها ... **وقال آخرون** : هي النوافل في أدبار المكتوبات...**قال ابن زيد في قوله**: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ : النوافل .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال : هما : الركعتان بعد المغرب ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه ، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد ؛ لأن الله -جلّ ثناؤه - لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عمّ أدبار الصلوات كلها ، فقال : ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ ، و لم تقم - بأنه معنيّ به : دبر صلاة دون صلاة - حجةٌ يجب التسليم لها من خبر ولا عقل ." [2]

---

[1] وسند ابن جرير قال : حدثنا : أبو كريب قال : ثنا أبو فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس ورفعه ، وفيه رشدين بن كريب ، قال البخاري : منكر الحديث ، وقال ابن حجر في التقريب ضعيف . انظر تقريب التهذيب (٢٤٠/١) ، والكاشف للذهبي (٣٩٧/١) . وقال ابن حجر في فتح الباري (٥٩٨/٨) : إسناده ضعيف .

[2] جامع البيان (٤٣٥/١١-٤٣٦) . وانظر بقية المواضع في وجوب التفسير بالظاهر وأنه لا يترك إلا للأدلة الماضية: في البقرة (٣٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية جامع البيان (٢٤٦/١) ، و(٤٥) ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ جامع البيان (٢٩٩/١) ، و(٥٦) ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾
-

فقد ترك الإمام الطبري –رحمه الله–القول بالعموم ؛ لإجماع الحجة من المفسّرين ، فقال : بأنهما الركعتان بعد المغرب .

وقال القرطبي –رحمه الله–: " قال ابن زيد : هو النوافل بعد الصلوات ، ركعتان بعد كل صلاة مكتوبة ، قال النحاس(١) : والظاهر يدل على هذا إلا أن الأولى اتباع الأكثر، ولا سيّما وهو صحيح عن عليّ بن أبي طالب –ﷺ– (٢). وقال أبو الأحوص(٣) : هو التسبيح في أدبار السجود . قال ابن العربي(٤) : " وهو الأقوى في النظر " (٥). وفي صحيح الحديث : أن النبيّ –ﷺ– كان يقول في دبر الصلاة المكتوبة : «لا إلَه إلا الله وحده لا

- حامع البيان (١/٣٣١) ، و(٧٤) ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٠٩) ، و(١٠٢) ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ الآية حامع البيان (١/٥١٣) ، و(١٦٧) ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٧٩-٨٠) ، وآل عمران (٢٧) ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٢٢٥-٢٢٦) ، وفصلت (٢٠) ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ ﴾ جامع البيان (١١/٩٩) ، والشورى (٤٠) ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٥٦) .

(١) هو أبو جعفر ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، النحوي المفسر ، له مصنفات كثيرة ، زادت عن خمسين ، منها : معاني القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، توفي غرقاً ، سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل غير ذلك . انظر إنباه الرواة (١/١٠١) ، وبغية الوعاة (١/٣٦٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١/٦٧) .

(٢) الناسخ والمنسوخ (٣/٢٣-٢٤) .

(٣) هو سلام بن سليم الكوفي الحنفي مولاهم ، الإمام الثقة الحافظ ، قال العجلي : كان ثقة صاحب سنة واتباع ، وكان حديثه نحو أربعة آلاف ، توفي سنة تسع وسبعين ومائة . انظر سير أعلام النبلاء (٨/٢٨١) ، وشذرات الذهب (١/٢٩٢) .

(٤) هو أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي القاضي ، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة ، له مؤلفات كثيرة ، منها : أحكام القرآن ، وعارضة الأحوذي على كتاب الترمذي ، وكتاب أنوار الفجر في تفسير القرآن ، ألفه في ثمانين ألف ورقة ، توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وقيل ست وأربعين . انظر الديباج المذهب (٢/٢٥٢) ، وشذرات الذهب (٤/١٤١) .

(٥) أحكام القرآن (٤/١٧١٦) .

شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجَدّ منك الْجَدّ »(١) وقيل : إنه منسوخ بالفرائض ، فلا يجب على أحد إلا خمس صلوات ، نقل ذلك الجماعة ." (٢)

وقال ابن كثير –رحمه الله–: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ " قال ابن أبي نجيح (٣) عن مجاهد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : هو التسبيح بعد الصلاة (٤). ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه– (٥) أنه قال : جاء فقراء المهاجرين فقالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، فقال النبي –ﷺ–: « وما ذاك؟ » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق . قال –ﷺ–: «أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم ؟ . تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين » قال : فقالوا : يا رسول الله : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال –ﷺ–:

---

(١) رواه البخاري ، في كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة ، حديث (٨٤٤) صفحة (١٦٨) ، ومسلم ، في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، عن المغيرة بن شعبة ، حديث (٩٥٣) ، (١/٤١٤-٤١٥) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٦) .

(٣) هو أبو يسار ، عبد الله بن أبي نجيح يسار المكي ، مولى بني مخزوم ، صاحب التفسير ، قال الذهبي : هو من أخص الناس بمجاهد ، قال ابن حجر : ثقة رمي بالقدر ، وربما دلّس ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة . انظر ميزان الاعتدال (٢/٥١٥) ، وتقريب التهذيب (١/٤٥٦) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١/٢٥٨) ، وشذرات الذهب (١/١٨٠) .

(٤) رواه البخاري عن مجاهد عن ابن عباس : أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها . عند سورة "ق" حديث (٤٨٥٢) صفحة (١٠٤٠) .

(٥) هو أبو هريرة ، عبد الرحمن –على الصحيح– بن صخر الدوسي اليماني ، أسلم عام خيبر ، أكثر من روى الحديث النبوي ، وقد وعده النبي –ﷺ–بأن يحفظ إذا ضم نمرة إليه فضمها ، روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين ، وروى عنه أكثر من ثمانمائة شخص ، إمام فقيه مجتهد حافظ ، توفي سنة سبع وخمسين ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٢/٥٧٨)، والإصابة (٧/١٩٩) ، وشذرات الذهب (١/٦٣) .

«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» (١).

والقول الثاني : أن المراد بقوله -تعالى- : ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ هما الركعتان بعد المغرب، وروي ذلك عن : عمر ، وعلي ، وابنه الحسن ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي أمامة(٢) -رضي الله عنهم- وبه يقول مجاهد ، وعكرمة ، والشعبي (٣) ، والنخعي(٤) ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم . " (٥)

وقال الآلوسي : " وفيه احتمال العموم لصلاة العشائين ، والخصوص بالتهجد وهو الأظهر . " (٦)

---

(١) رواه البخاري ، في كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة ، حديث (٨٤٣) صفحة (١٦٨) ، ومسلم ، في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، عن المغيرة بن شعبة ، حديث (٥٩٥) ، (١/٤١٦-٤١٧) .

(٢) هو صُدَيّ بن عجلان بن والبة الباهلي ، صاحب رسول الله -ﷺ-، نزيل حمص ، روى علماً كثيراً ، كان عمره حجة الوداع ثلاثين سنة ، توفي بالشام سنة ست وثمانين ، وقيل إحدى وثمانين . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٧٦) ، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٥٩) ، والإصابة (٣/٢٤٠) ، وشذرات الذهب (١/٩٦) .

(٣) هو أبو عمر ، عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي ، الإمام العلم ، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر ، أدرك خمسمائة من الصحابة ، وروى عنهم ، ورأى عليا ، وصلّى خلفه ، يقول : ما أودعت قلبي شيئاً فخانني ، وكان مزّاحاً ، توفي سنة ثلاث ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤) ، وشذرات الذهب (١/١٢٦) .

(٤) هو أبو عمران ، إبراهيم بن يزيد اليماني النخعي -قبيلة أو بلدة باليمن -، فقيه العراق بالاتفاق ، عدّه ابن قتيبة من الشيعة ، توفي سنة خمس وتسعين ، وله ست وأربعون . انظر المعارف صفحة (٤٦٣و٦٢٤) ، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٢٠) ، وشذرات الذهب (١/١١١) ، واللباب في تهذيب الأنساب (٥/٤٧٣) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/٢٣١) .

(٦) روح المعاني (١٤/٢٩١) .

المطلب الرابع : مواضع لم يستعمل فيها الإمام الطبري –رحمه الله– قاعدة : تفسير السياق بالظاهر من الخطاب:

تبين مما تقدم في هذا المبحث شأن الاهتمام بالظاهر من السياق ، وأن الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله– أكثر من الاهتمام به ، ولكن هناك مواضع قليلة يظهر أنها لم تطبق فيها هذه القاعدة ومنها :

تفسيره الكرسي بالعلم خلاف ظاهر آية الكرسي : ففي قوله –تعالى– : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] **قال أبو جعفر** :"...اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله –تعالى ذِكْرُه –في هذه الآية أنه وسع السّموات والأرض : **فقال بعضهم** : هو علم الله –تعالى ذِكْرُه –:... **[قال] ابن عباس** : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ قال : كرسيه : علمه...[وفي رواية قال] ابن عباس مثله ، وزاد فيه : ألا ترى إلى قوله : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾؟ [1]...وقال آخرون : الكرسي: موضع القدمين ، وقال آخرون : الكرسي: هو العرش نفسه...

قال أبو جعفر : ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب ، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ ، [وفيه] قال : «إنَّ كُرْسِيَّهُ وَسِعَ السّمَوَاتِ وَالأرْضَ، وَإنّهُ لَيَقْعُدُ عَلَيْهِ فَمَا يَفْضُلُ مِنْهُ مِقْدَارُ أرْبَعِ أصَابِعَ » ثم قال بأصابعه فجمعها : « وَإنّ لَهُ أطِيطاً كأطِيطِ الرّحْلِ الجَدِيدِ إذَا رُكِبَ مِنْ ثِقَلِه »[2] [وذكر أسانيد

---

[1] سيأتي تخريجه بعد قليل في التعقيب على النقل .

[2] رجال السند هم : شيخ الطبري عبد الله بن أبي زياد القطواني ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن خليفة ، قال : أتت امرأة النبيّ – ﷺ – ، فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة! ، فعبد الله بن

–

أخرى ثم قال :] وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس...هو علمه ؛ وذلك لدلالة قوله – تعالى ذِكْرُه -: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ على أن ذلك كذلك ، فأخبر أنه لا يؤوده حِفظ ما علم ، وأحاط به مما في السموات والأرض ، وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم : ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧] فأخبر –تعالى ذِكْرُه –أن علمه وسع كل شيء ، فكذلك قوله : ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ (١).

والصواب ما قال ابن عباس– ﵄ - " إنه موضع قدمي الله –عزّ وجلّ –" (٢) وليس

الحكم ، شيخ الطبري ثقة ، انظر تهذيب التهذيب (١٢٥/٣-١٢٦) ، وعبيد الله : ثقة صدوق حسن الحديث ، وأثبت رواة إسرائيل عن إسرائيل . انظر تهذيب التهذيب (٣٥/٤-٣٧) ، ومدار الحديث على عبد الله بن خليفة ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجم له في التهذيب ، قال ابن كثير –رحمه الله- : " وقد رواه الحافظ البزار في مسنده المشهور وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما ، والطبراني وابن أبي عاصم في كتابي السنة لهما ، والحافظ الضياء في كتابه المختار من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن عبد الله بن خليفة ، وليس بذاك المشهور ، وفي سماعه من عمر نظر . ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً ، ومنهم من يرويه عنه مرسلاً ، ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة، ومنهم من يحذفها . وقال: وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك، وعندي في صحته نظر ، والله أعلم ". تفسير القرآن العظيم (٢٩٣/١) ، وانظر جامع البيان تحقيق شاكر (٤٠٠/٨) .

(١) جامع البيان (١١/٣-١٢) ، وتحقيق شاكر (٣٩٧/٥) .

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة أثر (٥٨٦) (٣٠١/١) ، وابن أبي شيبة في كتاب العرش صفحة (٤٤٣) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢٤٨/١) ، والحاكم في المستدرك (٢٨٢/٢) ، وقال صحيح على شرط الصحيحين و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، ورواه الدارقطني في كتاب الصفات (٣٦) ، عن ابن عباس موقوفاً عليه ، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد للطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح (٣٢٦/٦) ، وقال الألباني في مختصر العلو صفحة (٤٥) : صحيح موقوف . وانظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين تخريج سعد الصميل (١٧١/١-١٧٢).

وأما الأثر المروي عن ابن عباس في تفسير الكرسي بالعلم واحد : وهو مروي عن أبي جعفر بن أبي المغيرة عن ابن جبير عن ابن عباس . وأما سائر الروايات عنه وعن غيره فهي تدلّ على أن المراد بالكرسي ، هو الكرسي المشهور المذكور مع العرش ، قال أبو منصور الأزهري : والصحيح عن ابن عباس ما رواه الثوري وغيره عن عمار الدهني ، عن مسلمٍ البَطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : " الكرسي موضع القدمين ، وأما العرش فلا يقدر قدره " وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها ، قال : والذي روى عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار . انظر

الكرسيّ هو العرش ، بل العرش أكبر المخلوقات ، حيث روى أبو ذر - ﷺ - عن النبي -ﷺ- قال : " إن السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة في فلاة من الأرض ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة " .(١) (٢)

وبعد هذه الدراسة للظاهر في التفسير ، تبينت حدود الظاهر وماهيته ، والحالات التي يقدم الظاهر فيها على غيره ، ومتى يترك الظاهر ، ومتى يحمل معنى الكلام على ظاهره ، وما قد ندّ وخرج من المواضع عن الظاهر عند الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله- ، والأولى أن تحمل على ظاهرها في المعنى . -والله الموفق للصواب - .

تهذيب اللغة (٥٤/١٠) ، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي (١٣٤/٢-١٣٥) ، وذكر محمود شاكر -رحمه الله- أنه إذا كان أثر ابن عباس في تفسير الكرسي بالعلم صحيح الإسناد ، فإن الخبر الآخر صحيح على شرط الشيخين ، وقال أيضاً : والاستدلال في الآية على أن الكرسي العلم ضعيف جداً ؛ فلا يلزم من هذا القرب القرب في المعنى ، فلمَ لمْ يجعل قوله : ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] الكرسي هو الرحمة ، وقوله : في الأعراف (١٥٦) ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ انظر تحقيق شاكر (٤٠١/٥) . ومما أنبه عليه هنا : أن الخلاف في معنى الكرسي في الآية ليس قولا مبتدعاً إذا كان صاحب القول يثبت الكرسي لله عز وجل ، فقد ثبت الكرسي في أحاديث أخرى .

(١) رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش رقم (٥٨) ، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات (١٤٩/٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٩) ، وقال : إنه لا يصح حديث مرفوع عن النبي ﷺ في صفة العرش إلا هذا الحديث . انظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين تخريج سعد الصميل (١٧٢/١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٥١/١) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٢٢) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية حامع البيان (٤٠٣/٢) ، والنساء (٢٥) ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ حامع البيان (٢٣/٤-٢٤) ، و(١٦٢) ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآية حامع البيان (٣٦٥/٤) ، والرحمن (٤) ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ حامع البيان (٥٧٢/١١-٥٧٣) ، والتحريم (١٢) ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ حامع البيان (١٦٣/١٢) ، والمطففين (١٥) ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ حامع البيان (٤٩٢/١٢) ، والبلد (١٧) ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ حامع البيان (٥٩٧/١٢) ، والتين (١) ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ حامع البيان (٦٣٣/١٢) .

تبيان
(٢٢)

دلالة السياق القرآني

وأثرها في التفسير

دراسة نظرية تطبيقية
من خلال تفسير ابن جرير

إعداد

د. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم

الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود

المجلد الثاني

دار التدمرية

الباب الثاني

أثر دلالة السياق القرآني في تفسير ابن جرير :

تمهيد :

بعد الحديث في الباب الأول عن القواعد -التي ينبغي على المفسر أن ينتهجها ، مما يستعمله شيخ المفسرين ابن جرير -رحمه الله- ؛ لأنها قائمة على اعتبار دلالات الألفاظ وما يترتب على الكلام منطوقا ومفهوما ، وهي دلالات معتبره في النظر إلى الدليل في الجملة -، ندخل الآن إلى الباب الثاني الذي هو نتيجة تتبع دلالة السياق ، وذلك بالنظر إلى ما يترتب على هذا المنهج من آثار ظاهرة على تفسير كلام الله تعالى ، والمعاني التي يتوصل إليها المفسر .

وينقسم هذا الباب إلى تسعة فصول :

الفصل الأول : أثر دلالة السياق في قراءات القرآن .

الفصل الثاني : أثر دلالة السياق في بيان الأصح من أسباب النزول .

الفصل الثالث : أثر دلالة السياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها .

الفصل الرابع : أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى .

الفصل الخامس : أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق إذا حذف متعلقه لعمومه ولا ينافي العموم .

الفصل السادس : أثر دلالة السياق في الدلالة على المحذوف من الكلام .

الفصل السابع : أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه .

الفصل الثامن : أثر دلالة السياق على وجود تقديم أو تأخير .

الفصل التاسع : أثر دلالة السياق في تضعيف بعض الأقوال .

الفصل الأول

أثر دلالة السياق في قراءات القرآن :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثر دلالة السياق في تصحيح القراءة .

المبحث الثاني : أثر دلالة السياق في تضعيف القراءة ، أو ردّها ، ومناقشة ذلك .

مدخل الفصل:

يظهر للمتأمل في مواضع القراءات من تفسير جامع البيان للإمام الطبري –رحمه الله– ، أن الترجيح بين القراءات راجع إلى الأسباب التالية :

– اختيار الأفضل ، أما إذا استويت القراءات في المعنى فلا فائدة من الترجيح .⁽¹⁾ وفي مواضع لم يرجح بين القراءات لاحتمالها ولا مرجح عنده ؛ لأن كلتيهما دل السياق على اعتبارها من وجه ، أو لثبوت القراءة بهما عنده . –والله أعلم– ⁽²⁾.

–إجماع عامة القراء عنده ، ولا يعتد بمخالفة الواحد والاثنين –كما هو مذهبه في الإجماع ، أو استفاضة القراءة بهذه دون تلك ، وهذا أوضح جواب على ردّه القراءة . ⁽³⁾

---

(١) ومثالاً على ذلك : قوله –تعالى– : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧] فقد ذكر –رحمه الله–: قراءة الخفض ﴿وَالْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ﴾ بخفض {الكفّارِ} وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ويعقوب ، وقراءة النصب ﴿وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ قرأ بها الباقون ثم قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى صحيحتا المخرَج ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرأة ، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فقد أصاب."انظر جامع البيان (٦٣١/٤) وتحقيق شاكر (٤٣١/١٠) ، ومثله في البقرة (٢٥٩) ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الآية جامع البيان (٤٦/٣) .

(٢) ومن ذلك قوله –تعالى– : ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾ [الجن: ١٧] ذكر القراءة بالنون والياء في ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ بالنون : أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ، وبالياء قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف . انظر المبسوط (٣٨٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (٥٦٦/٢) ، ولم يرجح شيئاً .

(٣) كما في الإسراء (١٠٦) ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ١٠٦﴾ جامع البيان (١٦١/٨) ، والكهف (٣٤) ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ٣٤﴾ جامع البيان (٢٢٣/٨) ، ومريم (٣٤) ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤﴾ جامع البيان (٣٤١/٨) ، وطه (١٠٢) ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ١٠٢﴾ جامع البيان (٤٥٦/٨) ، والتحريم (٣) ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾الآية جامع البيان (١٥١/١٢) ، والنبأ (٣٥) ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ٣٥﴾ جامع البيان (٤٠٩/١٢ و٤١٣) ، والأعلى (١٦) ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٦﴾ (٥٤٨/١٢) وغيرها .

- وقد يرجح اعتماداً على سبب النزول (١) . وقد يكون الترجيح لمذهب لغوي ، أو إعرابي ، أو طلب الأعم من المعاني ، ونحو ذلك .(٢)

-وقد يرجح اعتماداً على السياق ، ولطلب اتساق الكلام، واستدلالاً بما يشابهها في السورة، أو مراعاة لرؤوس الآي فيها ، وهذا هو الذي يتعلق بالبحث فهو الترجيح اعتماداً على السياق، وسيأتي بسط لما يتعلق بالسياق – إن شاء الله – .

وقبل الدخول إلى التصحيح والتضعيف أقدم بمقدمة مهمّةٍ في مسألة ردّ ابن جرير –رحمه الله– في تفسيره جامع البيان لبعض القراءات الصحيحة ، وقد كان الناس قبالة هذا الأمر مختلفين : منهم من قال : إن هذا لا يجوز ، وكتب في الردّ عليه ، ومنهم من قال: إن هذا الأسلوب من ابن جرير لا يعدو أن يكون اختياراً بين القراءات .

وهذه المسألة مشكلة جداً ، ولكن سأذكر –إن شاء الله– ما استطعت فهمه من منهج الإمام في تعامله مع القراءات ، وستكون هذه النقاط غير مرتبة لتشعب الفكر في حلّ هذا الأمر ، وعسى أن يكون مجموع النقاط موصلاً إلى العدل والقسط :

---

(١) كما في آل عمران (٨٠) ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾الآية جامع البيان (٣٢٧/٣) ، والنساء (٩٥) ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٩/٤) .

(٢) ومن أمثلة هذا النوع في : البقرة (٨٣) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ } الآية جامع البيان (٤٣٦/١) ، و(١٨٤) ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ الآية جامع البيان (١٤٧/٢) ، و(٢٧١) ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ الآية جامع البيان (٩٤/٣) ، وآل عمران (٣٩) ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٠/٣) ، والأنعام (٢٣) ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٦٥/٥) ، والانفطار (٧) ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ جامع البيان (٤٧٩/١٢) وغيرها .

– أنكر العلماء الذين أتوا بعد الطبري استبعاده قراءة ابن عامر على عثمان بن عفان – رضي الله عنه– على ما جاء في الروايات عنه ، **قال أبو شامة**(١) **–رحمه الله–** : "وهذا غير ضائر" ، ثم قال : "فهب أنه لم يصح أنه قرأ على عثمان ، فقد قرأ على غيره من الصحابة ، وكان يقول هذه حروف أهل الشام التي يقرؤونها ."(٢)

وعاب ابن الجزري –رحمه الله– (٣) إنكاره قراءة ابن عامر لآية الأنعام (٤) وغيرها من القراءة الصحيحة ، وقال : "وركب هذا المحذور ابن جرير بعد الثلاثمائة وقد عدّ ذلك من سقطات ابن جرير". (٥)

– ومع ذلك فإن عصر الطبري –رحمه الله– يختلف عن المراحل المتأخرة في النظر إلى القراءة السبعية ، أو القراءة الصحيحة والشاذة ، ويجب أن يُحمل كلام العلماء على المرحلة التي كتب فيها ، ولا يحكم على متقدّم بما استقرّ عند المتأخّر ، فكان اختيار ابن جرير في وقته وترجيحه مناسباً لمرحلته التي هو فيها ، أو يقال : إن الخطأ منه أخف وأسهل مِن خطأ مَن أتوا بعده ، بعد أن ركنت النفوس إلى القراءات السبع والعشر .

---

(١) هو أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ثم الدمشقي ، قيل له أبو شامة : لأن فوق حاجبه شامة كبيرة، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، شافعي مقرئ نحوي لغوي ، أتقن القراءة على علم الدين السخاوي، ألف شرح الشاطبية ، وشرح المفصل للزمخشري ، توفي بدمشق سنة خمس وستين وستمائة . انظر معرفة القراء الكبار (٦٧٣/٢) ، وغاية النهاية (٣٦٥/١)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٦٣/١)،وشذرات الذهب (٣١٨/٥).

(٢) المرشد الوجيز صفحة (١٦١-١٦٢) ، وانظر الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته وتبرئة الإمام الطبري من تهمة إنكار القراءات المتواترة ، صفحة (٣٣-٣٥) ، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي .

(٣) هو أبو الخير ، محمد بن محمد الجزري ، من كبار علماء القراءات ، وصنف فيها النشر ، وغاية النهاية في طبقات القراء ، كانت له رحلات لطلب القراءة ، وتوفي بشيراز سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . انظر مقدمة النشر (١/د-ز) .

(٤) وهي قراءته قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٧] . انظر النشر (٢٦٤/٢) .

(٥) النشر (٢٦٤/٢) .

لقد انتهى الإمام الطبري –رحمه الله– من تأليف كتابه –للمرة الأولى – عام سبعين ومائتين ، والمرة الثانية كانت تسعين ومائتين ، وكان ابن مجاهد أول من سبع السبعة عام الثلاثمائة (١) ، و لم يستقرّ العمل على فعل ابن مجاهد ، الذي سار على اختيار هؤلاء القراء إلا بعد زمن من تأليف كتابه .

أما إذا كان الأمر في ردّ القراءة واضحاً عياناً بياناً ، فإن هذا موضع اجتهاد منه –رحمه الله– وكلّ يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله –ﷺ –، وقد يكون أيضاً لعدم وقوفه على القراءة من هذا الوجه ، وقد تبين أنه ليس للطبري سند لقراءة حفص عن عاصم ، حيث قال في قوله تعـالى : ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ١٦﴾ [المعارج: ١٦] :"ولا يجوز النصب في القراءة ؛ لإجماع قراء الأمصار على رفعها ، ولا قارئ قرأ كذلك بالنصب ، وإن كان للنصب في العربية وجه".(٢)

–الإمام الطبري –رحمه الله– عالم في القراءات كبيـــر ، بل وله مؤلَّف ضخم لم يؤلف مثله ، وقد اختار نيفاً وعشرين من القراء ، وكان الاختيار بين القراء من عادتهم ، قال فيه ياقوت : "واختار منها قراءة لم يخرج فيها عن المشهور "(٣)

---

(١) انظر المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز صفحة (١٦٠) لأبي شامة ، تحقيق طيار آلتي قولاج ، وانظـــر صـــفحة (٤٦-٤٧) من هذا البحث .

(٢) جامع البيان(٢٣١/١٢) ، وانظر مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور مساعد الطيـــار صـــفحة (٣٢١) ومـــا بعدها، ومن قراءة حفص ولم ينسبها الطبري لحفص : ﴿لِمَهْلِكِهِم ﴾ [الكهف: ٥٩] جامع البيان (٢٤٤/٨-٢٤٥)، و﴿ تُسَٰقِطْ ﴾ [مريم: ٢٥] جامع البيان (٣٣١/٨)، و{الرهب} في القصص ٣٢ جامع البيان (٧٠/١٠)، و ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٣] جامع البيان (٢٧٠/١٠)، و﴿فَأَطَّلِعَ ﴾ [غافر: ٣٧] جامع البيان (٦١/١١) .

(٣) معجم الأدباء (٤٥/١٨) .

وقد نسب المنتوري ت٨٣٤ في كتابه شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأة نافع ٨٦٤/٢ إلى الطبري من كتابه الجامع قولــه :"كل من اختار حرفا من المقبولين من الأئمة المشهورين بالسنة والاقتداء بمن مضى من علماء الشريعة راعى في اختيـــاره: الرواية أولاً ، ثم موافقة المصحف الإمام ثانياً ، ثم العربية ثالثاً ، فمن لم يراع الأشياء الثلاثة في اختياره لم يقبل اختيـــاره ، و لم يتداوله أهل السنة والجماعة ". كما بين الباحث زيد بن علي مهارش في رسالته : "منـــهج ابـــن جريـــر الطـــبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره "أن الطبري سار على هذا المنهج تحت باب :"ضوابط اختيار القراءة عند الطبري ". وانظر مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للطيار صفحة ٣١٦-٣١٧ .

- لقد جلس الإمام الطبري -رحمه الله- للإقراء ، وأخذ التلاميذ عنه اختياراته ، وممن قرأ عليه ابن مجاهد ، وغيره من الأئمة الأثبات ، فلو كان الطبري أنكر شيئا متواتراً لما سكتوا عنه ، خاصة ابن مجاهد ، الذي أوقف ابن شنبوذ (١) في قراءته بالشواذ ، المروية عن بعض الصحابة ، وإن خالفت الرسم ، حتى رجع عن ذلك ، وأوقف محمد بن الحسن -المعروف بابن مقسَم(٢) - عن إجازته القراءة بما وافق العربية والرسم ، وإن لم يكن نقل عن السابقين ، وكان يناقش في كتابه : "السبعة " : الرواية ، والأقوال ،(٣) فكيف يسكت عن شيخه إن كان منه ما ادعي عليه ؟ .

- لقد كان الإمام ابن مجاهد يجلّ الإمام الطبري إجلالاً كبيراً ومن ذلك : وقوفه بباب مسجد محمد بن جرير ، ابن جرير يقرأ سورة الرحمن ، فاستمع قراءته طويلاً، ثم انصرف ، فقيل له: يا أستاذ:تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا ؟ . فقال : ما ظننت أن الله -تعالى- خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة .(٤)

وقال ابن كامل : " قال لنا أبو بكر بن مجاهد - وقد ذكر فضل كتابه في القراءات - وقال :

---

(١) هو أبو الحسن ، محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ ، شيخ المقرئين بالعراق مع ابن مجاهد ، أكثر الترحال في الطلب ، كان إماماً صدوقاً أميناً كبير القدر ، كان يرى جواز القراءة إذا صح السند وإن خالف رسم المصحف الإمام ، وعزّر لذلك وبولغ في التعزير ، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، والمسألة مختلف فيها في الجملة، قال أبو شامة : كان الرفق بابن شنبوذ أولى وكان اعتقاله وإغلاظ القول له كافياً ، وليس كان بمصيب فيما ذهب إليه، لكن أخطاؤه في واقعة لا تسقط حقه من حرمة أهل القرآن والعلم ، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٢٦٤) ، ومعرفة القراء الكبار (١/٢٧٦) ، وغاية النهاية (٢/٥٢) .

(٢) هو محمد بن الحسن بن مقسم بن يعقوب ، المقرئ النحوي البغدادي ، ولد سنة خمس وستين ومائتين ، كان عالماً باللغة والشعر وسمع من ثعلب ، تكلموا فيه ، ووثّقه الخطيب ، له : الأنوار في علوم القرآن ، ومدخل إلى علم الشعر ، كان يرى القراءة بما وافق المصحف وإن خالف النقل ، وأوقف ورجع عن ذلك ، مات بعد الخمسين وثلاثمائة ، قيل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . انظر معرفة القراء الكبار (١/٣٠٦) ، وغاية النهاية (٢/١٢٣) .

(٣) انظر مقدمة شوقي ضيف على كتاب السبعة الصفحات (١٥-١٦و٢٦-٣٣) ، ومن مواضع مناقشة ابن مجاهد للقراء : آية (٧٦) من الكهف ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ في صفحة (٣٩٦) وغيرها .

(٤) انظر تاريخ بغداد (٢/١٦٤) .

إلا أنّي وجدتُ فيه غلطاً ، وذكره لي ، وعجبتُ من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده لها ، ثمّ قال : والعلّة في ذلك أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ؛ لأنه بنى كتابه على كتاب أبي عُبيد فأغفل أبو عُبيدٍ هذا الحرف فنقل أبو جعفر على ذلك."(١).

قال مكي-رحمه الله – (٢):" قد ترك أبو حاتم (٣) وغيره ، ذِكر حمزة(٤) ، والكسائي(٥) ، وابن عامر(٦) ، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة، وكذلك

---

(١) معجم الأدباء (٦٧/١٨) .

(٢) هو أبو محمد ، مكي بن أبي طالب واسم ابن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي ، ولد سنة خمس وخمسين ومائتين، نحوي مقرئ ، وله اختيار في القراءة ، أكثر من التأليف في علوم القرآن ومن مؤلفاته : تفسير الهداية ، ومشكل إعراب القرآن ، والتبصرة في القراءات السبع ، توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . انظر غاية النهاية (٣٠٩/٢) ، وبغية الوعاة (٢٩٨/٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٣١/٢) ، والديباج المذهب (٣٤٢/٢) .

(٣) هو أبو حاتم ، سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض ، عرض على يعقوب الحضرمي وسعيد بن أنس ، صاحب المصنفات ، توفي خمس وخمسين ومائتين . انظر معرفة القراء الكبار (٢١٩/١) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (٣٢٠/١) .

(٤) هو أبو عمارة ، حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي ، مولاهم المعروف بالزيات ؛ كان يحمل الزيت من الكوفة إلى حلوان ، ولد سنة ثمانين ، أدرك الصحابة بالسن ، ويحتمل أنه رأى بعضهم ، عالم بالقراءة والفرائض والحديث ، وهو أحد القراء السبعة ، قرأ عليه الكسائي ، من مصنفاته : كتاب قراءة حمزة ، وكتاب الفرائض ، توفي بحلوان ، سنة ست وخمسين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر معرفة القراء الكبار (١١١/١) ، وغاية النهاية (٢٦١/١)

(٥) هو أبو الحسن ، علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان ، الأسدي بالولاء الكوفي الكسائي ؛ لأنه -على الصحيح- أحرم في كساء ، إمام في النحو واللغة والقراءة ، وهو أحد القراء السبعة ، قال الشافعي : من أراد أن يتبحّر في النحو فهو عيال على الكسائي ، ومن مؤلفاته : معاني القرآن ، ومختصر في النحو ، ومقطوع القرآن وموصوله ، سكن بغداد ، وتوفي بالري سنة تسع وثمانين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر المعارف صفحة (٥٤٥) ، ومعرفة القراء الكبار (١٢٠/١) ، وغاية النهاية (٥٣٥/١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٩٩/١) .

(٦) هو أبو عمران ، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي ، ولد سنة ثمان ، من التابعين ، أحد القراء السبعة ، إمام أهل الشام في القراءة ، تولى قضاء دمشق وإمامة جامعها ، توفي يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة . انظر معرفة القراء الكبار (٨٢/١) ، وغاية النهاية (٤٢٣/١) ، ومقدمة محقق إتحاف فضلاء البشر (٢٣/١) .

زاد الطبري في كتاب القراءات عن هؤلاء السبعة ، نحو خمسة عشر رجلاً..."(١).

الواجب في الاختيار بين القراءات الصحيحة أن يكون على وجه لا يتعدّى إلى تضعيف القراءة الأخرى : فقد نقل **الزركشي -رحمه الله-** أقوال أهل العلم في ذلك ، ومنهم **أبو شامة -رحمه الله-** **حيث يقول** : " وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة : ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٤] و{مَلِكِ} ، حتى إن بعضهم يبالغ إلى حدٍّ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ، واتصاف الرب -تعالى- بهما . ثم قال : حتى إني أصلي بهذه في ركعة وبهذه في ركعة".(٢)

-التواتر في الخبر قد يحصل عند قوم دون قوم : وتأمل إنكار أبي عمرو(٣) قراءة الكسائي : **قال السخاوي(٤) -رحمه الله-**: " **قال محمد بن صالح(٥)** : سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو(٦): كيف تقرأ : ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾ [الفجر: ٢٥ - ٢٦] **قال**: ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ فقال له

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات صفحة (٦-٧) لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٤٩٠-٤٩١) .

(٣) هو أبو عمرو ، زبان بن العلاء بن عمار بن العريان المازني التميمي ، وقيل اسمه يحيى ، عالم بالقراءات والعربية ، وهو أحد القرء السبعة ، قرأ على مجاهد ، وابن جبير ، ولد بمكة سنة سبعين ، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة . انظر معرفة القرء الكبار (١/١٠٠) ، وغاية النهاية (١/٢٨٨) ، والنشر (١/١٣٤) .

(٤) هو جمال القراء ، علم الدين ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد السخاوي ، نسبة إلى بلدة سخا بمصر ، ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة ، شافعي مقرئ مفسر نحوي لغوي ، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق ، له شرح على الشاطبية ، وكتاب جمال القراء ، توفي بدمشق سنة ثلاث وأربعين وستمائة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٣/١٢٢) ، ومعرفة القراء الكبار (٢/٦٣١) ، وغاية النهاية (١/٥٦٨) ، وبغية الوعاة (٢/١٩٢) .

(٥) هو أبو إسحاق ، محمد بن صالح المري البصري الخياط ، روى عنه الداني . انظر غاية النهاية (٢/١٥٥-١٥٦) .

(٦) هو أبو عمرو ، عثمان بن سعيد بن عمر الأموي ، مولاهم القرطبي المالكي ، الداني ؛ لنزوله بدانية ، ولد ثلاثمائة وإحدى وسبعين ، له مصنفات حسنة ، منها : "جامع البيان "في القراءات السبع ، وإيجاز البيان ، والوقف والابتداء ، وطبقات القراء وأخبارهم ، توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة . انظر معرفة القراء الكبار (١/٤٠٦) ، وغاية النهاية (١/٥٠٣) .

الرجل : كيف وقد جاء عن النبي -ﷺ- : { لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ } (١)؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذي قال : سمعت النبي -ﷺ- ما أخذته عنه ، وتدري لم ذاك ؟ ؛ لأني أتّهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة ، **ثم قال السخاوي معلقاً** : "وقراءة الفتح : ثانية أيضاً بالتواتر(٢) ، وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو ؛ لأنها لم تبلغه على وجه التواتر". (٣)

- شروط القراءة الصحيحة عند ابن جرير -رحمه الله- ترجع إلى : الرواية المستفيضة وليس صحة الإسناد فقط ، وموافقة الرسم العثماني للمصحف ، وموافقة العربية (٤) ، وقد يرد القراءة لعدم صحة الإسناد (٥).

وكثيراً ما يعوّل ابن جرير -رحمه الله- في ردّ بعض القراءات على ما سبق : فهو يردّ بعضها لأجل مخالفته إجماع الحجة من القراء ، ومنهج ابن جرير في الإجماع : عدم الاعتداد بمخالفة الواحد والاثنين ، أو مخالفتها القراءة المستفيضة (٦).

ويردّ بعضها لمخالفة مرسوم المصاحف (٧)، أو عدم موافقة الفصيح من اللغة (٨)، وقد يجتمع في

---

(١) قرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال والثاء ، والباقون بكسر الذال والثاء . انظر المبسوط في القراءات العشر صفحة (٤٠٨) ، وحجة القراءات لابن زنجلة صفحة (٧٦٣) .

(٢) قرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال {يُعَذَّبُ} ، والثاء من {يُوثَقُ} ، والباقون بكسرهما . إتحاف فضلاء البشر (٦٠٩/٢) .

(٣) جمال القراء (٢٣٥/١) لعلم الدين السخاوي ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب .

(٤) انظر النحو وكتب التفسير (٦٢٥/١) للدكتور إبراهيم عبد الله رفيده .

(٥) البقرة (١٠٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٥١٨/١) .

(٦) انظر البقرة (٣٧) ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨١/١) ، والأنعام (١٣٧) ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٣/٥) ، ومريم (١٩) ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ⑲ ﴾ جامع البيان (٣٢١/٨) .

(٧) انظر قراءة عاصم في الأنبياء (٨٨) ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ جامع البيان (٧٩/٩) ، وانظر التوبة (١١٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١١٩) ﴾ جامع البيان (٥١٠/٦) .

(٨) انظر الأنعام (١٣٧) ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟
-

في بعض القراءات أكثر من سبب لتضعيفها (١).

وقد بحثت عن أقوى عبارة في ردّ القراءة عند ابن جرير –رحمه الله- وهي قوله : وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها أو لا أستجيز القراءة بخلافها ، عن طريق الحاسب بكلمة "أستجيز" فوجدتها في خمسة وخمسين موضعاً منها موضع في التأويل أنكر فيه على ابن زيد –رحمه الله- مخالفته أهل التأويل ، ولا يستجيز القول بهذا المعنى (٢) ، وأما بقية المواضع فهي متعلقة بالقراءات ، يذكر في أغلبها قراءات تعتبر شاذة إسناداً ، أو مخالفة للرسم ، أو ضعيفة في العربية ، منسوبة لبعض الصحابة كابن مسعود وابن عباس –رضي الله عنهم – ومجاهد والحسن وأبي عبد الرحمن السلمي –رحمهم الله- ونحوهم ، ويردّها مستدلاً بإجماع القراء على خلافها ، أو مخالفتها رسوم المصاحف ، وأحياناً يقول : بصحة تأويلها أمّا القراءة بها فلا تجوز ، أو أنها في العربية غلط ، أو أنها تخالف ما عليه قراء الأمصار ، ويقول معللاً في ردها : لإجماع القراء على خلافها،وما أجمعت عليه فلا يجوز خلافها فيه، ونحو ذلك.(٣)

عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٣/٥) ، والأعراف (١٥٠) ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾الآية جامع البيان(٧٠/٦)،ويونس (١٦) ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾الآية جامع البيان(٥٤١/٦)،وهود(٧٨) ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الآية جامع البيان (٨٤/٧) .

(١) انظر الفرقان (١٨) .

(٢) انظر طه (٦٣)﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾ جامع البيان (٤٣٠/٨) .

(٣) انظر يوسف (٣١) ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٧/٧) ، المواضع التي ردّ فيها ابن جرير –رحمه الله- القراءة بعبارة : "أستجيز " بقوله : وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها ، أو لا أستجيز القراءة بخلافها ونحو ذلك ، من خلال بحث الحاسب بكلمة "أستجيز" وجدتها في أربعة وخمسين موضعاً وهي في : البقرة (١٠٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٥١٨/١)، وآل عمران (١٣) ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٤/٣) ، و(١٩٥) ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٧/٣) ، والنساء (٢٥) ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الآية جامع البيان (١٩/٤) و(٢٩) ،

- مسألة الترجيح بين القراءات موجودة ومعروفة ؛ ويجب على قارئ كلام الإمام ابن جرير وغيره ممن يُذكر أنه يردّ القراءة الصحيحة ، أن يحمل الكلام على أحسن معانيه التي يحتملها ، فأحياناً يقول : والصواب من القراءة عندي ، أو والأولى في ذلك بالصواب وقد يذكر ما يضعف به القراءة الأخرى ومقصوده تضعيفها عنده من ناحية المعنى .

- هناك مواضع كثيرة في تفسير جامع البيان ، لم يكن فيها ترجيح بين القراءات ، بل تصحيح لجميعهن ، وكان يعلل ذلك بصحتها عنده ، وسيرد إشارة لبعض تلك المواضع .

وبعد هذه النقاط المهمة سيجد القارئ الكريم : أن العَتب على الإمام الطبري -رحمه الله- في تضعيف بعض القراءات بعد هذه المقدمة يسير ؛ لهذه الأسباب السابقة في هذه النقاط – ولله الحمد -.

هذا وقد كانت المواضع المستخرجة من جامع البيان ، تنقسم في محتواها إلى تضعيف للقراءة أو تصحيح لها ، فأفردت لكل منهما مبحثاً ، ولا يمكن الفصل بين مواضع المبحثين؛ لأن التصحيح للشيء تضعيف لغيره ، والعكس صحيح ، ولكن سأختار من كلام الإمام -رحمه الله- ما يكون واضحاً في محلّه – إن شاء الله - .

وسيأتي مواضع في التصحيح والتضعيف للقراءات ، وكلها ثابتة صحيحة ، وسأذكر أوجه ترجيح القراءة الأخرى التي ضعفها الإمام -رحمه الله- قصداً لإظهار إعجاز القرآن وأنه من عند الله -عزّ وجلّ- .

و(١١٧) ، والأنعام (٩٩) ، و(١٣٧)، و(١٣٨) ، و(١٥٤) ، والأعراف (٢٠) ، و(١٥٠) ، والتوبة (١٢) ، و(٦٣) ، و(١٠٠) ، و(١١٩)، ويونس (١٦)، وهود (٧٨)، و(١٠٢)، ويوسف (٣١)، و(٣٣)، و(٤٩)، و(٧٢)، و(١١٠)، والحجر (١٥)، والنحل (٨١)، والإسراء (١٠١)، وطه (١٥)، و(٣٩)، و(٦٩)، والأنبياء (٣٧)، و(٨١)، و(٨٨)، والحج (١٨) ، و(٢٥)، والنور (١٥)، والنمل (٨٢)، والأحزاب (١٣)، و(٥٠)، وسبأ(١٠)، والصافات (٦)، والزمر (٥٩)، وغافر (٣٧)، والزخرف (٢٣)، و(٥٢)، والأحقاف (٤)، والحجرات (١)، والحشر (٧)، والقيامة (١)و(١٠)، والإنسان (١٦)، والهمزة (٢).

المبحث الأول : أثر دلالة السياق في تصحيح القراءة :

بعد استقراء المواضع وتصنيفها ، تبين أن أسباب ترجيح قراءة على أخرى ، مما له تعلق بالسياق القرآني ، يمكن حصرها في عشرة مطالب ، وسأعرض لها مع الأمثلة الموضحة لها : وهي :

المطلب الأول : طلب اتساق الكلام .

المطلب الثاني : مراعاة رؤوس الآي .

المطلب الثالث : مماثلة آية لها في المعنى من السورة نفسها .

المطلب الرابع : السباق واللحاق لموضع القراءة المرجحة .

المطلب الخامس : ترجيح قراءة لقربها من شيء فتتبع به .

المطلب السادس : ترجيح قراءة على أخرى ؛ لأن العطف يعني التغاير والتقابل .

المطلب السابع : العطف المرجح للجنس الواحد .

المطلب الثامن : طريقة السورة وأسلوبها .

المطلب التاسع : تصاريف الكلمة تدل على مصدرها في الآية .

المطلب العاشر : دلالة السياق على الإعراب ترجح قراءة .

المطلب الأول : طلب اتساق الكلام :

والترجيح لهذا السبب ، جاء في أربعة مواضع : منها قوله -تعالى- : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧] **قال -رحمه الله-** : " واختلفت القراء في قراءة ذلك : فقرأه بعضهم : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ بالتاء ، وهي قراءة عُظْم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه المخاطب (١) ، بمعنى : قال لهم : لتبيننه للناس ولا تكتمونه،وقرأ ذلك آخرون : { لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ } بالياء جميعاً على وجه الخبر عن الغائب (٢) ؛ لأنهم في وقت إخبار الله نبيه -ﷺ- بذلك عنهم كانوا غير موجودين ، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب.

والقول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان صحيحة وجوههما ، مستفيضتان في قراءة الإسلام ، غير مختلفتي المعاني ، فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك، غير أن الأمر في ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إليّ أن أقرأ بها : { لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ } بالياء جميعاً ، استدلالاً بقوله : ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أنه إذا كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب ، على سبيل قوله : ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ حتى يكون متّسقاً كله على معنى واحد ومثال واحد ، ولو كان الأول بمعنى الخطاب لكان أن يقال : فنبذتموه وراء ظهوركم ، أولى من أن يقال : فنبذوه وراء ظهورهم ." (٣)

---

(١) قرأ بها : نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب برواية رويس وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٥٠) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٩٧/١) .

(٢) قرأ بها : ابن كثير وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر ويعقوب برواية روح وزيد . انظر المبسوط صفحة (١٥٠)، وإتحاف فضلاء البشر (٤٩٧/١) .

(٣) جامع البيان (٥٤٥/٣) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (١٠٦) ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ الآية جامع البيان (٥٢٣/١-٥٢٥) ، والنساء (٢٥) ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية جامع البيان (٢٤/٤) ، والأنفال (١١) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم
-

فتلاحظ هنا الترجيح غير مضعف للقراءة الأخرى ، وليس ردّاً لها ، وإنما اختيار الأولى منهما ، طلباً لاتساق الكلام ، وسيره على نسق واحد في الآية .

وللقراءة الأخرى بالتاء توجيهها : **كما قال الإمام مكي بن أبي طالب –رحمه الله–** : فقد حملت على الخطاب كما قال الله –تعالى– : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾[آل عمران: ٨١]. فرجع إلى الخطاب ولو حُمِل على ما قبله لقال : آتيتهم ، وفي القراءة بالتاء : معنى توكيد الأمر ؛ لأن التاء للمواجهة ، فتقديره : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب فقال لهم : لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، وهو الاختيار ؛ لما فيه من معنى التوكيد ؛ ولأن أكثر القراء عليه ، والقراءة بالياء حسنة قوية مختارة أيضاً ، لكن نفسي تميل إلى الجماعة، لاسيّما إذا كان فيهم أهل المدينة ." (١)

-

بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٢٤ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ﴾ جامع البيان (١٩٣/٦) .

(١) انظر كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٧١/١) ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق محيي الدين رمضان ١٣٩٤هـ .

المطلب الثاني : مراعاة رؤوس الآي :

والترجيح بين القراءات بهذا السبب ورد في الجزأين الأخيرين من القرآن فقط ، عند ابن جرير الطبري –رحمه الله– ومن أمثلته قوله –تعالى– : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ④﴾ [الإنسان: ٤] وقوله –تعالى– : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ⑮ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ⑯﴾ [الإنسان: ١٥ – ١٦] **قال –رحمه الله–** : " واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿قَوَارِيرَا﴾ ، و ﴿سَلَاسِلَا﴾ ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة غير حمزة : {سَلَاسِلًا} و {قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا } بإثبات الألف والتنوين ، وكذلك هي في مصاحفهم(١) ، وكان حمزة يُسْقط الألِفات من ذلك كله ، ولا يجري شيئاً منه (٢) ، وكان أبو عمرو يُثبت الألف في الأولى من ﴿قَوَارِيرَا﴾ ، ولا يثبتها في الثانية (٣) ، وكلّ ذلك عندنا صواب ، غير أن الذي ذَكَرت عن أبي عمرو أعجبهما إليّ ، وذلك أن الأوّل من القوارير رأس آية ، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رؤوس آيات السورة أعجب إليّ ، إذ كان ذلك بإثبات الألفات في أكثرها ." (٤)

وفي هذا المثال ذكر أن القراءات كلها صواب ، ولكن الأعجب والأحسن عنده ما يناسب رؤوس الآي ، وهذا اختيار لا حرج عليه فيه ؛ لقوله بصحتهما .

---

(١) وهم : أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم والكسائي بالتنوين ، وإذا وقفوا وقفوا عليها بالألف ، وقرأ ابن كثير وخلف ﴿سَلَاسِلَا﴾ الثانية ، و﴿قَوَارِيرَا﴾ الثانية ، بغير تنوين فيهما والوقف عليها بغير ألف . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) وانظر كتاب السبعة صفحة (٦٦٣) .

(٢) يجري أي : ينوّن ، وقرأ مثله يعقوب . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) ، ورجحه ابن جرير بسياق الآيات .

(٣) وقرأ بها أبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) .

(٤) جامع البيان (٣٦٦/١٢) . وانظر بقية المواضع في : النازعات (١١) ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ جامع البيان (٤٢٨/١٢)، والفجر (٤) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ جامع البيان (٥٦٤/١٢) ، والشمس (٢) ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ و(٦) ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ و(١١) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ جامع البيان (٦٠٥/١٢) ، ونحوها مما أصله واو هل يمال؟ جامع البيان (٦٠٧/١٢–٦٠٨) .

المطلب الثالث: مماثلة آية لها في المعنى من السورة نفسها:

كما في قوله -تعالى- : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧ ﴾ [آل عمران: ٣٧]... ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ﴾ قال أبو جعفر :"...اختلفت القرَأة في قراءة قوله : ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ ، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة : { وَكَفَلَهَا } مخففة الفاء (١)، بمعنى : ضمها زكريّا إليه ، اعتباراً بقول الله -عزّ وجلّ- : ﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] ، وقرأ ذلك عامة قرَأة الكوفيين : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ﴾ بمعنى : وكفّلها الله زكريا (٢) .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي : قراءة من قرأ : ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ مشددة الفاء ، بمعنى : وكفّلها الله زكريا ، بمعنى : وضمها الله إليه ؛ لأن زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ضمها إليه ، بالقرعة التي أخرجها الله له ، والآية التي أظهرها لخصومه فيها، فجعله بها أولى منهم ، إذ قرع فيها من شاحّه فيها . وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه في مريم إذ تنازعوا فيها : أيهم تكون عنده ؟ ، تساهموا بقداحهم ، فرموا بها في نهر الأردن، فقال بعض أهل العلم : ارتَزَّ قَدَحُ زكريا ، فقام و لم يجر به الماء ، وجرى بقداح الآخرين الماء ، فجعل الله ذلك لزكريا عليها ، أنه أحقّ المتنازعين فيها . وقال آخرون : بل اصّاعد قدح زكريا في النهر ، وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت ، فكان ذلك له علماً من الله في أنه أولى القوم بها .

قال أبو جعفر : وأيّ الأمرين كان من ذلك ، فلا شكّ أن ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بأنه أولاهم بها ، وإذْ كان ذلك كذلك ، فإنما ضمّها زكريا إلى نفسه بضم الله إياها إليه، بقضائه له بها على خصومه عند تشاحّهم فيها ، واختصامهم في أولاهم بها . وإذْ كان ذلك كذلك

---

(١) وقرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن وأبو عمرو ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٤٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٧٥/١) .

(٢) قرأ بها : حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٤٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٧٥/١) .

كان بيّناً أنّ أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد : ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ . وأما ما اعتلّ به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله : ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ ، وأن ذلك موجب صحة اختيارهم التخفيف في قوله: { وَكَفَلَهَا } فحجة دالة على ضعف احتيال المحتجّ بها ، وذلك أنه غير ممتنع ذو عقل من أن يقول قائل: كفّل فلانٌ فلاناً فكفَله فلانٌ ، فكذلك القول في ذلك : ألقى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم ، بتكفيل الله إياه ، بقضائه الذي يقضي بينهم فيها عند إلقائهم الأقلام ." (١)

فرجح –رحمه الله– قراءة التشديد ؛ لأن الله –عزّ وجلّ– جعل كفالة زكريا لمريم بعد إلقائه قلمه استهاماً مع غيره ، فقبل الله منه ، و لم يكن إرادة منه مجردة فقط ، بل الله – سبحانه وتعالى – كفّلها إياها .

وقد مال مكي –رحمه الله– إلى : اختيار التخفيف ؛ لأن التشديد يرجع إلى التخفيف ؛ لأن الله إذا كفّلها زكريا كفَلها زكريا بأمر الله له ؛ ولأن زكريا إذا كفَلها فعن مشيئة الله وقدرته وإرادته ، فعلى ذلك فالقراءتان متداخلتان ، يقرب بعضهما من بعض .(٢)

ومن مثل هذه المعاني المتنوعة في القراءات : يظهر نوعٌ من الإعجاز ، حيث أفادت الكلمة الواحدة بحسب القراءة معنيين مختلفين .(٣)

---

(١) جامع البيان (٣/٢٤٠-٢٤١) ، وتحقيق شاكر (٦/٣٤٥) . أما بقية المواضع فهي استشهاد بغير ما في السورة وهي في : النساء (١٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ⑩﴾ جامع البيان (٣/٦١٦) ، والنساء (٤٢) ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ㊷﴾ جامع البيان (٤/٩٦) ، والأنعام (١٠٥) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105)﴾ جامع البيان (٥/٣٠٠) ، والنازعات (١٨) ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ⑱﴾ جامع البيان (١٢/٤٣٢) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٣٤٢) .

(٣) انظر حاشية إتحاف فضلاء البشر (١/٤٧٥) .

المطلب الرابع : السباق واللحاق لموضع القراءة المرجحة :

وهو أساس الباب، وعمدة الحديث فيه ، وبيت القصيد منه : وقد يجتمع الاستدلال بالسباق واللحاق في موضع وقد ينفرد أحدهما ، فهنا : ثلاثة أنواع ، وسيكون الحديث عن كل نوع على حدة:

- ١ – دلالة السباق واللحاق على ترجيح قراءة .
- ٢ – دلالة السباق وحده على ترجيح قراءة .
- ٣ – دلالة اللحاق على ترجيح قراءة .

– ١ – دلالة السباق واللحاق على ترجيح قراءة :

كما في قوله –تعالى– : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] **قال –رحمه الله–** : "...ثم اختلفت القرأة في قراءة قوله : ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ﴾ : فقرأه بعضهم : { قَالَ اَعْلَمْ } على معنى الأمر ، بوصل الألف من { اعْلَمْ } ، وجزم الميم منها ، وهي قراءة عامة قرَأة أهل الكوفة [1] ، ويذكرون أنها في قراءة عبد الله[2]: «قيل اعْلَمْ» على وجه الأمر من الله الذي أحيي بعد مماته ، فأُمِر بالنظر إلى ما يحييه الله بعد مماته، وكذلك رُوِي عن ابن عباس...

قال أبو جعفر : فعلى هذا القول تأويل ذلك : فلما تبين له ما تبيّن من أمر الله وقدرته ، قال الله له : اعلم الآن أن الله على كل شيء قدير . ولو صرف متأول قوله : «قال اعلم» وقد قرأه على

---

[1] قرأ بها : حمزة والكسائي . انظر المبسوط صفحة (١٣٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٤٩/١-٤٥٠) .

[2] هو : عبد الله بن عباس . انظر الكشف لمكي (٣١٢/١) .

وجه الأمر إلى أنه من قبل المخبر عنه ، بما اقتصّ في هذه الآية من قصته كان وجهاً صحيحاً ، وكان ذلك كما يقول القائل : اعلم أن قد كان كذا وكذا ، على وجه الأمر منه لغيره وهو يعني به نفسه. وقرأ ذلك آخرون : ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به ، بهمز ألف ﴿أَعْلَمُ﴾ وقطعها ورفع الميم . بمعنى : فلما تبين له ما تبيّن من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه ، قال المتبيِّن ذلك: أعلم الآن أنا أن الله على كل شيء قدير ، وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قرأة أهل العراق[1]...

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأ : { اعْلَمْ } بوصل الألف وجزم الميم ، على وجه الأمر من الله –تعالى ذكره–للذي قد أحياه بعد مماته، بالأمر بأن يعلم أن الله – الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه ، من إحيائه إياه ، وحماره ، بعد موت مائة عام وبلائه ، حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما ، وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام ، حتى ردّه عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير –على كل شيء قادر كذلك . وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره ؛ لأن ما قبله من الكلام أمر من الله –تعالى ذكره–قولاً للذي أحياه الله بعد مماته وخطاباً له به ، وذلك قوله : ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] فلما تبيّن له ذلك جواباً عن مسألته ربه : ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال الله له : اعلم أن الله الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت ، على غير ذلك من الأشياء قدير ، كقدرته على ما رأيت وأمثاله ، كما قال –تعالى ذكره–لخليله إبراهيم -﵇- ، بعد أن أجابه عن مسألته إياه في قوله : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] : ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] فأمر إبراهيم بأن يعلم بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى أنه عزيز حكيم ، فكذلك أمر الذي سأل فقال : ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد أن أراه كيفية

---

[1] قرأ بها الباقون وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٤٩/١-٤٥٠) .

إحيائه إياها ، أن يعلم أن الله على كل شيء قديـــر ." (١)

والسياق الذي استدل به الإمام -رحمه الله- على التفصيل : سباق ، ولحاق : فالسباق : هو ما حصل للرجل من استبعاد إحياء البلدة بعد موتها ، وما جعل الله منه من العبرة ، وقد ســـأل : ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ . فكان الأولى أن يكون : {أعلم} رداً منه على سؤاله ، وجواباً لله بعـــد استبعاده قدرة الله ، واللحاق : ما حصل في قصة إبراهيم التالية لها : حيث أمر الله -تعالى- إبـــراهيم الخليل -ﷺ- فقال له : ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ولكن للقراءة بقطع الهمزة توجيه ، بل قد رجحها بعض العلماء ، ومنهم **مكي -رحمه الله- فقد قال** : " والقراءة بالقطع هي الاختيار ؛ لأنه على ظاهر الكلام ، لما تبين له ما كان على شك فيه ، أخبر عن نفسه بالعلم اليقين ." (٢)

وقال ابن زنجلة (٣) في حجّة من قرأ بالقطع : " وهذا الرجل عاين وشاهد ما كان يســـتفهم عنه، فلا وجه للأمر ." (٤)

وفي قوله -تعالى- : ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرعد: ٤٢] **قال أبو جعفر** : " واختلفت القرأة في قراءة ذلك : فقرأته قـــرأة المدينـــة وبعض البصرة :{ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ } على التوحيد (٥) ، وأما قرأة الكوفة فإنهم قرأوه : ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ على الجمع (٦).

---

(١) جامع البيان (٤٧/٣-٤٨) ، وتحقيق شاكر (٤٨١/٥) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣١٢/١-٣١٣) .

(٣) هو أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ ، قاضٍ مالكي ، عاصر أحمد بن فارس ، وروى عنه ، من علماء القرن الرابع ، له حجة القراءات ، وشرف القراء في الوقف والابتداء ، وكتاب في التفسير ، كان حيّاً سنة ثـــلاث وأربعمائـــة . انظر الديباج المذهب ترجمة أحمد بن فارس صفحة (١٦٣) ، ومقدمة محقق كتاب حجة القراءات سعيد الأفغاني .

(٤) انظر حجة القراءات صفحة (١٤٥) ، لأبي زرعة ابن زنجلة .

(٥) قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو . انظر المبسوط صفحة (٢١٦) .

(٦) قرأ بها : ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف . انظر إتحاف فضلاء البشر (١٦٣/٢) .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك : القراءة على الجميع : ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ ؛ لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم ، وأتبع بعده الخبر عنهم ، وذلك قوله : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الرعد: ٤٠] وبعده قوله : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[الرعد: ٤٣] . وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود : «وَسَيَعْلَمَ الكافِرُون» ، وفي قراءة أبيّ : «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا»[١]،وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك ."[٢]

فاحتج الإمام الطبري –رحمه الله– في تصحيح القراءة : بما سبقها من الخبر عن جمع من الكفار في قوله : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠] ، وبما لحقها أيضاً من القول المنسوب إلى جمع من الكافرين : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ ، فالأولى بما بين هذين الجملتين أن يكون عن جمع أيضاً ، واستأنس بقراءات بعض الصحابة ، وإن كانت شاذة على ما اختاره .[٣]

قال أبو منصور الأزهري[٤] –رحمه الله– في توجيه القراءة الأخرى : "من قرأ ﴿الْكَافِرُ﴾

---

[١] انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٢/٢) .

[٢] جامع البيان (٤٠٩/٧) ، وتحقيق شاكر (٤٩٩/١٦) .

[٣] القراءة الشاذة هي ما وراء العشر على الصحيح وهي أنواع : الأول منها : المشهور : وهو ما صح سنده ولم يتواتر ، ووافق الرسم والعربية ، ومثاله : "لقد جاءكم رسول من أنفَسِكم " التوبة (١٢٨) انظر إتحاف فضلاء البشر (١٠١/٢) والثاني : قراءة الآحاد وهي قسمان : القسم الأول : ما لم يصح سندها ووافقت الرسم والعربية ، والقسم الثاني : ما خالفت الرسم صح السند أم لم يصح ، والثالث : القراءة المدرجة وهي ما كانت على وجه التفسير ، مثل : قراءة سعد " وله أخ أو أخت من أم " النساء (١٢) والصحيح : أنها ضرب من التفسير لا القراءة . أما الاحتجاج بها فقد اتفق على الاحتجاج بها في الدراسات اللغوية ، ويستعان بها متى صح سندها في تفسير المتواتر ، وفي الأحكام الفقهية : كإيجاب التتابع في صيام كفارة اليمين بزيادة : "متتابعات" في قوله : ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾[المائدة: ٨٩] فذهب أبو حنيفة وأحمد والشافعي إلى الاحتجاج بها ؛ لأنها إما قرآن أو خبر وكلاهما موجب للعمل ، وعن أحمد ومالك والشافعي رواية أنها ليست بحجة واختارها الآمدي وابن الحاجب ؛ لاحتمال أنه مذهب ثم نقله قرآنا . (انظر شرح الكوكب المنير (١٣٨/٢-١٤٠) وهو الصحيح فمن المحتمل أنها كانت أول الأمر ، ثم نسخ الحكم مع التلاوة ، وليست كخبر الواحد فخبر الواحد يعمل به إذا لم ينسخ بأثر إو إجماع ، ولم يوجد ما يعارضه . انظر الاختلاف بين القراءات ، لأحمد البيلي صفحة (١١٢-١١٤) .

[٤] هو محمد بن أحمد بن الأزهر ، الهروي الشافعي ، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، أحد أئمة اللغة والأدب ، له : تهذيب -

وهو أكثر من ﴿ٱلْكُفَّٰرُ﴾ [-أي : من قرأ بالإفراد أكثر ممن قرأ بالجمع-] أراد به الجنس ، ومنه : كثر الدينار والدرهم ، يراد به الكثرة ."(١) ونقل : عن أبي عمرو القارئ : أنه عني به أبو جهل(٢) ، وحجتهم : ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠] ، وسبب الخلاف في هذا الحرف ؛ لأن خط المصحف الإمام بغير ألف ، وإنما هو {الكفر} ." (٣)

- ٢ - دلالة السباق وحده على ترجيح قراءة :

في قوله -تعالى- : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩﴾ [النمل: ٨٩] **قال -رحمه الله-**: "... واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة : { وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ آَمِنُونَ } بإضافة فزع إلى اليوم (٤) ، وقرأ ذلك جماعة قرّاء أهل الكوفة : ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بتنوين فزع(٥) .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَة الأمصار متقاربتا المعنى ،

-

اللغة جمع فيه شتات اللغة ، ومعاني القراءات ، وله تصنيف في غريب الألفاظ التي يستعملها الفقهاء ، وله كتاب في التفسير ، وهو من أهل السنة ، ترك الرواية عن ابن دريد تورّعاً ، أُسر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وقت القرامطة ، فعاش في البادية ، فكان يتشتّى بالدّهناء ، ويتربع بالصّمّان ، واستفاد من لغتهم ، توفي سنة سبعين وثلاثمائة وقيل إحدى وسبعين،وله ثمان وثمانون سنة.انظر سير أعلام النبلاء (٣١٥/١٦)،وبغية الوعاة (١٩/١)، ووفيات الأعيان (٣٣٤/٤) .

(١) معاني القراءات (٥٩/٢) ، تحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش ، والدكتور عوض بن حمد القوزي .

(٢) هو أبو جهل كما كناه النبي -ﷺ- ، وكانت كنيته أبا الحكم ، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، من دهاة العرب ، سوّدته قريش وهو شاب ، فأدخلته دار الندوة مع الكهول ، كان من أشد أعداء الرسالة المحمدية ، قتل يوم بدر كافراً ، في السنة الثانية من الهجرة ، قتله عمرو بن الجموح وابنا عفراء الأنصاريان ، وكانا حدثين ، قال فيه النبي -ﷺ- يوم رآه : " هذا فرعون هذه الأمة " رواه أحمد . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٣٣٩/١) ، و(٢٠٦/٢) ، والأعلام (٢٦١/٥) .

(٣) انظر الحجة في القراءات لابن خالويه صفحة (٢٠٢) ، وحجة القراءات لأبي زرعة ابن زنجلة صفحة (٣٧٥) .

(٤) لم ينون ﴿فَزَعٍ﴾ : أبو جعفر ونافع برواية ورش وقالون وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وإسماعيل ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (٢٨٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٣٦/٢-٣٣٧) .

(٥) قرأ بها : عاصم وحمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (٢٨٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٣٦/٢-٣٣٧) .

فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الإضافة أعجب إليّ ؛ لأنه فزع معلوم ، وإذا كان ذلك كذلك كان معرفة ، على أن ذلك في سياق قوله : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[النمل: ٨٧] فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه عُني بقوله : ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ من الفزع الذي قد جرى ذكره قبله . وإذا كان ذلك كذلك ، كان لا شكّ أنه معرفة ، وأن الإضافة إذا كان معرفة به أولى من ترك الإضافة ، وأخرى : أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانةٍ من كلّ أهوال ذلك اليوم منه إذا لم يضف ذلك ، وذلك أنه إذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أهواله ." (١)

وهنا صحح أبو جعفر –رحمه الله–القراءتين ، ولكنه فضل عدم تنوين : ﴿فَزَعٍ﴾ ؛ لسببين : الأول : أن الفزع معلوم ، وقد ذكر قبل هذه الآية عند ذكر اليوم الآخر ، في قوله –تعالى– : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[النمل: ٨٧] وهذه الآية في سياقها ، والثاني : أن عدم التنوين أعم في المعنى .

وتوجيه قراءة عدم التنوين : أنها أخف والأكثر من القراء عليها وقد اختارها مكي لذلك .(٢)

---

(١) جامع البيان (١٠/٢٣-٢٤) .

(٢) انظر الكشف (٢/١٧٠) .وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٣٣) ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٠٨) ، وآل عمران (٧٩) ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٢٦) ، و(٨٣) ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ جامع البيان (٣/٣٣٤) ، و(١١٥) ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝١١٥﴾ جامع البيان(٣/٤٠٢) ،و(١٤٦)﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٤٦٠-٤٦١) ، والنساء (١١) ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٢٣) ، و(١٣٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الآية جامع البيان (٤/٣٢٩) ، والأنعام (٥٥) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ جامع البيان (٥/٢٠٨) ، و(٩٩) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٨٩-٢٩٠) ، و(١١٩) ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾الآية جامع البيان (٥/٣٢٣) ، والأعراف

-

٣- دلالة اللحاق على ترجيح قراءة :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾ [البقرة: ٢٢٩]... **قال أبو جعفر** : " واختلفت القرأة في قراءة ذلك: فقرأه بعضهم : ﴿ إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ وذلك قراءة عُظْم أهل الحجاز والبصرة ، بمعنى : إلا أن يخاف الرجل والمرأة أن لا يقيما حدود الله (١) ، وقرأه آخرون من أهل المدينة والكوفة : { إِلَّا أَنْ يُخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ } (٢) . على أن يكون مراداً به إذا قرئ كذلك : إلا أن يُخافا بأن لا يقيما حدود الله ، أو : على أن لا يقيما حدود الله ،...وذلك هو الصواب عندنا من القراءة ؛ لدلالة ما بعده على صحته، وهو قوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ ، فكان بيناً أن الأول بمعنى : إلا أن تخافوا أن لا يقيما

-

(١٤٩) ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) ﴾ جامع البيان (٦٤/٦)، والتوبة (١٠٣) ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾ جامع البيان (٤٦٥/٦) ، والرعد(٤) ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٨/٧) ، والنحل (١) ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) ﴾ جامع البيان (٥٥٧/٧) ، و(٤٨) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) ﴾ جامع البيان (٥٩٢/٧) ، والإسراء(١٣) ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) ﴾ جامع البيان (٤٨/٨-٤٩) ، وطه (١١٩) ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) ﴾ جامع البيان (٤٦٧/٨) ، والحج(٦٢) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) ﴾ جامع البيان (١٨٣/٩) ، ويس (٦٨) ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨) ﴾ جامع البيان (٤٦٠/١٠-٤٦١) ، والشورى (٢٥) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) ﴾ جامع البيان (١٤٧/١١) ، والجاثية (٦) ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩) ﴾ جامع البيان (٢٥٣/١١-٢٥٤) .

(١) قرأ بها : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣٠) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٣٩/١) .

(٢) قرأ بها الباقون وهم : حمزة وأبو جعفر ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٣٠) .

حدود الله." (١).

فهنا ترى سبب الترجيح بين القراءتين ؛ لدلالة ما بعدها على صحتها ، حيث جاء ذكر الخوف على صيغة الجمع ، مما يرجح أن الخوف – الواقع المستثنى – بالضم الدال على الجمع ، لا بالفتح الدال على الزوجين .

والتحقيق : أن كلا القراءتين لهما دلالة : فالسياق إذا اعتبر باللحاق ، فإن القراءة الأخرى لها ارتباط بالسباق ، حيث أسند الضمير إلى الزوجين المفهومين من السباق .(٢)

وقال أبو منصور الأزهري –رحمه الله– : " الاختيار بفتح الياء ، وهو قراءة أكثر القراء " (٣)، **وعلّل مكيّ –رحمه الله–** قراءة الياء بأنها على الظاهر من الخطاب ؛ والقراءتان حسنتان ؛ فهي من باب الخروج من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة، كقوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [يونس: ٢٢] ثم قال : ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢] ، وكقوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] ثم قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] ، واختار فتح الياء ؛ لأن عليه الجماعة (٤) .

---

(١) جامع البيان (٤٧٤/٢) ، وتحقيق شاكر (٥٥٠/٤) .

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٩/١) .

(٣) معاني القراءات (٢٠٤/١) .

(٤) انظر الكشف في وجوه القراءات السبع (٢٩٥/١) . وانظر بقية المواضع في : آل عمران (١٢) ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢﴾ جامع البيان (١٩١/٣) ، و(١٦١) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٠/٣-٥٠١) ، والمائدة (١١٢) ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية جامع البيان (١٣٠/٥-١٣١) ، والأنعام (١٦) ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ جامع البيان (١٦٠/٥) ، و(٢٣) ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ جامع البيان (١٦٦/٥) ، و(٥٧) { ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٩/٥) ،و(٩٨) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾ جامع البيان (٢٨٦/٥) ، و(١٤٥) ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٠/٥-٣٨١) ، والإسراء (٧٢) ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ﴾ =

المطلب الخامس : ترجيح قراءة لقربها من شيء فتتبع به :

كما في قوله -تعالى- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة: ٦] **قال -رحمه الله-** : بعد أن صحح القراءة بنصب اللام وخفضها بل وحسنهما : "فأعجب القراءتين إليّ أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضاً (١) ؛ لما وصفت من جمع المسح المعنيين اللذين وصفت ؛ ولأنه بعد قوله : ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ فالعطف به على الرؤوس مع قربه منه ، أولى من العطف به على الأيدي ، وقد حيل بينه وبينها بقوله : ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ " . (٢)

فلما توالت معطوفات ألحق إعراب الكلمة بما قرب منها ؛ لأنه أولى مما بعد عنها.

وتوجيه القراءة بالنصب : أن تجعل جملة : ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ معترضة وهذا من أساليب اللغة العربية ، وقد استعمل في القرآن وورد في آيات (٣) ، وقوله : ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ دالٌّ على الغسل لا

سَبِيلًا ٧٣﴾ جامع البيان (١١٨/٨) ، والكهف(٤٤) ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ٤٤﴾ جامع البيان (٢٢٨/٨) ، و(٨٥) ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ جامع البيان (٢٧٢/٨) ، و(٩٤) ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ الآية جامع البيان (٢٨٤/٨) ، والفرقان (٨) ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ الآية جامع البيان (٣٦٧/٩) ، والصافات (٥٢) ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ٥٢﴾ جامع البيان (٤٩٠/١٠-٤٩١) .

(١) قرأ بها أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير وعاصم -في رواية أبي بكر - وحمزة وخلف ، وبالنصب قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي ويعقوب .انظر المبسوط صفحة(١٦١)،وإتحاف فضلاء البشر (٥٣٠/١-٥٣١) .

(٢) جامع البيان (٤٧١/٤) ، وتحقيق شاكر (٦٤/١٠) .

(٣) منها : قوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٥] واعترض بقوله : ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥] ثم قال : ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] الآية ، فعطف المحصنات على الطيبات وبينهما جملة معترضة . انظر إتحاف فضلاء البشر (٥٣٠/١) مع الحاشية .

المسح .(١)

قال الأزهري –رحمه الله– : في قراءة النصب "وهي أجود القراءتين ؛ لموافقتها الأخبار الصحيحة عن النبي – عليه السلام – في غسل الرجلين ". (٢) .

وجمع السيوطي –رحمه الله– بين القراءتين بحمل قراءة الكسر على المسح على الخفين ، والنصب على الغسل ، وقال : " لأن تعددّ القراءات بمنزلة تعدد الآيات ." (٣)

---

(١) انظر أثر القراءات في الفقه الإسلامي صفحة (٢٥١-٢١٣) ، للدكتور صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي .

(٢) معاني القراءات (٣٢٦/١) .

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل صفحة (١٠٩) ، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٨٥) ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٦/١) ، وهود (٢٨) ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٩/٧) ، و(٤١) ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١)﴾ جامع البيان (٤٤/٧) ، والحج (٣٩) ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾ جامع البيان (١٦٠/٩) ، والنبأ (٣٧) ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧)﴾ جامع البيان (٤١٤/١٢) .

المطلب السادس : ترجيح قراءة على أخرى ؛ لأن العطف يعني التغاير والتقابل :

كما في قوله –تعالى– : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [الفتح: ١١] **قال –رحمه الله–**:"...واختلف القرّاء في قراءة قوله : ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ فقرأته قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿ ضَرًّا ﴾ بفتح الضاد ، بمعنى : الضرّ الذي هو خلاف النفع.(١) وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين :{ ضُرًّا } بضم الضاد ، بمعنى البؤس والسّقم .(٢)

وأعجب القراءتين إليّ : الفتح في الضاد ، في هذا الموضع ؛ لقوله : ﴿ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾ ، فمعلوم أن خلاف النفع الضرّ ، وإن كانت الأخرى صحيحاً معناها ." (٣)

ففي هذا الموضع صحّح معنى القراءتين ، ولكنه اختار منهما : ما قابل الكلمة الأخرى وضادها، وهي القراءة بفتح الضاد من قوله : ﴿ ضَرًّا ﴾ ، فالنفع يقابله ويضادّه : الضر ، أما البؤس والسقم فلا يقابل النفع .

وتوجيه قراءة الضم : على أن معنى : الضر سوء الحال ، كما قال –تعالى– : ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾[الأنبياء: ٨٤] أي : من سوء حال ، فالمعنى في الآية : إن أراد بكم سوء حال ، أو حسن حال ، وقد قيل بأنهما لغتان ، كالضَّعف والضُّعف ، والفَقر والفُقر .(٤)

---

(١) قرأ بها الباقون ، وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (٣٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (٢/٤٨٢) .

(٢) قرأ بها : حمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (٣٤٦) .

(٣) جامع البيان (١١/٣٤٠) .

(٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٨١) .

المطلب السابع : العطف المرجح للجنس الواحد :

كما في قوله -تعالى- : ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢﴾ [الرحمن: ١٢] قال -رحمه الله- : "...واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين وبعض الكوفيين : بالرفع عطفاً به على الحبّ ، بمعنى : وفيها الحبّ ذو العصف ، وفيها الريحان أيضا.[1] وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين : { وَالرَّيْحَانِ } بالخفض عطفاً به على العصف ، بمعنى : والحبّ ذو العصف وذو الريحان ."[2]

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالخفص ؛ للعلة التي بينت في تأويله ، وأنه بمعنى الرزق . وأما الذين قرأوه رفعاً ، فإنهم وجّهوا تأويله – فيما أرى – إلى أنه الريحان الذي يشمّ ؛ فلذلك اختاروا الرفع فيه ، وكونه خفضاً بمعنى : وفيها الحبّ ذو الورق والتبن ، وذو الرزق المطعوم ، أولى وأحسن...[3]

وفي هذا الموضع كان النظر إلى المعنى المناسب للآية دور قوي في الترجيح بين القراءتين ؛ ليحسن العطف فيكون بين أشياء من جنس واحد .

ويمكن توجيه القراءة الأخرى : إلى أنها عطف على المرفوع السابق ، وأن الجماعة من القراء عليه[4].

---

[1] قرأ بها الباقون وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ، سوى ابن عامر بالنصب . انظر المبسوط صفحة (٣٥٨) ، وإتحاف فضلاء البشر (٥٠٩/٢) ، وذكر الفراء أنها : كذا في مصاحف أهل الشام . انظر معاني القرآن (١١٤/٣) .

[2] قرأ بها : حمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (٣٥٨) ، وإتحاف فضلاء البشر (٥٠٩/٢) .

[3] جامع البيان (٥٨١/١١) .

[4] انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٩٩/٢) .

المطلب الثامن : طريقة السورة وأسلوبها :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ ﴾ [الصافات: ١٣٠] قال -رحمه الله-:"...واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ ﴾ فقرأته عامة قرّاء مكة والبصرة والكوفة : {سَلاَمٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ} بكسر الألف من إلياسين ، فكان بعضهم يقول: هو اسم إلياس ، ويقول : إنه كان يُسمى باسمين : إلياس ، وإلياسين مثل إبراهيم وإبراهام ، يُستشهد على ذلك أن ذلك كذلك ، بأن جميع ما في السورة من قوله : ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ فإنه سلام على النبيّ الذي ذكر دون آله ، فكذلك إلياسين ، إنما هو سلام على إلياس دون آله ... وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة : {سَلاَمٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ} بقطع {آلِ} من {يَاسِينَ} ، فكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى : سلام على آل محمد...

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ ﴾ بكسر ألفها ، على مثال إدراسين ؛ لأن الله -تعالى ذكره- إنما أخبر عن كلّ موضع ذكر فيه نبياً من أنبيائه -صلوات الله عليهم - في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله ، فكذلك السلام في هذا الموضع ، ينبغي أن يكون على إلياس ، كسلامه على غيره من أنبيائه ، لا على آله..." (١)

وهذا المثال فيه استدلال بعدّة آيات في سورة واحدة ، مما يدل على أنه يستفاد من طريقة السورة في الدلالة على معناها .

ويمكن توجيه القراءة : إلى أن فيها استدلالاً بالرسم العثماني ، حيث فصلت فيه {آلِ} عن ﴿يَاسِينَ﴾ (٢) ، ويجوز أن يكون إلياس بلغتين : إلياس وإلياسين ، كما قالوا : ميكال وميكائيل .(٣)

---

(١) جامع البيان (١٠/٥٢٣-٥٢٤) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٢٧) .

(٣) انظر معاني القراءات للأزهري (٢/٣٢٢) .

المطلب التاسع : تصاريف الكلمة تدل على مصدرها في الآية :

ففي قوله -تعالى- : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] **قال -رحمه الله-** : "...ثم اختلفت القرأة في قراءة قوله : ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فقرأه عامة قرأة أهل المدينة والبصرة: {غَرْفَةً} بنصب الغين من الغرفة ، بمعنى الغَرفة الواحدة ، من قولك : اغترفت غَرفة ، والغَرْفة هي الفعل [أي : المصدر] بعينه من الاغتراف . **وقرأه آخرون** : بالضم (١)، بمعنى : الماء الذي يصير في كفّ المغترف ، فالغُرْفة الاسم ، والغَرْفة المصدر .

وأعجب القراءتين في ذلك إليّ : ضمّ الغين في الغُرفة ، بمعنى : إلا من اغترف كفّاً من ماء ؛ لاختلاف {غَرْفَةً} إذا فتحت غينها ، وما هي له مصدر ، وذلك أن مصدر : ﴿اغْتَرَفَ﴾ اغترافة ، وإنما {غَرْفَةً} مصدر : غَرَفْت ، فلما كانت : {غَرْفَةً} مخالفة مصدر ﴿اغْتَرَفَ﴾ ، كانت الغُرفة التي بمعنى الاسم -على ما قد وصفنا- أشبه منها بالغَرفة التي هي بمعنى الفعل ." (٢)

فاختار الضم للغين في قوله : ﴿غُرْفَةً﴾ ؛ لأن معها مصدر ﴿اغْتَرَفَ﴾ ، وليس غرف ، يوضّح ذلك قول الكسائي : " لو كان موضع : ﴿اغْتَرَفَ﴾ غرفَ اخترت الفتح ؛ لأنه يخرجُ على فَعْلة، ولما كان ﴿اغْتَرَفَ﴾ لم يخرج على فَعْلة ."(٣)

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بالفتح {غَرْفَةً} ، وقرأ الباقون بالضم . انظر المبسوط في القراءات العشر صفحة (١٣٣) ، وحجة القراءات صفحة (١٤٠) .

(٢) جامع البيان (٦٣٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٤٢/٥-٣٤٣) .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١٠١/٨) وانظر تاج العروس (٣٠٩/٦) فصل الغين من باب الفاء ،وقال أحمد شاكر : في كلام ابن جرير : وهذا تفصيل قلّما تجده في كتب اللغة (٣٤٩/٥) .

المطلب العاشر : دلالة السياق على الإعراب ترجح قراءة :

كما في قوله -تعالى- : ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥] **قال أبو جعفر** :"...وقد اختلفت القرأة في قراءة قوله : {فَيُضَاعِفُهُ} بالألف ورفعه : بمعنى : الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ، نسق يضاعف على قوله : ﴿يُقْرِضُ﴾(١). وقرأه آخرون بذلك المعنى : {فَيُضَعِّفُهُ} ، غير أنهم قرأوه بتشديد العين وإسقاط الألف (٢). وقرأه آخرون : ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ بإثبات الألف في يضاعف ، ونصبه بمعنى الاستفهام (٣). فكأنهم تأولوا الكلام : من المقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ؟ . فجعلوا قوله : ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ جواباً للاستفهام...

قال أبو جعفر : وأولى هذه القراءات عندنا بالصواب : قراءة من قرأ : {فَيُضَاعِفُهُ لَهُ} بإثبات الألف ورفع يضاعف ؛ لأن في قوله : ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ معنى الجزاء ، والجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعاً ، فلذلك كان الرفع في يضاعفُه ، أولى بالصواب عندنا من النصب..." (٤)

فجعل معنى الجملة الجزائية مستلزماً لجواب مصحوب بفاء ولا يكون إلا مرفوعاً .

وتوجيه القراءة الأخرى كما قال الأزهري –رحمه الله- : بجواز النصب على تقدير جواب الاستفهام بالفاء .(٥)

---

(١) قرأ بها : أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣١) وكتاب السبعة صفحة (١٨٥).

(٢) قرأ بها : أبو جعفر وابن كثير وروح عن يعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٣١) ، وكتاب السبعة صفحة (١٨٥) .

(٣) قرأ بها : عاصم وحده . انظر المبسوط صفحة (١٣١) ، وكتاب السبعة صفحة (١٨٥) .

(٤) جامع البيان (٦٠٨/٢) ، وتحقيق شاكر (٢٨٧/٥) .

(٥) انظر معاني القراءات للأزهري (٢١١/١) .

المبحث الثاني : أثر دلالة السياق في تضعيف القراءة أو ردها ومناقشة ذلك :

لقد كان للإمام الطبري –رحمه الله– طريقته في التعامل مع القراءات المتعددة ، ومن طرقه مراعاة السياق القرآني للآيات،وقد يحكم على القراءة بأنها ضعيفة أو مردودة .

وسأعرض الأسباب التي يضعف بها القراءة حال مراعاة السياق ، وسأمثل لها ، من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : أن يكون السياق بالقراءة لا معنى له .

المطلب الثاني : أن يلزم من معنى القراءة التكرار أو التناقض .

المطلب الثالث : أن يلزم من القراءة لبس المعنى .

المطلب الرابع : أن يضعّف السباق واللحاق القراءة .

المطلب الأول : أن يكون السياق بالقراءة لا معنى له :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ [الفاتحة: ٤] **قال أبو جعفر** : " وأولى التأويلين بالآية ، وأصحّ القراءتين في التلاوة عندي ، التأويل الأول ، وهي : قراءة من قرأ { مَلِكِ } بمعنى : المُلْك[١] ؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالمُلك إيجاباً لانفراده بالمِلك ، وفضيلة زيادة المَلِك على المالك ، إذ كان معلوماً أن لا مِلك إلا وهو مالك ، وقد يكون المالك لا مَلِكاً. وبعد : فإن الله –جلّ ذِكْرُه –قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ ، أنه مالك جميع العالمين وسيدهم ، ومصلحهم والناظر لهم ، والرحيم بهم في الدنيا والآخرة ، بقوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣] وإذْ كان –جلّ ذِكْرُه – قد أنبأهم عن مُلْكِهِ إياهم كذلك بقوله : ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فأولى الصفات من صفاته –جلّ ذِكْرُه– ، أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾ مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة ، إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة ، وكان في إعادة وصفه –جلّ ذِكْرُه– بأنه : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ ، إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله : ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين . وكان في إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعانٍ متفقة ، لا تفيد سامع ما كرّر منه فائدة به إليها حاجة . والذي لم يحوه من صفاته –جلّ ذِكْرُه– ما قبل قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ المعنى الذي في قوله : {مَلِك يَوْمِ الدّينِ}، وهو وصفه بأنه المَلِك . فبيِّنٌ إذاً أنّ أولى القراءتين بالصواب وأحق التأويلين بالكتاب : قراءة من قرأه : {مَلِك يَوْمِ الدّينِ} ، بمعنى إخلاص الملك له يوم الدين ، دون قراءة من قرأ : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ الذي بمعنى : أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء ، متفرّداً به دون سائر خلقه ." [٢]

وقد ضعّف ابن جرير –رحمه الله– القراءة التي ذكر أنه يلزم منها تكرار بلا فائدة، وأن

---

(١) قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة ، وقرأ {مالك} بالألف : عاصم والكسائي ويعقوب وخلف وروي عن الكسائي إجازة الوجهين . انظر المبسوط صفحة (٨٣) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٦٣/١) .

(٢) جامع البيان (٩٤/١-٩٦) ، وتحقيق شاكر (١٤٩/١-١٥٠) .

الأحسن والأولى في القراءة أن تفيد معنى جديداً .

ولكن الصواب ما **قال أبو منصور الأزهري -رحمه الله-** : " القراءتان كلتاهما ثابت بالسنة"(١) . وأما القراءة بالألف فتوجيهها أنها أتمّ في المعنى ؛ ولذلك اختارها الأزهري -رحمه الله- ويشبهها على معناها قوله -تعالى- : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والصحيح : "أن كل ما قيل في توجيه القراءتين من أقوال ، صحيح ومسلم به ، وكله ثابت لله -تبارك وتعالى- ، فهو المالك ، وهو الملك ، وهو الذي بيده كل شيء ، فكل قراءة تفيد معنى قد لا تفيده القراءة الأخرى ؛ ولذلك يقول بعض العلماء : إن كل قراءة تعتبر حجة مستقلة ، ومعجزة دالة على صدق رسول الله -ﷺ- فيما بلغه عن ربه -جل وعلا- ".(٢)

---

(١) معاني القراءات للأزهري (١/١١٠) .

(٢) حاشية إتحاف فضلاء البشر (١/٣٦٤) تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، وراجع مقدمة هذا الفصل صفحة (٣٥٠-٣٥٩) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية جامع البيان (٢/٧٢) ، والمائدة (٦٠) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٦٣٤) ، والأنفال (٩) ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ٩ ﴾ جامع البيان (٦/١٩١) ، والنحل (٣٧) ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧ ﴾ جامع البيان (٧/٥٨٣) ، ومريم (٦) ﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ ﴾ جامع البيان (٨/٣٠٩) ، ويس (١٤) ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ١٤ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٣١) ، والحديد (١٣) ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٧٧) ، والقدر (٥) ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ٥ ﴾ جامع البيان (١٢/٦٥٤) .

المطلب الثاني: أن يلزم من معنى القراءة التكرار أو التناقض :

١- مثال توهم لزوم تكرار لا معنى له :

قوله -تعالى- : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٣٦] ... ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ قال أبو جعفر : " اختلف القرأة في قراءة ذلك : فقرأته عامتهم: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ بتشديد اللام (١) ، بمعنى : استزلهما ، من قولك : زلَّ الرجل في دينه: إذا هفا فيه وأخطأ ، فأتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزلّه غيره : إذا سبب له ما يزلّ من أجله في دينه أو دنياه ؛ ولذلك أضاف الله -تعالى ذكره-إلى إبليس خروج آدم وزوجته من الجنة، فقال : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ يعني : إبليس ﴿ مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ؛ لأنه كان الذي سبب لهما الخطيئة، التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة . وقرأه آخرون : {فَأَزَالَهُمَا}(٢)، بمعنى : إزالة الشيء عن الشيء ، وذلك تنحيته عنه...

وأولى القراءتين بالصواب : قراءة من قرأ : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ ؛ لأن الله -جلّ ثناؤه- قد أخبر في الحرف الذي يتلوه ، بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه ، وذلك هو معنى قوله: {فَأَزَالَهُمَا} ، فلا وجه – إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج – أن يقال : {فَأَزَالَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ} ، فيكون كقوله : فأزالهما الشيطان عنها ، فأزالهما مما كانا فيه ، ولكن المفهوم أن يقال : فاستزلّهما إبليس عن طاعة الله ، كما قال -جلّ ثناؤه- : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ وقرأت به القراء ، فأخرجهما باستزلاله إياهما من الجنة ." (٣)

فقد استدل بذكر الإخراج من الجنة في الجملة اللاحقة في قوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ على أن القراءة الصحيحة لكلمة : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ السابقة بغير ألف ؛ لأنه لا يتكرر معها المعنى في الآية .(٤)

---

(١) قراءة الجميع غير حمزة . انظر المبسوط صفحة (١١٦) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٨٨/١) .

(٢) قرأ بها : حمزة وحده ، انظر المرجعين السابقين .

(٣) جامع البيان (٢٧٢/١-٢٧٣) ، وتحقيق شاكر (٥٢٤/١) .

(٤) ومثله : إذا لزم من القراءة إضافة الشيء إلى نفسه : كما في المائدة (٩٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ الآية -

قال مكي –رحمه الله– في توجيه القراءة الأخرى : " ووجه القراءة بالألف : أنها مضادة لمعنى ما قبلها ، وهو قوله لآدم : ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ، فأمرهما بالثبات في الجنة ، وضد الثبات الزوال ، فسعى إبليس فأزالهما بالمعصية ، عن المكان الذي أمرهما الله بالثبات فيه بالطاعة ، فكان الزوال به أليق ؛ لما ذكر ، وأيضاً : هو مطابق لما بعده في المعنى ؛ لأن بعده : ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ . " (١)

٢– مثال توهم لزوم تناقض وتعارض :

ما قال ابن جرير –رحمه الله– في قوله –تعالى– : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩] : "...وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خداع المنافق ربه وأهل الإيمان به ، وأنه غير صائر بخداعه ذلك إلى خديعة صحيحة إلا لنفسه دون غيرها ، لما يورطها بفعله من الهلاك والعطب ، فالواجب إذاً أن يكون الصحيح من القراءة : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ دون : **{وَما يُخَادِعُونَ}**(٢) ؛ لأن لفظ المخادع غير موجب تثبيت خديعة على صحة ، ولفظ خادع موجب تثبيت خديعة على صحة . ولا شكّ أن المنافق قد أوجب خديعة الله –عزّ وجلّ– لنفسه بما ركب من خداعه ربه ورسوله والمؤمنين بنفاقه ، فلذلك وجبت الصحة لقراءة من قرأ : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ . ومن الدلالة أيضاً على أن قراءة من قرأ : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ أولى بالصحة من قراءة من قرأ : **{وَما يُخَادِعُونَ}** أن الله –جلّ ثناؤه– قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية ، فمحالٌ أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه ؛ لأن ذلك تضادّ في المعنى ، وذلك غير جائز من الله –جلّ وعزّ– ." (٣)

جامع البيان (٥/٤٤-٤٥و٥١) .

(١) الكشف لمكي (١/٢٣٥-٢٣٦) .

(٢) قرأ ﴿يَخْدَعُونَ﴾ : أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف ، وقرأ {يُخَادِعون} نافع وابن كثير وأبو عمرو . انظر المبسوط صفحة (١١٥) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٣٧٧) .

(٣) جامع البيان (١/١٥٢-١٥٣) ، وتحقيق شاكر (١/٢٧٧) .

فلما كان في إثبات الألف في قوله : **{وَمَا يُخَادِعُونَ}** ما يوجب نفي ما أثبت في أول الآية في قوله : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ كان الحكم على القراءة بالضعف، وقد أجيب عن أسباب تضعيف الإمام –رحمه الله– للقراءة المتواترة أول الفصل .(١)

وتوجيه القراءة بالألف : **كما قال مكي –رحمه الله–** : أن القراءتين على معنى واحد ، من فاعل واحد (٢) ، بل قال بعضهم : إذا كان على شكل واحد ، بلفظ واحد فهو أحسن . وقال المبرّد معناه : وما يخادعون بتلك المخادعة المذكورة أولا إلا أنفسهم ،إذ وبالها راجع عليهم ، فوجب ألا يختلف اللفظ ؛ لأن الثاني هو الأول . وقال أبو عمرو (٣): ليس أحد يخدع نفسه وإنما يخادعها . (٤)

---

(١) انظر صفحة (٣٥٠-٣٥٩) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٢٧/١) .

(٣) هو أحد القراء السبعة . انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص (٨٧) .

(٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٢٥/١) .

المطلب الثالث : أن يلزم من القراءة لَبْسُ المعنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] "... ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ **قال أبو جعفر** : اختلفت القرأة في قراءة ذلك : فقرأه بعضهم : ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ بضم الهاء وتخفيفها ، وقرأه آخرون بتشديد الهاء وفتحها (١). وأما الذين قرأوه بتخفيف الهاء وضمها، فإنهم وجهوا معناه إلى : ولا تقربوا النساء في حال حيضهن ، حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن...وأما الذين قرأوا ذلك بتشديد الهاء وفتحها ، فإنهم عنوا به : حتى يغتسلن بالماء...

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأ: {حَتَّىَ يَطَّهَّرْنَ} بتشديدها وفتحها ، بمعنى : حتى يغتسلن ؛ لإجماع الجميع على : أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر. وإنما اختلف في التطهر الذي عناه الله -تعالى ذكره-، فأحلّ له جماعها، **فقال بعضهم** : هو الاغتسال بالماء ، لا يحلّ لزوجها أن يقربها حتى تغسل جميع بدنها . **وقال بعضهم** : هو الوضوء للصلاة . **وقال آخرون** : بل هو غسل الفرج ، فإذا غسلت فرجها فذلك تطهرها الذي يحلّ به لزوجها غشيانها . فإذْ كان إجماع من الجميع أنها لا تحلّ لزوجها بانقطاع الدم حتى تطّهر ، كان بيّناً أنّ أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للَّبس عن فهم سامعها ، وذلك هو الذي اخترنا، إذ كان في قراءة قارئها بتخفيف الهاء وضمّها ، ما لا يؤمَنُ معه الّلبس على سامعها من الخطأ في تأويلها ، فيرى أن لزوج الحائض غشيانها بعد انقطاع دم حيضها عنها وقبل اغتسالها وتطهرها ." (٢)

فلما كان إجماع من العلماء على عدم جواز جماع المرأة بعد انقضاء حيضها إلا بعد تطهرها

---

(١) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف : بفتح الطاء والهاء مشددتين {يطّهّرن} مضارع تطهر : أي اغتسل ، وقرأ الباقون : بسكون الطاء وضم الهاء مخففة ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ مضارع طهرت المرأة شفيت من الحيض واغتسلت . انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٨/١) .

(٢) جامع البيان (٣٩٧/٢-٣٩٨) ، وتحقيق شاكر (٣٨٣/٤) .

بالغسل أو الوضوء أو غسل الفرج ، كان في قراءة التخفيف ما يوهم معنى ملبساً .

والصحيح في توجيه قراءة التخفيف : أنها لا تعني جواز قربان المرأة بعد انقطاع حيضها وقبل اغتسالها ؛ لأن الكلام لم ينته بعد ، فلا تتم الفائدة من الكلام إلا بقوله : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي : بالماء ، فبهذا أتت الفائدة وانتهى الحكم ، والقول بعدم اشتراط الغسل يجعل جملة : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ لا فائدة لها وهذا لا يجوز .(١)

ولم يحصل من العلماء إجماع -بمعناه الأصولي- على أن المرأة لا تجامع حتى تغتسل فقد ذهب أبو حنيفة -رحمه الله- إلى جواز جماعها بعد طهارة أكثر الحيض ، وهو عشرة أيام ، أما إذا انقطع لأقل : فلا يجوز حتى تغتسل ، أو يمضي عليها وقت صلاة من غير أن تجد دم الحيض .(٢)

ويماثل الآية في المعنى قوله -تعالى- : ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦] فقد أوجب الله -عزّ وجلّ- على وليّ اليتيم أن يؤتي اليتيم ماله بعد توفر شرطين فيمن كان يتيماً وهما : بلوغ النكاح ، وإيناس الرشد منهم وحسن التصرف ، فلا يكفي أحد الشرطين عن الآخر ، بل لا بد منهما جميعاً، وكذا الطاهر من الحيض لا يحل وطؤها إلا بشرطين : انقطاع الدم، والاغتسال ، فلا يباح الجماع إلا بهما ." (٣)

---

(١) انظر الكشف لمكي (٢٩٣/١) .

(٢) انظر أحكام القرآن (٣٥/٢-٣٦) ، لأبي بكر الجصاص ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي .

(٣) انظر المغني (٣٣٨/١) ، طبع عالم الكتب .

المطلب الرابع: أن يضعّف السباق واللحاق القراءة :

١- مثال تضعيف السباق للقراءة : قال -رحمه الله- : " وقوله : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨ ﴾ [الإسراء: ٣٨] فإن القرّاء اختلفت فيه : فقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ على الإضافة [1] بمعنى : كلّ هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدأ قولنا : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ...إلى قولنا : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ يقول : سيئ ما عدّدنا عليك عند ربك مكروهاً . وقال قارئو هذه القراءة : إنما قيل : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ ﴾ بالإضافة ؛ لأن فيما عدّدنا من قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أموراً هي أمر بالجميل ، كقوله : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦] وما أشبه ذلك ، قالوا : فليس كلّ ما فيه نهياً عن سيئة ، بل فيه نهي عن سيئة وأمر بحسنات ، فلذلك قرأنا ﴿ سَيِّئُهُۥ ﴾ . وقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة : {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً} [2] وقالوا : إنما عنى بذلك : كلّ ما عددنا من قولنا : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الإسراء: ٣١] ، ولم يدخل فيه ما قبل ذلك . قالوا : وكلّ ما عددنا من ذلك الموضع إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه ، فالصواب قراءته بالتنوين . ومن قرأ هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون من نيّته أن يكون المكروه مقدّماً على السيئة ، وأن يكون معنى الكلام عنده : كلّ ذلك كان مكروها سيئة ؛ لأنه إن جعل قوله : ﴿ مَكْرُوهًا ﴾ نعدّ السيئة من نعت السيئة لزمه أن تكون القراءة : كلّ ذلك كان سيئة عند ربك مكروهة ، وذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ على إضافة السيئ إلى الهاء ، بمعنى : كلّ ذلك الذي عددنا من : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ ...﴿كَانَ

---

[1] قرأ بها : ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ، وأحسن تقدير لها : أي كل ما ذكر مما أمرتم به ونهيتم عنه كان سيئه وهو ما نهيتم عنه أمراً مكروهاً -كما ذكر ابن جرير -. انظر إتحاف فضلاء البشر (١٩٧/٢) ، والمبسوط صفحة (٢٢٨).

[2] قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب منونة منصوبة . انظر المبسوط صفحة (٢٢٨) .

﴿سَيِّئُهُۥ﴾ ؛ لأن في ذلك أموراً منهيّاً عنها ، وأموراً مأموراً بها، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ إنما هو عطف على ما تقدّم من قوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فإذا كان ذلك كذلك ، فقراءته بإضافة السيئ إلى الهاء ، أولى وأحقّ من قراءته {سَيِّئَةً} بالتنوين، بمعنى السيئة الواحدة ." (١)

فحين أشيـــر إلى جمع بأنه مكروه سيئ ، وفي الجمع المتقدم أفعال حسنة ، كان إلحاق الجميع بالمكروه غيـــر صحيح ؛ لما يوجب من قطع الكلام بعضه عن بعض ، مع أن العطف في النص ما زال متصلاً .

وتوجيه القراءة الأخرى كما **قال الأزهري -رحمه الله-** : " ومن قرأ : {سَيِّئَةً} جعل كـــلاً إحاطة بالمنهي عنه فقط ، والمعنى : كل ما نهى الله عنه كان سيئة ." (٢)

وقال مكي -رحمه الله- : بتمام الكلام عند قوله : ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإســـراء: ٣٥] وابتداء كلام جديد من قوله : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وكل ما ذكر بعده كان سيئاً ليس فيه ما يحسن فعله ، قال بعد : {كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئَةً} إذ فعل جميعه سيئ ." (٣)

٢- مثال تضعيف اللحاق للقراءة : قوله -تعالى- : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] **قال -رحمه الله-**:"...واختلف القرأة في قراءة ذلك : فقرأه عُظْم أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين : ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ بالباء (٤)،

---

(١) جامع البيان (٨٢/٨) . وانظر مواضع أخرى في : المائدة (١٣) ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ الآية جامع البيان (٤٩٥/٤-٤٩٦) ، والأنعام (٩١) ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٤/٥-٢٦٥) ، والأعراف (١٩٠) ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ جامع البيان (١٤٧/٦-١٤٨) ، والعنكبـــوت (٤٢) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ جامع البيان (١٤٣/١٠) .

(٢) معاني القراءات (٩٥/٢) .

(٣) انظر الكشف لمكي (٤٧/٢) .

(٤) قرأ بها : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وخلف . انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٧/١)،
-

بمعنى : قل في شرب هذه ، والقمار هذا ، كبير من الآثام . وقرأه آخرون من أهل المصرين البصرة والكوفة : {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَثِيرٌ}(١) بمعنى الكثرة من الآثام ، وكأهم رأوا أن الإثم بمعنى الآثام ، وإن كان في اللفظ واحداً ، فوصفوه بمعناه من الكثرة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالباء : ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ؛ لإجماع جميعهم على قوله : ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وقراءته بالباء، وفي ذلك دلالةٌ بيّنةٌ على أنّ الذي وصف به الإثم الأول من ذلك هو العظم والكبر ، لا الكثرة في العدد . ولو كان الذي وصف به من ذلك الكثرة ، لقيل : وإثمهما أكثر من نفعهما . "(٢)

وكما هو واضح من تضعيف القراءة بسبب ورود موضع متفق عليه بين القراء وقد قرءوه بأحد القراءتين ، فإن حمْل القراءة على لفظ واحد متفق عليه في الموضع المختلف فيه أولى وأحسن .

وما أحسنَ **قول أبي منصور الأزهري –رحمه الله–** : " ما أقرب معنى الكثير من الكبير ، فاقرأ كيف شئت ."(٣)

ويؤيد قراءة الكثير : قوله –تعالى– : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١] وعن ابن عمر (٤) –رضي الله عنهما – أن

والمبسوط صفحة (١٣٠) .

(١) قرأ بالتاء المثلثة : حمزة والكسائي . انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٧/١) ، والمبسوط صفحة (١٣٠) .

(٢) جامع البيان (٣٧٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٢٨/٤) . وانظر مواضع أخرى في : آل عمران (١٨١) ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/٣) ، والشعراء (١٣٨) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ جامع البيان (٤٦٣/٩–٤٦٤) ، و النمل (٦٦) ﴿بَلِ ادَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْأَخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ جامع البيان (٧/١٠–٨) .

(٣) معاني القراءات (٢٠١/١) .

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، ولد قبل الهجرة بعشر ، وأسلم وهاجر مع أبيه ، شهد الخندق وما بعدها، أحد العبادلة الأربعة ، وأحد الستة المكثرين من الرواية ، وله ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً ، أفتى الناس ستين سنة،

رسول الله -ﷺ- قال : " لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها ." (١) وهؤلاء كثرة (٢).

وقد جمع الله منافعها فقال : ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ وكذلك يجب أن تكون آثامها ، وحسّن مكي القراءتين وقال بتداخلهما ؛ لأن القراءة بالثاء مراد بها العظم ، ولا شك أن ما عظم فقد كثر ، وقد كبر، والباء أحب إلي ؛ لأن الجماعة عليه . (٣)

وفي نهاية هذا الفصل : يتبين ما للسياق من أثر في الترجيح بين القراءات – دون تضعيف شيء من المتواتر – ، وقد أتبعت كل موضع فيه قراءة لم يختارها ابن جرير -رحمه الله- بوجه قراءتها ؛ لإظهار إعجاز القرآن وصحة القراءة ، والقراءة الصحيحة هي التي تحكم على اللغة والبلاغة . -والحمد لله رب العالمين -.

كان من الزهاد العباد ، وهو آخر الصحابة موتاً بمكة ، توفي سنة ثلاث وسبعين . انظر تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٧٨)، والإصابة (٤/١٠٧) ، والأعلام (٤/٢٤٦) .

(١) رواه أبو داود في كتاب الأشربة ، باب العنب يعصر للخمر (٤/٨١) حديث (٣٦٧٤) ، والحاكم في كتاب الأشربة ، في ذكر أحاديث تحريم الخمر ، وصححه الذهبي في التلخيص على المستدرك (٤/١٤٥) والألباني في صحيح الجامع (٢/٩٠٧).

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر (١/٤٣٧) ، والحجة للقراء السبعة (٢/٢٣٨) ، لأبي علي الفارسي .

(٣) انظر الكشف لمكي (١/٢٩١-٢٩٢) .

الفصل الثاني

أثر دلالة السياق
في بيان الأصح من أسباب النزول :

الفصل الثاني : أثر دلالة السياق في بيان الأصح من أسباب النزول :

إن المتأمل للفصل الماضي يظهر له أثر السياق في علم القراءات والترجيح بينها في الاختيار ونحو ذلك ، وفي هذا الفصل يتبين لنا أثر السياق في نوع من علوم القرآن ، وهو أسباب النزول المعينة على فهم المعنى وإزالة الإشكال ، والسياق بدوره يختار لنا المناسب له من أسباب النزول ، تطبيقاً لقاعدة : الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه (١).

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : بيان الأصح من أسباب النزول .

المبحث الثاني : ترجيح سبب النزول لا يعني تخصيص الآية بمن كان فيه سبب الترول ، بل يدخل فيه من يشابهه .

المبحث الثالث : ترجيح المخاطب بالآيات .

المبحث الرابع : موضع لم يرجح فيه الإمام الأرجح من أسباب النزول .

---

(١) انظر صفحة (١٤٢) وما بعدها .

المبحث الأول : بيان الأصح من أسباب النزول :

في قوله -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآية وإن كان مأموراً بذلك جميع المؤمنين ، **فقال بعضهم** : عنى بذلك : عُبادة بن الصامت [1] وعبد الله بن أُبَيّ ابن سَلُول[2]، في براءة عبادة من حلف اليهود ، وفي تمسّك عبد الله بن أبيّ ابن سلول بحلف اليهود ، بعد ما ظهرت عداوتهم لله ولرسوله -ﷺ- ، وأخبره الله أنه إذا تولاهم وتمسك بحلفهم : أنه منهم في براءته من الله ورسوله كبراءتهم منهما...**وقال آخرون** : [كالسدي] بل عُني بذلك قوم من المؤمنين كانوا هموا حين نالهم بأُحد من أعدائهم من المشركين ما نالهم ، أن يأخذوا من اليهود عِصَما [أي : عهوداً]، فنهاهم الله عن ذلك ، وأعلمهم أن من فعل ذلك منهم فهو منهم...عن السدي : ...قال : لما كانت وقعة أحد، اشتد على طائفة من الناس ، وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار ، فقال رجل لصاحبه : أما أنا فألحق بدهلك[3] اليهودي فآخذ منه أماناً وأتهوّد معه ، فإني أخاف أن تدال علينا اليهود . **وقال الآخر** : أما أنا فألحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام ، فآخذ منه أماناً وأتنصّر معه . فأنزل الله -تعالى ذِكْرُه- ينهاهما : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ

---

(١) هو أبو الوليد ، عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ، ولد قبل الهجرة بثمان وثلاثين ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، ومن أعيان أهل بدر ، سكن بيت المقدس وهو أول قاضٍ فيها ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ-، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٥/٢) ، والإصابة (٢٧/٤) ، والأعلام (٣٠/٤) .

(٢) هو عبد الله بن أبيّ بن مالك بن الحارث الخزرجي ، المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه ، رأس المنافقين في الإسلام ، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، أظهر الإسلام بعد بدر تقيّة ، انخزل بثلاثمائة يوم أحد ، وبمثلهم في تبوك ، وكان عملاقاً يركب الفرس فتخطّ إبهاماه في الأرض ، توفي سنة تسع ، صلى عليه النبي -ﷺ- وكفّنه في ثوبه ، فنزل النهي عن ذلك في قوله : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤] . انظر المعارف صفحة (١٥٩) ، والأعلام (١١٨/٤) .

(٣) لم أجد له ترجمة ، وفي تحقيق شاكر قال : "ويظهر أن في اسمه تحريفاً "(٣٩٧/١٠) ، ونحو ذلك في تحقيق التركي٥٠٦/٨ .

فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ ...**وقال آخرون** : بل عُني بذلك : أبو لبابة بن عبد المنذر (١) في إعلامه بني قريظة إذْ رضوا بحكم سعد (٢) : أنه الذبح...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْرُه- نهى المؤمنين جميعاً أن يتّخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم ، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً ووليّاً من دون الله ورسوله والمؤمنين ، فإنّه منهم في التحزّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين ، وأن الله ورسوله منه بريئان ، وقد يجوز أن تكون الآية نزلت في شأن عُبادة بن الصامت وعبد الله بن أُبيّ ابن سلول وحلفائهما من اليهود ، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لُبابة بسبب فعله في بني قريظة، ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين اللذين ذكر السدّيّ...و لم يصحّ بواحدٍ من هذه الأقوال الثلاثة خبر تثبت بمثله حجة فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل . فإذ كان ذلك كذلك فالصواب أن يُحْكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمّ ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه ، غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهوداً أو نصارى ، خوفاً على نفسه من دوائر الدهر ؛ لأن الآية التي بعد هذه تدل على ذلك ، وذلك قوله : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢] الآية..." (٣)

فقد ذكر الإمام الطبري -رحمه الله- الأقوال وجوزها ، إذ ليس فيها خبر عن سبب النزول ،

---

(١) هو بشير ، وقيل : يسير ، وقيل : رفاعة بن عبد المنذر الأوسي ، شهد بدراً بسهمه وأجره ، وأمّره على المدينة، ولما أشار إلى بني قريظة بالذبح أحسّ بالذّنب ، فحبس نفسه في المسجد حتى تاب الله عليه ، فأراد أن ينخلع من جميع ماله ، فقال النبي -ﷺ-: يجزئ عنك الثلث من مالك . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٤٢/٣و٢٤٧) ، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١٠٨/٣) ، والإصابة (١٦٥/٧) .

(٢) هو أبو عمر ، سعد بن معاذ بن النعمان ، السيد الكبير الشهيد ، الأنصاري الأوسي ، البدري ، كان من أطول الناس وأعظمهم جسماً ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، ثم أسلم بنو عبد الأشهل لإسلامه له مناقب كثيرة ، رمي يوم الخندق فجرح ، فعاش شهراً ، حكم في بني قريظة بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم ، ثم انتُقض جرحه فمات ، اهتزّ عرش الرحمن لموته ، وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١) ، والإصابة (٨٧/٣) ، والأعلام (١٣٩/٣) .

(٣) جامع البيان (٦١٥/٤-٦١٧) ، وتحقيق شاكر (٣٩٥/١٠) ، والآية من المائدة (٥٢) .

وإنما هي أقوال للمفسرين ؛ ولكن لا بدّ من أن يكون المخاطب منافقاً ، ودليل هذا الوصف الآية التالية وهي قوله –تعالى- : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ الآية ، والمقصود مرض النفاق ، فلا يصحّ قول يخالف سياق الآية .

وفي قوله –تعالى- : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٢] **قال –رحمه الله-:** "...اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآية ، والسبب الذي من أجله أنزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت في عَشَرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله -ﷺ - في غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السواري عند مقدم النبي -ﷺ - توبة منهم من ذنبهم...**وقال آخرون** : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة...**وقال آخرون** : الذين ربطوا أنفسهم بالسواري كانوا ثمانية...وقال آخرون : كانوا سبعة...**وقال آخرون** : بل عُني بهذه الآية أبو لبابة خاصة ، وذنبه الذي اعترف به فتيب عليه فيه : ما كان من أمره في بني قريظة...**وقال آخرون** : بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك...وقال بعضهم : عني بهذه الآية الأعرابُ...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله -ﷺ - وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك [1]، وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك ؛ لأن الله –جلّ ثناؤه- قال : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، و لم يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية في حصار قريظة غير أبي لبابة وحده . فإذْ كان ذلك [كذلك] ، وكان الله–تبارك وتعالى- قد وصف في قوله : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ بالاعتراف بذنوبهم جماعة ، علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذا لم تكن إلا لجماعة ، وكان لا جماعة فعلت ذلك –فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل –إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك ، صحّ ما قلنا في ذلك ، وقلنا : كان منهم أبو لبابة ؛

---

[1] الشخوص هو : السير من بلد إلى بلد .انظر العين ولسان العرب مادة ش خ ص .

لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . " (١)

فقد رجح السياق أن من نزلت فيهم الآيات جمع لا فرد ، بدليل قوله -تعالى- : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فهو دليل على أنهم كانوا جماعة اعترفوا بذنوبهم ، ولا يصح حمل الآية على أنها نزلت في شخص واحد .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١ ﴾ [النحل: ٩١] **ذكر -رحمه الله** اختلاف أهل التأويل:"...، فقال بعضهم [كبريدة (٢)] : عُنِي بها الذين بايعوا رسول الله -ﷺ- على الإسلام ، وفيهم أنزلت...**وقال آخرون** : نزلت في الحِلْف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية ، فأمرهم الله -عزّ وجلّ- في الإسلام أن يوفّوا به ولا ينقضوه... [وساق] عن مجاهد ..قال : تغليظها في الحلف..

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله -تعالى- أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم ، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحقّ مما لا يكرهه الله . وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله -ﷺ- بنهيهم عن نقض بيعتهم حذراً من قلّة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين ، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم ؛ لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم ، وجائز أن تكون في غير ذلك. ولا خبر تَثْبُت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء ، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أيّ ذلك عُنِيَ بها، ولا قول في ذلك أولى بالحقّ مما قلنا لدلالة ظاهره عليه ، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب ، ويكون الحكم بها عامّاً في كلّ ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه ." (٣)

ساق -رحمه الله- الأقوال ولم يرجح أحدها ؛ لعدم الدليل من الكتاب ولا العقل في التعيين

---

(١) جامع البيان (٤٥٩/٦-٤٦٣) ، وتحقيق شاكر (٤٤٧/١٤) .

(٢) هو أبو عبد الله ، بريدة بن الحصيب الأسلمي ، صحابي أسلم قبل بدر ولم يشهدها ، وشهد خيبر وفتح مكة ، واستعمله النبي -ﷺ- على صدقات قومه ، توفي بمرو سنة ثلاث وستين . انظر تهذيب التهذيب (٢١٩/١) .

(٣) جامع البيان (٦٣٦/٧-٦٣٧) .

ثم تبين له –رحمه الله- في الآية التالية تعيين من نزلت فيه بدلالة السياق : فقال في قوله –تعالى- : ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ [النحل: ٩٤] "...وهذه الآية تدلّ على أن تأويل بُريدة – الذي ذكرنا عنه في قوله : ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١] والآيات التي بعدها ، أنه عُني بذلك : الذين بايعوا رسول الله -ﷺ- على الإسلام ، عن مفارقة الإسلام لقلة أهله ، وكثرة أهل الشرك – هو الصواب ، دون الذي قال مجاهد أنهم عنوا به (١) ؛ لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم صدّ عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى، وقد وصف –تعالى ذِكْرُه–في هذه الآية فاعِلِي ذلك : أنهم باتخاذهم الأيمان دخلاً بينهم ونقضهم الأيمان بعد توكيدها ، صادّون عن سبيل الله ، وأنهم أهل ضلال في التي قبلها ، وهذه صفة أهل الكفر بالله ، لا صفة أهل النّقْلة بالحلف عن قوم إلى قوم . " (٢)

فهذه الآية الماضية ترجح أن سبب نزول الآية التي قبلها في المشركين ، وبهذه الدقة في مراعاة السياق يكون ترجيح لسبب نزول ماض ، وقد توصل الإمام إليه لَمّا راعى في الفهم الآيات كلها بنظرة شمولية ، والآيات منتظمةٌ ترتيباً دقيقاً معجزاً ، فأثبت بالحجة والبرهان ،أن الآية في الكفار لا في المسلمين ؛ لشدة الوعيد ووصفهم بالصد عن سبيل الله، وهذا لا يكون في التحول من حلف قوم إلى آخرين .(٣)

وقد يكون السياق دالاً على أن الحديث النبوي قد لا يدخل في تفسير الآية: ففي قوله

---

(١) قول مجاهد هو : "كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزّ ، فينقضون حلف هؤلاء ، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم ، فنهوا عن ذلك ". جامع البيان (٦٣٨/٧) .

(٢) جامع البيان (٦٤٠/٧) .

(٣) وانظر مواضع أخرى في : النساء (٦٥) ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ جامع البيان (١٦٢/٤-١٦٣) ، والمائدة (٩٧-٩٨) ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/٥-١٤) ، والإسراء (٥٧) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ جامع البيان (٩٦/٨-٩٧) ، والصف (١-٣) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ الآيات جامع البيان (٧٩/١٢-٨١) .

–تعالى– : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٨ - ٣٩] **قال –رحمه الله–** :"...واختلف أهل التأويل في أصحاب الرسّ : **فقال بعضهم** : أصحاب الرسّ من ثمود...**وقال آخرون** : بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج...قال قتادة : الرسّ: قرية من اليمامة يقال لها : الفلج ، وقال عكرمة : أصحاب الرسّ بفلج هم أصحاب يس ، **وقال آخرون** : هم قوم رسّوا نبيّهم في بئر...**وقال آخرون** : هي بئر كانت تسمى الرسّ...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : قول من قال : هم قوم كانوا على بئر ، وذلك أن الرّسّ في كلام العرب : كلّ محفور ، مثل : البئر ، والقبر ، ونحو ذلك...ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ، ذكرهم الله في كتابه ، إلا أصحاب الأخدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله : ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴾ فإنا سنذكر خبرهم –إن شاء الله – إذا انتهينا إلى سورة البروج ، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً ، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رَسّوا نبيهم في حفرة . إلا ما...قال رسول الله –ﷺ– : «إنّ أوّلَ النّاسِ يَدخلُ الجَنّةَ يَوْمَ القِيامَةِ العَبْدُ الأَسْوَدُ»⁽¹⁾ . وذلك أن الله –تبارك وتعالى–بعث نبيّاً إلى أهل قرية فلم يؤمن مِنْ أهلها أحد إلا ذلك الأسود ، ثم إن أهل القرية عدوا على النبيّ –عليه السلام–، فحفروا له بئراً فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم ، قال: وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ، فيشتري به طعاماً وشراباً ، ثم يأتي به إلى ذلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، فيعينه الله عليها ، فيدلي إليه طعامه وشرابه ، ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون . ثم إنه ذهب يوماً يحتطب ، كما كان يصنع ، فجمع حطبه ، وحزم حزمته وفرغ منها ، فلما أراد أن يحتملها وجد سِنَةً ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائماً ، ثم إنه هبّ فتمطى ، فتحوّل لشقة الآخر ، فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين

---

(١) سند ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ورفعه ، قال ابن كثير –رحمه الله– " وفيه غرابة ونكارة ، ولعلّ فيه إدراجاً ". تفسير القرآن العظيم (١٢٠/٦) طبع الشعب ، وانظر تحقيق التركي ٤٥٥/١٧ ، ويضاف لذلك أن الحديث مرسل منقطع ، فمحمد بن كعب تابعي ، وقد كان أبوه كعب من سبي بني قريظة ، قيل: ولد محمد بن كعب في حياة النبي –ﷺ– ولم يصحّ ذلك ، وتوفي ثمان ومائة . انظر سير أعلام النبلاء (٦٥/٥).

أخرى . ثم إنه هبّ فاحتمل حزمته ، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية فباع حزمته ، ثم اشترى طعاماً وشراباً كما كان يصنع ، ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه فالتمسه فلم يجده ، وقد كان بدا لقومه فيه بداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدّقوه ، قال : فكان النبيّ -عليه السلام - يسألهم عن ذلك الأسود : ما فعل ؟ فيقولون: ما ندري ، حتى قبض الله النبيّ ، فأهبّ الله الأسود من نومته بعد ذلك ، فقال رسول الله -ﷺ -: «إنّ ذلكَ الأسْوَدَ لأوّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنّةَ»(١).

غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبيّ -ﷺ - أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته ، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله : ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ ؛ لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه دمّرهم تدميراً ، إلا أن يكونوا دمّروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به ، فيكون ذلك وجهاً ." (٢)

فالحديث المرفوع – إن ثبت – فيه إثبات إيمان من رسوا نبيهم ، ثم آمنوا بالعبد الأسود بعد موت نبيهم ؛ ولكن الآية تثبت وقوع العذاب عليهم وتدميرهم لما كذّبوا الرسل ، فالظاهر أن الحديث ليس مفسِّرا للآية لعدم تطابقهما في المعنى ، إلا على وجه من التأويل فيقال : إنهم آمنوا فنجاهم الله ثم أمهلهم حتى عصوا ثم وقع عليهم العذاب بعد ذلك . والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه آنفاً .

(٢) جامع البيان (٩/٣٨٩-٣٩١) .

المبحث الثاني :

ترجيح سبب النزول لا يعني تخصيص الآية به بل يدخل من يشابهه :

وهذا من باب التأكيد لهذه المسألة وقد سبق بيانها بالتفصيل في مبحث مستقلّ[١] .

ومن الأمثلة على ذلك مع ذكر أسباب النزول : قوله –تعالى- : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩] الآية[٢] **قال –رحمه الله–** : " اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله ،**فقال بعضهم** : أحد الفريقين : أهل الإيمان ، والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر [كما قال أبو ذر] [٣]...**وقال آخرون** : ممن قال أحد الفرقين فريق الإيمان : بل الفريق الآخر أهل الكتاب...**وقال آخرون منهم** : بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أيّ ملة كانوا...**وقال آخرون** : الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية : الجنة والنار...

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عُني بالخصمين : جميع الكفار من أيّ أصناف الكفر كانوا ، وجميع المؤمنين . وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ؛ لأنه – تعالى ذِكْرُه–ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه : أحدهما أهل طاعة له بالسجود له ، والآخر : أهل معصية له ، قد حقّ عليه العذاب ، فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨] ثم قال : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما ، فقال : ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ وقال الله :

---

(١) انظر : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم ، صفحة (٢٣٦) وما بعدها .

(٢) ويكتمل الحديث عن الفريقين في سورة الحج إلى الآية (٢٤) ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ –والله أعلم –.

(٣) المبارزين من كفار قريش : عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة ، والوليد بن عتبة ، ومن المؤمنين : عبيدة بن الحارث ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، فقُتل المشركون ، وسَلم المسلمون ، وأُثخِن عبيدة بالجراح . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٧٧) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الحج: ٢٣] ، فكان بيّناً بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما . فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما رُوي عن أبي ذرّ في قوله : إنّ ذَلكَ نزل في الذين بارزوا يوم بدر ؟ . قيل : ذلك إن شاء الله كما رُوي عنه ، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب. وهذه من تلك ، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله ، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له ، فكلّ كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم ، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم . "(١)

فذهب إلى أن المراد بالخطاب : العموم في الكفار والمؤمنين ، بدليل السباق واللحاق: فقد ذكر الله -تعالى- قبلها أن من الناس من يسجد لله بالعبادة ومن لا يسجد ، وذكر بعدها جزاء الكفار بالنار، وجزاء المؤمنين بالجنة ، فدل على العموم ، وإن قيل بنزولها في أحد معيَّن ، فلا مانع من دخول من هم على شاكلته .

---

(١) جامع البيان (٩/١٢٣-١٢٥) . ومثله في البقرة (٢٠٥) ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٣٢٩-٣٣٠) .

المبحث الثالث : ترجيح تعيين المخاطب بالآيات السابقة أو اللاحقة :

ففي قوله -تعالى- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية ، وفي من نزلت : **فكان ابن عباس يقول..**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي : بما أنزل إليك من ربّك ، وإن قالوا : إنّا قد آمنا بما قد جاءنا من قبلك . وكان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلت في : اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة ، على عهد رسول الله -ﷺ- ، توبيخاً لهم في جحودهم نبوّة محمد -ﷺ-، وتكذيبهم به ،مع علمهم به ، ومعرفتهم بأنه رسول الله-ﷺ - إليهم وإلى الناس كافة . [وورد عنه قول آخر : أن النبي -ﷺ - كان: يحرص على إيمان جميع الناس ، فأخبره الله : أنه لا يؤمن إلا من كتب له ذلك ، ولا يضل إلا من كتب عليه ذلك ، **وقال آخرون** : إنها في قادة الأحزاب ، ثم رجح الإمام القول الأول : أنها في المنافقين ، وإن كان للأقوال الأخرى مذهب ، ولكل منها توجيه ثم قال] : وأما علتنا في اختيارنا...فهي أن قول الله -جلّ ثناؤه-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ عقيب خبر الله -جلّ ثناؤه- عن مؤمني أهل الكتاب، وعقيب نعتهم وصفتهم ، وثنائه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسله ، فأولى الأمور بحكمة الله، أن يتلي ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم ، وذم أسبابهم وأحوالهم ، وإظهار شتمهم ، والبراءة منهم ؛ لأن مؤمنيهم ومشركيهم ، وإن اختلفت أحوالهم في اختلاف أديانهم ، فإن الجنس يجمع جميعهم بأنهم بنوا إسرائيل ." (١)

فلما كان الحديث السابق عن مؤمني أهل الكتاب ، فاللائق بالسياق والحكمة في الكلام ، أن يتبع بالفريق المقابل لهم : وهم الكافرون والمنافقون من بني إسرائيل ؛ لأن الذي يربط اختلاف معتقداتهم هو نسبهم إلى إسرائيل -عليه السلام-.

وفي قوله -تعالى- : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في السّبب الذي أنزلت هذه الآية فيه : فقال

---

(١) انظر جامع البيان (١/١٤١-١٤٢) ، وتحقيق شاكر (١/٢٥١) .

بعضهم : أنزلت في قوم قالوا على عهد النبيّ - ﷺ - : إنّا نحبّ ربنا ، فأمر الله – جلّ وعزّ – نبيّه محمداً -ﷺ - أن يقول لهم : إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيما تَقُولُونَ فاتّبِعُوني، فَإِنّ ذَلِكَ عَلامَةُ صِدْقِكُمْ فِيما قُلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ...[عن] الحسن يقول : قال قوم على عهد النبيّ -ﷺ - : يا محمد : إنا نحبّ ربنا ! . فأنزل الله –عزّ وجلّ- : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ فجعل اتّباع نبيّه محمّد -ﷺ - علَمًا لحبّه وعذابِ من خالفه...**وقال آخرون** : بل هذا أمر من الله نبيّه محمداً -ﷺ - أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى : إن كان الذي تقولونه في عيسى من عظيم القول ، إنما تقولونه تعظيماً لله وحباً له ، فاتّبعوا محمداً - ﷺ -...عن محمد بن جعفر بن الزبير (١) : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ أي : إن كان هذا من قولكم - يعني : في عيسى- ، حبّاً لله ، وتعظيماً له ، ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أي : ما مضى من كفركم ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، قول محمد بن جعفر بن الزبير ؛ لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ، ولا قبل هذه الآية ذكرُ قومٍ ادّعوا أنهم يحبون الله ، ولا أنهم يعظمونه ، فيكون قوله : ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ جواباً لقولهم على ما قاله الحسن . وأما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه ، فلا خبر به عندنا يصحّ ، فيجوز أن يقال : إن ذلك كذلك ، وإن لم يكن في السورة دلالة على أنه كما قال . إلا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله -ﷺ -: وفد نجران من النصارى ، فيكون ذلك من قوله نظير اختيارنا فيه ، فإذْ لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ، ولا في الآية دليل على ما وصفنا ، فأولى الأمور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدلالة من آي السورة ، وذلك هو ما وصفنا ؛ لأن ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم ، واحتجاج من الله لنبيه محمد -ﷺ -، ودليل على بطول قولهم في

---

(١) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المدني ، شيخ ابن إسحاق في أخباره ، وكان فقيهاً عالماً ، وثقه النسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي بين عشرٍ ومائة إلى عشرين ومائة . انظر تهذيب التهذيب (٥٣٠/٣) .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٨/٢) ، وقد حكى قصة الوفد من رواية محمد بن جعفر بن الزبير هذا .

المسيح، فالواجب أن تكون هي أيضاً مصروفةَ المعنى إلى نحو ما قبلها، ومعنى ما بعدها ." (١)

فالسياق كلام متتابع على نظام واحد لا يحيد عنه الكلام إلا بدليل منه ، أو بحديث نبوي، أو بسبب نزول صحيح ، وهذه الآيات من سورة آل عمران نزلت في وفد نصارى نجران ، والآية التي نحن بصددها واقعة في ثنايا الحديث عن النصارى ومجادلتهم، فالقول بلا حجة ، ونسبته لغير المتحدث فيه يضعفه السياق؛لأن الأصل اتصال السياق .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٢٣ ﴾ [النساء: ١٢٣] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ ﴾ **فقال بعضهم** : عُني بقوله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ أهل الإسلام...وقال آخرون : بل عنى الله بقوله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ ﴾ : أهل الشرك به من عبدة الأوثان...عن مجاهد في قوله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ ﴾ قال : قريش ، قالت : لن نُبعث ولن نُعذّب...وقال آخرون : عُني به أهل الكتاب خاصة...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : ما قال مجاهد ، من أنه عنى بقوله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ مشركي قريش . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى من الآي قبل قوله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ ، وإنما جرى ذكر أمانيّ نصيب الشيطان المفروض ، وذلك في قوله : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [النساء: ١١٩] وقوله : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ [النساء: ١٢٠] فإلحاق معنى قوله –جلّ ثناؤه– : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ بما قد جرى ذكره قبل أحقّ وأولى من ادّعاء تأويل فيه ، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا أثر عن الرسول –ﷺ– ، ولا إجماع من أهل التأويل . وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية إذن : ليس الأمر بأمانيكم يا معشر أولياء الشيطان وحزبه ، التي يمنيكموها وليكم عدوّا لله ، من إنقاذكم ممن أرادكم بسوء ، ونصرتكم عليه ، وإظفاركم به ، ولا أماني أهل الكتاب الذين قالوا اغتراراً بالله وبحلمه عنهم : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] ، و ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة:

---

(١) جامع البيان (٣/٢٩٠) ، وتحقيق شاكر (٦/٣٢٢) .

١١١] ، فإنّ الله مجازي كل عامل منكم جزاء عمله ، من يعمل منكم سوءً ومن غيركم يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة . ومما يدلّ على صحة ما قلنا في تأويل ذلك ، وأنه عُني بقوله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ مشركو العرب كما قال مجاهد ، أن الله وصف وعد الشيطان ما وعد أولياءه ، وأخبر بحال وعده ، ثم أتبع ذلك بصفة وعده الصادق بقوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٢٢] وقد ذكر –جلّ ثناؤه– مع وصفه وعد الشيطان أولياءه ، تمنيته إياهم الأماني، بقوله : ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ كما ذكر وعده إياهم ، فالذي هو أشبه : أن يتبع تمنيته إياهم من الصفة ، بمثل الذي أتبع عدَته إياهم به من الصفة . وإذ كان ذلك كذلك صحّ أن قوله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ الآية ، إنما هو خبر من الله عن أمانيّ أولياء الشيطان ، وما إليه صائرة أمانيهم ، مع سيئ أعمالهم من سوء الجزاء ، وما إليه صائرة أعمال أولياء الله من حسن الجزاء . وإنما ضمّ –جلّ ثناؤه– أهل الكتاب إلى المشركين في قوله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ ﴾ ؛ لأن أماني الفريقين من تمنية الشيطان إياهم التي وعدهم أن يمنيهموها بقوله : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ ﴾ ."(١)

فابن جرير –رحمه الله– يرى أن السياق لم يذكر المسلمين ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقد ذكر آخرون أن سياق الآيات في المسلمين لا المشركين ، ويدل لذلك قصة نزول الآية ، وشكوى الصحابة للنبي – ﷺ– ، والسورة مدنية لا مكية ، وممن ذهب لذلك : مقاتل ، وصاحبا

---

(١) جامع البيان (٤/٢٨٧-٢٩١) ، وتحقيق شاكر (٩/٢٢٨) . وانظر مواضع أخرى في : النساء (١٦٣-١٦٦) ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ الآيات جامع البيان (٤/٣٦٦-٣٧٠) ، والنحل (١١٤) ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٥٧) ، والإسراء (٧٦) ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ جامع البيان (٨/١٢١-١٢٢) ، والكهف (٩) ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ جامع البيان (٨/١٧٩-١٨٠) .

الجلالين ، وابن تيمية ، وأصحاب التفسير الميسّر وغيرهم .

يقول ابن تيمية :" والأول [أنها في المسلمين وأهل الكتاب] أشهر في النقل وأظهر في الدليل : لأن السورة مدنية بالاتفاق ، فالخطاب فيها مع المؤمنين كسائر السور المدنية .

وأيضا فإنه قد استفاض من وجوه متعددة أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] شق ذلك على أصحاب النبي – ﷺ– حتى بين لهم النبي – ﷺ– أن مصائب الدنيا من الجزاء ، وبها يجزى المؤمن ، فعلم أنهم مخاطبون بهذه الآية لا بمجرد الكفار .

وأيضا قوله بعد هذا : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٤] الآية ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ﴾ [النساء: ١٢٥] يدل على أن هناك تنازعا في تفضيل الأديان لا مجرد إنكار عقوبة بعد الموت .

وأيضا فما قبلها وما بعدها خطاب مع المؤمنين وجواب لهم ، فكان المخاطب في هذه الآية هو المخاطب في بقية الآيات " .(١)

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٢٦/١٤) وما بعدها .

المبحث الرابع : موضع لم يرجح فيه الإمام الأرجح من أسباب النزول:

في قوله -تعالى- : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] **قال -رحمه الله-**: "...وقوله : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ يقول -جلّ ثناؤه- لنبيه -ﷺ- : ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار ، ولا تجاوزهم إليه...

وقوله : ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه-لنبيه -ﷺ- : لا تعدُ عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشراف المشركين ، تبغي بمجالستهم الشرف والفخر ، وذلك أن رسول الله -ﷺ- أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك، **وقال بعضهم** : بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالإسلام ، فرأوه جالساً مع خبّاب (١) ، وصهيب (٢) ، وبلال (٣) ، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا ، قالوا : فهمّ رسول الله -ﷺ- ، فأنزل الله عليه : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ

---

(١) هو أبو يحيى ، أو أبو عبد الله ، خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد التميمي ، كان قيناً يعمل السيوف ، من نجباء السابقين، عذب على إسلامه ، شهد بدراً والمشاهد ، عاش سبعاً وسبعين سنة ، وتوفي بالكوفة ، سنة سبع وثلاثين ، وصلى عليه عليّ بن أبي طالب . انظر سير أعلام النبلاء (٣٢٣/٢) ، والإصابة (١٠١/٢) ، والأعلام (٣٤٤/٢) .

(٢) هو أبو يحيى ، صهيب بن سنان بن مالك ، من بني النمر بن قاسط ، الرومي ؛ لسبي الروم له مدة ، كان أبوه أو عمّه من أشراف الجاهليين ، ولاه كسرى على الأُبلّة منازل قومه قرب الموصل ، وبها ولد صهيب ، أغارت الروم فسبته صغيراً ، فعاش بينهم فكان ألكن ، واشتري فجيء به مكة ، ثم أعتقه عبد الله بن جدعان الجاهلي ، فكان يحترف التجارة ، وكان من أرمى العرب سهماً ، صحب النبي قبل أن يوحى إليه ، وهو من السابقين ، ولما جاءت الهجرة ترك ماله كله ، فقال النبي -ﷺ-: "ربح صهيب ، ربح صهيب "شهد بدراً والمشاهد ، أنابه عمر لما طعن للصلاة بالناس حتى يختار خليفة ، توفي سنة ثمان وثلاثين . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/٢) ، والإصابة (٢٥٤/٣) ، والأعلام (٣٠٢/٣) .

(٣) هو أبو عبد الله ، بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق ، وهو مؤذّن رسول الله -ﷺ- ، وخازنه على بيت ماله ، من السابقين إلى الإسلام ، عذب فكان يقول : أحدٌ أحدٌ ، شهد بدراً ، وشهد له الرسول بالجنة ، عاش على الصحيح بضعاً وستين سنة ، يقال : إنه حبشي ، وقيل من مولّدي الحجاز ، توفي بدمشق ، سنة عشرين ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٣٤٧/١) ، والإصابة (١٧٠/١) ، والأعلام (٤٩/٢) .

وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[الأنعام: ٥٢] ثم كان يقوم إذا أراد القيام ، ويتركهم قعوداً ، فأنزل الله عليه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ الآية ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ يريد زينة الحياة الدنيا : بمجالسة أولئك العظماء الأشراف...

عن ابن جريج ، قال : أخبرت أن عيينة بن حصن (١) قال للنبيّ - ﷺ - قبل أن يُسلم : لقد آذاني ريح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلساً منك لا يجامعوننا فيه ، واجعل لهم مجلساً لا نجامعهم فيه ، فنزلت الآية(٢)...

عن سلمان الفارسي قال : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله -ﷺ - :عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس (٣) ، وذووهم ، فقالوا : يا نبيّ الله ، إنك لو جلست في صدر المسجد ، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، يعنون سلمان ، وأبا ذرّ (٤) وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف ، و لم يكن عليهم غيرها ، جلسنا إليك وحادثناك ، وأخذنا عنك فأنزل الله :

---

(١) هو أبو مالك ، عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، من زعماء غطفان ، كان اسمه حذيفة فأصيب في عينه فسمّي عيينة ، من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه النبي -ﷺ - مائة من الإبل يوم حنين كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه ، ثم ارتدّ واتبع طليحة حين تنبّأ، وأتي به أبا بكر أسيراً ، فمنّ عليه . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٦و٢٩٤و٣٠١) ، والمعارف صفحة (٣٠٢-٣٠٤) ، والإصابة (٥/٥٥) .

(٢) سند الحديث قال ابن جرير : حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج ، عن عكرمة قال : أخبرت . وهذا إسناد منقطع ؛ لجهالة من أخبر عكرمة ، هل هو صحابي أم تابعي ؟! ، وهناك أحاديث أخرى ضعيفة في المعنى نفسه ، إلا أن المفسرين قد أجمعوا على ذكر هذا السبب ، فيقال به ؛ لإجماع المفسرين على المعنى الذي دل عليه الحديث ، كما يشهد له سياق الآيات . انظر المحرر في أسباب النزول للدكتور خالد المزيني (٢/٦٨٤).

(٣) هو الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي ، كان أقرع الرأس ، من سادات العرب في الجاهلية ، دان بالمجوسية ثم أسلم مع وفد بني دارم من تميم ، له عشرة من الولد ، أعطاه النبي -ﷺ - مائة من الإبل يوم حنين تألفاً كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه ، شهد حنيناً والطائف ، كان مع خالد بن الوليد في الوقائع حتى اليمامة، استشهد بالجوزجان ، سنة إحدى وثلاثين. انظر المعارف صفحة (٣٤٢و٥٧٩و٦٢١) ، والإصابة (١/٨٥)، والأعلام (١/٣٤٣).

(٤) قيل هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري ، قصة إسلامه في الصحيح مشهورة ، استعمله النبي -ﷺ- على المدينة غزوة بني المصطلق ، توفي سنة اثنتين وثلاثين . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٥٢) و(٣/٣٠٢) ، والإصابة (٧/٦٠) ، وشذرات الذهب (١/٣٩) ، والأعلام (٢/١٣٦) .

﴿ وَاتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف: ٢٧] حتى بلغ: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ [الكهف: ٢٩] يتهدّدهم بالنار ، فقام نبيّ الله -ﷺ- يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخّر المسجد يذكرون الله، فقال : «الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ يُمِتْنِي حتى أَمَرَنِي أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ رِجالٍ مِنْ أُمّتِي ، مَعَكُمُ المَحيْا وَمَعَكُمُ المَماتُ» (١).

وقوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الكهف: ٢٨] يقول -تعالى ذِكْرُه-لنبيّه -ﷺ-: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار ، الذين سألوك طرد الرهط ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ عنك عن ذكرنا بالكفر وغلبة الشقاء عليه ، واتبع هواه ، وترك اتباع أمر الله ونهيه ، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه ، وهم فيما ذُكر : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذووهم..." (٢)

ففي قول سلمان -ﷺ- : أنهم المؤلفة قلوبهم ، تناقض مع الآية التي وصفتهم بأنهم : أُغفِلت قلوبهم عن ذكر الله ، واتبعوا أهوائهم وأمرهم إلى ضياع في قوله : ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ ، فهذه صفات الكفار ، كما بيّن الإمام الطبري -رحمه الله- معناها ، والمؤلفة قلوبهم مسلمون ، إلا أن يكون المراد بالمؤلفة قلوبهم أناس قبل دخولهم الإسلام فيكون لذلك وجه محتمل -والله أعلم-.

هذه بعض المواضع التي تندرج تحت هذا الأثر ، وقد تبيّن أنّ الواجب تمحيص سبب النزول وتأمله مع نص الآية وسياقها فلا يقال بدخول مسلم في سياق الكفار ولا العكس ، ثمّ لا مانع من إدخال من شابه من نزلت فيه الآيات ؛ لأن القرآن أنزل للعالمين ، وظهر جلياً أثر السياق في هذا التمحيص والتدقيق ، وفي ترجيح المناسب الموافق لسياق الآيات . — والله أعلم -.

---

(١) أخرجه ابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وأبو الشيخ من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة به ، وإسناده ضعيف ، بسبب سليمان بن عطاء الجزري قال ابن حجر في التقريب : " منكر الحديث "، تقريب التهذيب صفحة (٣٢٨/١) ، وانظر أسباب النزول للواحدي صفحة (٢٩٧-٢٩٨) ، وفي مجمع الزوائد (٢١/٧) قال عبد الرحمن بن سهل بن حنيف :"نزلت هذه الآية على النبي -ﷺ- وهو في بعض أبياته ، وفيه قال -ﷺ- : "الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم " . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وانظر تفسير ابن كثير (٧٩/٣) ، والصواب أنه مرسل فعبد الرحمن بن سهل تابعي وليس بصحابي .

(٢) جامع البيان (٢١٤/٨-٢١٥) .

الفصل الثالث

أثر دلالة السياق في

إظهار تناسب الآيات وترابطها :

الفصل الثالث : أثر دلالة السياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها:

علم المناسبات علم عظيم ، يثمر ربط كلام الله –عزّ وجلّ –بعضه ببعض ، ويعين على فهم الآية ، ويظهر إعجاز القرآن ، وأنه منزل من حكيم عليم قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

والمناسبة في اللغة : المقاربة ، وفلان يناسب فلاناً أي : يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسيب ، الذي هو : القريب المتصل ، كالأخوين وابن العم ونحوه ، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما ، وهو القرابة .

والمناسبة : أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول ، وكذلك المناسبة بين فواتح الآي وخواتيمها .

وفائدة علم المناسبات : جعل أجزاء الكلام آخذ بعضها بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال الأكيد البناء المحكم المتلائم الأجزاء . قال بعض الأئمة من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ؛ لئلا يكون منقطعاً .(١)

وقد ثبت بالاستقراء : أن التناسب بين سور القرآن الكريم موجود ، وألفت فيه مؤلفات منها: البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي(٢)، وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي –رحمه الله– ، وإذا ثبت هذا فالمناسبات بين الآيات ، وتعلّق بعضها ببعض وجوده من باب الأولى ، حتى إن المتأمل لكلام الله –عزّ وجلّ– يظهر له أن القرآن كله كالمقطع الواحد المترابط المتناسب الآخذ بعضه برقاب بعض .

ومن محاسن المناسبات : أنها تساعد على حسن التفسير ، ودقة الفهم ، وعدم مراعاة المناسبات يوقع المفسر في الخطأ عند تفسير الآيات .

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/١٣١-١٣٦) .

(٢) توفي سنة ٧٠٨ هـ ، وقد حقق الكتاب الدكتور سعيد بن جمعة الفلاح ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٨هـ .

وممن اهتم بالمناسبات في تفسيره :

برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي -رحمه الله- ، المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة للهجرة، في تفسيره : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، وهو من أوسعها وأشملها ، وإن كان فيه بعض التكلّف .

وفخر الدين محمد بن عمر الرازي -رحمه الله- ، المتوفى سنة ست وستمائة للهجرة ، في تفسيره المسمى : التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب .

ومن المعاصرين : سيد قطب -رحمه الله -⁽¹⁾ ، المقتول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة ، في تفسيره الذي أسماه : في ظلال القرآن .

وليس هناك فرق بين المناسبة والرابط فكل مناسبة رابط ، وكل ربط فهو مناسبة ، كما عبّر عن ذلك الزركشي -رحمه الله- .⁽²⁾

ومن الأمثلة على : الربط بين الآيات المتتاليات ، عند ابن جرير -رحمه الله- : في قوله - تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه-: وأعتدنا للكافرين بالله من اليهود الذين وصف الله صفتهم عذاباً مهيناً ، ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ ، ﴿وَالَّذِينَ﴾ في موضع خفض عطفاً على الكافرين . وقوله : ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ يعني : ينفقه مراءاة الناس ، في غير طاعة الله أو غير سبيله ، ولكن في سبيل الشيطان ، ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يقول : ولا يصدّقون بوحدانية الله، ولا بالمَعَاد إليه يوم القيامة - الذي فيه جزاء الأعمال - أنه كائن..." ⁽³⁾

---

(١) هو سيد قطب بن الحاج قطب إبراهيم ، ولد ١٩٠٦م وبعد تخرجه زاول التدريس سنوات ، ثم أوفد إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم ، وله مؤلفات منها غير التفسير : التصوير الفني في القرآن ، ومعالم في الطريق ، أعدم سنة ١٩٦٦م ويوافق ١٣٨٨هـ ، انظر سيد قطب الشهيد الحي من الميلاد إلى الاستشهاد د. صلاح عبد الفتاح الخالدي .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١/١٣١و١٣٦) .

(٣) جامع البيان (٤/٩٠) ، وتحقيق شاكر (٨/٣٥٦) .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [النساء: ٣٩] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه- : وأيّ شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ ..." (١)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه- : ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ ، فإن الله لا يبخس أحداً من خلقه أنفق في سبيله ، مما رزقه من ثواب نفقته في الدنيا ، ولا من أجرها يوم القيامة ، ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ ﴾ أي : ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن ، ولكنه يجازيه به ، ويثيبه عليه... وإنما اخترنا [هذا التأويل]...؛ لموافقته الأثر عن رسول الله -ﷺ- مع دلالة ظاهر التنزيل على صحته ، إذ كان في سياق الآية التي قبلها ، التي حثّ الله فيها على النفقة في طاعته، وذمّ النفقة في طاعة الشيطان ، ثم وصل ذلك بما وعد المنافقين في طاعته بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ ..."(٢)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه -: إن الله لا يظلم عباده مثقال ذرّة، فكيف بهم ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ ﴾ يعني : بمن يشهد عليها بأعمالها ، وتصديقها رسلها ، أو تكذيبها ." (٣)

وهكذا يظهر أنّ كلّ آية تلي أختها بينهما نسب وقرب ، يكون إدراكه راجع إلى ما عند المفسر من دقّة التأمل ، وحسن التفكّر ، وكمال العلم بالتفسير ، ولا مانع من تعدّد المناسبات ، فهي دالّة على إعجاز هذا القرآن من أوجه متعددة بتعدد وجوه المناسبة . — والله أعلم — .

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : علامات تظهر الترابط والتناسب بين الكلام .

---

(١) جامع البيان (٩١/٤) ، وتحقيق شاكر (٣٥٩/٨) .

(٢) تحقيق شاكر (٣٥٩/٨) .

(٣) جامع البيان (٩٠/٤-٩٤) ، وتحقيق شاكر (٣٦٨/٨) .

المبحث الثاني : الترابط والتناسب في الآية الواحدة .

المبحث الثالث : المناسبات بين الآيات .

المبحث الرابع : الربط بين مقاطع السورة .

المبحث الخامس : التناسب والتقسيم .

المبحث السادس : مناسبات إشارية .

المبحث السابع : مواضع لم يذكر فيها الإمام الطبري –رحمه الله –الربط بين الآيات .

المبحث الأول : علامات تظهر الترابط والتناسب بين الكلام :

سبق الحديث عن اتصال الكلام وأن له روابط تدل عليه (١) ، وهنا سأذكر هذه الروابط ونحوها مما كان له أثر من جهة إظهار تناسب الآيات وترابطها ، ومن هذه الروابط ما يلي :

-١- القصة الواحدة :

أ- أحداث القصة مسوقة حسب وقوعها ، ومرتبة حسب سردها ، وما يساق فيها مرتّب بعضه على بعض : مثال ذلك : قصة آدم – عليه السّلام – مع الملائكة – عليهم السّلام – في سورة البقرة ، وما كان من أمر الله بهبوط آدم وزوجه وإبليس : قال –تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾ [البقرة: ٣٦] **قال أبو جعفر** : " يقال : هبط فلان أرض كذا ، ووادي كذا : إذا حلّ ذلك...وقد أبان هذا القول من الله –جلّ ثناؤه– عن صحة ما قلنا من أن المخرِج آدم من الجنة هو الله –جلّ ثناؤه– ، وأن إضافة الله إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما ، كان على ما وصفنا ، ودلّ بذلك أيضاً على أن هبوط آدم وزوجته وعدوّهما إبليس كان في وقت واحد ، بجَمْعِ الله إياهم في الخبر عن إهباطهم بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته ، وتسبب إبليس ذلك لهما ، على ما وصفه ربنا – جل ذكره – عنهم ." (٢)

فالمثال يظهر أن القصة مرتبة ، وأن خروج آدم معطوف على خطيئته حين أكل من الشجرة ، بعد نهي الله عنها ، وكان الخروج للثلاثة بدليل جمع الخطاب لهم في قوله : ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ .

ب- الأقوال في القصة الواحدة يُرجع الجواب في القصة على السؤال المقابل له منها : فما يكون في القصة من أقوال للرسل مع الأقوام ونحو ذلك ، هو في الواقع إجابة لفعل أو قول للآخر : ففي قوله –تعالى–: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ

---

(١) انظر صفحة (١٥٩) وما بعدها .

(٢) جامع البيان (٢٧٧/١) ، وتحقيق شاكر (٥٣٤/١) . وانظر قوله تعالى في البقرة (٣١) : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ جامع البيان (٢٥٥/١-٢٥٦) .

قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود: ٦٤] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود إذ قالوا له : ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود: ٦٢] وسألوه الآية على ما دعاهم إليه : ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ ..." (١)

فكلام الله العزيز عن قصة صالح -عليه السلام- مع قومه ، وأنه قال : ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ هو ردٌّ على تكذيبهم السابق له وقولهم : ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ ، وكذلك قصص الرسل مع أقوامهم ونحوهم ، يحكي واقع المواجهة والمحاجة والجدال والردود ، فإذا استحضرت القصة ، وجدت الأقوال فيها لها مرجع إلى قول سابق مناسب -والله أعلم- .

- وكذلك يكون الكلام في ختام القصة تعقيبا من الله -جل جلاله- على قول سبق للقوم الظالمين : ففي قوله -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٢] **قال أبو جعفر** : " وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه- : لم يكن الذين اتّبعوا شعيباً الخاسرين ، بل الذين كذّبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين ؛ لأنه أخبر عنهم -جلّ ثناؤه- أنّ الذين كذّبوا شعيباً قالوا للذين أرادوا اتباعه : ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٠] فكذّبهم الله بما أحلّ بهم من عاجل نكاله ، ثمّ قال لنبيّه محمّد -ﷺ- : ما خسر تُبّاع شعيب ، بل كان الذين كذّبوا شعيباً لمّا جاءت عقوبة الله هم الخاسرين ، دون الذين صدّقوا وآمنوا به ." (٢)

فتعقيب الله -عزّ وجلّ -ببيان الخاسر حقيقة ، رد على الكفرة من قوم شعيب حين قالوا : ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ فلا صحّة لقولهم وقد أهلكهم الله، وهذا الكلام وإن كان من الله -عزّ وجلّ- فهو ردّ عليهم حين زعموا أن متّبع شعيب خاسر .

---

(١) جامع البيان (٦٣/٧) ، وتحقيق شاكر (٣٧١/١٥) .

(٢) جامع البيان (٧/٦) ، وتحقيق شاكر (٥٧٠/١٢) .

-٢- الأمر بالقول :

فما يكون من أمر بالقول للنبي- ﷺ - أو لغيره -كالمؤمنين في قوله:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة: ١٣٦] - هو في سياق الردّ على كلام سابق، وإجابة وتعليق عليه : ولذلك أمثلة كثيرة منها : قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة: ٧٦] **قال أبو جعفر** : "وهذا أيضاً احتجاج من الله -تعالى ذِكْرُه- لنبيه - ﷺ - على النصارى القائلين في المسيح ما وصف من قيلهم فيه قبل [1] ، يقول -تعالى ذِكْرُه- لمحمد -ﷺ - : قل يا محمد لهؤلاء الكفرة من النصارى الزاعمين أن المسيح ربهم ، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة : أتعبدون سوى الله - الذي يملك ضرّكم ونفعكم ، وهو الذي خلقكم ورزقكم ، وهو يحييكم ويميتكم- شيئاً لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً ؟ يخبرهم -تعالى ذِكْرُه- : أنّ المسيح الذي زعم من زعم من النصارى أنه إله ، والذي زعم من زعم منهم أنه لله ابن ، لا يملك لهم ضرّاً يدفعه عنهم إن أحله الله بهم ، ولا نفعاً يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم ، يقول -تعالى ذِكْرُه-: فكيف يكون ربّاً وإلهاً من كانت هذه صفته ؟ بل الربّ المعبود الذي بيده كلّ شيء ، والقادر على كلّ شيء ، فإياه فاعبدوا ، وأخلصوا له العبادة ، دون غيره من العَجَزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرّون ." [2]

---

[1] ورد وصف المسيح -عليه السلام- في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٣] .

[2] جامع البيان (٦٥٥/٤) ، وتحقيق شاكر (٤٨٦/١٠) . ومثله في : البقرة (١٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٣/١) ، و(١٣٩) ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ جامع البيان (٦٢٤/١) ، وآل عمران (٨٤) ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٦/٣) ، والأنعام (١١) ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ جامع البيان (١٥٤/٥) ، والأعراف (١٨٨) ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (١٤٠/٦-١٤١)، ويونس (١٧) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
=

فلما أمر الله نبيه -ﷺ- بالقول في سياق ذكر أقوال النصارى في عيسى - عليه السّلام - كان هذا دليلاً على أنّه من باب الردّ عليهم وفضح عوار معتقدهم الباطل .

- وكذلك ما عطف على الأمر بالقول فهو أمرٌ به أيضاً مكمّل لبقية الكلام : كما في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)﴾ [الأنعام: ٣٨] **قال أبو جعفر** : " يقول - تعالى ذِكْرُه - لنبيّه محمّد - ﷺ - : قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذّبين بآيات الله : أيها القوم لا تحسبُنّ الله غافلاً عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شيء دبّ على الأرض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء ؟ ، بل جعل ذلك أجناساً كله مجنّسة وأصنافاً مصنفة ، تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومثْبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم إنه -تعالى ذِكْرُه- مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها ، يقول : فالربّ الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدوابّ في الأرض ، والطير في الهواء ، حتّى حفظ عليها حركاتها وأفعالها ، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب ، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء ، أحرى أن لا يضيع أعمالكم ، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها أيها الناس ، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها ، إن خيراً

كذبًا أو كذّب بآياته إنّه لا يفلح المجرمون (١٧)﴾ جامع البيان (٥٤٢/٦) و(٤٩) ﴿قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله﴾ الآية جامع البيان (٥٦٥/٦) ، والإسراء (١٠٧) ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا (١٠٧)﴾ جامع البيان (١٦٣/٨) ، والأنبياء (٤١) ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون (٤١)﴾ جامع البيان (٢٩/٩) ، و(٤٥) ﴿قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون (٤٥)﴾ جامع البيان (٣٢/٩) ، والنور (٥٤) ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمّل وعليكم ما حمّلتم﴾ الآية جامع البيان (٣٤٢/٩) ، والشعراء (٨١) ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ جامع البيان (٤٥٢/٩) ، وسورة ص (٨٦) ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (٨٦)﴾ جامع البيان (٦٠٨/١٠) ، والملك (٢٣-٢٦) ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ الآيات جامع البيان (١٧٢/١٢).

فخيراً، وإن شراً فشراً ، إذ كان قد خصكم من نعمه ، وبسط عليكم من فضله ما لم يعمّ به غيركم في الدنيا ، وكنتم بشكره أحقّ ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى ؛ لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميزون ، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطير ، الذي به بين مصالحكم ومضارّكم تفرّقون ." (١)

فهذه الآية معطوفة على أمر بالقول للنبي- ﷺ- في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: ٣٧] ، ثم قال : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية أي: وقل ما من دابة...؛ لأنها جملة معطوفة على أمر بالقول الذي في الآية الكريمة الماضية: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ﴾ الآية .

-٣- أسماء الإشارة ونحوها :

أ- ما يشار به فهو رابط : فهنالك ، وذلك ، وهذا ، وتلك ، وذلكم ، وكذا أحرف العطف الواو ، وثم ، تعتبر كلها روابط : ففي قوله -تعالى-: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١] **قال -رحمه الله-:**"... ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يقول : هذا الذي آمركم به من النفر في سبيل الله -تعالى- خفافاً وثقالاً وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم ، خير لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم ، والخلود إليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضاً من الآخرة، إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه ." (٢)

---

(١) جامع البيان (١٨٦/٥) ، وتحقيق شاكر (٣٤٤/١١) .

(٢) جامع البيان (٣٧٩/٦) ، وتحقيق شاكر (٢٧٠/١٤) . وانظر بقية الأمثلة : في البقرة (٢٢٩) ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ جامع البيان (٤٨٦/٢) ، و(٢٥٢) ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ جامع البيان (٦٤٧/٢) ، وآل عمران (٣٨) ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ جامع البيان (٢٤٧/٣) ، و(١٠٨) ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ جامع البيان (٣٨٨/٣) ، و(١٧٥) ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ جامع البيان (٥٢٥/٣) ، والمائدة (٣٢) ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ الآية جامع البيان (٥٤٠/٤) ، والأنعام (١٥٣) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا

=

فرجع اسم الإشارة : ذلكم إلى أول الآية فارتبط الكلام ، وتلاحمت الجمل ، وفهم المعنى ، واتضح المراد .

ب- إذا تكرر اسم الإشارة فالمشار إليه ما قبله مباشرة ، لا ما أشير إليه أوّل : فقوله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ﴾ [الحج: ٦١] وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢] يختلف مرجع اسم الإشارة : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في الموضعين : ففي الأول : أرجعه ابن جرير – رحمه الله– إلى النصر في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾[الحج: ٦٠] ، فقال : " ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي ؛ لأني القادر على ما أشاء، فمن قُدرته ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾ ...وبالقُدرة التي تَفْعَلُ ذلك ينصر محمّداً -ﷺ- وأصحابه على الذين بغوا عليهم ، فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ." (١)

وفي الموضع الثاني : أرجعه إلى إيلاج الليل في النهار فقال : " ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار وإيلاجي النهار في الليل ؛ لأني أنا الحقُّ الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ندّ ، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلهاً من دونه : هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء ،

= صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٦/٥) ، ومن أمثلة العطف : قوله تعالى في البقرة (١١٦) ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ جامع البيان (٥٥٤/١-٥٥٦) ، و(١٢٣) ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧١/١) ، وآل عمران (١٣٥) ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٩/٣) ، والنساء (٧٨) ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ ﴾ الآية جامع البيان (١٧٦/٤-١٧٧) ، والأنعام (١) ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ جامع البيان (١٤٤/٥) ، والجن(١٨) ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ ﴾ جامع البيان (٢٧١/١٢) .

(١) جامع البيان (١٨٣/٩) .

بل هو المصنوع..." (١)

فلا بد من إرجاع الإشارة إلى ما يناسب الجمل قبله وبعده إذا تكررت ، كما في تفسير هذه الآيات .

ج- الأصل أن العطف يربط بين الجمل -كما سبق- ولكن قد يرد السياق بلا عطف ، ويفهم منه الترابط : كما في قوله -تعالى-: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر: ٨٨] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- لنبيه محمد- ﷺ -: لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا ، متاعاً للأغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يتمتعون فيها ، فإن مِنْ ورائهم عذاباً غليظاً ، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول : ولا تحزن على ما مُتّعوا به فعجّل لهم ، فإن لك في الآخرة ما هو خير منه ، مع الذي قد عَجّلنا لك في الدنيا من الكرامة ، بإعطائنا السبع المثاني ، والقرآن العظيم ." (٢)

فقد ذكر الله -سبحانه -نعمته على رسوله-ﷺ - بالقرآن العظيم ، ومنه السبع المثاني ، وبعدها نهاه عن زينة الحياة الدنيا ، و لم يعطف ، ولكن الكلام يفهم منه ارتباط هذا بنعمة القرآن والسبع المثاني ، والمعنى : فليكن منك شكر لله على هذه النعمة-نعمة الدين- فهي سبب النعيم الباقي ، وأما الدنيا فهي الفانية الزائلة .

-٤- الاستفهام رابط :

ففي قوله -تعالى-: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] **قال أبو جعفر** : " وهذا الكلام من الله -جلّ ثناؤه- يدلّ على نهيه المؤمنين برسوله يومئذٍ عن طاعة بعض المشركين ، الذين جادلوهم في أكل

---

(١) جامع البيان (١٨٣/٩) .

(٢) جامع البيان (٥٤٢/٧) . وانظر مثالاً آخر في آل عمران (١٨٣) ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٨/٣-٥٣٩) .

الميتة..." (١)

أي : أن هذه الآية مرتبطة بالسابقة ، وهي قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾ [الأنعام: ١٢١] فعُقّب على أنّ طاعة المؤمنين للمشركين ، استبدال لنور الإيمان بظلمات الكفر ، التي يعيش فيها الكافر ، فالأولى بمن علم أنه على نور ، وأن من يجادله في ظلمة ، ألا يستمع لكلامه وألا يأبه لشبهه .(٢)

-٥- من الروابط (أم) و(ألا) و(أفلا) :

وسأمثل على (أم) في قوله -تعالى-: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [البقرة: ٢١٤] **قال أبو جعفر** : " وأما قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ كأنه استفهم بـ«أم» في ابتداء لم يتقدمه حرف استفهام لسبوق كلام هو به متصل ، ولو لم يكن قبله كلام يكون به متصلاً ، وكان ابتداء لم يكن إلا بحرف من حروف الاستفهام ؛ لأن قائلاً لو كان قال مبتدئاً كلاماً لآخر : أم عندك أخوك ؟ لكان قائلاً ما لا معنى له ، ولكن لو قال : أنت رجل مدلّ بقوتك أم عندك أخوك ينصرك ؟ كان مصيباً...فمعنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة ، ولم يصبكم مثل ما أصاب من قبلكم، من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار..." (٣)

---

(١) حامع البيان (٣٣١/٥) ، وتحقيق شاكر (٨٨/١٢) .

(٢) وانظر مثله في البقرة (٢١١) ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ الآية حامع البيان (٣٤٤/٢) ، والأعراف (١٨٤) ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) ﴾ حامع البيان (١٣٤/٦) ، والزمر (٤٣) ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) ﴾ حامع البيان (١٠/١١) ، و(٥٢) ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) ﴾ حامع البيان (١٤/١١) .

(٣) حامع البيان (٣٥٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٢٨٧/٤) . وانظر أمثلة أخرى لـ(أم) في : هود (١٣) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) ﴾ حامع البيان (١١/٧)، و(ألا) في النور (٦٤) ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ الآية حامع البيان (٣٦١/٩) ، و(أفلا) في الغاشية (١٧) ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) ﴾ حامع البيان (٥٥٦/١٢) .

فالاستفهام خطاب لمن كان الحديث السابق عنهم ، وهم : المؤمنون المصدقون بالرسل ، و﴿ أَمْ ﴾ في قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ ربطت هذه الآية بالسابقة .

-٦- (إذ) عاطف ورابط :

كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: ٦١] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- لنبيّه محمّدٍ -ﷺ- : واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم ، وارتدادهم عتوّاً على ربهم ، بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوّهم وعدوّ والدهم ، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له ، حسداً واستكباراً : ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢] ، وكيف صدّقوا ظنه فيهم ، وخالفوا أمر ربهم وطاعته ، واتّبعوا أمر عدوّهم وعدوّ والدهم ." (١)

وقد عهد من استعمالات القرآن أن (إذ) فيها تذكير بأمر معين يناسب السياق ، وهنا كان ما وقع من الكفار شبيهاً بما حصل من إبليس ، وقد وصفهم الله تعالى بكثرة التكذيب مع كثرة التذكير ، فقال : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٠] فما أشبه تكذيبهم بتكذيب إبليس في هذه القصة .

-٧- التشبيه يعتبر رابطاً بين شيئين :

فقوله -تعالى-: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] **قال -رحمه الله-**: " يعني -جلّ ثناؤه- بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه السلام ، وبما جاءكم به من عند الله ، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملّته ، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل

---

(١) جامع البيان (١٠٦/٨) . وانظر نحوه في البقرة (٣٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٣/١-٢٣٤) ، و(١٢٤) ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٠/١) ، وآل عمران (٥٥) ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٨/٣) .

الملل ، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطاً ." (١)

فبعد أن ذكر الله نعمة الهداية الأكمل ، وهي اتباع ملة إبراهيم -عليه السلام- والتوجه إلى الكعبة المشرفة ، أعقبها بذكر نعمة أخرى ، وهي جعل الأمة المحمدية عدلة ، وشاهدة على الأمم كلها.

-٨- كلمة (بعد) رابط :

ففي قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١٠ ﴾ [النحل: ١١٠] **قال -رحمه الله -:** " يقول -تعالى ذِكْرُه-: ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين ، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم ، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم ، قبل هجرتهم عن دينهم ، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف ، وبألسنتهم بالبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله ، وصبروا على جهادهم ." (٢)

فكلمة : (بعد) في قوله : ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ راجعةٌ إلى ما تقدّم ذكره من الإكراه وأحكامه، في قوله -تعالى-: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦ ﴾ [النحل: ١٠٦] فكلمة ﴿ بَعْدِ ﴾ ربطت بين الآية وما قبلها .

-٩- كلمة (يوم) رابط :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ

---

(١) جامع البيان (٢/٨) ، وتحقيق شاكر (٣/١٤١) . ومثله في الأنفال (٥٢) ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٦٩) ، و(٥٤) ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٦٩) ، والقلم (٣٣) ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٣٣ ﴾ جامع البيان (١٢/١٩٥) .

(٢) جامع البيان (٧/٦٥٣) .

فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] **قال-رحمه الله-** : "...وأما معنى قوله -جلّ ثناؤه-: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به ، فقال بعضهم : عني به أهل قبلتنا من المسلمين...وقال آخرون : عنى بذلك كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن ، حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بين في كتابه...عن أبي بن كعب ، في قوله : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال : صاروا يوم القيامة فريقين ، فقال لمن اسود وجهه وعيّرهم : ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال : هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم ، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقروا كلهم بالعبودية ، وفطرهم على الإسلام ، فكانوا أمة واحدة مسلمين ، يقول : أكفرتم بعد إيمانكم ، يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم ، وقال في الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا له الدين والعمل ، فبيض الله وجوههم ، وأدخلهم في رضوانه وجنّته ، **وقال آخرون** : بل الذين عنوا بقوله : ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ المنافقون...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب : القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب : أنه عنى بذلك جميع الكفار ، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقروا به يوم قيل لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وذلك أنّ الله -جلّ ثناؤه- جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما : سُوداً وجوهه ، والآخر : بِيْضاً وجوهه ، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أنّ جميع الكفار داخلون في فريق من سُوِّد وجهُه ، وأنّ جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّض وجهُه ، فلا وجه إذاً لقول قائل عنى بقوله : ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض ، وقد عمّ الله -جلّ ثناؤه- الخبر عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادة بذلك ." (١)

-١٠- اللام رابط :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى

---

(١) جامع البيان (٣٨٦/٣) ، وتحقيق شاكر (٩٣/٧) . ومثله أيضا في المجادلة (٦) ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٣/١٢) .

ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] **قال أبو جعفر** : " أمّا قوله : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فبيان من الله -عزّ وجلّ- عن سبيل النفقة ووجهها ، ومعنى الكلام : وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، تنفقون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله . واللام التي في : "الفقراء" ، مردودة على موضع اللام في : ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، كأنه قال : ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ يعني به : وما تتصدّقوا به من مال ، فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله..." [١]

فهذه الآية بينت مصرف النفقة التي حث الله عليها في الآية الماضية ، وبين الله — سبحانه — في الآية الماضية أن أثر هذه النفقة وخيرها يعود على النفس وذلك في قوله : ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] [٢].

-١١- (كلاّ) رابط :

لأنها رد ونفي لما سبق : كما في قوله -تعالى-: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٢٧] **قال -رحمه الله-:** " يقول -تعالى ذِكْرُه- : ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء المشركون ، من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربهم ، بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها... ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ يقول - تعالى ذِكْره- : وقال أهله : من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به ، وطلبوا له الأطباء والمداوين ، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئاً . " [٣]

فربطت (كلاّ) الرادعة الكلام بما قبله وبما بعده ، حيث إن الكفار في سورة القيامة يكذبون

---

[١] حامع البيان (٩٦/٣) ، وتحقيق شاكر (٥٩٠/٥) .

[٢] ومثله في : سبأ (٤-٦) ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآيات حامع البيان (٣٤٦/١٠-٣٤٧) ، والحشر (٨) ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ حامع البيان (٣٩/١٢) .

[٣] حامع البيان (٣٤٥/١٢) .

باليوم الآخر ، كما أخبر الله عنهم : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣] (١) ، وسباق الآيات قبل قوله: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ ولحاقه ، كله في إثبات اليوم الآخر، فمعنى ﴿ كَلَّآ ﴾ : ردع وزجر –عن التكذيب الواقع من الكفار –وتأكيد لوقوع اليوم الآخر.

-١٢- الختام لجملة من الآيات رابط بينها :

ففي قوله –تعالى-: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] **قال –رحمه الله- في قوله –تعالى-:** ﴿ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ : " اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم [كالسدّي] : معنى ذلك : قدّموا لأنفسكم الخير...وقال آخرون : بل معنى ذلك : وَقَدِّمُوا لأنْفُسِكُمْ ذكْرَ الله عند الجماع وإتيان الحرث قبل إتيانه...

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية ما روينا عن السدي ، وهو أن قوله : ﴿ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ أمر من الله –تعالى ذِكْرُه– عباده بتقديم الخير ، والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم ، عدة منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب ، فإنه قال –تعالى ذِكْرُه- : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٠، المزمل: ٢٠]، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ؛ لأن الله –تعالى ذِكْرُه– عقّب قوله : ﴿ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ بالأمر باتقائه في ركوب معاصيه ، فكان الذي هو أولى بأن يكون قبل التهدّد على المعصية –إذْ كان التهدّد على المعصية عامّاً –الأمر بالطاعة عامّاً . فإن قال لنا قائل : وما وجه الأمر بالطاعة بقوله : ﴿ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ من قوله : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ ﴾ ؟ قيل : إن ذلك لم يقصد به ما توهمته ، وإنما عنى به : وقدّموا لأنفسكم من الخيرات التي ندبناكم إليها بقولنا : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٥] ، وما بعده من سائر ما سألوا رسول الله– ﷺ– ، فأجيبوا عنه مما ذكره الله –تعالى ذِكْرُه– في هذه الآيات(٢) ، ثم قال –تعالى ذِكْرُه:

---

(١) ومثله في السورة نفسها (٢٠) ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ [القيامة: ٢٠] جامع البيان (٣٤٢/١٢) .

(٢) إلى قوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

قد بينا لكم ما فيه رشدكم وهدايتكم إلى ما يرضي ربكم عنكم ، فقدموا لأنفسكم الخير الذي أمركم به ، واتخذوا عنده به عهداً لتجدوه لديه إذا لقيتموه في معادكم ، واتقوه في معاصيه أن تقربوها ، وفي حدوده أن تضيعوها ، واعلموا أنكم لا محالة ملاقوه في معادكم ، فمجازٍ المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ."(١)

---

(١) جامع البيان (٤١٢/٢) ، وتحقيق شاكر (٤١٦/٤) . ومثله في البقرة (٢٢٨) ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٤٦٩/٢) .

المبحث الثاني : الترابط والتناسب في الآية الواحدة :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- : لم يصب أحداً من الخلق مصيبة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ، يقول : إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه ، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ ، يقول : ومن يصدّق بالله فيعلم : أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك ، ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يقول : يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه ." (١).

فهذا التفسير للجمل في الآية : تريك ما لكل جملة منها من معنى متمم للأخرى ، وأن هذا الترتيب له حكمه ومعانيه ، وبهذا التفسير تجد الكلام قد أخذ بعضه بأعناق بعض، حتى صارت الجمل كالكلمة الواحدة .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ٢٨] **قال -رحمه الله-** : " وقوله : ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ يقول للمؤمنين : فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرَم . وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرَم ؛ لأنهم إذا دخلوا الحرَم فقد قربوا المسجد الحرام... وقوله : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقة وفقراً بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ ...وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فإن معناه : إن الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالح عباده ، حكيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه . "(٢)

---

(١) جامع البيان (١٢/١١٥) .

(٢) جامع البيان (٦/٣٥٤-٣٤٨) ، وتحقيق شاكر (١٤/١٩١) .

فخوف العيلة مرتبط بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام –مكة– ومعهم بضاعتهم ، وليس منع المشركين من دخول المسجد الحرام بمعزل عن تأمين المؤمنين من العيلة .(١)

---

(١) وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٤٠) ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٥/١) ، و(١٧٥) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)﴾ جامع البيان (٩٧/٢) ، و(١٧٨) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾ الآية جامع البيان (١١٤/٢) ، و البقرة (٢٢٤) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾ جامع البيان (٤١٢/٢–٤١٦) ، و(٢٣٢) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٢/٢) ، و(٢٥٥) ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣) ، و(٢٦٢) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)﴾ جامع البيان (٦٣/٣) ، والنساء (٣٤) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٧١/٤) ، و(١٤٢) ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾ جامع البيان (٣٣٣/٤) ، و(١٧٠) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠)﴾ جامع البيان (٣٧١/٤) ، و(١٧١) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٥–٣٧٦) ، والأنعام (٣٤) ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ الآية جامع البيان (١٨٢/٥) ، والأعراف (٦٩) ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٥٢٣/٥) ، والتوبة (٦١) ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٤٠٦/٦) ، ويونس (١١) ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١)﴾ جامع البيان (٥٣٧/٦) ، ويوسف (٥) ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)﴾ جامع البيان (١٤٩/٧–١٥٠) ، والرعد (٣١) ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ الآية جامع البيان (٣٨٩/٧) ، والكهف (١٨) ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الآية جامع البيان (١٩٤/٨) ، و(٢٦) ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ الآية جامع البيان (٢١٢/٨) ، والمؤمنون (٩٢) ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾ جامع البيان (٢٤٠/٩) ، وفاطر (١) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٣/١٠) ، والحديد (١٠) ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (٦٧٣/١١) .

المبحث الثالث : المناسبات بين الآيات :

لا شك أن السورة متناسبة آياتها ، بل القرآن كله متناسب مترابط ، بين سوره وآياته وجمله وكلماته وحروفه ، كما وصفه رب العالمين بقوله : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

والمناسبة بين الآيات – عند ابن جرير رحمه الله – على أنواع ، وسأمثل لها –إن شاء الله – في المطالب التالية :

المطلب الأول : مناسبة الآية مع ما قبلها .

المطلب الثاني : مناسبة الآية مع ما بعدها .

المطلب الثالث : مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها .

المطلب الرابع : قد يعود بالمناسبة على متقدم بعيد في السورة .

وهذا التصنيف حسب ما ظهر من كلام الإمام الطبري –رحمه الله–، وستلحظ بين هذه الأمثلة المذكورة تداخلاً مع ما سبق من علامات الترابط العاطفة .

المطلب الأول : مناسبة الآية مع ما قبلها :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٤ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- للمؤمنين به المصدّقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة : إذَا قُرِئَ عليكم أيها المؤمنون القُرآنُ ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ يقول : أصغوا له سمعكم ؛ لتتفهّموا آياته، وتعتبروا بمواعظه ، وأنصتوا إليه ؛ لتعقلوه وتتدبروه ، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه . ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول : ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه ، واعتباركم بعبره ، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربّكم من فرائضه في آيهِ ." (١)

فهذه الآية فيها دعوة لتحقيق رحمة القرآن للمؤمنين ، التي ذكرها الله في قوله : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢٠٣ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] فمن أسباب تحقيقها : الإنصات لتلاوته في قوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٤ ﴾ .(٢)

---

(١) حامع البيان (٦/١٦١) ، وتحقيق شاكر (١٣/٣٤٤) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٠٢) ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ الآية حامع البيان (١/٤٩١-٤٩٢) ، و(١٠٥) ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية حامع البيان (١/٥٠٢) ، و(١٠٧) ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧ ﴾ حامع البيان (١/٥٢٩) ، و(١١٠) ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠ ﴾ حامع البيان (١/٥٣٨) ، و(١١٥) ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥ ﴾ حامع البيان (١/٥٥١-٥٥٣) ، و(١٢١) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾ حامع البيان (١/٥٧٠) ، و(١٤٨) ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ الآية حامع البيان (٢/٣٣) ، و(٢١١) ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾ الآية حامع البيان (٢/٣٤٥) ، و(٢١٢) ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية حامع البيان (٢/٣٤٦) ، و(٢٤٤) ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤٤ ﴾ حامع البيان (٢/٦٠٦) ، و(٢٤٥) ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا -

---

كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾ جامع البيان (٢/٦٠٩)، و(٢٥٢) ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)﴾ جامع البيان (٢/٦٤٨)، و(٢٥٦) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٩)، و(٢٥٩) ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الآية جامع البيان (٣/٣١)، وآل عمران (١٤) ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٩٨)، و(٤٠) ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ الآية جامع البيان (٣/٢٥٧)، و(٨٢) ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾ جامع البيان (٣/٣٣٣)، و(١٠٩) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩)﴾ جامع البيان (٣/٣٨٨)، و(١٢٣) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)﴾ جامع البيان (٣/٤٢٠)، و(١٢٩) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩)﴾ جامع البيان (٣/٤٣٤)، و(١٣٧) ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)﴾ جامع البيان (٣/٤٤٣-٤٤٤)، و(١٥٦-١٥٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيتين جامع البيان (٣/٤٩٢)، و(١٨٥) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٤٠)، و(١٩٠) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾ جامع البيان (٣/٥٥٠)، والنساء (٦٤) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٥٩)، و(١١١) ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١)﴾ جامع البيان (٤/٢٧٣)، و(١١٨) ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨)﴾ جامع البيان (٤/٢٨٠)، و(١٢٢) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٨٦-٢٨٧)، و(١٢٦) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (١٢٦)﴾ جامع البيان (٤/٢٩٧)، و(١٣٠) ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠)﴾ جامع البيان (٤/٣١٧)، و(١٤٦) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦)﴾ جامع البيان (٤/٣٣٧)، والمائدة (٣٣) ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (٤/٥٤٦)، و(٧٢-٧٣) ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الآيتين جامع البيان (٤/٦٥٢)، و(٩٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٣)، و(١٢٠) ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)﴾ جامع البيان (٥/١٤٢)، والأنعام (٥٩-٦٠) ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآيتين جامع البيان (٥/٢١١-٢١٣)، و(٩٢) ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

مُبَارَكٌ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٦٧)، و(١٦٠) ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ (١٦٠)﴾ جامع البيان (٥/٤١٥)، والأعراف (٢٢) ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٥٣)، و(٢٦) ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٥٥)، و(١٩٥) ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٥٠)، والأنفال (٣٠) ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٢٥)، والتوبة (٢٨) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٤٦-٣٤٧)، و(٦٢) ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ (٦٢)﴾ جامع البيان (٦/٤٠٧)، و(٨٥) ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ (٨٥)﴾ جامع البيان (٦/٤٤١)، ويونس (٢٥) ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٢٥)﴾ جامع البيان (٦/٥٤٨)، و(٥٥) ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ الآية جامع البيان (٦/٥٦٧)، و(٩٦-٩٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٩٦) وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ (٩٧)﴾ جامع البيان (٦/٦١١)، وهود (٦) ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ (٦)﴾ جامع البيان (٧/٤-٥)، و(١٤) ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ (١٤)﴾ جامع البيان (٧/١٢)، والرعد (١٥) ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ (١٥)﴾ جامع البيان (٧/٣٦٦)، والحجر (٩٥) ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ (٩٥)﴾ جامع البيان (٧/٥٥٠)، والنحل (١٧) ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)﴾ جامع البيان (٧/٥٧٣)، و(٤٠) ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٤٠)﴾ جامع البيان (٧/٥٨٥)، و(٩٠) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ جامع البيان (٧/٦٣٤)، و(١٠٥) ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٠٥)﴾ جامع البيان (٧/٦٥٠)، والإسراء (٤٤) ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾الآية جامع البيان (٨/٨٤)، والأنبياء (١٩) ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ (١٩)﴾ جامع البيان (٩/١٣)، و(٩٧) ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية جامع البيان (٩/٨٧)، والفرقان (٢٤) ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا (٢٤)﴾ جامع البيان (٩/٣٨١)، و(٥٥) ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا (٥٥)﴾ جامع البيان (٩/٤٠١)، والنمل (٢٦) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ (٢٦)﴾ جامع البيان (٩/٥١١-٥١٢)، و(٧٣) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ (٧٣)﴾ جامع البيان (١٠/١١)، والقصص

---

(٧٠) ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٧٠ ﴾ جامع البيان (٩٧/١٠)، والعنكبوت (٢٢) ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٢٢ ﴾ جامع البيان (١٣١/١٠)، والروم (١٩) { ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ١٩ ﴾ جامع البيان (١٧٤/١٠)، و(٥١) ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ٥١ ﴾ جامع البيان (١٩٧/١٠)، ولقمان (١٠) ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾الآية جامع البيان (٢٠٦/١٠)، والأحزاب (٥) ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (٢٥٧/١٠)، وسبأ (٢٧) ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٧ ﴾ جامع البيان (٣٧٧/١٠)، وفاطر (٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾الآية جامع البيان (٣٩٥/١٠)، و(١٦) ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ١٦ ﴾ جامع البيان (٤٠٥/١٠)، والزمر (٤٢) ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾الآية جامع البيان (٩/١١)، وغافر (٥) ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾الآية جامع البيان (٤٠/١١)، وفصلت (٣٦) ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٦ ﴾ جامع البيان (١١٢/١١)، والشورى (٤٦) ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ٤٦ ﴾ جامع البيان (١٦٠/١١)، والزخرف (٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ٢٦ ﴾ جامع البيان (١٧٨/١١)، و(٤١) ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١ ﴾ جامع البيان (١٩١-١٩٠/١١)، والجاثية (٢٢) ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٢ ﴾ جامع البيان (٢٦١/١١)، وسورة ق (١٤) ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ ﴾ جامع البيان (٤١٣/١١)، والطور (٢٤) ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ٢٤ ﴾ جامع البيان (٤٩٢/١١)، والنجم (٣١) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ٣١ ﴾ جامع البيان (٥٢٥/١١)، والحديد (١٧) ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٧ ﴾ جامع البيان (٦٨٢/١١)، والمجادلة (٢٢) ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾الآية جامع البيان (٢٦/١٢)، والحاقة (٣٦) ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦ ﴾ جامع البيان (٢٢١/١٢)، والجن (٥) ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ٥ ﴾ جامع البيان (٢٦٢/١٢)، والمرسلات (٤١) ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ٤١ ﴾ جامع البيان (٣٩٢/١٢)، والنبأ (١٩) ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ١٩ ﴾ جامع البيان (٤٠٢/١٢)، والليل (١٣) ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ١٣ ﴾ جامع البيان (٦١٨/١٢)، والعلق (٩-١٠) ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ١٠ ﴾ جامع البيان (٦٤٧/١٢) .

المطلب الثاني : مناسبة الآية مع ما بعدها :

ومثاله قوله -تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٢٤٣ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] **قال -رحمه الله-:** "...وأما قوله : ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ فإنه يعني : أُنهم خرجوا من حذر الموت فراراً منه... **قال أبو جعفر :** وإنّما حثّ الله -تعالى ذِكْرُه- عباده بهذه الآية على المواظبة على الجهاد في سبيله ، والصبر على قتال أعداء دينه ، وشجّعهم بإعلامه إياهم وتذكيره لهم أن الإماتة والإحياء بيديه وإليه دون خلقه ، وأن الفرار من القتال والهرب من الجهاد ولقاء الأعداء إلى التحصن في الحصون ، والاختباء في المنازل والدور ، غير منجٍ أحداً من قضائه إذا حلّ بساحته ، ولا دافع عنه أسباب منيّته إذا نزل بعقْوته [هكذا، أي : بساحته] ، كما لم ينفع الهاربين من الطاعون الذين وصف الله -تعالى ذِكْرُه- صفتهم في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ فرارهم من أوطانهم ، وانتقالهم من منازلهم إلى الموضع الذي أمّلوا بالمصير إليه السلامة ، وبالموئل النجاة من المنية ، حتى أتاهم أمر الله، فتركهم جميعاً خموداً صرعى ، وفي الأرض هلكى ، ونجا مما حل بهم الذين باشروا كرب الوباء وخالطوا بأنفسهم عظيم البلاء ." (١)

فهذا التنبيه بقصة الفارين من الموت و لم ينفعهم فرارهم بل أنزله الله عليهم ؛ ليستجيب المؤمن لدعوة الله في الآية التالية وهي قوله : ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤٤ ﴾ [البقرة: ٢٤٤].

---

(١) جامع البيان (٢/٦٠٥) ، وتحقيق شاكر (٥/٢٧٧) ، وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٤٣) ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾ جامع البيان (١/٢٩٥) ،و(٢٠٨) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٠٨ ﴾ جامع البيان (٢/٣٣٨) ، والأنفال (٦٣) ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٣ ﴾ جامع البيان (٦/٢٨٠) ، والحج (١٧) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ جامع البيان (٩/١٢١) .

المطلب الثالث : مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها :

ففي قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧)﴾ [محمد: ٣٦ - ٣٧] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه-: حاضّاً عباده المؤمنين على جهاد أعدائه ، والنفقة في سبيله ، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به : قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر ، ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك قتالهم ، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله ، وطلب رضاه ، فأمّا ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو ، يضمحلّ فيذهب ويندرس فيمرّ ، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه..." (١)

فالآيات قبل هذه الآية وبعدها في ذكر أحكام الجهاد ، وهنا يحث الله -عزّ وجلّ- على النفقة في الجهاد التي هي من أهم دعائمه ، وبعدها قول الله تعالى : ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم (٣٨)﴾ [محمد: ٣٨] (٢).

---

(١) حامع البيان (٣٢٨/١١) .

(٢) وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٤٠) ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية حامع البيان (٢٨٦/١-٢ ٨٧) ، و(١٣٠) ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ الآية حامع البيان (٦٠٨/١) ، و(١٥٣-١٥٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾الآيتين حامع البيان (٤١/٢-٤٤) ، وآل عمران (١٣٢) ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ حامع البيان (٤٣٥/٣) ، والنساء (١٤٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾الآية حامع البيان (٣٣٥/٤) ، والمائدة (٧٨) ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾الآية حامع البيان (٦٥٦/٤) ، والتوبة (٢٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)﴾ حامع البيان (٢٣/٦) ، ويونس (٤٢-٤٤) ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)﴾ الآيات حامع البيان (٥٦٣/٦-٥٦٤) ، والنحل (٥٢) ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)﴾ حامع البيان (٥٩٦/٧) ، والإسراء (٥٥) ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي

المطلب الرابع : قد يعود بالمناسبة على متقدّم بعيد في السورة :

كما في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ (٥٠) ﴾ [الأنبياء: ٥٠] **قال** –**رحمه الله**-: " يقول –جلّ ثناؤه– : وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد-ﷺ -ذِكرٌ لمن تذكر به ، وموعظة لمن اتّعظ به ، مباركٌ أنزلناهُ كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكراً للمتقين . ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ يقول – تعالى ذِكْرُه– : أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون ، وتقولون هُوَ ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ (٥) ﴾ [الأنبياء: ٥] وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكرٌ للمتقين ، كالذي آتينا موسى وهارون ذكراً للمتقين ." (١)

لقد ساق الله –سبحانه– قول الكافرين أول السورة فقال: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ (٥) ﴾ ، وفي هذه الآية رد على قولهم وتكذيبهم ، ولو طال الفصل، وللآية مناسبة قريبة بعد ذكر التوراة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) ﴾ [الأنبياء: ٤٨] ، فمحمد -ﷺ - أوتي مثل ما أوتي موسى -ﷺ -.(٢)

-

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (٥٥) ﴾ جامع البيان (٩٤/٩) ، وطه (٥١) ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) ﴾ جامع البيان (٤٢٣/٨) ، والدخان (٣٨) ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (٣٨) ﴾ جامع البيان (٢٤٢/١١) .

(١) جامع البيان (٣٥/٩) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٨٧) ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٠/١) ، و(١٥٠) ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨/٢) ، و(٢٤٦) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٦١٥/٢)، والنساء (٨٣) ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (١٨٥/٤) ، والمائدة (٤٠) ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧١/٤) ، و(٦٤) ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ

-

المبحث الرابع : الربط بين مقاطع السورة :

وقد يُبرِز الربط بين المقاطع شيئاً من محور السورة ، ولا شك أن تتبع المناسبات في السورة الواحدة عمدة إبراز محور السورة في التفسير الموضوعي[1] ، وأكبر مثال على ذلك: ربط الإمام بين آيات سورة الأنعام ، وإحالة الآيات إلى الحديث عن العادلين بربهم في أول السورة ، وهم المشركون : وكان هذا الربط في آيات منها قوله -تعالى-: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١)﴾ [الأنعام: ١١] [2] وقوله -تعالى-: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢)﴾ [الأنعام: ١٢] [3] وقوله -تعالى-: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾ [الأنعام: ٢٥] [4] وقوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩)﴾ [الأنعام: ٢٩] [5] وقوله -تعالى-: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)﴾ [الأنعام: ٣٢] [6] وقوله -تعالى-: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ الآية جامع البيان (٦٤٢/٤) ، وسورة ص (٦٧) ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧)﴾ جامع البيان (٦٠٣/١٠) ، والأحقاف (٣٣) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)﴾ جامع البيان (٣٠١/١١).

[1] انظر مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم صفحة (٥٧) ، والتفسير الموضوعي : علم يتناول القضايا ، حسب المقاصد القرآنية ، من خلال سورة أو أكثر . المرجع نفسه صفحة (١٦) .

[2] جامع البيان (١٥٤/٥) .

[3] جامع البيان (١٥٤/٥) .

[4] جامع البيان (١٦٨/٥) .

[5] جامع البيان (١٧٦/٥) .

[6] جامع البيان (١٧٩/٥) .

﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٤ - ٦٥] (١) وقوله -تعالى-: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٣] (٢) وقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٥] (٣) وقوله -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] (٤) وقوله -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٧] (٥) وقوله -تعالى-: ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٨] (٦) وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤١] الآيات (٧) وقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١] (٨) .

---

(١) جامع البيان (٢١٧/٥) .

(٢) جامع البيان (٢٣٥/٥) .

(٣) جامع البيان (٢٧٥/٥) .

(٤) جامع البيان (٣٤٣/٥) .

(٥) جامع البيان (٣٥٢/٥) .

(٦) جامع البيان (٣٥٤/٥) .

(٧) من (١٤١-١٤٤) ، جامع البيان (٣٦١/٥-٣٧٧) .

(٨) جامع البيان (٣٩٠/٥) .

فتلاحظ أن الإمام –رحمه الله– في تفسيره سورة الأنعام : أعاد هذه الآيات المتعدّدة إلى العادلين بربهم أول السورة ، من قوله –تعالى–: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)﴾ [الأنعام: ١] ؛ وقد ورد هذا الوصف آخر السورة قبل آيات الوصايا العشر في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)﴾ [الأنعام: ١٥٠](١) ، وهذا يؤكّد محور السورة التي تحدثت عنه –والله أعلم –، وغير هذه السورة كثير .

---

(١) وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٨) ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)﴾ جامع البيان (١/٢٢٢–٢٢٧) ، و(٣٧) ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧)﴾ جامع البيان (١/٢٨٣) ، و(٥٠–٦٥) ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٠)﴾ الآيات جامع البيان (١/٣١٧–٣٧٠) ، و(٨٢) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٨٢)﴾ جامع البيان (١/٤٣٢) ، و(١٠٨) ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٠٨)﴾ جامع البيان (١/٥٣٢–٥٣٣) ، و(١٩٦) ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢١٩) ، وآل عمران (١٢١) ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)﴾ جامع البيان (٣/٤١٥) ، و(١٤٧) ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الآية جامع البيان (٣/٤٦٥)، و(١٧٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)﴾ جامع البيان (٣/٥٢٦–٥٢٧) ، والمائدة (١٢) ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٨٨) ، و(٢٧) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ الآية جامع البيان (٤/٥٢٧) ، والأعراف (٨٤) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ (٨٤)﴾ جامع البيان (٥/٥٤٢) ، وهود (١١٠) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠)﴾ جامع البيان (٧/١٢٠) ، (١٢٠) ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ الآية جامع البيان (٧/١٤٢) ، والرعد (٨) ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ (٨)﴾ جامع البيان (٧/٣٤٤) ، وإبراهيم (٥) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٧/٤١٦) ، الكهف (٨٢) ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٧٠) ، وطه (١١٥) ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن

=

المبحث الخامس : التناسب والتقسيم :

وهذا العنوان يبرز ويؤكد قضية المثاني في القرآن الكريم ، لقد وصف الله –عزّ وجلّ– كتابه بأنه مثاني فقال : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣] ، ساق ابن كثير –رحمه الله–

قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا (١١٥) ﴾ جامع البيان (٨/٤٦٥) ، والفرقان (٢٠) ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٣٧٦) ، والشعراء (١٩٥) ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ (١٩٥) ﴾ جامع البيان (٩/٤٧٦) ، والنمل (٩٣) ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٩٣) ﴾ جامع البيان (١٠/٢٥) ، والقصص (٤٠) ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) ﴾ (١٠/٧٥) ، و(٧١) ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (٧٢) ﴾ جامع البيان (١٠/٩٧) ، وسبأ (٢٢) ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ (٢٢) ﴾ جامع البيان (١٠/٣٧١) ، وسورة ص (١٧) ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٧) ﴾ جامع البيان (١٠/٥٦١) ، و(٤٨) ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ (٤٨) ﴾ جامع البيان (١٠/٥٩٤) ، و(٧٥-٧٦) ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ (٧٥) ﴾ الآيتين جامع البيان (١٠/٦٠٦) ، وفصلت (٣٤) ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ (٣٤) ﴾ جامع البيان (١١/١١٠-١١١) ، والزخرف (٤٦) ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٦) ﴾ جامع البيان (١١/١٩٣) ، والجاثية (١٢) ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٢) ﴾ جامع البيان (١١/٢٥٥) ، والأحقاف (٢١) ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٢٩٠) ، والفتح (٢٨) ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا (٢٨) ﴾ جامع البيان (١١/٣٦٩) ، وسورة ق (١٥) ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ (١٥) ﴾ جامع البيان (١١/٤١٤) ، والقمر (٤٣) ﴿ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ (٤٣) ﴾ جامع البيان (١١/٥٦٦) ، والواقعة (٥٨) ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ (٥٨) ﴾ جامع البيان (١١/٦٥١) ، والنازعات (٤٢) ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا (٤٢) ﴾ جامع البيان (١٢/٤٤١) .

أقوال المفسرين في معنى : ﴿مَّثَانِيَ﴾ ومنها **قول مجاهد** : " يعني: القرآن كلّه ، متشابه مثاني ، **وقال قتادة** : الآية تشبه الآية ، والحرف يشبه الحرف ، **وقال الضحّاك** : ﴿مَّثَانِيَ﴾ : ترديد القول ؛ ليفهموا عن ربهم –عزّ وجلّ– ، **وقال عكرمة والحسن** : ثنّى الله فيه القضاء ، **زاد الحسن** : تكون السورة فيها آية ، وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، **وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** : ﴿مَّثَانِيَ﴾ مردّد ، ردّد موسى في القرآن، وصالح ، وهود ، والأنبياء –عليهم السّلام– في أمكنة كثيرة ، **وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس** : ﴿مَّثَانِيَ﴾ **قال** : القرآن يشبه بعضه بعضاً ، ويردّ بعضه على بعض ، **وقال بعض العلماء** : ويروى عن سفيان بن عيينة ، معنى قوله : ﴿مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ أنّ سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد ، فهذا من المتشابه ، وتارة تكون بذكر الشيء وضدّه ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا من المثاني ، كقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ (١٤)﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤] وكقوله : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧)﴾ [المطففين: ٧] إلى أن قال : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨)﴾ [المطففين: ١٨]، ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٩)﴾ [ص: ٤٩] إلى أن قال : ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ (٥٥)﴾ [ص: ٥٥] ، ونحو هذا من السياقات ، فهذا كله من المثاني ، أي : في معنيين اثنين ، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد ، يشبه بعضه بعضاً : فهو المتشابه ، وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله : ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران: ٧] ذلك معنى آخر ." [1]

ومن المثاني كما سبق في **قول سفيان بن عيينة –رحمه الله–** : أنها تارة تكون بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا.

ويشبه هذا –إلى حدٍّ ما– ، ما يعطف في القرآن من صفات فريق على فريق آخر فهو مقابل له في الصفات ، ووجه إظهاره لتناسب الآيات : من جهة التقابل والتضاد .

ومن أمثلة هذا النوع : قوله –تعالى–: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٢٠٦)﴾ [البقـرة: ٢٠٦] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك –جلّ ثناؤه– : وإذا قيل لهذا المنافق –الذي

---

[1] تفسير القرآن العظيم (٥٢/٤) ، ودار الشعب (٨٤/٧) .

نعت نعته لنبيه عليه السلام وأخبره أنه يعجبه قوله في الحياة الدنيا- : اتقِّ الله ، وخَفْهُ في إفسادك في أرض الله ، وسعيك فيها بما حرّم الله عليك من معاصيه ، وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم ، استكبر ودخلته عزّة وحمية بما حرّم الله عليه ، وتمادى في غيه وضلاله صليّ نار جهنم ، ولبئس المهاد لصاليها...

واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية : فقال بعضهم : عنى بها كل فاسق ومنافق...أبو رجاء العطاردي(١) : قال سمعت عليّاً في هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ٢٠٤] إلى : ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال عليّ : اقتتلا وربّ الكعبة...

[و]قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال : كان عمر بن الخطاب -ﷺ- إذا صلى السّبحة (٢) وفرغ، دخل مربداً له(٣)، فأرسل إلى فتيان قد قرءوا القرآن ، منهم ابن عباس ، وابن أخي عيينة(٤)، قال : فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسونه ، فإذا كانت القائلة انصرف . قال فمرّوا بهذه الآية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ٢٠٦ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ البقرة: [٢٠٦ - ٢٠٧] **قال ابن زيد** : وهؤلاء المجاهدون في سبيل الله . فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جنبه : اقتتل الرجلان . فسمع عمر ما قال، فقال : وأيّ شيء قلت ؟ قال : لا شيء ، يا أمير المؤمنين . قال : ماذا قلت ؟ اقتتل الرجلان ؟ قال : فلما رأى ذلك ابن عباس ، قال: أرى هاهنا من إذا أُمِر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم ، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله ، فإذا لم يقبل وأخذته العزّة بالإثم، قال هذا : وأنا أشتري نفسي فقاتله ، فاقتتل الرجلان . فقال عمر:لله بلادك يا ابن عباس (٥).

---

(١) هو عمران بن ملحان ، وقيل : تيم ، ويقال عطارد بن برد ، التميمي البصري ، من أكابر المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد الفتح ، ولم ير النبي -ﷺ- ، كان عابداً كثير القراءة للقرآن ، مات سنة خمس ومائة ، وقيل غير ذلك ، وله أكثر من عشرين ومائة سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٥٣/٤) ، وشذرات الذهب (١٣٠/١).

(٢) السبحة هي : التطوع من الذكر والصلاة . انظر القاموس المحيط ومختار الصحاح مادة (س ب ح) .

(٣) المربد فضاء وراء البيوت يرتفق به ، أو موضع يجفف فيه التمر . انظر تحقيق شاكر (٢٤٥/٤) .

(٤) هو الحرّ بن قيس بن حصين ، ويقال : الحارث ، كان من النفر الذين يدنيهم عمر . تحقيق شاكر (٢٤٥/٤) .

(٥) لله بلادك : كلمة تقال في المدح ، كقولك : لله درّك .

وقال آخرون : بل عني به الأخنس بن شريق . " (١)

-ثم قال في قوله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] : " ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية فيه ، ومن عني بها: فقال بعضهم : نزلت في المهاجرين والأنصار ، وعني بها : المجاهدون في سبيل الله... وقال بعضهم : نزلت في رجال من المهاجرين بأعيانهم...وقال آخرون : بل عني بذلك كل شار نفسه في طاعة الله وجهاد في سبيله ، أو أمر بمعروف...عن أبي الخليل(٢) ، قال : سمع عمر إنساناً قرأ هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ قال : استرجع عمر فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون، قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل .

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بظاهر هذه الآية من التأويل : ما روي عن عمر ابن الخطاب، وعن عليّ بن أبي طالب ، وابن عباس -رضي الله عنهم- ، من أن يكون عني بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر . وذلك أن الله -جلّ ثناؤه- وصف صفة فريقين : أحدهما : منافق ، يقول بلسانه خلاف ما في نفسه ، وإذا اقتدر على معصية الله ركبها ، وإذا لم يقتدر رامها ، وإذا نُهي أخذته العزّة بالإثم بما هو به آثم ، والآخر منهما : بائع نفسه ، طالب من الله رضا الله . فكان الظاهر من التأويل : أن الفريق الموصوف بأنه شرى نفسه لله ، وطلب رضاه ، إنما شراها للوثوب بالفريق الفاجر طلبَ رضا الله . فهذا هو الأغلب الأظهر من تأويل الآية ." (٣)

وهذا المعنى من المناسبة وصل إليه من جهة النظر إلى التقابل بين الفريقين ، وارتباط أحدهما بالآخر في الآيات ، وإن كان في الحقيقة له ارتباط بالمعنى .

---

(١) انظر جامع البيان (٣٣٢/٢) ، وتحقيق شاكر (٢٤٤/٤) ، والأخنس ، هو أبو ثعلبة ، أُبيّ بن شريق بن عمرو الثقفي ، ويعرف بالأخنس ، كان حليف بني زهرة ، وأعطاه النبي -ﷺ- مع المؤلفة قلوبهم ، توفي في خلافة عمر . انظر أسد الغابة (٦٠/١) .

(٢) هو صالح بن أبي مريم الضبعي البصري مولاهم ، من التابعين ، من الطبقة السادسة ، وثقه : ابن معين ، وأبو داود ، والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وأغرب ابن عبد البر فقال : لايحتج به . انظر تهذيب التهذيب (٢٠٠/٢) ، والتقريب ترجمة (٢٨٨٧) صفحة (٢١٥) .

(٣) جامع البيان (٣٣٢/٢-٣٣٤) ، وتحقيق شاكر (٢٤٧/٤) . وانظر البقرة (٢٥٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣) .

المبحث السادس : المناسبات الإشارية :

هناك مناسبات دقيقة قد تدخل في التفسير الإشاري ، والمقصود بالتفسير الإشاري: ما وراء الكلمات القرآنية من معاني باطنة ، فللآية ظاهر وباطن ، وهو نوعان : إذا أوغل الإنسان في الإشارات الخفية صار ضرباً من التجهيل (١)، وإذا كان أخذها من طريق القياس والإشارة المتوازنة ، فلا بد فيه من شروط أربعة نص عليها شيخ الإسلام ابن القيم –رحمه الله– وهي :

١. "–أن لا يناقض معنى الآية .
٢. –وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه .
٣. –وأن يكون في اللفظ إشعار به .
٤. –وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم ، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً ".(٢)

ففي قوله –تعالى–: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١] **قال أبو جعفر** : " يقول –تعالى ذِكْرُه– : لقد كان في قصص يوسف وإخوته عِبرة لأهل الحِجا والعقول ، يعتبرون بها ، وموعظة يتعظون بها، وذلك أن الله –جلّ ثناؤه– بعد أن ألقي يوسف في الجبّ ليهلك ، ثم بيع بيع العبيد بالخسيس من الثمن ، وبعد الإسار والحبس الطويل ملّكه مصر ، ومكّن له في الأرض ، وأعلاه على من بغاه

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن (٣٦٧–٣٦٨) لمناع القطان .

(٢) التبيان في أقسام القرآن صفحة (٩٠) لابن القيم ، تحقيق فواز أحمد زمرلي .

ومن أمثلة التفسير الإشاري : ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٩] قال ابن تيمية : "القسم الثاني : أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ ، فهذا من نوع القياس ، فالذي تسميه الفقهاء قياسا ، هو الذي تسميه الصوفية إشارة ، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك ، فمن سمع قول الله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ وقال : إنه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر ، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهى قلوب المتقين ، كان هذا معنى صحيحاً ، واعتباراً صحيحاً ، ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف ". مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤١/١٣–٢٤٢) .

سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته بعد المدّة الطويلة ، وجاء بهم إليه من الشّقّة النائية البعيدة. فقال -جلّ ثناؤه- للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد-ﷺ -: لقد كان لكم أيّها القوم في قَصَصهم عبرة لو اعتبرتم به ، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته ، لا يتعذّر عليه فعل مثله بمحمد -ﷺ - ، فيخرجه من بين أظهركم ، ثم يظهره عليكم ، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب ، وإن مرّت به شدائد وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان . وكان مجاهد يقول : معنى ذلك : لقد كان في قصصهم عبرة ليوسف وإخوته...

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله مجاهد ، وإن كان له وجه يحتمله التأويل ، فإن الذي قلنا في ذلك أولى به ؛ لأن ذلك عقيب الخبر عن نبينا محمد -ﷺ -وعن قومه من المشركين ، وعقيب تهديدهم ووعيدهم على الكفر بالله وبرسوله محمد-ﷺ -، ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته ، ومع ذلك أنه خبر عامّ عن جميع ذوي الألباب ، أن قصصهم لهم عبرة ، وغير مخصوص بعض به دون بعض. فإذْ كان الأمر على ما وصفنا في ذلك ، فهو بأن يكون خبراً عن أنه عبرة لغيرهم أشبه..." (١)

وهذه المناسبة ليست بظاهرة لأول وهلة ، وإنما خرجت بالتفكر والتأمل ، وقد ذكرها الرازي –رحمه الله- من أنواع العبر : حيث أشار إلى الاعتبار بما في إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجب ، وما حصل له من الضعف والمصائب ، ووهبه الله الملك والعزة ، بعد زمان .(٢)

---

(١) جامع البيان (٣٢٤/٧-٣٢٥) .

(٢) انظر التفسير الكبير (حزء ٢٢٧/١٨-٢٢٨) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٠/٢) ، و(٢٥١) ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ الآية جامع البيان (٦٤٦/٢) ، وآل عمران (٤٤) ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٧/٣) ، والمائدة (٦٠) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٦/٤) ، والأنفال (٣١) ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٩/٦) ، و(٣٢) ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ جامع البيان (٢٣٠/٦) ، و(٣٥) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٤١/٤) ، و(٣٩) ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٤٥/٦) .

المبحث السابع :

مواضع لم يذكر فيها الإمام الطبري –رحمه الله– الربط بين الآيات :

سبق الحديث والتمثيل على مواضع كثيرة ذكر فيها الإمام الربط والمناسبات بين الآيات ، وهذا هو الأغلب الأعم على التفسير ، ولكن هناك مواضع قليلة لم يذكر فيها مناسبة : فمنها قوله –تعالى–: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ [الجمعة: ٥] **قال –رحمه الله–** : " يقول –تعالى ذِكْرُه– : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحُمِّلوا العمل بها ، ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ يقول :ثم لم يعملوا بما فيها ، وكذّبوا بمحمد –ﷺ –، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ." ⁽¹⁾

فإدخال النصارى في الخطاب مع اليهود و لم يجر لهم ذكر بعيد من السياق –والله أعلم –، ويدل على بعده الآية اللاحقة وهي قوله –تعالى–: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوٓا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ ﴾ [الجمعة: ٦] فقد قال في المخاطب بها : " يقول –تعالى ذِكْرُه– لنبيه محمد -ﷺ -: قل يا محمد لليهود : يا أيّها الّذِينَ هادُوا إنْ زَعَمْتُمْ أنّكُمْ أوْلِياءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ سواكم، فَتَمَنّوا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في قيلكم ، إنكم أولياء لله من دون الناس ، فإن الله لا يعذّب أولياءه ، بل يكرمهم وينعمهم ، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت ؛ لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت ." ⁽²⁾

وفي قوله –تعالى–: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ ﴾ [البروج: ١٧ - ١٨] **قال –رحمه الله:** " ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ يقول –تعالى ذِكْرُه– لنبيّه محمّد – ﷺ – : هل جاءك يا محمد حديث الجنود ، الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروههم ، يقول : قد أتاك ذلك وعلمته، فاصبر لأذى قومك إياك ؛ لما نالوك به من مكروه ، كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلي ، ولا يثنيك عن

---

(١) جامع البيان (٩٢/١٢) .

(٢) جامع البيان (٩٣/١٢) .

تبليغهم رسالتي ، كما لم يَثْنِ الذين أرسلوا إلى هؤلاء ، فإن عاقبة من لم يصدّقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك ، كالذي كان من هؤلاء الجنود ، ثم بين –جلّ ثناؤه– عن الجنود من هم ؟ . فقال : ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ يقول: فرعون ، فاجتُزئ بذكره ، إذ كان رئيس جنده ، من ذكر جنده وتُبّاعه . وإنما معنى الكلام : هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وقومه وثمود ، وخفض فرعون ردّاً على الجنود ، على الترجمة عنهم ، وإنما فتح ؛ لأنه لا يجري وثمود ."⁽¹⁾

والذي يظهر من سياق قصة أصحاب الأخدود : أن الله –عزّ وجلّ– لم يذكر عقاباً لأصحاب الأخدود في الدنيا ، بل توعدهم بعذاب الآخرة ، فكان التعقيب ببيان قدرة الله –سبحانه– على البطش والإبداء والإعادة ، دالاً على إيقاع العذاب بهم في الدنيا، حيث استدل على ذلك بحصول العذاب على فرعون وقومه ، حين أغرقوا في اليم في دار الدنيا ، وكما حصل لثمود ، حين أخذتهم الصيحة في الدنيا وهم أحياء ، فأصبحوا في دارهم جاثمين .⁽²⁾

وهناك موضعان أشار الإمام –رحمه الله– فيهما : إلى أن الآية معترضة بين آيات: ففي قوله –تعالى–: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال أبو جعفر : " وهذه الآية مردودة إلى قوله : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٤٥ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] والآيات التي بعدها إلى قوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ من قصص بني إسرائيل وخبرهم مع

---

(١) جامع البيان (١٢/٥٣٠) ومعنى قوله : عدم الإجراء : أي : عدم التنوين . وانظر بقية المواضع في : النساء (٧٤) ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٧٠) ، والإسراء (٨٣) ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ٨٣ ﴾ جامع البيان (٨/١٣٩-١٤٠) ، والأحزاب (٤٠) ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٠٥) ، وسبأ (٣) ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٤٥) ، والذاريات (٣٨) ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٣٨ ﴾ جامع البيان (١١/٤٦٧) ، والتغابن (٧) ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧ ﴾ جامع البيان (١٢/١١٤) ، والحاقة (٣٧) ﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ٣٧ ﴾ جامع البيان (١٢/٢٢٢) .

(٢) انظر في ظلال القرآن (جزء٣٠/١١٣و١١٦) .

طالوت وجالوت ، وما بعد ذلك من نبأ الذي حاجّ إبراهيم مع إبراهيم ، وأمر الذي مرّ على القرية الخاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم ومسألته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل ، اعتراض من الله -تعالى ذِكْرُه- بما اعترض به من قصصهم بين ذلك ، احتجاجاً منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة ، وحضّاً منه ببعضه للمؤمنين على الجهاد في سبيله الذي أمرهم به في قوله : ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤٤﴾ [البقرة: ٢٤٤] يعرّفهم فيه أنه ناصرهم ، وإن قلّ عددهم، وكثر عدد عدوّهم ، ويعدهم النصرة عليهم ، ويعلمهم سنته فيمن كان على منهاجهم ، من ابتغاء رضوان الله أنه مؤيدهم ، وفي من كان على سبيل أعدائهم من الكفار ، بأنه خاذلهم ومفرّق جمعهم ، وموهن كيدهم ، وقطعاً منه ببعض عذر اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجرَ رسول الله -ﷺ- ، بما أطلع نبيه عليه من خفيّ أمورهم ، ومكتوم أسرار أوائلهم وأسلافهم التي لم يعلمها سواهم؛ ليعلموا أن ما أتاهم به محمد -ﷺ- من عند الله ، وأنه ليس بتخرّص ولا اختلاق ، وإعذاراً منه به إلى أهل النفاق منهم ، ليحذروا بشكهم في أمر محمّد- ﷺ - أن يحلّ بهم من بأسه وسطوته ، مثل الذي أحلهما بأسلافهم الذين كانوا في القرية التي أهلكها، فتركها خاوية على عروشها . ثم عاد -تعالى ذِكْرُه- إلى الخبر عن الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، وما عنده له من الثواب على قرضه ، فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ "[1]

والحقيقة أن المناسبات لها أوجه عديدة : منها القريب ، ومنها البعيد ، ومن المناسبات مع الآية السابقة : وهي قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠] أن إحياء الله -سبحانه- نوعان : حسي ، وهو ما وقع من إحياء القرية، وما وقع لخليل الله إبراهيم -عليه السلام- ، ومعنوي : وهو ما يكون في تكثير ثواب النفقة في سبيل الله [2] ، ولها

---

[1] جامع البيان (٦١/٣) ، وتحقيق شاكر (٥١٢/٥) .

[2] هذه المناسبة تلقيتها سماعاً عن الدكتور مصطفى مسلم -حفظه الله- ،في محاضرات السنة المنهجية ١٤١٥هـ .

أوجه من المناسبة أخر .[1]

هذه نماذج مختارة من مواضع كثيرة ، بذلت فيها جهداً أرجو أن أكون موفقاً ، وما لا يدرك كلّه ، لا يترك جلّه . – والحمد لله رب العالمين – .

---

[1] (١) وانظر موضعاً آخر في : لقمان (١٥) ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ الآية جامع البيان (٢١٢/١٠) .

الفصل الرابع

أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى :

الفصل الرابع : أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى :

تقدّم في الفصل الماضي ذكر ما يتعلق بالسياق من المناسبات ، ولا يخفى في هذا المقام بيان أثر المناسبة في الدلالة على المعنى ، ولكن أهمية الدلالة على المعنى أساسيّة ، توجب إفراده بأمثلة موضحة ، والأمثلة كثيرة جداً ، ، وسأختار الأوضح منها حسب المستطاع .-والله الموفق-.

وسيكون الحديث في هذا الفصل حسب المباحث التالية :

المبحث الأول : دلالة السياق على المعنى في الآية الواحدة .

المبحث الثاني : دلالة السياق على المعنى في الآيات .

المبحث الثالث : دلالة السياق على المخاطب أو الموصوف .

المبحث الرابع : احتمال السياق لمعان متعددة .

المبحث الخامس : مواضع لم يستعن الإمام ابن جرير -رحمه الله- فيها بالسياق لإظهار المعنى .

المبحث الأول : دلالة السياق على المعنى في الآية الواحدة :

ومن أمثلة ذلك : قوله -تعالى-: ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) ﴾ [البقرة: ٦٨] فجملة : ﴿ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ تفيد أنها ليست بكراً ، ولا فارضاً ، بل هي وسط بينهما .[1]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ [آل عمران: ١٥٤] قال أبو جعفر : "...بيّن - جلّ ثناؤه- عن الأمنة التي أنزلها عليهم ما هي ؟ فقال : نعاساً ، بنصب النعاس ، على الإبدال من الأمنة ." [2]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) ﴾ [سبأ: ١٥] قال -رحمه الله- :" ورفعت الجنتان في قوله : ﴿ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ ترجمة عن الآية ؛ لأن معنى الكلام : لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي : جنتان عن أيمانهم وشمائلهم ." [3]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) ﴾ [سبأ: ٤٦] قال -رحمه الله-: " وقوله : ﴿ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ يقول : وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي: أن تقوموا لله اثنين اثنين ، وفرادى فرادى[4]، فـ ﴿ أَن ﴾ في موضع خفض ، ترجمة عن الواحدة . "[5]

---

[1] (١) انظر جامع البيان (٣٨٤/١) ، وتحقيق شاكر (١٩٣/٢) .

[2] (٢) جامع البيان (٤٨٢/٣) ، وتحقيق شاكر (٣١٥/٧) .

[3] (٣) جامع البيان (٣٦١/١٠) .

[4] (٤) هكذا في المطبوعة ، ولعلها : فرداً فرداً ، وفي تحقيق التركي لتفسير ابن جرير (٣٠٤/١٩) فرداً فرداً ، وأشار إلى أن "فرادى فردای" جاء في نسخة .

[5] (٥) جامع البيان (٣٨٤/١٠) .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧ ﴾ [المؤمنون: ٣٧] فليس معنى نموت ونحيا : الحياة بعد الموت ؛ لقولهم : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ وإنما "تموت الأحياء منا فلا تحيا ، ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء ، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ يقول : وما نحن بمعوثين بعد الممات ." (١)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ١٦ ﴾ [إبراهيم: ١٦] **قال -رحمه الله-** : " وقوله : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ يقول : ويسقى من ماء ، ثم بيّن ذلك الماء -جلّ ثناؤه - وما هو ؟ فقال : هو صديد ."(٢)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦٥ ﴾ [يونس: ٦٥] فكسر همزة ﴿ إِنَّ ﴾ من قوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ دليل على أن القول الماضي لم يعمل فيها ؛ لأن القول عني به قول المشركين ، وقوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لم يكن قيل من المشركين ، ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه ، بل هو خبر مبتدأ من الله .(٣)

ثم هذا القول لا يحزن النبي ﷺ ، بل يفرحه ؛ لأنه وعد له بالنصر ، فهو دليل على أنه ليس قول المشركين الأعداء ، الذين يقولون ما يحزن لا ما يسرّ .(٤)

---

(١) انظر جامع البيان (٩/٢١٣-٢١٤) .

(٢) جامع البيان (٧/٤٢٩) ، وتحقيق شاكر (١٦/٥٤٧) .

(٣) انظر جامع البيان (٦/٥٨٢) ، وتحقيق شاكر (١٥/١٤٢) .

(٤) وانظر مواضع أخرى - على وجه العموم - تدل على معنى في الآية الواحدة : في البقرة (٣٦) ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (١/٢٧٩) ، و(١١٣) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ الآية جامع البيان (١/٥٤٤) ، و(١٣٠) ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ الآية جامع البيان (١/٦٠٩) ، و(١٤٥) ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢٨) ، و(١٦٤) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٧٠-٧١) ، و(١٦٨) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٨١) ، و(١٧٤) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٩٥) ، و(١٨٥) ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٦٤) ، و(٢٢٢) ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ

أذى﴾ الآية جامع البيان (٣٩٣/٢)، و(٢٣٠) ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا﴾ الآية جامع البيان (٤٩١/٢)، و(٢٣٥) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٥/٢)، و(٢٤٥) ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ الآية جامع البيان (٦٠٩/٢)، و(٢٤٩) ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٢/٢)، وآل عمران (١٦٠) ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٧/٣)، و(١٧٠) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)﴾ جامع البيان (٥١٦/٣)، والنساء (١٢) ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٠/٣)، و(٢٥) ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية جامع البيان (٢٧/٤)، و(٧١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١)﴾ جامع البيان (١٦٧/٤)، و(٧٧) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ الآية جامع البيان (١٧٤/٤)، و(٩٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٠١/٤)، و(٩٢) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ الآية جامع البيان (٢١٧/٤)، و(٩٥) ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٢/٤-٢٣٣)، و(١٠٤) ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٣/٤)، و(١٤١) ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٠/٤)، و(١٥٣) ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٧/٤)، والمائدة (١٩) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩)﴾ جامع البيان (٥٠٨/٤)، و(٤٢) ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ الآية جامع البيان (٥٨٢/٤)، و(٤٨) ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ الآية جامع البيان (٦١٢/٤)، و(١٠٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (١١٨/٥)، والأنعام (٢٥) ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الآية جامع البيان (١٦٩/٥)، و(٨٠) ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ الآية جامع البيان (٢٤٨/٥)، و(١٣٥) ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)﴾ جامع البيان (٣٤٩/٥)، و(١٤٣) ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٥/٥)، و(١٤٥) ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ

يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٩/٥)، و(١٤٦) ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٦/٥)، والأعراف (٤) ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ (٥) ﴾ جامع البيان (٤٢٨/٥-٤٢٩)، و(٢٠) ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٩/٥)، و(٣٨) ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٢/٥-٤٨٣)، و(٤٣) ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٢/٥)، و(٤٤) ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٥/٥)، و(٤٨) ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ جامع البيان (٥٠٦/٥)، و(٥٣) ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (٥١٢/٥)، و(٩٥) ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان(١٠/٦)، و(١٤٨) ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣/٦)، و(١٥٠) ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾ الآية جامع البيان (٦٩/٦)، و(١٥٧) ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الآية جامع البيان (٨٦/٦)، و(١٦٨) ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ الآية جامع البيان (١٠٤/٦)، والتوبة (١٢) ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٩/٦)، و(١٣) ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣١/٦)، و(١٥) ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) ﴾ جامع البيان (٣٣٣/٦)، و(٤٣) ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٤٣) ﴾ جامع البيان (٣٨٠/٦)، و(٦٧) ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ الآية جامع البيان (٤١١/٦)، و(٨٠) ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٤/٦)، و(١٠١-١٠٢) ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ ﴾ الآيتين جامع البيان (٤٥٩/٦)، و(١١٣-١١٤) ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١١٣) ﴾ الآيتين جامع البيان (٤٩٠/٦)، و(١٢٧) ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٧) ﴾ جامع البيان (٥٢١/٦)، ويونس (٤٧) ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) ﴾ جامع البيان (٥٦٥/٦)، و(٦١) ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧٤/٦)، والرعد (٢٦) ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٨/٦)، و(٣٣) ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٤/٦)، و(٤١) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ

- يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٤١)﴾ حامع البيان (٤٠٨/٦)، والنحل (٦٢) ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآية حامع البيان (٦٠٢/٧)، و(١١٢) ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ الآية حامع البيان (٦٥٦/٧)، والإسراء (٢٧-٢٨) ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ الآيتين حامع البيان (٦٩/٨)، و(١٠٠) ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا (١٠٠)﴾ حامع البيان (١٥٤/٨)، والكهف (٢٧) ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا (٢٧)﴾ حامع البيان (٢١٢/٨)، و(٢٩) ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الآية حامع البيان (٢١٧/٨)، و(٣٥) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا (٣٥)﴾ حامع البيان (٢٢٤/٨)، وطه (١٢٦) ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾ حامع البيان (٤٧٤/٨)، والأنبياء (٧) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧)﴾ حامع البيان (٦/٨)، و(٢٩) ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩)﴾ حامع البيان (١٨/٩)، و(٣٦) ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ الآية حامع البيان (٢٦/٩)، و(٥٨) ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)﴾ حامع البيان (٣٨/٩)، والحج (١٨) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية حامع البيان (١٢٢/٩)، والنمل (٣٢) ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢)﴾ حامع البيان (٥١٤/١٠)، و(٤٢) ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)﴾ حامع البيان (٥٢٧/١٠)، والقصص (٢٧) ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾ الآية حامع البيان (٦٣/١٠)، و(٥٨) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥٨)﴾ حامع البيان (٩٠/١٠)، و(٧٦) ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ الآية حامع البيان (١٠٤/١٠)، والروم (٤٠) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾ حامع البيان (٢٠٩/١٠)، و(٤٣) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)﴾ حامع البيان (١٩٣/١٠)، ولقمان (١٢) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ الآية حامع البيان (٢٠٩/١٠)، والسجدة (١٨) ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ (١٨)﴾ حامع البيان (٢٤٤/١٠)، والأحزاب (١٩) ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية حامع البيان (٢٧٦/١٠)، وسبأ (١٢) ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ الآية حامع البيان (٣٥٤/١٠)، وفاطر (٢٨) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ حامع البيان (٤٠٩/١٠)، والزمر (٢) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢)﴾ حامع البيان (٦١٠/١٠)، و(٧) ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ الآية حامع البيان (٦١٧/١٠)،
-

و(٩) ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦٢١)، و(٦١) ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١)﴾ جامع البيان (١١/٢٢)، وغافر (٦) ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)﴾ جامع البيان (١١/٤١)، و(٥٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ الآية جامع البيان (١١/٧١)، و(٦٠) ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ جامع البيان (١١/٧٢)، وفصلت (١٢) ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الآية جامع البيان (١١/٩٣)، و(١٤) ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية جامع البيان (١١/٩٤)، و(٤٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ الآية جامع البيان (١١/١١٥-١١٦)، والشورى (١٣) ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٣٤)، والزخرف (٣٢) ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية جامع البيان (١١/١٨٢)، و(٣٧) ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧)﴾ جامع البيان (١١/١٨٨)، و(٧١) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الآية جامع البيان (١١/٢١١)، والدخان (٤٩) ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)﴾ جامع البيان (١١/٢٤٦)، والأحقاف (١٧) ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ الآية جامع البيان (١١/٢٨٧)، ومحمد (١٥) ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الآية جامع البيان (١١/٣١٤)، والفتح (١٥) ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ الآية جامع البيان (١١/٣٤٤)، والحجرات (١٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الآية جامع البيان (١١/٣٩٤)، والحديد (٧) ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٧١)، والحشر (٢) ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٢٩)، والممتحنة (٣) ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)﴾ جامع البيان (١٢/٥٩).

المبحث الثاني : دلالة السياق على المعنى في الآيات المتتابعة :

وهو مقسم إلى مطالب :

المطلب الأول : قد يكون بيان المعنى بذكر الاسم الموصول ونحوه مما يفسر معنى ما قبله ويوضحه .

المطلب الثاني : السياق يبين معنى الكلام ويدفع إيهام التناقض .

المطلب الثالث : السياق المعلل يدل على المراد .

المطلب الرابع : الجواب على الاستفهام .

المطلب الخامس : قد يتوعّد الله قوماً ولا يحصل الوعيد المؤكد ، ويدل السياق على حكمة عدم إيقاعه .

المطلب السادس : قد يرد العطف بين الجمل ، ولكن لا يدخل بعضها على المعنى الذي عطفت عليه .

المطلب الأول :

قد يكون بيان المعنى بذكر الاسم الموصول ونحوه مما يفسر معنى ما قبله ويوضحه :

ومن أمثلة هذا النوع قوله -تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٧) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون: ١ - ١١] فالمؤمنون المفلحون هم الموصوفون بالأوصاف التالية بعد الآية الأولى ، فما بعد الآية الأولى يعتبر توضيحاً للمؤمنين المفلحين .(١)

وقوله -تعالى-: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧)﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٧] ، بين الله -عزّ وجلّ- الذي في صحف موسى فقال : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١)﴾ [النجم: ٣٨ - ٤١] .(٢)

وفي قوله -تعالى-: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (١)﴾ [البينة: ١] تلك البينة هي : ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢)﴾ [البينة: ٢] .(٣)

---

(١) انظر جامع البيان (٩/١٩٦-٢٠١) .

(٢) انظر جامع البيان (١١/٥٣٣) .

(٣) انظر جامع البيان (١٢/٦٥٦) . وانظر مواضع أخرى في : الأنعام (١٤٢-١٤٤) ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ الآيات جامع البيان (٥/٣٧٤) ، والحج (٣٤-٣٥) ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/١٥١)، والشعراء (٧٧-٨٢) ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآيات جامع البيان (٩/٤٥٢) ، والنمل (٢-٣) ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/٤٩٤) ، والليل (١٥-١٦) ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى (١٥) ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦)﴾ جامع البيان (١٢/٦١٨-٦١٩) ، و(١٧-٢١) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى (١٧)﴾ الآيات جامع البيان (١٢/٦١٩) ، والناس (٤-٥)﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ (٤)﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٧٥٣) .

المطلب الثاني : السياق يبين معنى الكلام ويدفع إيهام التناقض :

إذا أمعن المفسر النظر في سياق الآيات من كتاب الله –عزّ وجلّ– ، يظهر له من ذلك ما يكون معبّراً عن الإعجاز العظيم في كلام الله العزيز ، ويدفع ما يتوهم القارئ لأول وهلة أنه مستبعد ومستغرب ومتناقض ، فيتبين له أنه : هو عين الحكمة والمناسبة .

ومن أمثلة ذلك : دعاء زكريا ربه حين ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) ﴾ [مريم: ٤ - ٦] ، وبشّرته الملائكة بغلام اسمه يحيى ، فقال بعد البشرى : ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) ﴾ [مريم: ٨] ، فهذا القول معناه : "ربّ أنّى يكونُ لي غُلام ؟ ، ومن أيّ وجه يكون لي ذلك ؟ ، وامرأتي عاقر لا تحبل ، وقد ضعُفت من الكبر عن مباضعة النساء ؟ ، أبأن تقوّيني على ما ضعفت عنه من ذلك ، وتجعل زوجتي ولوداً ؟ ، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء ، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقر ؟ يستثبتُ ربَّه الخبر ، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد الذي بشّره الله به ، لا إنكاراً منه– ﷺ – حقيقة كون ما وعده الله من الولد ، وكيف يكون ذلك منه إنكاراً لأن يرزقه الولد الذي بشّره به ، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك ، بقوله : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[مريم: ٥] ..."(١)

فدلّ السياق وهو قصة طلب زكريّا –عليه السّلام– ربّه الولد ، على أنّ قوله بعد البشارة بيحيى : ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ، ليس إنكاراً للبشارة ؛ لأنها تحقيق لما دعاه وسأله ، وحمل قوله ذلك : على الاستثبات عن كيفية حصول الولد ، وما الذي سيتغير في حاله ؟ هو ؟ أم زوجته ؟ ونحو ذلك على ما تقدّم .

وفي قوله –تعالى–: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٤) ﴾ [المائدة: ٤] فإمساك الصيد من

---

(١) جامع البيان (٨/٣١٠) .

الحيوان المعلّم معناه : عدم أكله منها ، فإذا أكل فقد دخل في المحرّم السابق ، وهو قوله : ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ٣] (١).

وفي قوله -تعالى-: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧﴾ [الأعراف: ٧٧] طلبٌ من ثمود بأن يأتي صالح بما توعّدهم به ، وما الذي توعّدهم به ؟ ، إنّه عذاب الله ونقمته ؛ بدليل قوله بعدها : ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾ [الأعراف: ٧٨] ، وهذا جواب لطلبهم (٢).

---

(١) انظر جامع البيان (٤٣٦/٤) ، وتحقيق شاكر (٥٦٤/٩) .

(٢) انظر جامع البيان (٥٣٨/٥) ، وتحقيق شاكر (٥٤٤/١٢) . وانظر موضعين آخرين في المائدة (٩٤-٩٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ الآيتين جامع البيان (٤٠/٥-٤١) ، والتوبة (٩٣) ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٨/٦) .

المطلب الثالث : السياق المعلّلُ يدلُّ على المراد :

فأقرب الناس للمؤمنين النصارى ، ولكن ليس كل من تسمى نصرانيّاً كان قريباً من المؤمنين ، وإنما من كان منهم على صفة معينة : قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٤) ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٤] ، فهذه الصفات الحميدة في هؤلاء القسّيسين والرهبان توصلهم إلى الدخول في الإسلام حتماً ، وليس مجرّد القرب من المؤمنين فقط ؛ ولذلك كان ثوابهم: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٥) ﴾ [المائدة: ٨٥] وهذا الثواب دليل على أنّ قربهم من المؤمنين ليس لمجرد النصرانية ؛ بل لما في قلوبهم من التجرّد لطلب الحق ، والخشوع للموعظة ، وأنهم لا يستكبرون .(١)

---

(١) انظر جامع البيان (٥/٦-٩) ، ومثله في المائدة (٧٨-٨٠) ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٧٨) ﴾ الآيات جامع البيان (٥/٦٥٨-٦٥٩) .

المطلب الرابع : الجواب على الاستفهام يدل على معنى :

وأغلب أمثلته في حزب المفصّل (١) : ومنها قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ (١٠) تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (١١) ﴾ [الصف: ١٠ - ١١] **قال –رحمه الله–** " فبيّنَ لنا -جلّ ثناؤه- ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم ، فقال: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ محمد -ﷺ - ".(٢)

وقوله -تعالى-: ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ (١٢) ﴾ [المرسلات: ١٢] **قال –رحمه الله–** : " يقول -تعالى ذِكْره- مُعَجِّباً عباده من هول ذلك اليوم وشدّته : لأيِّ يوم أجّلت الرسل ووقّتت ؟ ، ما أعظمه وأهوله ، ثم بين ذلك : وأيِّ يوم هو؟ فقال : ﴿ أُجِّلَتۡ (١٢) لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ (١٣) ﴾ [المرسلات: ١٢ - ١٣] " (٣)

وقوله –تعالى-: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (١٨) ﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٨] ثم بيّنه فقال : ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ (١٩) ﴾ [الانفطار: ١٩] .(٤)

---

(١) تحديد نهاية المفصل بسورة الناس متفق عليه ، وأما بدايته فعلى أقوال ، والمشهور الصحيح أنه من : سورة ق إلى الناس ، وانظر مقدمة بحث الدكتوراه عود الضمير وأثره في التفسير دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصّل ، صفحة (١٤-١٥) .

(٢) جامع البيان (٨٤/١٢) .

(٣) جامع البيان (٣٨٣/١٢) .

(٤) انظر جامع البيان (٤٨١/١٢). وانظر مواضع أخرى في : عبس (١٨-١٩) ﴿ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ الآيتين جامع البيان (٤٤٧/١٢) ، والطارق (١-٣) ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ (١) ﴾ الآيات جامع البيان (٥٣٢/١٢) ، و(٥-٦) ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) ﴾ الآيتين جامع البيان (٥٣٤/١٢) ، والبلد (١١-١٦) ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ (١١) ﴾ الآيات جامع البيان (٥٩٣/١٢-٥٩٤) ، والقارعة (١-٥) ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ الآيات جامع البيان (٦٧٥/١٢-٦٧٦) ، و(٩-١١) ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾ الآيات جامع البيان (٦٧٧/١٢) ، والهمزة (٤-٦) ﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ (٤) ﴾ الآيات جامع البيان (٦٨٩/١٢) .

المطلب الخامس:

قد يتوعّد الله قوماً ولا يقع الوعيد المؤكّد،ويدلّ السّياق على حكمة عدم إيقاعه :

كتهديد اليهود في المدينة بطمس الوجوه ، وردها على أدبارها ، ونحو ذلك ، في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [النساء: ٤٧] ، و لم يقع العقاب عليهم ، -ولو وقع لنقل -؛ لأن بعض اليهود استجاب للنداء التحذيري ، فآمن منهم أمثال : عبد الله بن سلام وغيره ، ودلّ قوله -تعالى-: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾[النساء: ٥٥]، على أنّ فريقاً منهم آمن.(١)

---

(١) انظر جامع البيان (١٢٧/٤و١٤٤) ، وتحقيق شاكر (٤٤٥/٨) .

المطلب السادس:

قد يرد العطف بين الجمل ، ولكن لا يدخل بعضها على المعنى الذي عطفت عليه:

حرف العطف يربط الكلمات بمعنى واحد ، ولكن في بعض الأحوال وحسب الشيء المذكور، قد تدخل المعطوفات فتشترك في الحكم ، وقد لا تشترك : ومن أمثلة ذلك :

قوله -تعالى-: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣)﴾ [الواقعة: ١٧ -٢٣] فقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ مما يطاف به على أهل الجنة ، ولكن الحور العين في قوله : ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ ، لا يطاف بهن عليهم ، وإتباع الآخر بالأول في الإعراب ، مع أن المعنى مختلف ؛ لأن المعنى معروف ظاهر .[1]

هذه أمثلةٌ دلّ السياق فيها على المعنى ، وكان السياق فيها بين آيات متتابعة .

-فرحم الله الإمام الطبري – ما أحسن استنباطه ، وأحسن تتبعه للسياق...[2]

---

[1] انظر جامع البيان (٦٣٢/١١) . وذكر الباقلاني :أن الفاكهة واللحم كذلك لا يطاف بها ، وإنما يؤتون بها مع ما يطاف به عليهم . انظر الانتصار للقرآن ٥٧٦/٢ ، تحقيق د. محمد عصام القضاة .

[2] انظر بقية المواضع مثلها عموماً في : البقرة (٣٥) ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٦/١) ، و(١١١) ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)﴾ جامع البيان (٦١٠/١) ، و(١٤٧) ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)﴾ جامع البيان (٣٠/٢) ، و(٢٤٨) ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٠/٢) ، وآل عمران (٤) ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾الآية جامع البيان (١٦٩/٣) ، و(٣٦) ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ الآية جامع البيان ٠٣/٢٣٦-٢٣٧) ، و(٧٠) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠)﴾ جامع البيان (٣٠٧/٣) ، و(١٤٣) ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٤٣)﴾ جامع البيان (٤٥٣/٣) ، و(١٥١) ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١)﴾ جامع البيان (٤٦٨/٣) ،
-

والنساء (١١٦) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ جامع البيان (٢٧٧/٤)، والمائدة (٨٥) ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٨٥﴾ جامع البيان (٩/٥)، و(١٠٢) ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾ جامع البيان (٨٦/٥-٨٧)، والأنعام (١١٧) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١١٧﴾ جامع البيان (٣٢٠/٥)، و(١٦٠) ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠﴾ جامع البيان (٤١٦/٥)، والأعراف (٢٣) ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ جامع البيان (٤٥٣/٥)، و(٢٩) ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ٢٩﴾ جامع البيان (٤٦٤/٥)، و(٤٥) ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ جامع البيان (٤٩٦/٥)، و(٧٠) ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ جامع البيان (٥٢٨/٥)، و(٩٩) ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ جامع البيان (١١/٦)، و(١٠٣) ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٠٣﴾ جامع البيان (١٤/٦)، و(١١٨) ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١١٨﴾ جامع البيان (٢٣/٦)، و(١٢٣) ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٤/٦)، و(١٥٣و١٥٤) ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾ الآيتين جامع البيان (٧٢/٦)، و(١٦٤) ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾ جامع البيان (٩٥-٩٦)، و(١٨٥) ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (١٣٥/٦)، و(٢٠٠) ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ جامع البيان (١٥٥/٦)، والأنفال (١٤) ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾ جامع البيان (١٩٨/٦)، و(٢٦) ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (٢١٨/٦)، و(٤٢) ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٧/٦)، و(٥٣) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٣﴾ جامع البيان (٢٦٩/٦)، والتوبة (٦) ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٣٢١/٦)، و(٧) ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٣/٦)، و(٥٧) ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ٥٧﴾ جامع البيان (٣٩٢/٦)، ويونس (٦٠) ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية جامع البيان (٥٧٢/٦)، وهود (٢-٣) ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ٢﴾ الآيتين جامع البيان (٦٢٢/٦)، و(٨٣) ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ٨٣﴾ جامع البيان (٩٤/٧)، ويوسف (٣١) ﴿فَلَمَّا

سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ الآية جامع البيان (٧/١٩٨)، و(٣٤) ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ جامع البيان (٧/٢٠٩)، و(٥١) ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ الآية جامع البيان (٧/٢٣٤)، و(٨٩) ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) ﴾ جامع البيان (٧/٢٩٠)، و(١٠٠) ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ الآية جامع البيان (٧/٣٠٤)، و(١٠٦) ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ جامع البيان (٧/٣١٢)، والرعد (٢٢) ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٧/٣٧٦)، و(٤٢) ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ الآية جامع البيان (٧/٤٠٩)، وإبراهيم (٢٨) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) ﴾ جامع البيان (٧/٤٥٢)، والنحل (٥٥) ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥) ﴾ جامع البيان (٧/٥٩٨)، و(٦٧) ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾ جامع البيان (٧/٦٠٧)، و(٨٣) ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) ﴾ جامع البيان (٧/٦٣٠)، و(٨٥) ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٥) ﴾ جامع البيان (٧/٦٣١)، و(٩٢) ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ الآية جامع البيان (٧/٦٣٩)، و(١١٣) ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) ﴾ جامع البيان (٧/٦٥٦)، و(١١٦) ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ﴾ الآية جامع البيان (٧/٦٥٨)، والإسراء (١٠) ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) ﴾ جامع البيان (٨/٤٤)، و(٢٦) ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) ﴾ جامع البيان (٨/٦٨)، والكهف (١٩) ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٩٦)، و(٣٧) ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) ﴾ جامع البيان (٨/٢٢٤)، و(٤٤) ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾ جامع البيان (٨/٢٢٧)، و(٥٠) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٣٥)، و(٨٦) ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٧٥)، ومريم (٩) ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) ﴾ جامع البيان (٨/٣١١-٣١٢)، و(٢٩) ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) ﴾ جامع البيان (٨/٣٣٦)، و(٦٠) ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) ﴾ جامع البيان (٨/٣٥٧)، و(٦٦) ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) ﴾ جامع البيان (٨/٣٦٢)، و(٧٦) ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦) ﴾ جامع البيان (٨/٣٧٤)، و(٧٨) ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) ﴾ جامع البيان (٨/٣٧٦)، وطه (١١) ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) ﴾ جامع البيان (٨/٣٩٦)، و(٢٢) ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) ﴾ جامع البيان (٨/٤٠٩)، و(٣٧)

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) ﴾ جامع البيان (٨/٤١١) ، و(٣٩) ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ الآية جامع البيان (٨/٤١٢-٤١٣) ، و(٧٥) ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) ﴾ جامع البيان (٨/٤٣٧-٣٤٨) ، و(٨٥-٨٦) ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) ﴾ الآيتين جامع البيان (٨/٤٤٣) ، و(١٣٢) ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾ جامع البيان (٨/٤٧٩) ، والأنبياء (٧٥) ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) ﴾ جامع البيان (٩/٤٨) ، والحج (٦٠) ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠) ﴾ جامع البيان (٩/١٨٢) ، والمؤمنون (١١١) ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) ﴾ جامع البيان (٩/٢٥١) ، والفرقان (١١) ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) ﴾ جامع البيان (٩/٣٦٩) ، و(٦٨) ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) ﴾ جامع البيان (٩/٤١٤) ، والشعراء (١٠) ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) ﴾ جامع البيان (٩/٤٣٤) ، و(٢١١) ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) ﴾ جامع البيان (٩/٤٨٠)، و(٢١٦) ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) ﴾ جامع البيان (٩/٤٨٥) ، والنمل (٦٥) ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) ﴾ جامع البيان (١٠/٧) ، و(٦٩) ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) ﴾ جامع البيان (١٠/١٠)، و(٨٩) ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) ﴾ جامع البيان (١٠/٢١) ، والقصص (١٣) ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٠) ، و(٥١) ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) ﴾ جامع البيان (١٠/٨٣) ، والعنكبوت (٥) ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) ﴾ جامع البيان (١٠/١٢٢) ، و(٢٦) ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) ﴾ جامع البيان (١٠/١٣٣) ، ولقمان (٣٤) ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٢٢٦) ، والسجدة (٢) ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾ جامع البيان (١٠/٢٢٩) ، والأحزاب (١٦) ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) ﴾ جامع البيان (١٠/٢٧٢) ، و(٣٩) ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) ﴾ جامع البيان (١٠/٣٠٥)، وسبأ (٩) ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٤٩) ، و(٢٣) ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٧٢) ، وفاطر (٢٣) ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٠٧) ، و(٣٢) ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٤١٣) ، ويس (٧٦) ﴿ فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٦٣) ، والصافات (٤) ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ

(٤٠) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٦٩)، و(٤١) ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٨٤)، و(٥٨) ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٩٣)، و(٦٩) ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٩٦)، و(١٢٧) ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) ﴾ جامع البيان (١٠/٥٢٣)، وسورة ص (٤٩) ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) ﴾ جامع البيان (١٠/٥٩٥)، و(٥٥) ﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) ﴾ جامع البيان (١٠/٥٩٧)، و(٧١) ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) ﴾ جامع البيان (١٠/٦٠٥)، و(٧٨) ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) ﴾ جامع البيان (١٠/٦٠٦)، والزمر (٤٠) ﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠) ﴾ جامع البيان (١١/٩)، و(٥٠) ﴿ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) ﴾ جامع البيان (١١/١٣)، وغافر (١٩) ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) ﴾ جامع البيان (١١/٥٠)، و(٢٥) ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾الآية جامع البيان (١١/٥٢)، و(٤١-٤٣) ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) ﴾ الآيات جامع البيان (١١/٦٣)، و(٤٦) ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) ﴾ جامع البيان (١١/٦٦)، و(٥٥) ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) ﴾ جامع البيان (١١/٧٠)، وفصلت (٢٧) ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ﴾ جامع البيان (١١/١٠٥)، والشورى (١٤) ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾الآية جامع البيان (١١/١٣٦)، و(٥٣) ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣) ﴾ جامع البيان (١١/١٦٤)، والزخرف (١٣) ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٧٠)، و(٦٥) ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) ﴾ جامع البيان (١١/٢٠٨)، والجاثية (٣٣) ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) ﴾ جامع البيان (١١/٢٦٩)، والأحقاف (٢٣) ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) ﴾ جامع البيان (١١/٢٩٢)، ومحمد (١١) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١) ﴾ جامع البيان (١١/٣١٢)، والفتح (١٤) ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾الآية جامع البيان (١١/٣٤٢)، و(١٦) ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية جامع البيان (٠١١/٣٤٦)، و(٢٢) ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) ﴾ جامع البيان (١١/٣٥٤)، و(٢٧) ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٣٦٧)، والحجرات (٥) ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) ﴾ جامع البيان (١١/٣٨٣)، والطور (١١-١٣) ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) ﴾ الآيات جامع البيان (١١/٤٨٥)، و(٤٦) ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٦) ﴾ جامع البيان (١١/٤٩٨)،

-

والنجم (٤٥) ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥)﴾ جامع البيان (٥٣٥/١١)، والتغابن (١٦-١٧) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ الآيتين جامع البيان (١١٩/١٢-١٢٠) ، والطلاق (٢) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الآية جامع البيان (١٢٩/١٢-١٣٠) ، والملك (٢٧) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧)﴾ جامع البيان (١٧٣/١٢) ، والقلم (٢٨) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨)﴾ جامع البيان (١٩٤/١٢)،و(٥١-٥٢) ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ الآيتين جامع البيان (٢٠٤/١٢) ، والمعارج (٤٣) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)﴾ جامع البيان (٢٤٣/١٢) ، ونوح (٣-٤) ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣)﴾ الآيتين جامع البيان (٢٤٦/١٢) ، والجن (١٤) ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤)﴾ جامع البيان (٢٦٨/١٢)، والمدثر (٢٧) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧)﴾ جامع البيان (٣١٠/١٢) ، و(٣٢) ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢)﴾ جامع البيان (٣١٥/١٢) ، و(٥٤) ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤)﴾ جامع البيان (٣٢٣/١٢) ، والإنسان (١٢-١٣) ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾ الآيتين جامع البيان (٣٦٣/١٢) ، والمرسلات (١٦) ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦)﴾ جامع البيان (٣٨٤/١٢) ، و(٢٩) ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩)﴾ جامع البيان (٣٨٧/١٢) ، و(٥٠) ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)﴾ جامع البيان (٣٩٤/١٢) ، والنبأ (١) ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١)﴾ جامع البيان (٣٩٥/١٢) ، و(١٧) ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧)﴾ جامع البيان (٤٠١/١٢) ، و(٣١-٣٢) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١)﴾ الآيتين جامع البيان (٤١٠/١٢) ، والنازعات (٢٧) ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا (٢٧)﴾ جامع البيان (٤٣٦/١٢) ، والتكوير (٢٧) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧)﴾ جامع البيان (٤٧٥/١٢) ، والانفطار (٦) ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)﴾ جامع البيان (٤٧٩/١٢) ، والبلد (٧) ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)﴾ جامع البيان (٥٩٠/١٢) ،والعلق (١) ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ جامع البيان (٦٤٤/١٢) ، والزلزلة (٧-٨) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧)﴾ الآيتين جامع البيان (٦٦١/١٢)، والهمزة (٣) ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣)﴾ جامع البيان (٦٨٨/١٢) .

المبحث الثالث : دلالة السياق على المخاطب أو الموصوف:

إن من تمام معنى الكلام : معرفة من توجه إليه الخطاب ، ومن الموصوف في الخطاب بتلك الصفات ، حتى يعرف الخطاب هل كان عاماً أم خاصاً ؟ ، ولماذا وُجِّه الخطاب إلى أولئك وليسوا هم الفاعلين ، ونحو ذلك ، ومن أمثلته :

قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٥٥] **قال -رحمه الله-** :"...فأعلمَ ربنا -تبارك وتعالى ذِكْره -الذين خاطبهم بهذه الآيات ، من يهود بني إسرائيل ، الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله-ﷺ - ، أنهم لن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمداً -ﷺ - ، وجحودهم نبوّته ، وتركهم الإقرار به ، وبما جاء به ، مع علمهم به ، ومعرفتهم بحقيقة أمره ، كأسلافهم وآبائهم ، الذين فصل عليهم قصصهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى ، وتوثبهم على نبيهم موسى -صلوات الله وسلامه عليه - تارة بعد أخرى ، مع عظيم بلاء الله -جلّ وعزّ- عندهم ، وسبوغ آلائه عليهم."(١)

ومن المعلوم أن المعاصرين للنبي -ﷺ - من اليهود ، داخلون في الخطاب ، أو هم المخاطبون به ، وذلك بسبب رضاهم عن فعل آبائهم ، فكان الخطاب لهم بهذا الاعتبار ، ولا يصح توجيه الخطاب إلى القائلين لموسى-ﷺ - : أرنا الله جهرة ؛ لهلاكهم زمن موسى -ﷺ - فخطاب الميت لا يصح .

وقوله -تعالى-: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ ﴾ [الحجرات: ٧] فالتعبير بالظرفية في قوله : ﴿ فِيكُمْ ﴾ ، يفيد أنه موجه للصحابة في حياة رسول الله -ﷺ - ، وليس للمؤمنين عامة .(٢)

وفي خطاب الله للمؤمنين عموماً ، يدخل الذكور والإناث ، ولكن بعض الآيات قد يدل السياق فيها على اختصاص بعض الأوصاف للذكور ، كما في وصف المؤمنين المفلحين بقوله -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ

---

(١) جامع البيان (٣٢٨/١) ، وتحقيق شاكر (٨٢/٢) .

(٢) انظر جامع البيان (٣٨٥/١١) .

هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) ﴾ [المؤمنون: ٥-٦ ، المعارج: ٢٩-٣٠] فلما كانت الرجال مباحاً لها : الحرّة بالنكاح ، والأمة بملك اليمين ، صرف الخطاب لها ، دون النساء التي لا يحل لهن ذلك ، ولكن بقية الصفات عامة للجنسين من المؤمنين .(١)

وقريب من هذا المعنى قوله -تعالى-: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) ﴾ [الطور: ٢٠] قال -رحمه الله-: " وقوله : ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ يقول -تعالى ذِكْره-: وزوّجنا الذكور من هؤلاء المتقين ، أزواجاً بحور عين من النساء ." (٢)

إذ إن الحور العين إناث للذكور ، ولكن الاتكاء على السرر المصفوفة عام لأهل الجنة ، وكذا ما قبله من النعيم . (٣)

---

(١) في جامع البيان ذكر الطبري -رحمه الله- أن الفروج فروج الرجال ، ولم يذكر أن السياق هو السبب . (٩/١٩٩) .

(٢) جامع البيان (١١/٤٨٧) .

(٣) وانظر بقية أمثلة تحديد المخاطب والموصوف في : البقرة (١٥١) ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٠) ، و(٢١٨) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٦٨) ، وآل عمران (١٦٩) ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) ﴾ جامع البيان (٣/٥١٣) ، والنساء (٤٩) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) ﴾ جامع البيان (٤/١٣١) ، و(١٥٠) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) ﴾ جامع البيان (٤/٣٤٣-٣٤٤) ، و(١٧١) ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ جامع البيان (٤/٣٧٢) ، والمائدة (٧٤) ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) ﴾ جامع البيان (٤/٦٥٣) ، و(١٠٠) ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾الآية جامع البيان (٥/٨٠-٨١) ، والأنعام (٩١) ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٦٥) ، و(٩٤) ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٧٢)، و(١١٦) ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (٥/٣١٩) ، والأعراف (٥١) ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾الآية جامع البيان (٥/٥٠٩-٥١٠)، والنحل (٤٥) ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) ﴾ جامع البيان (٧/٥٨٩) ، والإسراء (٩٤) ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) ﴾ جامع البيان (٨/١٥١) ، والكهف (٤٨) ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ

المبحث الرابع:احتمال السّياق لمعانٍ متعدّدة :

إنّ دلالة السياق على المعنى واضحة في مواضع كثيرة ، ومرجّحة لقول على سائر الأقوال الأخرى ، وقد سبق شيء من ذلك ، وسيرد في الفصل الأخير التوسع في الأمثلة ، ولكن هناك مواضع يحتمل السياق أوجهاً ، وليس هناك مرجّحٌ واضح لأحدها ، وهذا من إعجاز كلام الله –عزّ وجلّ– أن يحتمل معاني كثيرة ، غير متناقضة ، والفقيه الذي يحسب للمعنى أوجهاً ثم يختار منها ما يترجح بالأدلة(1).

ومن المواضع التي ذكر الطبري –رحمه الله– احتمالها لأقوال :

١– احتمال أن يكون القول من قول الله –عزّ وجلّ – أو غيره : كما في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٤٧﴾ [يس: ٤٧] **قال – رحمه الله – :**"...وفي قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وجهان : أحدهما : أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين ، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ : ما أنتم أيها القومُ في قيلكم لنا : أنفقوا

- صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ٤٨﴾ جامع البيان (٨/٢٣٣) ، والنور (٥٤) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٤٢) ، و(٥٩) ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٤٨) ، والقصص (٦٣) ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾الآية جامع البيان (١٠/٩٣) ، ولقمان (٢٩) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٢٢٢–٢٢٣) ، والسجدة (٢٧) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ٢٧﴾ جامع البيان (١٠/٢٥١)، وغافر (١٤) ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٤﴾ جامع البيان (١١/٤٦) ، وفصلت (٤٩) ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ٤٩﴾ جامع البيان (١١/١٢٣) .

(1) انظر الإتقان (١/٤٤٥–٤٤٦) .

مما رزقكم الله على مساكينكم ، إلا في ذهاب عن الحقّ ، وجور عن الرشد ، مُبين لمن تأمله وتدبره أنه في ضلال ، وهذا أوْلى وجهيه بتأويله . والوجه الآخر : أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذٍ : ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، إلا في ضلال مبين ، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال ." (١)

فهذان القولان محتملان ، وقد ذكر ابن جرير –رحمه الله– أن الأول أولى من الآخر ، وبنحوه قال ابن كثير والبغوي ، واستظهره الآلوسي – رحمهم الله – (٢) –والله أعلم –.

٢– احتمال الوصل والقطع في الكلام : كما في قوله –تعالى–: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ [طه: ٧٢] **قال –رحمه الله–**: " ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ ﴾ يقول : قالوا : لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات ، وعلى الذي فطرنا...فـ{الَّذِي} من قوله : ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ ﴾ خفض على قوله : ﴿ مَا جَآءَنَا ﴾ ، وقد يحتمل أن يكون قوله : ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ ﴾ خفضاً على القسم ، فيكون معنى الكلام : لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والله ." (٣)

فقوله : ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ ﴾ إما أن يحمل على القسم ، فكأنهم قالوا : والله لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ، أو يحمل على البيان أنهم قالوا : لن نقدم على عبادة الله الذي فطرنا أحداً مهما كان .

٣– قد يحتمل السياق معاني كثيرة ، ولكن السياق يحصر نوعها : كما في قوله –تعالى– : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة: ٥٢] **قال –رحمه الله–** :"...وأما قوله : ﴿ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ فإن السديّ كان يقول.: الأمر : الجزية ، وقد يحتمل أن يكون الأمر الذي وعد الله نبيّه محمّداً –ﷺ – أن

---

(١) جامع البيان (٤٤٨/١٠) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٥٥١/٤) ، ومعالم التنـــزيل (١٤/٤) ، وروح المعاني (٤٤/٢٣/١٣) .

(٣) جامع البيان (٤٣٦/٨) .

يأتي به : هو الجزية ، ويحتمل أن يكون غيرها ، غير أنه أيّ ذلك كان ، فهو مما فيه إدالة المؤمنين على أهل الكفر بالله وبرسوله ، ومما يسوء المنافقين ولا يسرّهم ، وذلك أن الله -تعالى ذِكْره- قد أخبر عنهم أن ذلك الأمر إذا جاء : أصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ." (١)

فالأمر الذي يأتي به الله-عزّ وجلّ – قد يكون جزية أو غيرها ، ولا يدخل في هذا الأمر إلا ما يظهر فيه على المنافقين الحسرة والندم .

---

(١) جامع البيان (٤/٦٢٠) ، وتحقيق شاكر (١٠/٤٠٦) . انظر بقية المواضع في : الروم (٣٢) ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٣٢ ﴾ جامع البيان (١٠/١٨٥) ، والشورى (٧) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٢٩-١٣٠) ، والدخان (١٥) ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ١٥ ﴾ جامع البيان (١١/٢٢٩) ، والقمر (٥) ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ٥ ﴾ جامع البيان (١١/٥٤٩) .

المبحث الخامس :

مواضع لم يَستعِن فيها الإمام الطبري–رحمه الله– بالسّياق لإظهار المعنى:

بعد المرور على أمثلة كثيرة للإمام الطبري –رحمه الله– في تتبع السياق ، والاستفادة منه للوصول إلى المعنى ، هناك مجموعة قليلة من المواضع التي لم يستعمل فيها السياق ، ومنها :

لما ذكر الله –عزّ وجلّ –منّته على رسوله محمدٍ –ﷺ– في سورة الضحى في قوله –تعالى–: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٦ -٨]، قال : ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ٩ - ١١] ، ولكن لم يربط ابن جرير –رحمه الله– في المعنى بين هذه الآيات وما قبلها (١)، و لم يذكر أنّ هذه الأوامر هي في مقابل تلك النعم الماضية.

فحين يوجد هذا الربط والتقابل ، يكون أمره بعد هذه النعم أن يتذكر حاله سابقاً، ويرفق بمن كانوا في مثل حاله ، ويترتب على ذلك وضوح معنى السائل في قوله : ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠] وأنه : سائل العلم ، فكما كنت ضالا فهداك الله ، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد .

وأن معنى النعمة التي يتحدث بها في قوله –تعالى–: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١] هي بعد أن كان فقيرا فأغناه الله فحدث بنعمة الله عليك ، وقيل : هي النبوة ، أو القرآن ، ومن التحدّث بنعمة النبوّة دعوة الناس إلى الإيمان بها ، والدخول في الإسلام الذي يدعو إليه .(٢) والله أعلم .

وفي قوله –تعالى–: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥] قال –رحمه الله– : " يقول –تعالى ذِكْره– : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ يقول : ثم لم يعملوا بما

---

(١) جامع البيان (٦٢٥/١٢) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٥٢٤/٤–٥٢٥) . وقال ابن القيم :" والتحقيق أن الآية ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ تتناول النوعين" . التبيان في أقسام القرآن (٨٥) .

فيها ، وكذّبوا بمحمد – ﷺ – ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ، ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ...(١)

وإنما سياق سورة الجمعة في اليهود ، فقد قال الله –تعالى – بعدها : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦)﴾ [الجمعة: ٦].

وفي قوله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر: ١٠] (٢) لم يذكر –رحمه الله– : العطف على أهل الفيء ، حيث اشترط العلماء فيهم : الترضي عن صحابة رسول الله –ﷺ – كما ورد ذلك عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ومالك وأحمد –رحمهما الله –، وغيرهم .

قال القرطبي –رحمه الله –: " هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة ؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ، وأن مَن سبّهم أو واحداً منهم ، أو اعتقد فيه شرّاً ، أنه لا حق له في الفيء ، روي ذلك عن مالك وغيره . قال مالك : من كان يُبغِض أحداً من أصحاب محمد–ﷺ – ، أو كان في قلبه عليهم غِلّ ، فليس له حق في فَيْء المسلمين ، ثم قرأ : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ الآية ." (٣)

---

(١) جامع البيان (٩٢/١٢) .

(٢) وموضع تفسير الآية من جامع البيان (٤٣/١٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (جزء ٢٢/١٨) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٣٣٩/٤–٣٤٠) . وانظر بقية المواضع في: المائدة (٢٠) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٩/٤) ، ويوسف (٤٦) ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٨/٧)، و(٥٢) ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢)﴾ وما بعدها ، جامع البيان (٢٣٥/٧) ، والأنبياء (٧٩) ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآية جامع البيان (٤٩/٩) ، ولقمان (٣) ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣)﴾ جامع البيان (٢٠١/١٠) ، والذاريات (١٦) ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)﴾ جامع البيان (٤٥١/١١) ، والرحمن (٧٠) ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠)﴾ جامع البيان (٦١٣/١١) ، والواقعة (٦٨) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨)﴾ ، و(٧١) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)﴾ جامع البيان (٦٥٥/١١) ، والطلاق ، (٦) ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (١٤٠/١٢) ، والتحريم

–

فأهل الفيء في الآيات هم : مهاجرون وأنصار ثم تابعون لهم بإحسان ، والآيات معطوف بعضها على بعض في حكم الفيء ومصرفه ، قال تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩) وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾ [الحشر: ٧ - ١٠].

وفي ختام الفصل : يتبيّن أنّ لدلالة السياق أثراً واضحاً ومهماً جداً في الوصول إلى المعنى ، سواء كان ذلك في الآية الواحدة ، أو الآيات المتعددة ، ومن الوصول إلى تمام المعنى وكماله الجواب على ما يوهم التناقض ، ومعرفة أن الجواب عائد على السؤال ، وأن المعطوف المشترك مرتبط مع عطف غير المشترك في المعنى ، ومن تمام المعنى تحديد المخاطب والموصوف ، ومع ما سبق فهناك حالات للسياق قد تحتمل أوجهاً متعددة ولا يتضح المعنى بجلاء لأحدها دون البقية ، ولكن للسياق دور في حصرها .-والله الموفق - .

-

(٥) ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ الآية حامع البيان (١٥٦/١٢) ، والقيامة (٣٦) ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) ﴾ حامع البيان (٣٥١/١٢) ، والمطففين (١٠) ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ﴾ حامع البيان (٤٨٩/١٢) .

الفصل الخامس

أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق إذا حذف متعلّقه لعمومه ولا ينافي العموم :

الفصل الخامس :

أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق إذا حذف متعلّقه لعمومه ولا ينافي العموم :

هذا الفصل يبين أثر دلالة السياق الواضح لما حذف متعلّقه من كلام الله –عز وجل– على عبارة المفسر ، والمتعلّق يرد في النحو ، ومعناه : رجوع الظرف أو الجار والمجرور إلى المتعلّق ، وهو : الفعل أو ما يشبهه لتكملة المعنى [1]، حيث يتبع المفسر سياق الآية بين الآيات ، ويحمل معنى ما حذف متعلّقه على ما كان السياق فيه ، أو قد يذكر المعنى الخاص للسياق ويذكر العام معه ، وسار على هذه الطريقة الطبري –رحمه الله– .

ويتضح معنى هذا الفصل والتمثيل عليه باختصار من كلام العلامة السعدي –رحمه الله– حيث يقول في : " حذف المتعلّق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له، وهذه قاعدة مفيدة جداً ، متى اعتبرها الإنسان في الآيات القرآنية أكسبته فوائد جليلة، وذلك أن الفعل وما في معناه متى قُيِّد بشيء تقيد به ، فإذا أطلقه الله –تعالى– ، وحَذَف المتعلّق كان القصد من ذلك التعميم ، ويكون الحذف هنا أحسن وأفيد كثيراً من التصريح بالمتعلّقات ، وأجمع للمعاني النافعة ، ولهذا أمثلة كثيرة جداً منها :
أنه قال في عدّة آيات : ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [2]﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [3]

---

(١) انظر المعجم المفصل في النحو (٣٦٢/١) .

(٢) ورد التعليل بهذا في : البقرة (٧٣) ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾ ، و(٢٤٢) ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾ ، والأنعام (١٥١) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ ، ويوسف (٢) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)﴾ ، والنور (٦١) ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)﴾ ، والزخرف (٣) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)﴾ ، والحديد (١٧) ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾ .

(٣) ورد التعليل بهذا في : الأنعام (١٥٢) ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾ ، والأعراف (٥٧) ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾ ،والنحل(٩٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
-

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١) فيدلّ ذلك على أن المراد :

لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه ، وكل ما علمكموه ، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة .

ولعلكم تذكرون فلا تنسون وتغفلون ،فتكونوا دائما متيقظين ، مرهفي الحواس، تحسون كل ما تمرون به من سنن الله وآياته ، فتذكرون جميع مصالحكم الدينية والدنيوية .

ولعلكم تتقون جميع ما يجب اتقاؤه ، من الغفلة ، والجهل ، والتقليد ، وكل ما يحاول عدوكم أن يوقعكم فيه ، من جميع الذنوب والمعاصي، ويدخل في ذلك ما كان سياق الكلام فيه ، وهو فرد من أفراد المعنى العام...

[ثم مثل بأمثلة منها] : ما أمر به من الصلاح والإصلاح ، وما نهى عنه من الفساد والإفساد مطلقاً ، يدخل فيه كل صلاح في الدنيا والدين ، كما يدخل في النهي كل فساد كذلك...وكذلك قوله -تعالى- : ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر: ١] فحذف المتكاثر به ؛ ليعم ما قصد الناس فيه المكاثرة : من الرياسات ، والأموال ، والجاه ، والضيعات ، والأولاد ، وغيرها مما يتعلّق به أغراض النفوس الغافلة عن حكمة الله وسننه ، فيلهيها ذلك عن طاعة الله... وكذلك أمره بالصبر ، ومحبته للصابرين ، وثناؤه

-

وَإِيتَآيِٕ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ والنور (١) ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ ، و(٢٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ ، والذاريات (٤٩) ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ .

(١) ورد التعليل هذا في : البقرة (٢١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ ، و(٦٣) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ ، و(١٧٩) ﴿وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ ، و(١٨٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ ، والأنعام (١٥٣) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ ، والأعراف (١٧١) ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧١﴾ .

عليهم ، وبيان كثرة أجورهم ، من غير أن يقيد ذلك بنوع ؛ ليشمل أنواع الصبر الثلاثة ، وهي : الصبر على طاعة الله ، وعن معصية الله ، وعلى أقدار الله . ومقابل ذلك ذمه للكافرين ، والظالمين ، والفاسقين ، والمشركين ، والمنافقين ، ونحوهم ، من غير أن يقيّده بشيء ؛ ليشمل ذلك جميع المعنى ، ومن هذا قوله -تعالى- : ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦] ؛ ليشمل كل حصر ومنع ، ومنه قوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[البقرة: ٢٣٩] ؛ ليعم كل خوف ، وقد يقيد ذلك ببعض الأمور ، فيتقيّد به ما سيق الكلام لأجله ، وهذا شيء كثير ، لو ذهبنا نذكر الأمثلة عليه لطالت ، ولكن قد فتح لك الباب ، فامش على هذا السبيل المفضي إلى رياض بهيجة من أصناف العلوم ." (١)

وسيكون الحديث في هذا الفصل حسب تعامل الإمام -رحمه الله- مع هذا الأثر من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : ذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه .

المبحث الثاني : ذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه .

المبحث الثالث : ذكر المعنى المناسب للسياق من ختام الآيات بأسماء الله -سبحانه وتعالى- مع الإشارة للعموم أو بدونها . (٢)

المبحث الرابع : موضع لم يستعمل فيه الإمام ابن جرير -رحمه الله- الطريقة السابقة .

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن (٤٦-٥٠) . ولم يذكر أمثلة لما يقيد به السياق إذا كان الكلام له متعلّق ، وقد يكون المذكور بعد المتعلّق دليلاً على تخصيصه : كقوله تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾البقرة: [٢١٩ - ٢٢٠] ونحوها . -والله أعلم -.

(٢) ويلاحظ أن المعنى لما حذف متعلّقه -سواء ذكر المعنى الخاص للسياق وحده ، أو ذكر المعنى الخاص ومعه المعنى العام - فالمراد بالآية المعنى العام ، ويدخل الخاص فيه دخولاً أولياً .-والله أعلم -.

المبحث الأول :

ذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه:

إذا عقب الله –عزّ وجلّ – على حكم أو خبر ما تعقيباً محذوف المتعلّق ، فقد يذكر ابن جرير –رحمه الله– المعنى القريب المناسب للآية ، ولا يشير إلى غيره مما يشابهه ، مع اندراجه في المعنى العام :

كما في قوله –تعالى– : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ... "﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ **قال أبو جعفر** : يعني بذلك –جلّ ثناؤه– : والله يعلم ما هو خير لكم مما هو شر لكم ، فلا تكرهوا ما كتبت عليكم من جهاد عدوّكم ، وقتال من أمرتكم بقتاله ، فإني أعلم أن قتالكم إياهم ، هو خير لكم في عاجلكم ومعادكم ، وترككم قتالهم شر لكم ، وأنتم لا تعلمون من ذلك ما أعلم ، يحضّهم – جلّ ذكره – بذلك على جهاد أعدائه ، ويرغّبهم في قتال من كفر به ." (١)

فذكر –رحمه الله– أن المراد بعلم الله –عز وجل– في هذه الآية ، ونفي العلم عن المؤمنين ، هو العلم بخيريّة القتال ، وشرّية القعود عنه ، مع أنه يصح أن يقال : بأن كل الأشياء يعلمها الله –عز وجل– علما محيطا ، ولا يعلم الخلق شيئاً عن كثير منها .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النور: ٢٩] **قال –رحمه الله–** : وقوله : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ يقول –تعالى ذِكْره–: والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم ، من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة ، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ يقول : وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ، ما الذي تقصدون به ؟ إطاعة الله والانتهاء إلى أمره ، أم غير ذلك ؟ " (٢).

فالله –عز وجل– يعلم كل ما يبدي الإنسان وما يخفي ،ولكن لما ذكر العلم في هذا الموضع

---

(١) جامع البيان (٣٥٨/٢-٣٨٩) ، وتحقيق شاكر (٢٩٩/٤) .

(٢) جامع البيان (٣٠٢/٩) .

بالأخص ، جعل معناه مناسباً لمحلّه وسياقه ، وهو : الاستئذان .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ٣٦ ﴾ [المطففين: ٣٦] **قال -رحمه الله-**: "وقوله: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ٣٦ ﴾ يقول -تعالى ذِكْره-: هل أثيب الكفار وجُزُوا ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين ؟ ، من سخريتهم منهم ، وضحكهم بهم، بضحك المؤمنين منهم في الآخرة ، والمؤمنون على الأرائك ينظرون ، وهم في النار يعذّبون." (١)

ولاشك أن الله -سبحانه- مجازٍ الكفار في الآخرة على كل أفعالهم ، ولكن لما ذكر الله -تعالى- في هذا السياق الاستهزاء بالمؤمنين ، والضحك منهم ، حمل الفعل عليه و لم يذكر غيره مع أنه لا يمتنع دخول غيره .

وحكم هذا النوع : أن حصر المعنى على ما ورد فيه السياق مع جواز دخول غيره لا يعني نفي دخول الغير ، ولكن المقصود إظهار أهم هذه المعاني ، وأهمها ما دل عليه السياق ، وقد أدخل الإمام ما شابه السياق في القسم الثاني ؛ ولذلك قلت بدخول غير ما دل عليه السياق في معناه ؛ لتشابه المواضع في القسمين ، والتفريق بين المتشابهات غير مقبول .(٢)

---

(١) جامع البيان (١٢/٥٠٣) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ جامع البيان (١/١٩٦) ، و(٢٤) ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ٢٤ ﴾ جامع البيان (١/٢٠٤-٢٠٥) ، و(٤١) ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ٤١ ﴾ جامع البيان (١/٢٩٢) ، و(٧٧) ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ٤١ ﴾ جامع البيان (١/٤١٦) ، و(٩٠) ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٦٢) ، و(٩٩) ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ٩٩ ﴾ جامع البيان (١/٤٨٦) ، و(١٢١) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾ جامع البيان (١/٥٧٠)، و(١٤٠) ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾الآية جامع البيان (١/٦٢٧) ، و(١٤٦) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦ ﴾ جامع البيان (٢/٢٩) ، و(١٥٩) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ

=

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)﴾ جامع البيان (٥٦/٢)، و(١٧٧) ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الآية جامع البيان (١٠٦/٢)، و(١٧٩) ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾ جامع البيان (١٢٠/٢)، و(١٨٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ جامع البيان (١٣٥/٢)، و(١٨٥) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ الآية جامع البيان (١٦٢/٢)، و(١٩٠) ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ جامع البيان (١٩٧/٢)، و(١٩٦) ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٧/٢)، و(٢٠٢) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)﴾ جامع البيان (٣١٣/٢-٣١٤)، و(٢٠٣) ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾ جامع البيان (٣٢٤/٢)، و(٢٢١) ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٢/٢)، و(٢٧١) ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠)﴾ جامع البيان (٩٢/٣)، و(٢٥٨) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾ جامع البيان (٢٩/٣)، وآل عمران (١٥) ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)﴾ جامع البيان (٢٠٧/٣)، و(٤٩) ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٩/٣)، و(٨٣) ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ جامع البيان (٣٣٦/٣)، و(١١٢) ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٧/٣)، و(١١٧) ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)﴾ جامع البيان (٤٠٦/٣)، و(١٨٤) ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)﴾ جامع البيان (٥٣٩/٣)، والنساء (٣٢) ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)﴾ جامع البيان (٥١/٤)، و(٥٧) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ الآية جامع البيان (١٤٧/٤)، والمائدة (٧) ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾ جامع البيان (٤٨٢/٤)، و(٢٥) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥)﴾ جامع البيان (٥٢٢/٤)، و(٥١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ

اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ جامع البيان (٤/٦١٨) ، والأنعام (٣٧) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾الآية جامع البيان (٥/٤٧٨) ، و(٤٥) ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾ جامع البيان (٥/١٩٤) ، و(٤٩) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾ جامع البيان (٥/١٩٧)، و(١٢٤) ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾الآية جامع البيان (٥/٣٣٥) ، و(١٤٤) ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾الآية جامع البيان (٥/٣٧٧) ، والأعراف (٨١-٨٢) ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾الآيتين جامع البيان (٥/٥٤٠-٥٤١) ، والتوبة (١٩) {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} الآية جامع البيان (٦/٣٣٧) ، و(٣٧) ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٦٩) ، و(١٠٩) ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩)﴾ جامع البيان (٦/٤٧٩) ، ويونس (٧) ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧)﴾ جامع البيان (٦/٥٣٣) ، و(٤٠) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠)﴾ جامع البيان (٦/٥٦٣) ، و(٨٣) ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾ جامع البيان (٦/٥٩٣-٥٩٤) ، وهود (٢٩) ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩)﴾ جامع البيان (٧/٣١) ، و(٤٦) ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾ جامع البيان (٧/٥٤) ، والحجر (١٨) ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (١٨)﴾ جامع البيان (٧/٤٩٩)، والنحل (٣٤) ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)﴾ جامع البيان (٧/٥٨١-٥٨٢) ، و(٣٨) ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)﴾ جامع البيان (٧/٥٨٣) ، و(٧٥) ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾ جامع البيان (٧/٦٢٢) ، و(٧٨) ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)﴾ جامع البيان (٧/٦٢٥) ، و(٩١) ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)﴾ جامع البيان (٧/٦٣٧) ، و(١٠١) ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)﴾ جامع البيان (٧/٦٤٦) ، والإسراء (٣٠) ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)﴾ جامع البيان (٨/٧٢) ، ومريم (٣٥) ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)﴾ جامع

البيان (٣٤٢/٨) ، والشعراء (٦٢) ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢ ﴾ جامع البيان (٤٤٧/٩)، والنمل (٨٦) ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٨٦ ﴾ جامع البيان (١٨/١٠) ، والقصص (١٠) ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٠ ﴾ جامع البيان (٣٧/١٠) ، و(١١) ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١ ﴾ جامع البيان (٣٨/١٠) ، والعنكبوت (٣٨) ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ٣٨ ﴾ جامع البيان (١٤٠/١٠) ، و(٦٤) ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٦٤ ﴾ جامع البيان (١٥٩/١٠) ، ولقمان (١٤) ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ١٤ ﴾ جامع البيان (٢١٠/١٠) ، والسجدة (٢٧) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ٢٧ ﴾ جامع البيان (٢٥٢/١٠) ، والأحزاب (٤٤) ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ٤٤ ﴾ جامع البيان (٣٠٦/١٠) ، و(٥١) ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾الآية جامع البيان (٣١٦/١٠) ، و(٦٢) ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢ ﴾ جامع البيان (٣٣٤/١٠)، والزمر (٩) ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾الآية جامع البيان (٦٢١/١٠)، و(٦٧) ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧ ﴾ جامع البيان (٢٧/١١) ، والشورى (٢٤) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤ ﴾ جامع البيان (١٤٦/٠١١)، والحديد (٨) ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٨ ﴾ جامع البيان (٦٧٢/١١) ، والمجادلة (٣) ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣ ﴾ جامع البيان (١٠/١٢) ، و(٥) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥ ﴾ جامع البيان (١٣/١٢) ، و(١٠) ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٠ ﴾ (١٧/١٢) ، والحشر (٥) ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ٥ ﴾ جامع البيان (٣٤/١٢) ، و(١٣) ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ١٣ ﴾ جامع البيان (٤٥/١٢) ، والممتحنة (٨) ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٨ ﴾ جامع البيان (٦٣/١٢) ، والتكوير (٢٩) ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾ جامع البيان (٤٧٥/١٢) .

المبحث الثاني :

ذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه :

سبق في المبحث الماضي [١] أن الإمام الطبري –رحمه الله– يذكر ما ورد فيه السياق فقط ، وأن ذلك لا يعني حصر المعنى بما ورد في السياق ، بل يدخل ما يشابهه في المعنى ، ويدل على ذلك الأمثلة الآتية في هذا المبحث ، فهو يذكر ما دل عليه السياق وما يشابهه في معناه ، ومن الأمثلة على ذلك :

قوله –تعالى– : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] **قال أبو جعفر** : " يعني –تعالى ذِكْره– بقوله : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وخافوا الله فيما فرض لبعضكم على بعض من الحقوق ، وفيما ألزم نساءَكم لرجالِكم ورجالَكم لنسائِكم ، وفيما أوجب عليكم لأولادكم ، فاحذروه أن تخالفوه فتعتدوا في ذلك – وفي غيره من فرائضِه وحقوقِه – حدودَه ، فتستوجبوا بذلك عقوبته ." [٢]

فالأمر بالتقوى في ختام هذه الآية ، يرجع أولاً : إلى ما ورد في سياقها من أوامر وأحكام ، ويدخل جميع ما فرضه الله –تعالى– وحدّه على وجه العموم ثانياً .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ

---

[١] ذكر المعنى الخاص للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه صفحة (٤٨٩) .

[٢] جامع البيان (٥٢٤/٢) ، وتحقيق شاكر (٧٦/٥) .

وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ [النور: ٣١] **قال** –رحمه الله–: " وقوله : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ يقول –تعالى ذِكْره–: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم ، من غَضِّ البَصر ، وحفظ الفرج، وتَرْك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم ، وغير ذلك من أمره ونهيه . ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ يقول : لتفلحوا وتدركوا طَلباتكم لديه ، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم ." (١)

فلما أمر الله –سبحانه وتعالى – في هذا الموضع بالتوبة ، رجع الرابط إلى ما ورد في سياقها من أوامر وأحكام ، ولا يعني ذلك اختصاص التوبة بهذا المذكور في السياق بل يدخل كل ما يشابهه مما يتاب منه ، وتكون التوبة منه سبيل الفلاح .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٧) ﴾ [الحشر: ٧] **قال** –رحمه الله– : " وقوله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ يقول –تعالى ذِكْره–: وما أعطاكم رسول الله– ﷺ – مما أفاء الله عليه من أهل القرى فخذوه ، ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ من الغلول وغيره من الأمور ﴿فَٱنتَهُواْ ﴾ ." (٢)

وهذا الأمر من الله –تعالى– بطاعة رسول الله–ﷺ – يدخل فيه أولاً : ما كان الحديث عنه وهو قسمة الفيء ، ويدخل كل ما جاء به الرسول –ﷺ – من الأوامر تبعاً للفيء ؛ لمشابهته له في وجوب الطاعة .(٣)

---

(١) جامع البيان (٣١١/٩) .

(٢) جامع البيان (٣٨/١٢) .

(٣) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢٧) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾ الآية جامع البيان (٢١٧/١) ، و(٢٩) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾ جامع البيان (٢٣٢/١)، و(٩٥) ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٩٥) ﴾ جامع البيان (٤٧٢/١) ، و(١٠٩) ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/١) ، و(٢٣١) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ
-

أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ﴾الآية جامع البيان (٢/٤٩٦)، و(٢٣٧) ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٦٨-٥٦٩)، و(٢٤٩) ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده ﴾الآية جامع البيان (٢/٦٣٨)، و(٢٦٥) ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٩و٧٤)، و(٢٦٩) ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩) ﴾ جامع البيان (٣/٩١)، و(٢٧٦) ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم (٢٧٦) ﴾ جامع البيان (٣/١٠٦)، و(٢٨٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾الآية جامع البيان (٣/١٣٨)، و(٢٤٨) ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ﴾الآية جامع البيان (٣/١٤٢)، و(٢٨٤) ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾الآية جامع البيان (٣/١٥١)، وآل عمران (٢٨) ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير (٢٨) ﴾ جامع البيان (٣/٢٢٩)، و(٥٧) ﴿ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين (٥٧) ﴾ جامع البيان (٣/٢٩٢)، و(٧٦-٧٧) ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين (٧٦) ﴾ الآيتين جامع البيان (٣/٣١٨)، و(١١٦) ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١١٦) ﴾ جامع البيان(٣/٤٠٣)، و(١١٩) ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ الآية جامع البيان (٣/٤١٣)، و(١٣٠) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) ﴾ جامع البيان (٣/٤٣٥)، و(١٦٢) ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (١٦٢) ﴾ جامع البيان (٣/٥٠٤)، و(١٧٤) ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٤) ﴾ جامع البيان(٣/٥٢٤)، و(١٨٠) ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم ﴾الآية جامع البيان (٣/٥٣٥)، والنساء (١٣) ﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (١٣) ﴾ جامع البيان (٣/٦٣٢)، و(٣٢) ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما (٣٢) ﴾ جامع البيان (٤/٥٢)، و(٤٩) ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا (٤٩) ﴾ جامع البيان (٤/١٣١)، و(٥٦) ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما (٥٦) ﴾ جامع البيان (٤/١٤٥)، و(٩٤) ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ لآية جامع البيان

(٢٢٤/٤)، و(١٠٨) ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨)﴾ جامع البيان (٢٧٢/٤)، و(١٢٧) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية جامع البيان (٣٠٤/٤)، و(١٥٤) ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤)﴾ جامع البيان (٣٤٨/٤)، والمائدة (٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٠/٤)، و(٩) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)﴾ جامع البيان (٤٨٤/٤)، و(٢٣) ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)﴾ جامع البيان (٥٢٠/٤)، و(٩٦) ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)﴾ جامع البيان (٧٧/٤)، والأعراف (٣٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ جامع البيان (٤٧٦/٥)، والأنفال (٧٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٦/٦)، والتوبة (١٦) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)﴾ جامع البيان (٣٣٣/٦)، و(٣٩) ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ جامع البيان (٣٧٣/٦)، و(١١٥) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ جامع البيان (٥٠٠/٦)، و(١٢٠) ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ الآية جامع البيان (٥١١/٦)، ويونس (٦٠) ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)﴾ جامع البيان (٥٧٢/٦)، وهود (٤) ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)﴾ جامع البيان (٦٢٤/٦)، وإبراهيم (٢٧) ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾ جامع البيان (٤٥١/٧)، و(٣٩) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)﴾ جامع البيان (٤٦٧/٧)، والنحل (٧٤) ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)﴾ جامع البيان (٦٢١/٧)، و(٧٧) ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)﴾ جامع البيان (٦٢٤/٧)، و(٩٧) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ جامع البيان (٦٤١/٧)، و(١٢٤-١٢٥) ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) ﴾ الآيتين جامع البيان (٦٦٣/٧) ، والإسراء (١٧) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا (١٧) ﴾ جامع البيان (٥٤/٨) ، و(٢٥) ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا (٢٥) ﴾ جامع البيان (٦٣/٨) ، والكهف (٤٥) ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا (٣٥) ﴾ جامع البيان (٢٢٩/٨) ، والأنبياء (٨٠) ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ (٨٠) ﴾ جامع البيان (٥٣/٩) ، والحج (١٧) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (١٧) ﴾ جامع البيان (١٢١/٩) ، و(٣٠) ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (١٤٤/٩) ، والنور (١٩) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) ﴾ جامع البيان (٢٨٧/٩) ، و(٢٨) ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) ﴾ جامع البيان(٢٩٩/٩)،والعنكبوت(٢٠) ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾ جامع البيان (١٣٠/١٠) ، والأحزاب (٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) ﴾ جامع البيان (٢٦٤/١٠) ، و(٥٤) ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا (٥٤) ﴾ جامع البيان (٣٢٧/١٠) ، وفاطر (١) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾ جامع البيان (٣٩٤/١٠) ، والصافات (١٨٠) ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) ﴾ جامع البيان (٥٤٣/١٠) ، والزمر (٤٦) ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) ﴾ جامع البيان (١١/١١) ، وفصلت (٣٩) ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ جامع البيان (١١٤/١١) ، والشورى (١٢) ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٢) ﴾ جامع البيان (١٣٤/١١)، والفتح (١٣) ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا (١٣) ﴾ جامع البيان (٣٤١/١١) ، و(٢٦) ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٦/١١) والحجرات (١٠) ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴾ جامع البيان (٣٨٩/١١)، والحديد (٢) ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢) ﴾ جامع البيان (٦٦٩/١١) ، و(١٠) ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾الآية جامع البيان (٦٧٥/١١) ، والمجادلة (٤) ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾الآية جامع البيان (١٢/١٢) ، والطلاق (٣) ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ جامع البيان (١٣٢/١٢) ، والتحريم (٨)

المبحث الثالث :

ذكر المعنى المناسب للسياق من ختام الآيات بأسماء الله –سبحانه وتعالى– مع الإشارة للعموم أو بدونها:

وهذا النوع لا شك أنه راجع إلى ما سبق ، إلا أن إفراده بالحديث مستقلاً يبرز أهمية العناية به؛ لأنه تبيين لمعاني أسماء الله الحسنى في الآيات ، وقد كثر هذا في كتاب الله –سبحانه وتعالى – ، فمعرفة طريقة تفسير ذلك ، يفيد في إظهار معنى الختام ، ويوضح سياق الآية من هذا الوجه .

وطريقة الإمام الطبري –رحمه الله –في ذلك اثنتان :

إما أن يأتي بالمعنى المذكور أو المناسب في السياق ولا يشير إلى العموم

وإما أن يأتي بالمعنى المذكور أو المناسب في السياق ويشير إلى العموم .

وسأفرد كل طريقة في مطلب وهما :

المطلب الأول : أن يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير إلى العموم .

المطلب الثاني : أن يذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى العموم .

-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٦٠) ، والبروج (٩) ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾ جامع البيان (١٢/٥٢٧) ، والفجر (١٤) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾ جامع البيان (١٢/٥٧٢) .

المطلب الأول : أن يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير إلى العموم :

ومن أمثلته قوله –تعالى– : ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ ﴾ [البقرة: ١٨١]..." ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ **قال أبو جعفر** : يعني –تعالى ذِكْره–بذلك : إن الله ﴿سَمِيعٌ﴾ لوصيتكم التي أمرتكم أن توصوا بها لآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم حين توصون بها ، أتعدلون فيها على ما أذِنْتُ لكم من فعل ذلك بالمعروف ؟ أم تحيفون فتميلون عن الحق وتجورون عن القصد ؟. ﴿عَلِيمٞ﴾ بما تخفيه صدوركم ، من الميل إلى الحقّ والعدل ، أم الجور والحيف ." (١)

وفي الآية التالية لها وهي قوله –تعالى– : ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾ [البقرة: ١٨٢] **قال –رحمه الله–**: " وأما قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فإنه يعني : والله غفور للموصي فيما كان حدّث به نفسه من الجنف والإثم ، إذا ترك أن يأثم ويجنف في وصيته ، فتجاوز له عما كان حدّث به نفسه من الجور، إذ لم يُمْضِ ذلك فيُغْفِل أن يؤاخذه به ، ﴿رَّحِيمٞ﴾ بالمصلح بين الموصي وبين من أراد أن يحيف عليه لغيره ، أو يأثم فيه له ." (٢)

ومعلوم أن ذكر سمع الله وعلمه ، في الآية الأولى ، وذكر مغفرته ورحمته –سبحانه وتعالى –في الآية الثانية ، ليس خاصّاً بالموصي المذكور في الآية فقط ، ولكن لما ختمت الآية التي فيها الوصية أرجع معناها إلى ما ذكر فيها ، ويدلّ لذلك : طريقته في الأمثلة الآتية في المطلب الثاني .

---

(١) جامع البيان (١٢٨/٢-١٢٩) ، وتحقيق شاكر (٣٩٩/٣) .

(٢) جامع البيان (١٣٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٤٠٨/٣) .

المطلب الثاني : ذكر المعنى المناسب لسياق الآية مع الإشارة إلى العموم :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠ ﴾ [العنكبوت: ٦٠] قال -رحمه الله-: " يقول -تعالى ذكره -: للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد - ﷺ - هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه ، ولا تخافوا عيلة ولا إقتاراً ، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها، يعني: غذاءها ، لا تحمله فترفعه في يومها لغدها ؛ لعجزها عن ذلك . ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ يوماً بيوم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم : نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة ، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ما في أنفسكم ، وما إليه صائر أمركم ، وأمر عدوّكم ، من إذلال الله إياهم ، ونُصْرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه ." (١)

وفي هذا المثال يتبين اهتمام الإمام الطبري -رحمه الله- بذكر المعنى العام للاسمين الكريمين في ختام الآية: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما يناسب الكلام ، مع المعنى المذكور في السياق، فبعد الأمر بالهجرة في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ذكر الله -سبحانه وتعالى- تكفله بالرزق لكل دابة ، حتى لا يتقاعس مريد الهجرة عنها وهو المعنى المناسب ، ولم يقصر المعنى عليه ؛ ولذلك أضاف فقال : وغير ذلك من أموركم ؛ لأن سمع الله وعلم الله -عز وجل- عام لكل الخلق .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦ ﴾ [الدخان: ٦] قال -رحمه الله-: "... ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ يقول : إن الله -تبارك وتعالى -هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا ، وأرسلنا من رسلنا إليهم ، وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم ، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم ، وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم ." (٢)

وفي السياق الماضي ذكر الله الرسالة وإنزال الكتاب في قوله -تعالى- : ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) جامع البيان (١٠/١٥٧) .

(٢) جامع البيان (١١/٢٢٤) .

ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥)﴾ [الدخان: ١ - ٥] ولما ختم بالاسمين الكريمين : ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ، فسر ابن جرير معناهما حسب السياق ، حيث حمله على تهديد المكذبين برسالة محمد -ﷺ-، والمكذبين بكتاب الله ، الذي أنزله في أشرف الليالي ، وهي ليلة القدر ، مع أن سمع الله وعلمه لا يحيط به أي شيء ؛ ولذلك أضاف المعنى العام فقال: وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم...وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم...⁽¹⁾

---

(١) وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٢٧) ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ جامع البيان (٦٠٢/١) ، و(١٣٧) ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ جامع البيان (٦٢١/١) ، و(١٤٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾الآية جامع البيان (٢١/٢) ، و(٢٠٧) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٢٠٧)﴾ جامع البيان (٣٣٥/٢) ، و(٢٢٦) ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦)﴾ جامع البيان (٤٣٩/٢)، و(٢٣٥) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾الآية جامع البيان (٥٤٢/٢) ، و(٢٤٠) ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٨/٢) ، و(٢٦٢) ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)﴾ جامع البيان (٦٤/٣) ، و(٢٦٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (٨٧/٣) ، وآل عمران (٣٠) ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٣٠)﴾ جامع البيان (٢٣١/٣) ، والنساء (١١) ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٤/٣) ، و(١٧) ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)﴾ جامع البيان (٦٤٤/٣) ، و(٢٤) ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية جامع البيان (١٦/٥-١٧) ، و(٢٦) ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦)﴾ جامع البيان (٢٩/٥-٣٠) ، و(٣٤) ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٧٢/٤) ، و(١٠٤) ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)﴾ جامع البيان (٢٦٤/٤-٢٦٥) ، و(١٤٨) ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨)﴾ جامع البيان (٣٤٢/٤) ، و(١٥٨) ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ جامع البيان (٣٥٦/٤) ، والمائدة (٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٦/٤) ، و(١٩) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٩)﴾ =

-

جامع البيان (٥٠٨/٤) ، و(٣٤) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٤) ﴾ جامع البيان (٥٦٦/٤) ، و(٣٨) ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾ جامع البيان (٥٧٠/٤) ، و(٧٦) ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) ﴾ جامع البيان (٦٥٥/٤) ، والأنعام (٨٣) ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾ جامع البيان (٢٥٦/٥) ، و(٩٦) ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) ﴾ جامع البيان (٢٨٠/٥) ، والأنفال (١٧) ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ﴾ جامع البيان (٢٠٤/٦)، و(٦٣) ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾ جامع البيان (٢٨١/٦) ، والتوبة (٢٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) ﴾ جامع البيان (٣٤٨/٦) ، و(٩٧) ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) ﴾ جامع البيان (٤٥١/٦) ، و(١٠٣) ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾ جامع البيان (٤٦٣/٦) ، ويوسف (٣٤) ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ جامع البيان (٢١٠/٧) ، والنحل (٤٧) ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧) ﴾ جامع البيان (٥٩١/٧) ، و(٦٠) ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) ﴾ جامع البيان (٦٠٠/٧-٦٠١)، و(٧٠) ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) ﴾ جامع البيان (٦١٥/٧) ، والإسراء (١) ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) ﴾ جامع البيان (١٧/٨) ، و(٤٤) ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾ جامع البيان (٨٥/٨) ، والحج (٥٩) ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ﴾ جامع البيان (١٨٢/٩) ، والنمل (٧٨) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) ﴾ جامع البيان (١٢/١٠) ، والأحزاب (٢) ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) ﴾ جامع البيان (٢٥٤/١٠) ، و(٥) ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (٢٥٨/١٠) ، وفاطر (٢) ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) ﴾ جامع البيان (٣٩٤/١٠) ، والحجرات (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) ﴾ جامع البيان (٣٧٨/١١) ، و(١٣) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ جامع البيان (٣٩٩/١١)، والحديد (٢٤) ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) ﴾ جامع البيان (٦٨٨/١١) .

المبحث الرابع :

موضع لم يَستعمل فيه ابن جرير -رحمه الله- الطريقة السابقة :

سبق الكلام بالتفصيل عن طريقة ابن جرير في ذكر المعنى المناسب للسياق فيما حذف متعلّقه، وأن له طريقتين : الأولى : أن يذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه، والثانية : أن يذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه ، ويعتبر هذا منهجاً مطّرداً طبّقه الإمام الطبري -رحمه الله-واستعمله في تفسيره ، وقد سبق في الأمثلة ، وفي هذا الموضع، رجح الإمام القول بالعموم دون تقييده بسياق الآية ، وردّ على من خصّ المعنى ، أو ذكر المناسب للسياق وحده :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٨] **قال-رحمه الله-**:"...وكان ابن زيد يقول : الفاسق في هذا الموضع : هو الكاذب...وليس الذي قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفوع ، إلاّ أن الله -تعالى ذِكْره- عمّ الخبر بأنه لا يهدي جميع الفسّاق ، و لم يخصص منهم بعضاً دون بعض بخبر ولا عقل ، فذلك على معاني الفسق كلها حتى يخصّص شيئاً منها ما يجب التسليم له ، فيسلّم له ." [1]

فهذا مخالف لما سبق في طريقته في المبحث الأول : حيث يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير للعموم ، وفي هذا الموضع كان السياق في الحلف والشهادة ، فلا بأس من ذكر ما كان السياق فيه ، وهو الكذب في الحلف والشهادة ، فهو محرم يكون فاعله فاسقاً ، كما دل عليه السياق ، فلا يقال بأنه لم يدل عليه الخبر ، ولكن لا يقال بخصوصه فيه ، ويدخل غير الكذب من المفسقات والكبائر ، فيكون تفسير ابن زيد ليس تخصيصاً بل هو ذكر المناسب للسياق ، كما كانت طريقة ابن جرير في الأمثلة الماضية .-والله أعلم-.

كما قال الشوكاني -رحمه الله-: " الفاسقين الخارجين عن طاعته بأي ذنب ، ومنه الكذب

---

[1] جامع البيان (١٢٤/٥) ، وتحقيق شاكر (٢٠٦/١١) .

في اليمين أو الشهادة ." (١)

وهذا المثال وحده هو الذي وجدته مخالفاً لما مضى ، فإما أن يُقال بأن طريقة الإمام الماضية من ذكر المعنى الخاص فقط - وأن هذا لا يعني الخصوص - هي الأغلب ، وهذا التعقيب على ابن زيد -رحمه الله- يكون من النادر ، وإما أنه نسيان يعتري بني الإنسان ، وهو الأرجح .-والله أعلم-.

وبعد هذا العرض للمواضع ، يظهر أثر السياق في الدلالة على ذكر المعنى المناسب للسياق لعمومه ولا ينفي العموم ، وأن طريقة التطبيق عند الإمام -رحمه الله- أن يذكر المعنى المناسب وحده ، دون إدخال غيره أو يذكر المعنى المناسب ويدخل غيره من المعاني التي تشابهه ، ومثل ذلك مع الأسماء الحسنى لله -جل وعلا- ، و لم يخرج عن هذا النهج إلا في موضع واحد ، إما أن يحمل على النادر أو أنه نسيان .-والله تعالى الموفق-

---

(١) فتح القدير (٢/٨٨) .

الفصل السادس

أثر دلالة السّياق

في الدلالة على المحذوف من الكلام :

الفصل السادس : أثر دلالة السّياق في الدلالة على المحذوف من الكلام :

بعد عدّ شيء من آثار السياق ، يتبين في هذا الفصل –إن شاء الله– ما للسياق من أثر في سبر أغوار الكلام ، وفهم ما وراءه ، مما دل عليه ظاهر اللفظ والسياق .

وقد أشار الإمام الطبري –رحمه الله– إلى أن الحذف الذي دل عليه الدليل في القرآن وفي لغة العرب كثير يتعب إحصاؤه . (١)

وسيتبين أن من عادة العرب –والقرآن نزل بلغتهم– حذف ما يفهم معناه بدلالة السياق ، وهذا يدل على سعة هذا الفصل ؛ لكثرة المواضع والأمثلة ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، وسأعرض لما يكفي في المعنى –إن شاء الله– حسب المستطاع ، من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : اللغة واستعمالات العرب ، وطريقتهم في الحذف .

المبحث الثاني : قد يدل سبب النزول على حذف .

المبحث الثالث : أمثلة على بعض أنواع الحذف بدلالة السياق .

المبحث الرابع : الحذف قد يكون محتملاً ، بسبب السياق ، أو القراءة .

المبحث الخامس : تقدير الحذف بما يناسب السياق .

المبحث السادس : مواضع قدر فيها الإمام –رحمه الله– الحذف ، أو لم يقدّر فيها الإمام –رحمه الله– محذوفاً مناسباً للسياق ، والراجح بخلاف ذلك .

---

(١) جامع البيان (٥٨٨/٦) عند قوله تعالى : ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾ [يونس: ٧٧].

المبحث الأول : اللغة ، واستعمالات العرب ، وطريقتهم في الحذف :

من خلال مواضع الحذف المستخرجة ، يتبين أن الحذف له أدلته من السياق ، وللعرب طريقة متبعة فيه ، وسأورد شيئاً من ذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول : الأصل عدم الحذف ، ولا يقال به إلا عند الاضطرار إليه .

المطلب الثاني : إنما يكون الحذف إذا دل عليه ظاهر الكلام ، وعرف السامع المراد منه .

المطلب الثالث : الإعراب يحدد ماهية المحذوف .

المطلب الرابع : يقدر الكلام حال الحذف على أنه كلام واحد لا متعدّد .

المطلب الخامس : لابد من مناسبة تقدير المحذوف للمذكور .

المطلب السادس : أمثلة على حذف بعض الحروف والكلمات بدلالة سياق الكلام عليه .

المطلب الأول :

الأصل عدم الحذف ، ولا يقال به إلا عند الاضطرار إليه :

قد يسهل على المفسّر وغيره تقدير محذوف ما عند تبادره ، ولكن ذلك ليس له دائماً ، بل الأصل عدم الحذف ، ما دام المعنى مفهوماً على وجهه الصحيح دون تقدير :

ففي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ١٢] الآية ، " قال أبو جعفر : وهذه"اللام" التي في قوله : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ ، لام قسم . ثم اختلف أهل العربية في جالبها : فكان بعض نحويي الكوفة يقول : إن شئت جعلت ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ غاية كلام ، ثم استأنفت بعدها: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . قال : وإن شئت جعلتَه في موضع نصب، يعني : كتب ليجمعنكم كما قال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [الأنعام: ٥٤] يريد : كتب أنه من عمل منكم ...وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصبت"لام" ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾، لأن معنى : ﴿ كَتَبَ ﴾ [: فرضَ، وأوجب، وهو بمعنى القسم]، كأنه قال: والله ليجمعنكم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ غايةً. وأن يكون قوله : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ خبرًا مبتدأ ، ويكون معنى الكلام حينئذ: ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه ؛ لينتقم منكم بكفركم به... وليس من صفة الرحمة : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ، فيكون مبينًا به عنها . فإذ كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا أن تنصب بنية تكرير"كتب" مرة أخرى معه ، ولا ضرورة بالكلام إلى ذلك ، فيوجَّه إلى ما ليس بموجود في ظاهره"(١)

فلم يقل بتكرير كلمة "كَتَبَ" تقديراً ؛ لأنه يلزم منه تقدير حذف ، والحذف ليس إلا عند الضرورة ، والضرورة هي عدم فهم الكلام على وجهه الظاهر ، ولا ضرورة هنا ، فاكتفى بالقول بالاستئناف .

---

(١) جامع البيان (١٥٧/٥) ، وتحقيق شاكر (٢٧٨/١١) . وانظر موضعين آخرين : في البقرة (٦٣) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٧/١) ، والأعراف (٤) ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ④ ﴾ جامع البيان (٤٢٨/٥) .

المطلب الثاني :

إنما يكون الحذف إذا دل عليه ظاهر الكلام ، وعرف السامع المراد منه :

وسأمثل على ما دل عليه الدليل ، وما لم يدل عليه الدليل :

١– فأمثلة ما دل عليه الدليل على نوعين : هما :

أ – أن يكون الدليل على الحذف جملة : كما في قول الله – تعالى – : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧)﴾ [البقرة: ١٧] قال الطبري – رحمه الله – " فإن قال لنا قائل : إنك ذكرتَ أنّ معنى قول الله –تعالى ذكره– ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ : خَمدتْ وانطفأتْ ، وليس ذلك بموجود في القرآن ، فما دلالتك على أنّ ذلك معناه؟ . قيل : قد قلنا : إنّ من شأن العرب الإيجاز والاختصار ، إذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذفتْ وتركتْ ...[وذكر شواهد من العربية على الحذف ، ثم قال :] فكذلك قوله : ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ ، لَّما كان فيه وفيما بعدَه من قوله : ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ دلالةٌ على المتروك كافيةٌ من ذكره – اختصرَ الكلامَ طلبَ الإيجاز . وكذلك حذفُ ما حذفَ واختصارُ ما اختصرَ من الخبر عن مَثل المنافقين بَعدَه ، نظير ما اختصرَ من الخبر عن مَثَل المستوقد النارَ ؛ لأن معنى الكلام : فكذلك المنافقون ذَهبَ الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون – بعد الضياء الذي كانوا فيه في الدنيا بما كانوا يظهرون بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون – كما ذهب ضَوء نار هذا المستوقد، بانطفاء ناره وخمودها، فبقي في ظلمة لا يُبصر .

فالمثل يدل على مساواة أناس بأناس أوقدوا نارا ، فأضاءت لهم الطريق ، ثم انطفأت وخيم الظلام عليهم ، ودليل حصول الانطفاء هو أن : التعبير بذهاب النور ، هو حصول نقيضه : ومع ذهاب النور يأتي الظلام الذي لا يحصل معه الإبصار ، ولابد من وجه الشبه بين المشبه : وهم القوم المستوقدون ، والمشبه بهم : وهم المنافقون ، فيكون المراد من المثل وذهاب النور ، ما يحصل للمنافقين من إطفاء النور في الآخرة ، كما في قوله – تعالى – : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ

مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد: ١٣] "(١).

ب – **وقد يكون الدليل على الحذف حرفاً واحداً** : كما في قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ٩١] قال – رحمه الله – : " وأدخلت الواو في قوله : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ ؛ لمحذوف من الكلام بعده ، دل عليه دخول الواو وكالواو في قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] ، وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السمات والأرض ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ ، ولو لم يكن في الكلام واو لكان الكلام صحيحاً ، و لم يكن هنالك متروك ، وكان : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به .

فالواو في قوله : ﴿ وَلَوِ ﴾ دالة على محذوف دل عليه الكلام ، وتقدير الحذف المناسب هنا : ولو افتدى به لن يقبل منه ، كما أن الواو في قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ دالة على حذف تقديره : وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السماوات والأرض ، وهذا مثل هذا ." (٢)

٢– ومن أمثلة الحذف الذي لم يدل عليه دليل وضعفه الطبري – رحمه الله– : في قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبيـــاء: ٨٧] " قال ابن زيد – رحمه الله – في قوله ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ هذا استفهام . وفي قوله : ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: ٥] قال : استفهام أيضاً ، قال أبو جعفر:...وأما ما قاله ابن زيد ، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلا على أنه مراد في الكلام، فإذا لم يكن في قوله : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيـــد ، كان معلوما أنه ليس به..." (٣)

---

(١) جامع البيان (١٧٩/١) ، وتحقيق شاكر (٣٢٧/١) .

(٢) جامع البيان (٣٤٥/٣) ، وتحقيق شاكر (٥٨٦/٦) .

(٣) جامع البيان (٧٦/٩) .

فليس هناك دليل على أن قوله : ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ استفهام ؛ لعدم دلالة الكلام على أنه محذوف ، والعرب لا تقول مثل ذلك في كلامها ، فالكلام خبر لا استفهام . (١)

---

(١) وانظر بقية الأمثلة على وجه العموم في : الفاتحة (٧) ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ جامع البيان (١٠٧/١) ، والبقرة (٢٦) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الآية جامع البيان (٢١٥/١) ، و(٥٤) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٨/١) ، و(١٤٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾الآية جامع البيان (١٤/٢) ، و(٢٤٣) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٦/٢) ، و(٢٥١) ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٩/٢) ، و(٢٧٥) ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ الآية جامع البيان (١٠٤/٣) ، وآل عمران(٩) ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝﴾ جامع البيان (١٨٩/٣) ، والنساء (٨١) ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ الآية جامع البيان (١٨١/٤) ، والمائدة (١٢) ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ الآية جامع البيان (٤٩١/٤) ، و(١٠٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (١١٠/٥) ، و(١٠٧) ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ الآية جامع البيان (١٢٠/٥) ، والأنعام (٣٥) ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ الآية جامع البيان (١٨٣/٥) ، و(٧٣) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٧/٥) ، و(٩٩) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٩/٥) ، و(١٣٠) ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ الآية جامع البيان (٣٤٦/٥) ، و(١٥١) ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية جامع البيان (٣٩٠/٥) ، والأعراف (١٥٥) ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ الآية جامع البيان (٧٦/٦) ، والإسراء (١) ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ الآية جامع البيان (١٦/٨) ، والكهف(٢) ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ الآية جامع البيان (١٧٥/٨) ، و(١٥) ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ الآية جامع البيان (١٩٠/٨) ، و(٢٢) ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٦/٨) ، وطه (٥٠) ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ

=

المطلب الثالث : الإعراب يحدد ما هية المحذوف :

ففي قوله – تعالى – : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)﴾ [البقرة: ٢٢٠] قال أبو جعفر : فان قال لنا قائل : وكيف قال : ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ فرفع الإخوان ، وقال في موضع آخر : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] قيل : لافتراق معنييهما ، وذلك أن أيتام المؤمنين إخوان المؤمنين والإخوان مرفوعون بالمعنى المتروك ذكره، وهو "هم" ؛لدلالة الكلام عليه ، وأنه لم يرد بالإخوان الخبر عنهم أنهم كانوا إخوانا من

- هُدًى (٥)﴾ حامع البيان (٤٢٢/٨) ، والأنبياء (٤٢) ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية حامع البيان (٣٠/٩) ، والنمل (١٢) ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ الآية حامع البيان (٥٠١/٩) ، والروم (٣) ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)﴾ حامع البيان (١٦٧/١٠) ، ويس(٨) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨)﴾ حامع البيان (٤٢٦/١٠) ، والصافات (١٠٠) ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠٠)﴾ حامع البيان (٥٠٥/١٠)، والزخرف (١٨) ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)﴾ حامع البيان (١٧٣/١١) ، و(٥٢) ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢)﴾ حامع البيان (١٩٦/١١) ، والدخان (٥٣) ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٥٣)﴾ حامع البيان (٢٤٨/١١) ، ومحمد (١٥) ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآية حامع البيان (٣١٤/١١) ، والحجرات (١١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ الآية حامع البيان (٣٩٣/١١) ، والذاريات (٤٩) ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾ حامع البيان (٤٧٢/١١) ، والطور (٢٠) ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾ حامع البيان (٤٨٧/١١) ، والنجم (١٩-٢٠) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ (٢٠)﴾ حامع البيان (٥١٩/١١)، والقمر (٢٠) ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠)﴾ حامع البيان (٥٥٨/١١) ، والواقعة (٨) ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨)﴾ حامع البيان (٦٦٧/١١)، والواقعة (٩١) ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٩١)﴾ حامع البيان (٦٦٧/١١) ، والإنسان (٧) ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا (٧)﴾ حامع البيان (٣٥٩/١٢) ، والنبأ (١٦) ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾ حامع البيان (٤٠٠/١٢) ، و(٣٣) ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣)﴾ حامع البيان (٤١٠/١٢) ، والضحى (٣) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣)﴾ حامع البيان (٦٢٢/١٢).

أجل مخالطة ولاتهم . ولو كان ذلك المراد لكانت القراءة نصباً ، وكان معناه حينئذٍ : وإن تخالطوهم فخالطوا إخوانكم ، ولكنه قرئ رفعاً ؛ لما وصفت من أنهم إخوان للمؤمنين الذين يلونهم ، خالطوهم أو لم يخالطوهم . " (١)

فاستدل بكون كلمة "إخوان" مرفوعة ، على أن المحذوف ضمير وليس فعلا ؛ لأنه لو كان فعلا لكانت القراءة لكلمة : " إخوان " بالنصب ، والقراءة ليست كذلك .

---

(٣) جامع البيان (٣٨٥/٢)، وتحقيق شاكر (٣٥٦/٤).وانظر مثله في البقرة (٥٨) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٤١/١) ، والعنكبوت (٨) ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ الآية جامع البيان (١٢٣/١٠) .

المطلب الرابع : ينبغي تقدير الكلام حال الحذف على أنه كلام واحد لا متعدد :

في قوله- تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٨٣] قال رحمه الله : " واما الإحسان : فمنصوب بفعل مضمر ، يؤدي معناه قوله : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ إذا كان مفهوما معناه فكان معنى الكلام –لو اظهر المحذوف -: وأخذنا ميثاق بني إسرائيل بان لا تعبدوا إلا الله ، وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا ، فاكتفى بقوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ من أن يقال : وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا ، إذ كان مفهوما أن ذالك معناه بما ظهر من الكلام ، وقد زعم بعض أهل العربية في ذلك أن معناه : وبالوالدين فأحسنوا إحسانا ، فجعل الباء التي في " الوالدين" من صلة الإحسان مقدمة عليه ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : ألا تعبدوا إلا الله ، وأحسنوا بالوالدين إحسانا فزعموا أن الباء التي في : " الوالدين" من صلة المحذوف – أعني : أحسنوا – فجعلوا ذلك من كلامين ، وإنما يصرف الكلام إلى ما ادعوا من ذلك ، إذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام واحد وجه ، فأما وللكلام وجه مفهوم على اتساقه على كلام واحد فلا وجه لصرفه إلى كلامين..."(١).

فإذا فهم الكلام وقدر محذوفه على أنه كلام واحد وكان ذلك ممكناً ، فلا ينبغي العدول عنه إلى تقديره بمتعدد من الكلام إلا إذا لم يكن له إلا ذاك المحمل .

---

(١) جامع البيان (٤٣٤/١) ، وتحقيق شاكر (٢٩٢/٢) .

المطلب الخامس : لا بد من مناسبة تقدير المحذوف للمذكور :

ففي قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾ [النساء: ١١] قال أبو جعفر –رحمه الله –:" واختلف أهل العربية في المعنيّ بقوله : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾ : فقال بعض نحويي البصرة بنحو الذي قلنا : فإن كان المتروكات نساء ، وهو أيضا قول بعض نحويي الكوفة .

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك فإن كان الأولاد نساء، وقال : إنما ذكر الله الأولاد فقال: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ ثم قسم الوصية فقال : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾ وإن كان الأولاد [نساء وإن كان الأولاد واحدة] ترجمة منه بذلك عن الأولاد .

قال أبو جعفر : والقول الأول الذي حكيناه عمن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي ؛ لأن قوله : ﴿فَإِن كُنَّ﴾ لو كان معنياً به الأولاد لقيل : وإن كانوا ؛ لأن الأولاد تجمع الذكور والإناث ، وإذا كان كذلك فإنما يقال : كانوا لا ﴿كُنَّ﴾ " .(١)

فتقدير المحذوف بالأولاد لا يدل عليه قوله : ﴿كُنَّ﴾ ؛ لأن لفظ "كنّ" خاص بالإناث ، ولو كان الخطاب للذكور والإناث لأشار إليهم بلفظ : " كانوا " .

---

(١) جامع البيان (٦١٨/٣) ، وتحقيق شاكر (٣٤/٨) .

المطلب السادس :

أمثلة على حذف بعض الحروف والكلمات بدلالة سياق الكلام عليه :

ذكر الإمام الطبري –رحمه الله – أن العرب تحذف في كلامها إذا دل الكلام على المحذوف ، وقد ورد ذلك في مواضع ، وسأذكر بعض الأمثلة على ما حذف ودل سياق الكلام عليه :

١ – مثال حذف لا : في قوله – تعالى – : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾ [النساء: ١٧٦] " قال أبو جعفر : وموضع ﴿أَنْ﴾ في قوله : ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ نصب في قول بعض أهل العربية ؛ لاتصالها بالفعل . وفي قول بعضهم : خفض ، بمعنى : يبين الله لكم بأن لا تضلوا ولئلا تضلوا ، وأسقطت "لا" من اللفظ وهي مطلوبة في المعنى ؛ لدلالة الكلام عليها ، والعرب تفعل ذلك ، تقول : جئتك أن تلومني ، بمعنى : جئتك أن لا تلومني " .(١)

فحذف "لا" هنا تستعمله العرب في كلامها ، ولا شك أن تبيين الله لعباده الأحكام وخاصة الفرائض من أجل أن يهتدوا لا ليضلوا .

---

(١) جامع البيان (٣٨٤/٤) ، وتحقيق شاكر (٤٤٥/٩) . وانظر مثلها في البقرة (٢٢٤) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾ جامع البيان (٤١٥/٢) ، والأنعام (٧٠) ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾الآية جامع البيان (٢٢٨/٥) ، والأعراف (٢٠) ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ الآية جامع البيان (٤٥٠/٥) ، والحج (٦٥) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ الآية جامع البيان (١٨٤/٩) ، ولقمان (١٠) ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٧/١٠) ، والزمر (٥٦) ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦)﴾ جامع البيان (١٨/١١) .

٢- ومثال حذف الكلمة : في قوله - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨)﴾ [النساء: ٣٨] قال أبو جعفر : " يعني بذلك -جل ثناؤه- ومن يكن الشيطان له خليلاً وصاحباً يعمل بطاعته ويتبع أمره ، ويترك أمر الله في إنفاقه ماله رئاء الناس في غير طاعته وجحوده وحدانية الله والبعث بعد الممات ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ، يقول : فساء الشيطان قريناً . وإنما نصب القرين ؛ لأن في "سَاءَ" ذكراً من الشيطان ، كما قال -جل ثناؤه-: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] ، وكذلك تفعل العرب في ساء ونظائرها . " (١)

---

(١) جامع البيان (٩٠/٤) ، وتحقيق شاكر (٣٥٨/٨) . وانظر بقية الأمثلة التي أكد فيها أن لغة العرب تستعمل هذا الحذف في : النساء (٤٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ الآية جامع البيان (١١٢/٤) ، و(٩٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾الآية جامع البيان (٢٠٠/٤) ، و (١٢٧) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٧/٤) ، والأعراف (٧٣) ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٠/٥) ، و(١٧٧) ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧)﴾ الآية جامع البيان (١٢٩/٦) ، والأنفال (١٣) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣)﴾ جامع البيان (١٩٨/٦) ، والتوبة (٨) ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ الآية جامع البيان (٣٢٥/٦) ، والنحل (٥) ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)﴾ الآية جامع البيان ٥٥٩/٧ ، والمؤمنون (٣٣) ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢١٢/٩) ، والفرقان (٢٠) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠)﴾ الآية جامع البيان (٣٧٦/٩) ، ولقمان (٢٨) ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)﴾ الآية جامع البيان (٢٢٢/١٠) ، والصافات (٨) ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨)﴾ الآية جامع البيان (٤٧٢/١٠) ، وسورة ص (٢٢) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٦/١٠) ، والنازعات (٣٢) ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)﴾ الآية جامع البيان (٤٣٩/١٢) .

٣- وقد يحذف الشيء ويشار إليه بالضمير مع عدم ذكره في الكلام السابق: ومثاله قوله - تعالى - : ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يوسف: ٧٧] قال-رحمه الله- : "يعني بقوله : ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ فأضمرها ، وقال : ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ فأنث ؛ لأنه عنى بها الكلمة ، وهي : ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ، ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزا ، كما قيل : ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [هود: ٤٩] ، و ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [هود: ١٠٠] ، وكني عن الكلمة و لم يجر لها ذكر متقدم ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، إذا كان مفهوما المعنى المراد عند سامعي الكلام ... ومنه قول الله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ [النحل: ١١٠] فقال : ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ و لم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث ."(١)

فمتى ثبت أن العرب تشير إلى شيء محذوف بضمير ، حسن القول بالحذف ، شريطة أن يكون الكلام على هذا التقدير مفهوما من السياق عند السماع ، كما في ضمير كلمة : ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ فهو عائد على غير متقدم ، ولكنه مفهوم والمسر هو قوله : ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ والمثال الآخر : الهاء في قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ عائد على غير متقدم ، ولكنه مفهوم من السياق .

---

(١) والتقدير من بعد فعلتهم ، جامع البيان (٢٦٦/٧) ، ومثله في الأنعام (٣١) ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٧٧/٥-١٧٨) ، والعاديات (٤-٥) ﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٦٧٠/١٢) .

المبحث الثاني : قد يدل سبب النزول على حذف :

تقرر في فنّ علوم القرآن وتطبيقات المفسرين أهمية سبب النزول في معرفة المعنى، وفهم الآيات ، وعده العلماء من شروط أهلية المفسر لكلام الله – سبحانه وتعالى – :

ومثال سبب النزول الدال على حذف : ما ورد في نزول قوله – تعالى – : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] قال – رحمه الله – :" ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله – ﷺ- عن نسب ربّ العزّة، فأنزل الله هذه السورة جواباً لهم . وقال بعضهم : بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فأُنزلت جواباً لهم... فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا : قل يا محمد لهؤلاء السائليك عن نسب ربك وصفته ، ومن خلقه ؟ : الرب الذي سألتموني عنه ، هو الله ، الذي له عبادة كل شيء ، لا تنبغي العبادة إلا له ، ولا تصلح لشيء سواه ." (١)

فالأمر بالقول في هذه السورة عائد على سؤال متقدم دل عليه سبب النزول .

ويدخل تحت هذا ، بدلالة المفهوم : الآيات التي فيها سبب نزول ، ومن أمثلة ذلك :

نزول أول سورة اقرأ ، فالأمر كان متوجهاً من جبريل – عليه السلام – ثلاث مرات ورسول الله – ﷺ- يقول : ما أنا بقارئ ، أي: لست أحسن أن أقرأ ، ثم أنزل الله عليه بيان ما أمر بقراءته .

وكذلك سورة الكافرون، ترجع إلى ما طلبه المشركون من رسول الله- ﷺ- أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا إلهه سنة ، ونحو ذلك من السور والآيات . – والله أعلم –.

---

(١) جامع البيان (٧٤١/١٢) ، أسباب نزول سورة الإخلاص ضعيفة جداً ، انظر المحرر في أسباب النزول للدكتور خالد المزيني (١١٠٧/٢) .

المبحث الثالث : أمثلة على بعض أنواع الحذف بدلالة السياق :

وصنفت الأمثلة على ستة مطالب ، وهي :

المطلب الأول : حذف قال أو قالوا ، ونحوهما . وحذف القائل .

المطلب الثاني : حذف مقطع من القصة ، أو حدث من واقعة .

المطلب الثالث : حذف جوابي السؤال والقسم ونحوهما .

المطلب الرابع : حذف المقابل .

المطلب الخامس : حذف اسم الإشارة في أوائل السور .

المطلب السادس : ختام الآية بالأسماء الحسنى دالٌّ على محذوف مراد معناه .

المطلب الأول : حذف قال أو قالوا ، ونحوهما ، وحذف القائل :

١- حذف قال أو قالوا ، ونحوهما ، والسر اللغوي في ذلك :

ورد في القران جمل محكية عن متكلمين ، و لم يشر في الآية إلى تعيين القائل، إلا أن هذا التحديد يعرفه من تأمل السياق .

وقبل سوق الأمثلة على ذلك ، يجب الإحاطة بأن تقدير نسبة الكلام لهذا أو ذاك خاضع لدلالة السياق الفاصلة ، فلا يكون القول بأن هذا قول لمخصوص قد حذف إلا بدليل :

ففي قوله – تعالى - : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف: ٢٥] نقل – رحمه الله – الخلاف فيها : " فقال بعضهم : ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك ، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ [الكهف: ٢٦] وقالوا : لو كان ذلك خبراً من الله عن قدر لبثهم في الكهف، لم يكن لقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ وجه مفهوم، وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره...وقال آخرون:بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم ...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : كما قال الله – عز ذكره - : ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً –إلى أن بعثهم الله ؛ ليتساءلوا بينهم ، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر – ثلاث مائة وتسع سنين ، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه . وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ :"وقالوا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ" (١) وقول من قال : ذلك من قول أهل الكتاب ، وقد رد الله ذلك عليهم ، فان معناه في ذلك – إن شاء الله – كان : أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله – ﷺ- أن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا ثلاث مائة سنين وتسع سنين ، فرد الله ذلك عليهم، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن آووا إليه إلى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ، ثم قال –جل ثناؤه – لنبيه – ﷺ- قل يا محمد : الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم من بعد أن بعثهم من رقدهم إلى يومهم هذا ، لا يعلم بذلك غير الله ، وغير من أعلمه الله بذلك . فان قال قائل : وما يدلّ على أن

---

(١) انظر الكشاف (٤٨١/٢) ، قال ابن كثير : " وقراءة ابن مسعود منقطعة " . (٧٨/٣) .

ذلك كذلك ؟ قيل: الدالّ على ذلك أنه – جل ثناؤه – ابتدأ الخبر عن قدر لبثهم في كهفهم ابتداء ، فقال : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ و لم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه ، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان ؛ لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره ، وإذا جاز ذلك في أخباره ، جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره ، وذلك في قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساده .

فإن ظنّ ظانّ أن قوله : : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ دليل على أن قوله : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ﴾ خبر منه عن قوم قالوه ، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره ، فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه : قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة ، وما أشبه ذلك من المعاني ، فغير واجب أن يكون ذلك دليلاً على أن قوله : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ﴾ خبر من الله عن قوم قالوه ، وإذا لم يكن دليلا على ذلك ، و لم يأت خبر بأن قوله: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ﴾ خبر من الله عن قوم قالوه ، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها ، صحّ ما قلنا ،وفسد ما خالفه ."(١)

ويستفاد من هذا أن القول بوجود حذفٍ في شيء من الكلام أياً كان لا بد فيه من حجة ، وحين لا توجد حجّة بيّنة فإنه يحمل على الظاهر من السياق ، إلا إذا لم يوجد للقول من غير تقدير الحذف وجه ، فإنه يحمل عليه .

٢– يؤيد ما سبق ويعتبر من أمثلة حذف "قال" ونحوهما : قوله – تعالى – ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢] قال – رحمه الله – : " فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ؟ أحَمِد الله نفسه جلّ ثناؤه فأثنى عليها ، ثم علّمنَاه ؛ لنقول ذلك كما قال ووصَف به نفسه ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فما وجه قوله –تعالى ذكره – إذًا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥] وهو –عزّ ذكرُه – معبودٌ لا عابدٌ ؟ أم ذلك من قِيلِ جبريلَ أو محمدٍ رَسول الله – ﷺ– ؟ فقد بَطل أن يكون ذلك لله كلامًا .

قيل: بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ، ولكنه – جلّ ذكره – حَمِد نفسه وأثنى عليها بما هو

---

(١) جامع البيان (٨/٢١٠–٢١١) .

له أهلٌ ، ثم علَّم ذلك عباده ، وفرض عليهم تلاوته ، اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهم قولوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقولوا : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

فقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مما علمهم – جلَّ ذكره – أن يقولوه ويَدينُوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

فإن قال: وأين قوله: "قولوا"، فيكونَ تأويلُ ذلك ما ادَّعَيْتَ ؟ . قيل : قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها – إذا عرفتْ مكان الكلمة و لم تَشكَّك أنّ سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت – حذفُ ما كفى منه الظاهرُ من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت قولاً أو تأويلَ قولٍ . " (١)

وقد دل ظاهر السياق في هذا المثال على حذف قال وقولوا ، وهذا الحذف من أشهر أنواع الحذف عند العرب .

٣– إذا وجد في السياق قول –سواء كانت النسبة للقول موجودة أو محذوفة– فإنه يحسن في العربية هذا الحذف قصداً لتنويع الخطاب من مخاطب إلى غائب وعكسه ، وفي التنويع تجديد ، وتجديد للسمع أن يمل أو يكل :

ففي قوله – تعالى – : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ③﴾ [الزمر: ٣] قال – رحمه الله – : " يقول – تعالى ذكره – : والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتَوَلَّونَهُم ويعبدونهم من دون الله يقولون لهم : ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى ، قربة ومنزلة ، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا ، وهي فيما ذُكر في قراءة أبيّ : "ما نَعْبُدُكُمْ" ، وفي قراءة عبد الله : "قالوا ما نعبدهم "(٢) ، وإنما حسن ذلك ؛ لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمراً كان أو ظاهراً ، جعل الغائب أحياناً

---

(١) جامع البيان ١/٩٠-٩١ ، وتحقيق شاكر ١/١٣٩ .

(٢) عبد الله هنا هو : عبد الله بن عباس ، انظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٤/٤٥٧-٤٥٨) .

كالمخاطب ، ويترك أخرى كالغائب..." (١)

فهنا لما كان في السياق مقولة المشركين عن سبب عبادتهم للأولياء مع الله ، قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ ، وقولهم هذا حديث عن الغائب ، وفي قراءة أُبيّ : "ما نعبدكم" وهو خطاب لحاضر ، وحسن ذلك ؛ لوجود نسبة القول باطنة مفهومة من السياق ، ومن باب أولى : لو كانت نسبة القول موجودة ؛ لحسن التعبير من مخاطب إلى غائب ، وهو المسمى بالالتفات .(٢)

---

(١) جامع البيان (١٠/٦١١) .

(٢) الالتفات هو : العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم ، أو على العكس . التعريفات للجرجاني صفحة (٥١) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٥٧) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ الآية جامع البيان (١/٣٣٨) ، (٦٠) ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ الآية جامع البيان (١/٣٤٨) ، وال عمران (٧٩) ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٢٣) ، و(١٠٦) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٨٦) ، والأنعام (٧) ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٥٠) ، و(١٢٨) ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٤٢) ، و(١٥٤) ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٩٨) ، والأعراف(٣) ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٢٦) ، و(١٦٠) ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ الآية جامع البيان (٦/٩٠) ، و(١٩٦) ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)﴾ الآية جامع البيان (٦/١٥٠) ، والأنفال (٥٠) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠)﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٦٨) ، والتوبة(٣٥) ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ جامع البيان (٦/٣٦٢) ، والرعد(٢٤) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾ الآية جامع البيان (٧/٣٧٧)، والنحل (٢٨) ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾الآية جامع البيان (٧/٧٥٩) ، والإسراء (١٣) ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣)﴾ الآية جامع البيان (٨/٥٠) ، والكهف (٢٤) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)﴾ الآية جامع البيان ٨/٢٠٨ ، و(٤٨) ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٣٣) ، والأنبياء (٩٧) ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية جامع البيان (٩/٨٨) ، والحج (٢٢) ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
ـ

---

(٣٢) ﴾ الآية جامع البيان (١٢٧/٩) ، والمؤمنون(١٠٥) ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) ﴾ الآية جامع البيان (٢٤٦/٩) ، والنمل (٩٠) ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠) ﴾ الآية جامع البيان (٢٤/١٠) ، وسبا (٧) ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٨/١٠) ، و(١٣) ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٦/١٠) ، ويس (٦٠) ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٧/١٠) ، والصافات (٢٢) ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٢٢) ﴾ الآية جامع البيان (٤٧٩/١٠) ، و(٣٥) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٣/١٠) ، و سورة ص (٤٢) ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) ﴾ الآية جامع البيان (٥٨٩/١٠) ، غافر (٧) ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨/١١) ، و (١٦-١٧) ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨/١١) ، والزخرف (٦٨) ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٩/١١) ،والدخان (١٢) ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٨/١١) ، و(٣١) ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٨/١١) ، والأحقاف (٢٠) ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٨/١١) ، وسورة ق (٢٤) { أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} الآية جامع البيان (٤٢٢/١١) ، و(٣٢) ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٧/١١) ، والذاريات (١٤) ﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٠/١١) ، والطور (١٤) ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٦/١١) ، و(١٩) ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٦/١١) ، والقمر (٤٨) ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ (٤٨) ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٨/١١) ، والرحمن (٣٣) ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ (٣٣) ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٤/١١) ، و(٤٣) ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٣) ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٠/١١) ، والواقعة (٦٦-٦٧) ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) ﴾ الآية جامع البيان (٦٥٤/١١) ، والحاقة (٢٤) ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ (٢٤) ﴾ الآية جامع البيان (٢١٨/١٢) ، و(٣٠) ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٠/١٢) ، والإنسان (٩) ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا (٩) ﴾ الآية جامع البيان (٣١٦/١١) ، و(٢٢) ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٣/١٢) ، والمرسلات (٤٣) ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٢/١٢) ، والنبأ (٣٠) ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) ﴾ الآية جامع

٤- قد يحذف القائل : كما في قوله – تعالى - : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) ﴾ [الأعراف: ١٠٩ - ١١٠] قال – رحمه الله- : " وقيل : ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ، والخبر بذلك عن فرعون ، ولم يذكر فرعون ، وقلّما يجيء مثل ذلك في الكلام ، وذلك نظير قوله : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يوسف: ٥١ - ٥٢][١].فقيل: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ من قول يوسف ، ولم يذكر يوسف[٢]."

فجملة : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ من قول فرعون استشارة منه لقومه الذين وصفوا موسى- ﵇- بالسحر ، وأنه يريد إخراج أهل مصر منها ، ثم حكي كلام فرعون ، ومما يدل على هذا الحذف جوابهم بعدُ له بقولهم : ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (١١١) ﴾ [الأعراف: ١١١].

-

البيان (١٢/٤٠٩) .

[١] قد سبق الحديث عن كلام الإمام الطبري هنا ، وترجح في الآية اتصال الكلام بالمرأة دون يوسف –عليه السلام- ، وذلك في مبحث : الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه . انظر صفحة (٢٠٣-٢٠٤) .

[٢] جامع البيان (١٨/٦) ، وتحقيق شاكر (٢٠/١٣) . وانظر مواضع أخرى في : المائدة (٢٩) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٥٣١) ، وسورة ص (٥٩) ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ (٥٩) ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦٠٠) .

المطلب الثاني : حذف مقطع من قصة أو حدث من واقعة :

وهذا كثير في عرض القصص القرآني ، ويفهم هذا جلياً من سياق الآيات :

ومن أمثلة ذلك : قوله –تعالى- : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩] الآية ، قال أبو جعفر : " وفي هذا الخبر من الله –تعالى ذكره- متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عن ذكره . ومعنى الكلام : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقـرة: ٢٤٨] فأتاهم التابوت فيه سكينة من ربهم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، فصدقوا عند ذلك نبيهم ، وأقروا بأن الله قد بعث طالوت ملكا عليهم ، وأذعنوا له بذلك⁽¹⁾. يدل على ذلك قوله : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ وما كان ليفصل بهم إلا بعد رضاهم به وتسليمهم الملك له ؛ لأنه لم يكن ممن يقدر على إكراههم على ذلك ، فيظن به أنه حملهم على ذلك كرهاً ". ⁽²⁾

وقد ذكر نبي بني إسرائيل – كما حكى الله عنه – لقومه مقومات كون طالوت ملكا عليهم، بعد إنكارهم ذلك بأنه لم يؤت سعة من المال فقال : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] ثم قص الله –عز وجل- الآية التي أوتيها مباشرةً فصلِ طالوتَ بالجنود لهم على أنه ملكهم ، و لم يذكر قبل ذلك تسليمهم له بالملك عليهم ، وهذا مفهوم من القصة ، ولازم طاعتهم القتال خلفه وتحت رايته . ⁽³⁾

---

(١) وهذا معنى الآية التي قبلها ، ونصها : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨] .

(٢) جامع البيان (٦٣١/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٣٨/٥) .

(٣) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٣٠) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية جامع البيان (٢٤٧/١)، و(٥٧) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾الآية جامع البيان (٣٣٨/١) ، و(٦٠) ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾الآية جامع البيان (٣٤٦/١) ، و(٦١) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ الآية

–

جامع البيان (٣٥٣/١) ، و(٧٣) ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣ ﴾ الآية جامع البيان (٤٠٤/١) ، و(٢٤٦) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٦١٥/٢) ، والنساء (٤٣) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ الآية جامع البيان (١١١/٤) ، و(٦٠) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (١٥٥/٤) ، و المائدة (١٣) ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾الآية جامع البيان (٣٩٥/٤) ، و(٣١) ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾الآية جامع البيان (٥٤٠/٤) ، والأنعام (٨) ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ ﴾ الآية جامع البيان (١٥١/٥) ، و(٤٢-٤٣) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ ﴾ الآيتين جامع البيان (١٩٠/٥-١٩١) ، والأعراف (١١٢-١١٣) ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝١١٢ ﴾ الآيتين جامع البيان (١٩/٦) ، و(١١٧) ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝١١٧ ﴾ الآية جامع البيان (٢٢/٦) ، و(١٣٥) ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝١٣٥ ﴾ الآية جامع البيان (٤٢/٦) ، ويونس (٢) ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٢٩/٦)، و(٨٠) ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠ ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٠/٦) ، وهود (٤١) ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣/٧) ، و(٦٥) ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝٦٥ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣/٧) ، ويوسف (١٥) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ الآية جامع البيان (١٥٧/٧) ، و(١٩) ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾الآية جامع البيان (١٦٤/٧) ، و(٣٣) ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾الآية جامع البيان (٢٠٨/٧) ، و(٣٦) ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾الآية جامع البيان (٢١١/٧-٢١٢) ، و(٤٦) ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٧/٧) ، و(٥١) ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٧) ، و(٨٣) ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٣/٧) ، و(٨٨) ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٥/٧) ، والكهف (٤٩) ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٨) ، و(٩٦) ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٧/٨) ، ومريم (١٢) ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ ﴾ الآية جامع البيان (٣١٥/٨) ، و(٢٢) ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٢/٨) ، وطه (٤٠) ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٣/٨-٤١٨) ، و(٤٨) ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ

المطلب الثالث : حذف جوابي السؤال والقسم ونحوهما :

فمثال حذف جواب السؤال : قولـــه –تعـــالى- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨ ﴾ [الزمر: ٣٨] قال –رحمه الله- بعد تفسير الآية : " وترك الجواب ؛ لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه . والمعـــنى : فـــإنهم

الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٢/٨) ، و(٦٦) ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ٦٦ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٣/٨) ، و(٦٥) ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ٦٥ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٢/٨) ، و(٧٠) ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٥/٨) ، و(٧٨) ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٩/٨) ، و(٩٤) ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٩/٨) ، والأنبياء (٦٩) ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ٦٩ ﴾ جامع البيان (٢٤/٩)، والمؤمنون (٧٢) ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٧٢ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٩) ، والفرقان (٣٦) ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ٣٦ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٩/٩) ، والشعراء (١٨) ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٦/٩)، و(٤٣) ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ٤٣ ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٢/٩) ، والنمل (١٠) ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٨/٩) ، و(٢١) ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٢١ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٦/٩) ، و(٤٠) ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾الآية جامع البيان (٥٢٥/٩) ، والقصص (١١) ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨/١٠) ، و(٣١) ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾الآيـــة جـــامع البيـــان (٦٩/١٠) ، والصافات (٥٤) ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ٥٤ ﴾ جامع البيان (٤٩١/١٠) ، و(٩١) ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٢/١٠) ، وسورة ص (٣٢) ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ٣٢ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧٨/١٠) ، و(٧٣) ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٥/١٠) ، والزمر (٧٣) ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٤/١١) ، والدخان (٢٣) ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/١١) ، والأحقاف (٢٧) ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٧ ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٥/١١) ، والذاريات (٢٧) ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٤٦٣/١١) .

سيقولون : لا ، فقل : حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها ، إياه أعبد ، وإليه أفزع في أموري دون كلّ شيء سواه ، فإنه الكافي ، وبيده الضر والنفع ، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع..."[١].

ولا شك أن الله –سبحانه وتعالى– هو المتصرف في الكون ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، ولم يذكر الله جواب السؤال الذي أمر الله رسوله -ﷺ- أن يقوله للمشركين وهو : ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ ؛ لدلالة ظاهر السياق عليه ، ومنه قوله : ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ أي : وحده دون من سواه من الآلهة المزعومة، فهو دليل على أنهم نفوا أن يكون أحد يفعل ذلك غير الله –تعالى– كما في آيات أخرى ، ومنها قوله –تعالى– : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١)﴾ [العنكبوت: ٦١].

ومثال حذف جواب القسم : قوله –تعالى– : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا (١) وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا (٢) وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا (٣) فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا (٤) فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا (٥)﴾ [النازعات: ١ - ٥] قال –رحمه الله– : "واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ : فقال بعض نحويِّي البصرة : قوله : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ قسم –والله أعلم– على : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ (٢٦)﴾ [النازعات: ٢٦] } ، وإن شئت جعلتها على : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦)﴾ [النازعات: ٦] ، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)﴾ [النازعات: ٨] ، وهو كما قال الله وشاء أن يكون في كل هذا ، وفي كلّ الأمور .

وقال بعض نحويي الكُوفة : جواب القسم في النازعات : ما تُرِك لمعرفة السامعين بالمعنى ، كأنه لو ظهر كان لَتُبْعَثُنّ ولتحاسبنّ . قال: ويدل على ذلك : ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً (١١)﴾ [النازعات: ١١] . ألا ترى أنه كالجواب لقوله : "لَتُبْعَثُنَّ" ؛ إذ قال : ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً (١١)﴾ ، وقال آخر منهم نحو هذا ، غير أنه قال : لا يجوز حذف اللام في جواب اليمين، لأنها إذا حذفت لم يُعرف موضعها ،

---

[١] جامع البيان (٨/١١) . وانظر مثله في غافر (١٢) ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ الآية جامع البيان (٤٥/١١) .

وذلك أنها تلي كلَّ كلام .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن جواب القسم في هذا الموضع مما استغني عنه بدلالة الكلام ، فترك ذكره " . ⁽¹⁾

فالأقسام المتتالية في السورة تحتاج إلى جواب ، وهذا الجواب غير مذكور على الصحيح ، ولكن الذي يدل عليه إنكار المشركين للبعث أول هذه السورة ، مما يدل على أن أقرب تقدير لجواب القسم المحذوف ، هو : لتبعثن . ⁽²⁾

---

(١) جامع البيان (٤٢٦/١٢) .

(٢) وانظر مثله في : الانشقاق (١-٥) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ الآيات جامع البيان (٥٠٦/١٢) ، ومثل ما سبق حذف جواب لولا في : النور (١٠) ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ الآية جامع البيان (٢٧٥/٩) ، و(٢٠) ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ الآية جامع البيان (٢٨٧/٩) ، والفتح (٢٥) ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٣/١١) ، وجواب لو في : هود (٨٠) ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠﴾ الآية جامع البيان (٨٥/٧) ، والرعد (٣١) ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾الآية جامع البيان (٣٨٦/٧) .

وحذف جواب جملة الشرط كما في : الأعراف (٣٥) ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٥﴾ الآية جامع البيان (٤٧٧/٥) ، والنمل (٨٧) ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾ الآية جامع البيان (٢٠/١٠) ، ويس (٤٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٤٥﴾ الآية جامع البيان (٤٤٧/١٠) ، والحديد (٢٤) ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٤﴾ الآية جامع البيان (٦٨٨/١١) .

وحذف بجحود بل في : الأنبياء (٤٢) ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٢﴾ الآية جامع البيان (٣٠/٩) ، والشعراء (٧٤) ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٧٤﴾ الآية جامع البيان (٤٥١/٩) ، والقمر (٤٦) ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ الآية جامع البيان (٥٦٨/١١) .

والردع بـ"كلا" في : العلق (٦) ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾ الآية جامع البيان (٦٤٦/١٢) ، و(١٥) ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ الآية جامع البيان (٦٤٨/١٢) ، و(١٩) ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۝١٩﴾ الآية جامع البيان (٦٥٠/١٢) ، والتكاثر (٣-٥) ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ الآية جامع البيان (٦٧٩/١٢) .

المطلب الرابع : حذف المقابل :

والمراد أن يذكر شيء ويحذف مناظره ومقابله ومضاده ، فقد يحذف المقابل في الخبر ، أو في جواب الاستفهام ، واليك أمثلة لهما :

١ – مثال حذف المقابل في الخبر : قوله – تعالى – : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠]" ...قال أبو جعفر : فتأويل الكلام: وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم نداول بين الناس = فاستغنى بقوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ﴾ عن ذكر قوله : " من الذين نافقوا " ؛ لدلالة الكلام عليه . إذ كان في قوله : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تأويل : "أيّ" على ما وصفنا. فكأنه قيل : وليعلم الله أيكم المؤمن ." (١)

فالكلام المذكور لما ذكر الله فيه أن الابتلاء والمصائب يظهر ويبين المؤمنين – على سبيل الحقيقة والواقع –، فهو دليل على أن ضد المؤمنين هم المنافقون ، فهم يظهرون ويتميزون ولا شك ، فجاز حذفهم ، وبضدها تتميز الأشياء .

٢ –ومثال حذف المقابل مع جواب الاستفهام : قوله –تعالى– ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢] قال –رحمه الله– : " يقول –تعالى ذكره– : أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ يقول : فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين ، بتنوير الحق في قلبه ، فهو لذلك لأمر الله متبع ، وعما لهاه عنه منته فيما يرضيه ، كمن أقسى الله قلبه ، وأخلاه من ذكره ، وضيقه عن استماع الحق ، واتباع الهدى ، والعمل بالصواب ؟ ، وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه . وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين ، وجعل مكان ذكر الصنف

---

(١) جامع البيان (٤٥٠/٣) ، وتحقيق شاكر (٢٤٨/٧) . ومثله في النساء (٤٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ الآية جامع البيان (١٠٤/٤) ، والصافات (٥) ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٤٦٩/١٠) .

الآخر الخبر عنه بقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ." (١) .

وهذا المثال واضح في تقسيم القلوب إلى قسمين : ذكر الله –سبحانه– القسم الأول منها ، وهو القلب المنشرح المنبسط لشرائع الإسلام ، فدل على ما يقابله ويضاده : وهو القلب الضيق بالكفر.

وقد توعد الله القسم الثاني في ختام هذه الآية فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، ومن هذا يفهم أن قلوب القسم الأول ليست قاسية .

---

(١) جامع البيان (٦٢٧/١٠) . ومثله في هود (١٧) ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ الآية جامع البيان (٢٠/٧)، والرعد (٣٣) ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٢/٧) ، وفاطر (٨) ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٦/١٠) ، والزمر (٢٤) ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٠/١٠) .

المطلب الخامس : حذف اسم الإشارة في أوائل السور :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾ [التوبة: ١] " قال أبو جعفر : يعني بقوله -جل ثناؤه-: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ ، هذه براءة من الله ورسوله . فـ ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ مرفوعة بمحذوف، وهو "هذه"، كما قوله: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا ﴾ [النور: ١]، مرفوعة بمحذوف هو "هذه".

ولو قال قائل: ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله: ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم ﴾ ، وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها ، إذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ ، كالمعرفة ، وصار معنى الكلام : البراءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، كان مذهبًا غير مدفوعة صحته، وإن كان القول الأول أعجبَ إليّ ؛ لأن من شأن العرب أن يضمروا لكلِّ معاين نكرةً كان أو معرفةً ذلك المعاين ، "هذا" و"هذه" ، فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسن : "حسن والله" ، والقبيحَ : "قبيح والله" ، يريدون : هذا حسن والله ، وهذا قبيح والله ؛ فلذلك اخترت القول الأول ." (١)

فلغة العرب على رفع النكرة والمعرفة أول الكلام ، إذا كان معايناً ومشاهداً ويخبر عنه ، بتقدير محذوف هو : هذا أو هذه ، ويدخل تحت هذا المثال ، فواتح سور أخرى عديدة ، كالأعراف ، وهود ، وإبراهيم ، وغيرها بعد الأحرف المقطعة (٢).

---

(١) جامع البيان (٣٠١/٦) ، وتحقيق شاكر (٩٥/١٤) . ومثله في مريم (٢) ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾ جامع البيان (٣٠٥/٨) .

(٢) فأول الأعراف (١-٢) ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾، وهود (١) ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ ، وإبراهيم (١) ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ .

المطلب السادس : ختام الآية بالأسماء الحسنى دالّ على محذوف مراد معناه :

قد يرد في الآية خبر ويختم باسم من أسماء الله الحسنى ، دون الإشارة إلى ما يكمل الخبر ، ولكن تدل تلك الأسماء الحسنى على المراد المحذوف .

كما في قوله -تعالى- : ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء: ١٤٩] قال -رحمه الله- :" ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا ﴾ ، يقول: لم يزل ذا عفوٍ عن خلقه، يصفح عمن عصَاه وخالف أمره. ﴿ قَدِيرًا ﴾ ، يقول : ذا قدرة على الانتقام منهم . وإنما يعني بذلك : أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده، مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إيّاه . يقول : فاعفوا أنتم أيضًا أيها الناس عمن أتى إليكم ظلمًا ، ولا تجهروا له بالسوء من القول ، وإن قدرتم على الإساءة إليه ، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم ، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره ." (١)

ففي ختم هذه الآية بالاسمين الكريمين : العفو القدير دعوة لتطبيق معناهما ، فيفهم من هذا معنى محذوف ، فلو قرأت أول الآية فقط ، وهو قوله -تعالى- : ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ ﴾ هل تفهم منها شيئاً ؟! ، إلا إذا ذكر ختامها : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ فإنك تفهم شيئاً تاماً غير المذكور ، فهو كلام محذوف فهم من خلال الختام .

---

(١) جامع البيان (٣٤٣/٤) ، وتحقيق شاكر (٣٥١/٩) . وانظر مثله في المائدة (٣) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٦/٤) .

المبحث الرابع : الحذف قد يكون محتملا بسبب السياق ، أو القراءة :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مثال تقدير الحذف بسبب احتمال السياق .

المطلب الثاني : مثال تقدير الحذف بسبب القراءة .

المطلب الأول : مثال تقدير الحذف بسبب احتمال السياق :

قوله -تعالى- : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) ﴾ [الدخان: ٢٤] قال -رحمه الله- : "يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابُك فاتركه ساكناً على حاله التي كان عليها حين دخلته . وقيل: إن الله -تعالى ذكره- قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل ؛ فإذ كان ذلك كذلك ففي الكلام محذوف ، وهو : فسرَى موسى بعبادي ليلاً، وقطع بهم البحر ، فقلنا له بعد ما قطعه وأراد ردّ البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه : اتركْه رَهْوًا ." (١)

فقوله -تعالى- : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ يحتمل أن يكون خبراً متصلاً بقوله : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الدخان: ٢٣] ، أو أن قول الله -عز وجل-لموسى- ﵇- كان بعدما قطع البحر ، وكان كل فرق كالطود العظيم ، فيكون فعل موسى حين سرى ليلاً ببني إسرائيل ، وحين قطع البحر محذوفاً من الكلام ، والآية تحتمل هذا المعنى وذاك . -والله أعلم-.(٢)

---

(١) جامع البيان (٢٣٤/١١) .

(٢) انظر التحرير والتنوير (٣٠٠/٢٥/١٢) .

المطلب الثاني : مثال تقدير الحذف بسبب القراءة :

قوله – تعالى – : { سَتَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ } [القمر: ٢٦] قال –رحمه الله- : " يقول –تعالى ذكره– : قال الله لهم : ستعلمون غداً في القيامة من الكذّاب الأشر منكم معشر ثمود ومن رسولنا صالح حين تردون على ربكم ، وهذا التأويل تأويل من قرأه {سَتَعْلَمُونَ} بالتاء ، وهي قراءة عامة أهل الكوفة ، سوى عاصم⁽¹⁾ والكسائي⁽²⁾ .

أما تأويل ذلك على قراءة من قرأه بالياء ، وهي قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة وعاصم والكسائي⁽³⁾ ، فإنه قال الله : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ وترك من الكلام ذكر "قال الله" ؛ استغناء بدلالة الكلام عليه . " ⁽⁴⁾

فعلى القراءة بالتاء :{ سَتَعْلَمُونَ } لا يحتاج الكلام لتقدير حذف ؛ لاتصال الكلام بقول الله في الآيتين التاليتين وهي قوله–تعالى– : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القمر: ٢٧ – ٢٨] .

وعلى القراءة بالياء : ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ تحتاج لتقدير محذوف ، أو تحمل على أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة والعكس .

وحمل ابن عطية الالوسي والشوكاني –رحمهم الله- :قراءة التاء على معنى : قل لهم يا صالح ، وبالياء : من قول الله لصالح⁽⁵⁾ ، وفي الكشاف : بالتاء على سبيل الالتفات من كلام صالح ، وأن يكون من كلام الله على الالتفات أولى . ⁽⁶⁾

---

(١) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي مولاهم ، اسم أبيه بهدلة ، ومقرئ العصر بعد أبي عبد الرحمن السلمي ، كان عابداً خيراً ، ثقة متقن في القراءة ، صدوق في رواية الحديث ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل ثمان وعشرين . انظر سير أعلام النبلاء (٥/٢٥٦) ، والنشر في القراءات العشر (١/١٥٥) .

(٢) بالتاء الفوقية قراءة : ابن عامر وحمزة . انظر إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٠٧) .

(٣) بالياء التحتية قراءة الباقين وهم : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف . انظر إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٠٧) .

(٤) جامع البيان (١١/٥٦٠) .

(٥) انظر المحرر الوجيز (١٥/٣٠٦–٣٠٧) ، وروح المعاني (٢٧/١٣٥) ، وفتح القدير (٥/١٢٦) .

(٦) انظر الكشاف (٤/٣٩) .

المبحث الخامس : تقدير الحذف بما يناسب السياق :

وهذا لب الفصل وأساسه ، بعد تقرير شيء من استعمالات العرب للحذف ، وشروط تقديره، وكل ما مضى يصلح أن يكون من الأمثلة ، ولكن أفردتها هناك تأصيلاً لتقدير المحذوف وبيان حدوده ، وسأورد هنا مثالاً واحداً واضحاً ، إذ أن المواضع كثيرة : وهو قوله -تعالى- عن الخضر – عليه السلام – : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩ ﴾ [الكهف: ٧٩] قال -رحمه الله- : "وقوله : ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ فيقول القائل : فما أغنى خَرْق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها ، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها ، مَعِيبها وغير معيبها ؟ ، وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها ؛ لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ؟ قيل : إن معنى ذلك : أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً ، ويدع منها كلّ معيبة ، لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها .

فإن قال : وما الدليل على أن ذلك كذلك ؟ قيل : قوله : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ فأبان بذلك أنه إنما عابها ؛ لأن المعيبة منها لا يعرض لها ، فاكتفى بذلك من أن يقال : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً ، على أن ذلك في بعض القراءات كذلك . "(١)

وهذا التقدير للمحذوف يلتحم فيه قول الخضر –عليه السلام– وقصده مع فعله وتعليله ، ولو لم تقدر : "صالحة" أو "صحيحة" لما تلاءم الكلام مع الفعل منه – عليه السلام – ، ولكان خرق السفينة إضاعة لمال المساكين . (٢)

---

(١) جامع البيان (٢٦٥/٨) ، وقد نسبت هذه القراءة إلى أبي بن كعب كما في تفسير النسائي (١١/٢) ، والدر المنثور للسيوطي (٢٥٣/٤) ، وفي تفسير السمرقندي نسبها لابن عباس (٣٠٩/٢) ، وفي تفسير كتاب الله العزيز ، لهود بن المحكم الهواري قال : وفي بعض القراءات : "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا" (٤٧٤/٢)، وقال الزمخشري : "وقيل في قراءة أبي وعبد الله : "كل سفينة صالحة". الكشاف (٤٩٥/٢) ، وقال أبو حيان في النهر الماد : ويحمل ذلك على أنه تفسير لا على أنه قرآن ، (جزء ٢ قسم ٣٢٦/١) ، وقال القرطبي : قرأ ابن عباس وابن جبير : صحيحة ، وقرأ أيضا : ابن عباس وعثمان بن عفان : صالحة . الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١١) .

(٢) انظر بقية المواضع في : البقرة (٦٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦١/١) ، و (٧٠) ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٩/١) ، و(٧٤) ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾الآية جامع البيان (٤٠٧/١) ، و(٩٣) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ﴾الآية جامع البيان (٤٦٨/١) ، و (٩٤) ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) ﴾ الآية جامع البيان (٤٧٠/١) ، و(١٠٢) ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٣/١و٤٩٦) ، و(١٣٥) ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾الآية جامع البيان (٦١٤/١) ، و(١٦٤) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ الآية جامع البيان ٧٠/٢ ، و(١٦٥) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾الآية جامع البيان ٧٢/٢ ، و(١٣٧) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾الآية جامع البيان ٩١/٢ ، و(١٧٨) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾الآية جامع البيان ١١٢/٢ ، و(١٨١) ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) ﴾ الآية جامع البيان ١٢٧/٢ ، و(٢١٦) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾الآية جامع البيان ٣٥٨/٢ ، و(٢٢٦) ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) ﴾ الآية جامع البيان ٤٣٠/٢ ، و(٢٢٩) ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾الآية جامع البيان ٤٧٣/٢ ، وال عمران (٢٦) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ الآية جامع البيان ٢٢١/٣ ، و(٤٤) ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ الآية جامع البيان ٢٦٧/٣ ، و(٨٥) ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية جامع البيان ٣٣٧/٣ ، و (١١٧) ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ الآية جامع البيان ٤٠٤/٣ ، والنساء(٣) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ الآية جامع البيان ٥٧٨/٣ ، و(٢٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ الآية جامع البيان ٦٦٢/٣ ، و(٣٤) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾الآية جامع البيان ٦٣/٤ ، والمائدة(٤) ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ ﴾ الآية جامع البيان ٤٢٧/٤، و(٩) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) ﴾ الآية جامع البيان ٤٨٤/٤ ، و (٤٧) ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾الآية جامع البيان٦٠٥/٤ ، والأنعام (٣٣) ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ الآية جامع البيان ١٨٠/٥ ، و(٧٨) ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ﴾الآية جامع البيان ٢٤٧/٥ ، و(١٤٢) ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾الآية جامع البيان ٣٧١/٥، والأعراف (٦٥) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾الآية الأنعام: ١٥٢ جامع البيان ٥٢٢/٥، و(٨٠) ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾ الآية الأعراف: ٦٥ جامع البيان ٥٤٠/٥،

و(١٨٩) ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٠) ﴾ الآية الأعراف: ٨٠ جامع البيان ١٤٢/٦ ، والأنفال (٧) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾الآية الأعراف: ١٨٩ جامع البيان ١٨٧/٦ ، و(٣٥) ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ الآية الأنفال: ٧ جامع البيان ٢٣٨/٦ ، والتوبة (١١) ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾الآية الأنفال: ٣٥ جامع البيان ٣٢٨/٦ ، ويونس (٧١) ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾الآية التوبة: ١١ جامع البيان ٥٨٥/٦ ، يوسف (١١) ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ الآية يونس: ٧١ جامع البيان ١٥٥/٧ ، و(١١٠) ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ (١١) ﴾ يوسف: ١١جامع البيان ٣١٦/٧ ، وإبراهيم (٤١) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ الآية يوسف: ١٠٩ جامع البيان ٤٦٧/٧ ، والحجر (١٠) ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ (٤١) ﴾ إبراهيم: ٤١ جامع البيان ٥٩٨/٧ ، و(١٠٢) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٠) ﴾ الحجر: ١٠ جامع البيان ٦٤٧/٧ ، و(١٢٦) ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) ﴾ النحل: ٥٦ جامع البيان ٦٦٤/٧ ، والإسراء(٦٣) ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) ﴾ النحل: ١٠٢ جامع البيان ١٠٧/٨ ، و(٧٨) ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ (١٢٦) ﴾ النحل: ١٢٦ جامع البيان ١٢٧/٨ ، ومريم (٢٦) ، ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾الآية جامع البيان ٣٣٢/٨ ، وطه(٢٤) ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤) ﴾ الآية جامع البيان ٤٠٩/٨ ، و(١٠١) ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا (١٠١) ﴾ الآية جامع البيان ٤٥٥/٨ ، و(١١٧) ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧) ﴾ الآية جامع البيان ٤٦٧/٨ ، والأنبياء(٣٩) ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩) ﴾ الآية جامع البيان ٢٩/٩ ، و(٧٦) ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) ﴾ الآية جامع البيان ٤٨/٩ ، والحج (٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ الآية جامع البيان ١١٢/٩ ، والشعراء (١٣) ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ (١٣) ﴾ الآية جامع البيان ٤٣٥/٩ ، و(٢٢) ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٢) ﴾ الآية جامع البيان ٤٣٨/٩ ، و(٣٠) ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) ﴾ الآية جامع البيان ٤٤٠/٩ ، ولقمان (١٤) ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا ﴾ الآية جامع البيان ٢١٠/١٠ ، و(٢٧) ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾الآية جامع البيان ٢٢٠/١٠ ، و(٣٢) ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية جامع البيان ٢٢٤/١٠ ، والأحزاب (١٩) ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ

المبحث السادس :

مواضع قدّر فيها الإمام الطبري –رحمه الله– حذفاً وليست كذلك ، أو لم يقدر فيها حذفاً مناسباً للسياق :

سبق ذكر أمثلة كثيرة على تقدير المناسب ، ولكن وقفت على ثلاثة مواضع –فيما يظهر– هي خلاف تطبيق ابن جرير –رحمه الله– السابق ، وتعتبر نادرة بالنسبة لعدد المواضع التي سار فيها على الطريقة السليمة الغالبة ، وهذه المواضع هي :

الموضع الأول : قوله–تعالى– : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[الأنعام: ١٥١]"...قال أبو جعفر : يعني

- مِنَ الْمَوْتِ ﴾الآية جامع البيان ٢٧٥/١٠ ، وسورة ص (٣٦) ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) ﴾ الآية جامع البيان ٥٨٣/١٠ ، والزمر (١٩) ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) ﴾ الآية جامع البيان ٦٢٦/١٠ ، والفتح (١٨) ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ الآية جامع البيان ٣٥٠/١١ ، و(٢٩) ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾الآية جامع البيان ٣٧٥/١٠ ، وسورة ق (٣) ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) ﴾ الآية جامع البيان ٤٠٦/١١ ، و(٤٤–٤٥) ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) ﴾ الآية جامع البيان ٤٣٩/١١ ، والذاريات(٢٩) ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) ﴾ الآية جامع البيان ٤٦٥/١١ ، والواقعة(٨٣) ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) ﴾ الآية جامع البيان ٦٦٣/١١ ، والمجادلة (١١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾الآية جامع البيان ١٩/١٢ ، و(١٣) ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾الآية جامع البيان ٢٢/١٢ ، والحشر(١١) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ الآية جامع البيان ٤٤/١٢ ، والمعارج(٣٩) ﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) ﴾ الآية جامع البيان ٢٤٢/١٢ ، والمرسلات (٣٢) ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) ﴾ الآية جامع البيان ٣٨٩/١٢ ، والشمس(١٣) ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) ﴾ الآية جامع البيان ٦٠٦/١٢ ، والتين(٤) ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ﴾ الآية جامع البيان ٦٣٧/١٢ ، والقارعة (٦) ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) ﴾ الآية جامع البيان ٦٧٦/١٢، و(٨) ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) ﴾ الآية جامع البيان ٦٧٦/١٢.

- تعالى ذكره - بقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾ ، ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم ، فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجزَ عن أرزاقهم وأقواتهم ." (١) .

فعلّل قتل المشركين لأولادهم في الآية بخشية الفقر ، ومن المعلوم أن هذه الآية من سورة الأنعام لم يذكر فيها لفظ "خشية" ، وإنما ذكر الله -تعالى- الخشية في سورة الإسراء ، فقال -تعالى- : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾[الإسراء: ٣١] فلا بد من فرق بين هذين الموضعين . وقد نبه على ذلك ابن كثير -رحمه الله- فقال في قوله -تعالى- : ﴿مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾ "... أي : ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل في الآجل ؛ ولهذا قال هناك : ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[الإسراء: ٣١] فبدأ برزقهم ؛ للاهتمام بهم ، أي : لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله ، وأما هنا فلما كان الفقر حاصلا قال : ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ لأنه الأهم ها هنا -والله أعلم- ." (٢)

وبهذا يتبين أن آية الأنعام على ظاهرها بدون تقدير خشية ؛ لأن الكلام يستقيم بدون تقدير حذف ، وليفرق بين الآيتين في التعبير ، والتقديم والتأخير .

الموضع الثاني : قوله -تعالى- : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ [غافر: ٧٩ - ٨٠] قال -رحمه الله- : "يقول -تعالى ذكره-: ﴿ٱللَّهُ﴾ : الذي لا تصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش ، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ﴾: من الإبل والبقر والغنم والخيل ، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ يعني : الخيل والحمير ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني : الإبل والبقر والغنم . وقال: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ ومعناه : لتركبوا منها بعضاً ومنها بعضاً تأكلون ، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف...

---

(١) جامع البيان (٣٩١/٥) ، وتحقيق شاكر (٢١٧/١٢) .

(٢) تفسير القران العظيم (١٠٨/٢) ، وحسن ذلك الآلوسي في روح المعاني (٨٠/٧) ، وأشار أبو السعود إلى القولين في إرشاد العقل السليم (٣٠٢/٢) .

وقوله : ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يقول : ولتبلغوا بالحمولة على بعضها ، وذلك الإبل حاجة في صدروكم ، لم تكونوا بالغيها لولا هي إلا بشق أنفسكم ، كما قال – جلّ ثناؤه – : ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾[النحل: ٧]... وقوله :﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني : وعلى هذه الإبل ، وما جانسها من الأنعام المركوبة...". (١)

ففسر الإمام –رحمه الله– الأنعام بأنها : من الإبل والبقر والغنم والخيل ، وغير ذلك من البهائم، وهذا خلاف المستعمل في اللغة ، وخلاف المطلق في الشرع ، ونبه على ضعفه ابن عطية والراغب :

فقال ابن عطية : " وإنما الأنعام الأزواج الثمانية التي ذكر الله فقط " (٢).

وقال الراغب الأصفهاني –رحمه الله– : " والنعم مختص بالإبل ، وجمعه أنعام ، وتسميته بذلك؛ ليكون الإبل عندهم أعظم نعمة ، لكن الأنعام تقال : للإبل والبقر والغنم ولا يقال لها : أنعام حتى يكون في جملتها الإبل ." (٣)

والمقصود أن إرجاع الهاء في قوله : ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ إلى الخيل والحمير لا يسلم ؛ لعدم دخولها في معنى الأنعام السابق ذكره في الآية : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ كما تقدم . والله أعلم .

الموضع الثالث : قوله –تعالى– : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤] قال –رحمه الله– :"يقول –تعالى ذكره– لنبيه محمد – ﷺ–: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام : من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاحا لمعايشكم ، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ، ومنافع أقواتكم ، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم ؟ .

---

(١) جامع البيان (١١/٨٠-٨١) .

(٢) المحرر الوجيز (١٤/١٥٨-١٥٩) .

(٣) مفردات ألفاظ القران صفحة (٨١٥) .

وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ، ثم ذكره وهو : فإن قالوا : لا ندري ، فقل : الذي يرزقكم ذلك الله..." (١)

وتقدير جواب المشركين المحذوف بأنهم قالوا : "لا ندري" ، ليس بلازم ، بل هم يقرون بذلك ، كما بينه تعالى في مواضع من كتابه ، منها : قوله -تعالى- : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١] ، وقوله -تعالى- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦١] ، ولكن يحتمل في الآية الأولى -آية سورة سبأ- أنهم سكتوا أو أجابوا بالإقرار ، والإشارة فيها بالضلال والهدى عائد على شركهم ، وهو شرك في توحيد الألوهية لا في توحيد الربوبية ، والسؤال المطروح عليهم في الرزق متعلق بتوحيد الربوبية (٢).

وفي ختام الفصل عسى أن أكون قد وفّقت في توضيح أشياء مهمة متصلة بالسياق الدال على محذوف ، وأن يكون في الأمثلة المذكورة في المتن دلالة على الأمثلة المشار إليها في الحاشية .-والله أعلم-.

---

(١) جامع البيان (٣٧٥/١٠) .

(٢) توحيد الربوبية : هو إفراد الله -عز وجل- بالخلق والملك والتدبير ، وتوحيد الألوهية : هو توحيد العبادة ، فلا يتوجه بالعبادة إلا لله المعبود بحق . انظر القول المفيد على كتاب التوحيد (١١/١-١٧) ، للشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين ، جمع وتخريج الدكتور سليمان أبا الخيل ، والدكتور خالد المشيقح .

الفصل السابع

أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه :

الفصل السابع : أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه :

لقد عدّ العلماء –رحمهم الله–الناسخ والمنسوخ من أهم علوم القرآن ، وشرطاً من شروط أهلية دخول الشخص في تفسير كتاب الله–عز وجل – ، حتى لا يقع المفسر في أغلاط حين يفسر آية بنقيض أخرى ، دون أن يشير إلى أن هذه ناسخة لتلك، فقد فسر ابن عباس – رضي الله عنهما– الحكمة في قوله – تعالى – : ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩] بأنها : " المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكَمه ومتشابهه ، ومقدَّمه ومؤخَّره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله ." (١)

مع ما في معرفة الناسخ والمنسوخ من الإلمام بشيء من سير التشريع الإسلامي، وبيان شيء من حكمة الله – عزّ وجلّ– البالغة في النسخ كالتيسير والابتلاء ، وهو دليل على أن هذا القرآن من عند الله –عزّ وجلّ – ، ليس للنبي – ﷺ – فيه شيء إلا أن بلّغه .(٢)

ولهذه الأهمية ولغيرها ، فقد ألف جمع من العلماء في الناسخ والمنسوخ ، منهم: **أبو عبيد القاسم بن سلاّم** (٣)، **وأبو داود السجستاني** (٤)، **وأبو جعفر النحاس** ، **وابن الأنباري**(٥) ،

---

(١) جامع البيان (٨٩/٣) ، وتحقيق شاكر (٥٧٦/٥) .

(٢) انظر مناهل العرفان للزرقاني (١٣٦/٢) بتصرف .

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، إمام بارع في اللغة والنحو والتفسير والقراءات والحديث والفقه ، أشهر كتبه : الأموال ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقيل غير ذلك . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٥٧/٢) ، وبغية الوعاة (٢٥٣/٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٢/٢) ، وطبقات الحنابلة (٢٥٩/١) ، والمنهج الأحمد (٨٠/١) .

(٤) هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر ، وقيل ابن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني ، ولد سنة اثنتين ومائتين ، صنف كتباً منها : السنن ، والناسخ والمنسوخ . توفي بالبصرة ، سنة خمس وسبعين ومائتين. انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٢٤/٢) ، وطبقات المفسرين (٢٠١/١) ، ووفيات الأعيان (٤٠٤/٢) .

(٥) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ، النحوي اللغوي صاحب المصنفات ، ومنها : إيضاح الوقف والابتداء ، كان يحفظ فيما قيل : ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن ، وكان إملاؤه من حفظه ، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٥) ، وغاية النهاية (٢٣٠/٢) .

ومكي بن أبي طالب ، وابن العربي ، وغيرهم .(١)

ولكن أورد جَمْع من العلماء في مؤلفاتهم في علم الناسخ والمنسوخ ، وجَمْع من المفسرين في ثنايا تفاسيرهم ، أقوالاً في آيات بأنها ناسخة أو منسوخة ، وهي عند التحقيق خلاف ذلك ، وسيتبين من خلال هذا الفصل ما لابن جرير –رحمه الله– من التحقيق الدقيق في مثل هذه الآيات .

وسأعرض أمثلة هذا الفصل من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقّق أو عدمه .

المبحث الثاني : الاستدلال بالسياق على عدم وجود النسخ .

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي (٧٠٠/٢) ، وألف من المعاصرين الدكتور مصطفى زيد : النسخ في القرآن وغيره .

المبحث الأول :

الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقّق أو عدمه :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مثال الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقق .

المطلب الثاني : شروط القول بأن هذا ناسخ أو منسوخ ، وما الذي لا يدخله النسخ .

المطلب الثالث : أمثلة على ما لم تتحقق فيه شروط النسخ .

المطلب الأول : مثال الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقق :

في قوله – تعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ٦٥ ﴾ [الأنفال: ٦٥] **قال أبو جعفر** : " وهذه الآية ، أعني : قوله : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ ﴾ وإن كان مخرجها مخرج الخبر ، فإن معناها الأمر ، يدلّ على ذلك قوله : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٦] فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل ، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوّهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندباً، لم يكن للتخفيف وجه ؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدوّ ، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدّماً لم يكن للترخيص وجه، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن حكم قوله : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[الأنفال: ٦٦] ناسخ لحكم قوله : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١) ".

فمن قال : بأن الآية الأولى على وجه الندب لا الفرض ، فإن السياق يدفع ذلك ويضعفه ؛ لقوله – تعالى – : ﴿ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ والتخفيف مقابل الإيجاب ، وهذا يدل على نسخ الأولى بالثانية ، وقد يكون الخلاف لفظيّاً إذ من العلماء من يعتبر التخفيف نسخاً ، ومنهم من لا يعتبره ، والمراد أن الحكم في الآية الأولى تغير من وجوب مصابرة المجاهد لعشرة من الكفار ، إلى وجوب مصابرته لاثنين منهم ، وتحرير محل النزاع هو: هل يعتبر التخفيف نسخاً أم لا ؟ قال الشوكاني –رحمه الله: " وقد اختلف أهل العلم : هل هذا التخفيف نسخ أم لا ؟ . ولا يتعلق بذلك كثير فائدة . " (٢)

---

(١) جامع البيان (٢٨٥/٦) ، وتحقيق شاكر (٥٦/١٤) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٨٤–١٨٥) ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾الآيتين جامع البيان (١٤٥/٢–١٤٦) ، والتوبة (١٢٠) ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (٥١١/٦–٥١٢) .

(٢) فتح القدير (٣٢٤/٢) .

المطلب الثاني:

شروط القول بأن هذا ناسخ أو منسوخ،وما الذي لا يدخله النسخ:

إذا تأملت الآيات التي قيل فيها بالنسخ ، تجد الإمام الطبري –رحمه الله- يذكر عندها شروط النسخ : ويمكن حصرها فيما يلي :

١- إذا كان أحد حكم الآيتين نافياً لحكم غيرها بكلّ معانيه ، حتى لا يجوز اجتماع الحكم بالأمرين جميعاً على صحته بوجه من الوجوه .

٢- إذا كان في ظاهر التنزيل دليل على نسخ إحدى الآيتين الأخرى .

٣- إذا ورد عن رسول الله - ﷺ - خبر يصحّ بأن أحدهما ناسخ لصاحبه .

٤- إذا حصل من المسلمين إجماع على وقوع النسخ .(١)

٥- إذا عرف المتقدم من المتأخر في تاريخ النزول .(٢)

٦- إذا كانت الآية لا تشتمل على خبر ؛ لأن الأخبار لا تنسخ .(٣)

---

(١) انظر جامع البيان (٥٨٦/٤) بتصرف .

(٢) انظر جامع البيان (٣١٨/١٠) عند الآية (٥٢) من سورة الأحزاب ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ الآية .

(٣) انظر الآية (٣٣) من الأنفال ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣ ﴾ جامع البيان (٢٣٧/٦) ، والآية (٢٣) من النبأ ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ ﴾ جامع البيان (٤٠٥/١٢) .

المطلب الثالث : أمثلة على ما لم تتحقّق فيه بعض شروط النسخ :

١- مثال على اشتراط أن يكون في إحدى الآيتين ما يتناقض مع الآية الأخرى، ولا يحتمل معنى آخر : ففي قوله – تعـالى – : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٤] **قال –رحمه الله–** بعد ذكر الأقوال : "...وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية : قول من قال : إنها محكمة وليست بمنسوخة ؛ وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا بنفيه بآخر هو له ناف من كل وجوهه ، وليس في قوله –جلّ وعزّ –: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ ﴾[البقرة: ٢٨٦] نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله : ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ ؛ لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ، ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه ، وقد أخبر الله –عزّ وجلّ– عن المجرمين أنهم حين تُعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة ، يقولون : ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ ﴾[الكهف: ٤٩] فأخبر أن كتبهم محصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها ، فلم تكن الكتب –وإن أحصت صغائر الذنوب وكبائرها – بموجب إحصاؤها على أهل الإيمان بالله ورسوله وأهل الطاعة له ، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين ؛ لأن الله –عزّ وجلّ– وعدهم العفو عن الصغائر باجتنابهم الكبائر ، فقال في تنزيله : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] فذلك محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو محاسبهم به من الأمور التي أخفتها أنفسهم غير موجب لهم منه عقوبة ، بل محاسبته إياهم –إن شاء الله–عليها ليعرّفهم تفضله عليهم بعفوه لهم عنها، كما بلغنا عن رسول الله – ﷺ –[أنه] ... قال : «يُدْنِي اللَّهُ عَبْدَهُ الْمُؤمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيُقَرِّرُهُ بسَيِّئَاتِهِ يَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُها فِي الدُّنْيَا وأغْفِرُها اليَوْمَ ، ثُمّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ ، فَيَقُولُ : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩] أو كما قال : «وأمّا

الكَافِرُ فَإِنَّهُ يُنَادَى بِهِ عَلَى رُءُوسِ الأَشْهادِ» ." (١)

فهذا المثال يبين أن النظر إلى الآيات التي ظاهرها التعارض بعين التأمل في حكميها هل يلزم منهما تضاد وتناقض ؟ ، فإن لزم ذلك فشريعة الله –عز وجل– ليست كذلك حتماً ، فلا بد من حمله على النسخ بشروطه ، أما إذا وجد للآية محمل يسلم من تعارضهما ، وهو معنى صحيح ، وجب حمل الآية عليه دون القول بالنسخ ؛ لأن حمل الآية على المعنى الصحيح الذي لا يتناقض مع الآية الأخرى أولى من حملها على النسخ .(٢)

٢– مثال على أن القول بتقدم هذه الآية أو تأخرها في النزول لا يثبت بالاجتهاد بل بالنقل عمن حضر التنزيل :

فالقول بتأخر نزول آية أو تقدمها بغير نقل مردود : كما في قوله – تعالى-: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤] **أورد الطبري**

---

(١) جامع البيان (٣/١٤٣–١٤٥) ، وتحقيق شاكر (٦/١١٨) . والحديث رواه بنحوه : البخاري في كتاب التفسير في تفسير سورة هود باب قوله : ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟﴾ صفحة (٩٧٧–٩٧٨) حديث (٤٦٨٥) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، قال الإمام مسلم : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة به (٤/٢١٢٠) حديث (٢٧٦٨) .

(٢) وانظر مواضع أخرى لم يقل بالنسخ فيها لاحتمالها أوجها أخرى مع الآية التي قيل إنها ناسخة لها : في البقرة (١١٥) ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾الآية جامع البيان (١/٥٥١–٥٥٢) ، و(٢١٥) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾الآية جامع البيان (٢/٣٥٦) ، و(٢١٩) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾الآية جامع البيان (٢/٣٧٩–٣٨٠)، و(٢٢١) ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾الآية جامع البيان (٢/٣٨٩–٣٩٠) ، والنساء (٨) ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ جامع البيان (٣/٦٠٧–٦٠٨) ، والمائدة (٤٢) ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾الآية جامع البيان (٤/٥٨٥–٥٨٦) ، والأنعام (١٥٩) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾الآية جامع البيان (٥/٤١٤–٤١٥) ، والأحزاب (٥٢) ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾الآية جامع البيان (١٠/٣١٧–٣١٨) ، والمعارج (٥) ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ جامع البيان (١٢/٢٢٨) .

–رحمه الله– : رأي السدي في الآية وأنها نزلت قبل نزول الكفارات ، وأنه لا كفارة على حلف لذلك، ثم **قال الطبري –رحمه الله–**: " وأما الذي ذكرنا عن السدي من أن هذه الآية نزلت قبل نزول كفارات الأيمان ، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة، والخبر عما كان لا تدرك صحته إلا بخبر صادق ، وإلا كان دعوى لا يتعذر مثلها وخلافها على أحد . وغير محال أن تكون هذه الآية نزلت بعد بيان كفارات الأيمان في سورة المائدة ، واكتفي بذكرها هناك عن إعادتها هاهنا ، إذ كان المخاطبون بهذه الآية قد علموا الواجب من الكفارات في الأيمان التي يحنث فيها الحالف ." (١)

فبين –رحمه الله–: أن هذا لا مجال للرأي فيه ، فلا بد من دليل : إما من الكتاب الكريم ، أو من سنة نبي الله محمد - ﷺ - أو خبر صادق عمن يقبل قوله، وهم الصحابة الذين عاصروا وقائع التنزيل أو من نقل عنهم ، أما الاجتهاد فقد يوجد ما يخالفه ، ولا يفصل في الأمر ، ولا مانع من نزول هذه الآية بعد بيان الكفارات في سورة المائدة ؛ لأنه لا يلزم إعادة الكفارة في كل موضع متعلق باليمين لعلم المخاطبين بها ، وذلك لأنهم يعلمونها في آيات سابقة ، كما قال تعالى في المائدة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾ [المائدة: ١] وقال في التحريم : ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ (٢)﴾ [التحريم: ٢] .

٣- مثال على أن المقصود بالتقدم في الناسخ والمنسوخ هو في نزول القرآن ، لا في ترتيب الآية من السورة ، فلا يلزم من تأخر الآية في السورة الواحدة نسخها بما تقدمها ، حيث تقدم من شروط النسخ السابقة معرفة المتأخر من المتقدم في التاريخ ، ولا يصح الاستدلال بتقدم ترتيب الآية في السورة والقرآن أو بتأخرها ، إذ أن ترتيب القرآن توقيفي، فقد تنزل آية مدنية وتوضع في سورة مكية والعكس ، وليس ترتيب القرآن حسب تاريخ نزوله ، وإلا لكان أول القرآن : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (١)﴾ الآيات [العلق: ١-٥]، وآخره –على الصحيح –: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة: ٢٨١] .

---

(١) جامع البيان (٤١٦/٢) ، وتحقيق شاكر (٤٢١/٤-٤٢٦) .

ومن الأمثلة على أن الآية المتقدمة محلاً في ترتيب السورة ، لا تنسخ بالمتأخرة من أجل ذلك، قوله – تعالى – : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] **قال** –رحمه الله– في الآية التي قبلها عند قوله – تعالى –: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٢]: " وقد اختلف أهل العلم في وجوب الكتاب على الكاتب إذا استكتب...ذكر من قال : هي منسوخة : قد ذكرنا جماعة ممن قال : كل ما في هذه الآية من الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن منسوخ بالآية التي في آخرها...**وقال آخرون** : هو على الوجوب ، ولكنه واجب على الكاتب في حال فراغه...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله –عزّ وجلّ– أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كُتُبُ الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل ، وأمر الله فرض لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد وندب ، ولا دلالة تدلّ على أن أمره –جلّ ثناؤه– باكتتاب الكتب في ذلك ، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك ندب وإرشاد ، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ، ومن ضيعه منهم كانَ حَرِجاً بتضييعه ، ولا وجه لاعتلال من اعتلّ بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ ؛ لأن ذلك إنما أذن الله –تعالى ذِكْره– به حيث لا سبيل إلى الكتاب ، أو إلى الكاتب ، فأما والكتاب والكاتب موجودان ، فالفرض إذا كان الدّين إلى أجل مسمى ما أمر الله –تعالى ذِكْره– به في قوله : ﴿ فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٢] ، وإنما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في حال واحدة ، على السبيل التي قد بيناها ، فأما ما كان أحدهما غير ناف حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء ، ولو وجب أن يكون قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ ناسخاً قوله : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٢] ، لوجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة: ٦] ناسخاً الوضوء بالماء في الحضر عند وجود الماء فيه ، وفي السفر الذي فرضه الله –عزّ وجلّ– بقوله :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] ، وأن يكون قوله في كفارة الظهار : ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ [المجادلة: ٤] ناسخاً قوله : ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾[المجادلة: ٣] " (١).

فتحصّل من المثال أن ورود آية بعد أخرى لا يعني باللزوم نسخها للأولى ، بل يجب النظر في حكم كل آية والمراد بها وكذا الأخرى ، وهل بينهما تعارض أم لا ؟ . ثم النظر إلى شروط النسخ ، وليس منها تقدّم الآية وتأخرها في ترتيب القرآن .

٤- مثال على عدم دخول النسخ الأخبار : نصّ الإمام الطبري -رحمه الله- على عدم دخول النسخ الأخبار في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣] **قال -رحمه الله-** : " لا وجه لقول من قال : ذلك منسوخ بقوله : ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤]؛ لأن قوله -جلّ ثناؤه- : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ خبر ، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ ، وإنما يكون النسخ للأمر أو النهي "(٢).

وقد تقرر عند العلماء أن الأخبار لا تُنْسَخ ، والعلة في ذلك : أن الأخبار إذا نسخت فهو تكذيب لها ، والقرآن الكريم ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: ٤٢] ، وما ورد فيه من وعود فهي بلا شك واقعة: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢] (٣).

---

(١) جامع البيان (١١٩/٣-١٢٠) ، وتحقيق شاكر (٥١/٦) .

(٢) جامع البيان (٢٣٧/٦) ، وتحقيق شاكر (٥١٨/١٣) . وانظر مثله في النبأ (٢٣) ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ جامع البيان (٤٠٥/١٢) .

(٣) وحصول النسخ في الأحكام له حكم كثيرة ، منها : إظهار لربوبية الله – تعالى -على خلقه ، واختبار للعبد في عبوديته لربه ، والتخفيف ، ومراعاة الأحوال . -والله أعلم - انظر أصول التفسير وقواعده صفحة (٢٩٨) ، للشيخ خالد العكّ .

المبحث الثاني :

الاستدلال بالسياق على عدم وجود النسخ :

وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : تغاير التعقيب القرآني على حكمين قد يدل على عدم النسخ ؛ لأن معنى حكم الأول ليس هو معنى حكم الثاني نفسه .

المطلب الثاني : اختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب في حكمي آيتين دليل على عدم النسخ؛ لصحة المعنى .

المطلب الأول :

تغاير التعقيب القرآني على حكمين قد يدل على عدم النسخ ؛ لأن معنى حكم الأول ليس هو معنى حكم الثاني نفسه :

فقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) ﴾ [الأنفال: ٧٢] **قال -رحمه الله-**: في قوله -تعالى-: " ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ يقول : هاتان الفرقتان، يعني : المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار ، وقد قيل : إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض ، وأن الله ورّث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والأرحام ، وأن الله نسخ ذلك بعْدُ بقوله: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[الأنفال: ٧٥] "(١) .

ثم استدل على ضعف القول بالنسخ بالتعقيب في قوله - تعالى - : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) ﴾ [الأنفال: ٧٤] **فقال -رحمه الله-** : " وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا إن معنى قول الله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ في هذه الآية ، وقوله : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ إنما هو النصرة والمعونة دون الميراث ؛ لأنه -جلّ ثناؤه- عقّب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار ، والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ الآية ، ولو كان مراداً بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحثّ على إمضاء الميراث على ما أمر ، وفي صحة ذلك كذلك

---

(١) جامع البيان (٦/٢٩٧) ، وتحقيق شاكر (١٤/٧٧) .

الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ ." (١)

فالتعقيب في سورة الأنفال بوصف الذين آووا ونصروا بقوله - تعالى - : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يدل على أن الإيواء في الآية بمعنى النصرة لا الميراث ، وقد كانت طريقة التعقيب القرآني على المواريث في سورة النساء تختلف عن ذلك ، فقد كان التعقيب على الفرائض بوجوب تطبيق حدود الله ، والحذر من عقاب الله، ونحو ذلك ، كما قال - تعالى - : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

ومن هنا فعلى المفسر المتابعة الدقيقة لتعقيبات القرآن وتوجيهاته بعد كل حدث وخبر وحكم؛ لما لها من توضيح المراد .

---

(١) جامع البيان (٦/٢٩٩) ، وتحقيق شاكر (١٤/٨٨) .

المطلب الثاني :

اختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب قد يدلّ على عدم النسخ لصحة المعنى:

قد يقال : إن حكم الآية في سورة ناسخ لحكم الآية من سورة أخرى ، ولكن حين تتأمل سياق الآيتين في موضعهما من كل سورة يترجح لديك أن هذه الآية لها حكم غير حكم الآية الأخرى ؛ لاختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب ، ومن ثَمَّ لا يوجد نسخ بينهما ؛ لصحة معنييهما، وعدم تطابقهما في هذه الجزئية من موضوع واحد .

كما في قوله – تعالى – : ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦١] فقد أورد –رحمه الله–: قول قتادة : بأن هذه الآية نسخها قوله : ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ثم قال أبو جعفر : " فأما ما قاله قتادة ، ومن قال مثل قوله : من أن هذه الآية منسوخة ، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل ، وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كلّ وجه ، فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخاً . وقول الله في براءة : ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ غير ناف حكمه حكم قوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ ؛ لأن قوله : ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾ إنّما عُني به بنو قريظة ، وكانوا يهوداً أهلَ كتاب ، وقد أذن الله –جلّ ثناؤه– للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ، ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم . وأما قوله : ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فإنما عُني به مشركو العرب من عبدة الأوثان ، الذين لا يجوز قبول الجزية منهم ، فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه ." (١)

فلما كان خطاب الآيتين في حكم الهدنة مع الكفار لفريقين مختلفين ، واحد منها لأهل الكتاب، والآخر لمشركي العرب ، لم يصحّ القول بنسخ إحدى الآيتين للأخرى ؛ لاختلاف المحلّ .

---

(١) جامع البيان (٦/٢٧٨-٢٧٩) ، وتحقيق شاكر (١٤/٤١) .

وأما القول بنزول قوله : ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ في بني قريظة ، فضعّفه ابن كثير -رحمه الله- معللاً بأنّ السياق في سورة الأنفال كلّه في وقعة بدر.

وضعّف أيضاً قول من قال : إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] معللاً بأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك ، فأما إن كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلّت عليه هذه الآية ، وكما فعل النبي- ﷺ-يوم الحديبية ، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص .(١)

هذا ما تيسر تحقيقه في النسخ مما يصح إلحاقه بآثار السياق ، وعسى أن أكون موفقاً للصواب فيما تناولت من المواضع . -والله تعالى أعلم -.

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٣٠٩/٢) .

الفصل الثامن

أثر دلالة السياق

على وجود تقديم أو تأخيـــر :

الفصل الثامن :

أثر دلالة السياق على وجود تقديم أو تأخير :

إن توارد الجمل تترى ، واحدة بعد أخرى ، قد يعني في بعضها أحياناً التقديم أو التأخير ، وهذا فن دقيق لا يليق إلا بمن أوتي الحكمة وعلا فيها ، يقول ابن عباس – رضي الله عنهما- في معنى الحكمة من قوله – تعالى – : ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩] بأنها : " المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكَمه ومتشابهه ، ومقدَّمه ومؤخَّره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله"(١).

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : أسباب القول بالتقديم أو التأخير .

المبحث الثاني : قد يكون السياق محتملاً للتقديم أو التأخير ، ولغيره .

---

(١) جامع البيان (٨٩/٣) ، وتحقيق شاكر (٥٧٦/٥) .

المبحث الأول :

أسباب القول بالتقديم أو التأخير :

وسأعرض للأسباب من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : دفع توهم التناقض في فهم كلام الله العزيز .

المطلب الثاني : الأصل أن يكون الكلام على ترتيبه ، ولا يقال بتقديم أو تأخير إلا إذا لم يكن للأقوال في تفسير الآية على ترتيبها وجه .

المطلب الثالث : إذا كانت الجملة فيها كلمتان تدل إحداهما على الأخرى فيحسن التقديم والتأخير .

المطلب الرابع : لا بد من دليل على التقديم أو التأخير ولو حرفاً واحداً .

المطلب الخامس : القصة لها ترتيبها في الوقوع ، وسياقها في الآيات فيه تقديم وتأخير .

المطلب الأول: دفع توهم التناقض في فهم كلام الله العزيز :

قال تعالى في بني إسرائيل : ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٠٢] **قال أبو جعفر :** "ولبئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته...فإن قال لنا قائل : وكيف قال -جلّ ثناؤه- : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وقد قال قَبْلُ : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ فكيف يكونون عالمين بأن من تعلم السحر فلا خلاق لهم ، وهم يجهلون أنهم بئس ما شروا بالسحر أنفسهم ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته ، من أنهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به ، ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما معنى الكلام: وما هم ضارّون به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرّهم ولا ينفعهم ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق . فقوله : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذمّ من الله -تعالى ذِكْره- فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه ، وخبر منه -جلّ ثناؤه- عنهم أنهم بئس ما شروا به أنفسهم برضاهم بالسحر عِوَضاً عن دينهم الذي به نجاة أنفسهم من الهلكة ، جهلاً منهم بسوء عاقبة فعلهم ، وخسارة صفقة بيعهم ، إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله، ولا يعرف حلاله وحرامه ، وأمره ونهيه. ثم عاد إلى الفريق الذين أخبر الله عنهم أنهم: نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشّياطِينُ على مُلْكِ سُلَيْمانَ، وما أُنْزِلَ على المَلَكَيْنِ ، فأخبر عنهم أنهم : قد علموا أن من اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق ، ووصفهم بأنهم يركبون معاصي الله على علم منهم بها، ويكفرون بالله ورسله ، ويؤثرون اتباع الشياطين ، والعمل بما أحدثته من السحر على العمل بكتابه ووحيه وتنزيله ، عناداً منهم وبغياً على رسله ، وتعدّياً منهم لحدوده ، على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب..." (١)

---

(١) جامع البيان (٥١٢/١) ، وتحقيق شاكر (٤٥٥/٢) .

فحمل –رحمه الله– عدم العلم المنفي في الآية على حكم تعلم السحر أنه في غير اليهود ، وحمل الذم على فعل السحر مع العلم بحكمه وأنه لا نصيب له في الآخرة على اليهود ، ويلزم من ذلك إثبات تقديم وتأخير حتى لا يفهم كلام الله على معنى متناقض .

أما إذا لزم من القول بالتقديم أو التأخير لوازم باطلة فلا يُقال به :

فالإمام الطبري –رحمه الله– يهتم بلوازم المعاني التابعة لها ، فإن كانت باطلة فبالضرورة يكون القول باطلا : كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] **قال –رحمه الله–** : " يقول –تعالى ذِكْره– لنبيه محمد–ﷺ –: وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم . وكأن معنى الكلام عنده : وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم ، فاقرأ القرآن . ولا وجه لما قال من ذلك ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه . وليس قوله : ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ بالأمر اللازم ، وإنما هو إعلام وندب، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع : أن من قرأ القرآن و لم يستعذ بالله من الشيطان الرّجيم قبل قراءته أو بعدها أنه لم يضيع فرضاً واجباً ." (١)

فلما كان القول بالتقديم والتأخير يلزم منه معنى باطل : وهو وجوب قراءة القرآن على كل مستعيذ ولو لم يرد القراءة ، فهو دليل قاطع على أن القول باطل أيضاً.

---

(١) جامع البيان (٦٤٤/٧) .

المطلب الثاني :

الأصل أن يكون الكلام على ترتيبه ، ولا يقال بتقديم أو تأخير إلا إذا لم يكن للأقوال في تفسير الآية على ترتيبها وجه :

فلا بأس بالقول بالتقديم والتأخير إذا لم يكن للأقوال في تفسير الآية وجه : ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [النساء: ٨٣] **قال -رحمه الله-** : "...اختلف أهل التأويل في القليل الذين استثناهم في هذه الآية من هم ؟ ومن أيّ شيء من الصفات استثناهم ؟ **فقال بعضهم** : هم المستنبطون من أولي الأمر ، استثناهم من قوله : ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ ونفى عنهم أن يعلموا بالاستنباط ما يعلم به غيرهم من المستنبطين من الخبر الوارد عليهم من الأمن أو الخوف...**وقال آخرون** : بل هم الطائفة الذين وصفهم الله أنهم يقولون لرسول الله- ﷺ - طاعة ، فإذا برزوا من عنده بيتوا غير الذي قالوا . ومعنى الكلام : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً منهم...وقال آخرون : بل ذلك استثناء من قوله : ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ ﴾ وقالوا: الذين استُثنُوا هم قوم لم يكونوا همّوا بما كان الآخرون همّوا به من اتباع الشيطان ، فعرّف الله الذين أنقذهم من ذلك موقع نعمته منهم ، واستثنى الآخرين الذين لم يكن منهم في ذلك ما كان من الآخرين...**وقال آخرون** : معنى ذلك : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان جميعاً ، قالوا : وقوله : ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ خرج مخرج الاستثناء في اللفظ ، وهو دليل على الجميع والإحاطة ، وأنه لولا فضل الله عليهم ورحمته لم ينج أحد من الضلالة ، فجعل قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ دليلاً على الإحاطة...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي : قول من قال : عنى باستثناء القليل من الإذاعة ، وقال : معنى الكلام : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً ، ولو ردّوه إلى الرسول . وإنما قلنا : إن ذلك أولى بالصواب ؛ لأنه لا يخلو القول في ذلك من أحد الأقوال التي ذكرنا ، وغير جائز أن يكون من قوله : ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ ﴾ ؛ لأن من تفضل الله عليه

بفضله ورحمته فغير جائز أن يكون من تُبّاع الشيطان ، وغير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب ، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل ، فنوجّهه إلى المعنى الذي وجهه إليه القائلون معنى ذلك : لاتبعتم الشيطان جميعاً ، ثم زعم أن قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دليل على الإحاطة بالجميع . هذا مع خروجه من تأويل أهل التأويل ، وكذلك لا وجه لتوجيه ذلك إلى الاستثناء من قوله : ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ ؛ لأن علم ذلك إذا ردّ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، فبينه رسول الله- ﷺ - وأولوا الأمر منهم بعد وضوحه لهم ، استوى في علم ذلك كل مستنبط حقيقته ، فلا وجه لاستثناء بعض المستنبطين منهم وخصوص بعضهم بعلمه مع استواء جميعهم في علمه ، وإذ كان لا قول في ذلك إلا ما قلنا ، ودخل هذه الأقوال الثلاثة ما بينا من الخلل ، فبيّنٌ أن الصحيح من القول في ذلك هو الرابع ، وهو القول الذي قضينا له بالصواب من الاستثناء من الإذاعة ." (١)

فالآية على معناها الراجح يكون ترتيب الجمل فيها هكذا : ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ وسبب الحمل على ذلك : أن الأقوال المحتملة في هذه الآية لا تسلم من اعتراض ، وهذا أسلمها حين أعملنا التقديم والتأخير .-والله أعلم-.(٢)

---

(١) جامع البيان (١٨٦/٤) ، وتحقيق شاكر (٥٧٤/٨) .

(٢) انظر شرح الكوكب المنير (٣١٥/٣-٣١٧) .

المطلب الثالث :

إذا كانت الجملة فيها كلمتان تدل إحداهما على الأخرى فيحسن التقديم والتأخير:

إذا كان لقارئ كتاب الله -عزّ وجلّ- تأمل وملاحظة ، فإن هناك مواضع متعددة يقدم في جملها وكلماتها ويؤخر ، ومن حكمة ذلك : أن يكون في معنى إحدى الكلمتين من التقارب ما يدل على معنى الأخرى .

ومن ذلك ما ذكره الإمام الطبري -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم: ٨] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْره- : ثم دنا جبريل من محمد - ﷺ - فتدلّى إليه ، وهذا من المؤخّر الذي معناه التقديم ، وإنما هو : ثم تدلّى فدنا ، ولكنه حسن تقديم قوله : ﴿ دَنَا ﴾ ، إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلّي ، والتدلّي على الدنوّ ، كما يقال : زارني فلان فأحسن ، وأحسن إليّ فزارني ، وشتمني فأساء ، وأساء فشتمني ؛ لأن الإساءة: هي الشتم، والشتم : هو الإساءة ." (١)

فاتّضح من هذا أن المقدّم والمؤخّر إذا كانا كلمتين ؛ فإن تقديم إحداهما على الأخرى لتلازم معناهما ، ودلالة كل منهما على الآخر حَسَنٌ .

---

(١) حامع البيان (٥٠٦/١١-٥٠٧) . وانظر نحوه في : سورة إبراهيم (٤٧) ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ حامع البيان (٤٧٨/٧) ، وقريب منه في النور (٢٧) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ ﴾ الآية حامع البيان (٢٩٧/٩-٢٩٩) .

المطلب الرابع : لا بد من دليل على التقديم أو التأخير ولو حرفاً واحداً:

إذا كان في القرآن تقدم وتأخير في بعض المواضع فإن القول بذلك لا بد فيه من دليل يثبت التقدم والتأخير :

١- مثال دلالة حرف الواو على التقديم أو التأخير : في قوله تعالى : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -تعالى ذِكْره- : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس ، ولو لم يكن في الكلام واو لكان قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متصلاً بما قبله ، وكان : وتلك الأيام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا . ولكن لما دخلت الواو فيه آذنت بأن الكلام متصل بما قبلها ، وأن بعدها خبراً مطلوباً ، واللام التي في قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ به متعلقة . "[1]

فالواو في قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متصلة بالمداولة وهي كخبر المبتدأ في قوله : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ فالمعنى فيه تقدم وتأخير ؛ لذلك .

٢- مثال دلالة حرف الفاء على عدم التقديم أو التأخير : في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ٩٩﴾ [يوسف: ٩٩] **قال أبو جعفر** : يقول -جلّ ثناؤه- : فلمّا دخل يعقوب وولده وأهلوهم على يوسف ، ﴿آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ يقول : ضمّ إليه أبويه ، فقال لهم : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾.

فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ بعد ما دخلوها ، وقد أخبر الله -عزّ وجلّ- عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف وضمّ إليه أبويه قال لهم هذا القول ؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم [كالسدي] : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده ، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر ، قالوا : وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل

---

[1] جامع البيان (٣/٤٥٠) ، وتحقيق شاكر (٧/٢٤١) .

أن يدخل مصر ، فآواه إليه ، ثم قال له ولمن معه : ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ بها قبل الدخول... وقال آخرون[كابن جريج(١)] : بل قوله : ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناء من قول يعقوب لبنيه: ﴿أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٩٨] قال : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ، قالوا : وإنما معنى الكلام : قال : أستغفر لكم ربي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم ، فَلَمّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إلَى أَبَوَيْهِ وقالَ ادْخلوا مصْر ورفع أبويه...عن ابن جريج: قالَ : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّي إن شاء الله آمنين ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن .

قال أبو جعفر : يعني ابن جريج: "وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن "، أنه قد دخل بين قوله : ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾ وبين قوله : ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : ما قاله السّديّ ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم ؛ لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك ، فلا دلالة تدلّ على صحة ما قال ابن جريج،ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة ." (٢)

فالقول بالتقديم أو التأخير ليس هو الأولى ، بل إنما يصار إليه إذا لم يكن للكلام على ظاهره وجه صحيح مفهوم ، فلم يقبل ابن جرير القول بالتقديم أو التأخير من غير دليل ، بل رجح أن الأولى للكلام أن يحمل على الظاهر ، وهو الترتيب ، دون زعزعة له بدون حجة ولا برهان ، وتبين بهذا المثال أنه لا يصح حمل معنى الآية على التقديم والتأخير إذا كان للكلام على ترتيبه وجه صحيح.

وفي قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى: ٥] **قال** –رحمه الله– : " يقول –تعالى ذِكْره–:

---

(١) هو أبو الوليد ، أو أبو خالد ، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي ، مولاهم المكي ، ولد سنة ثمانين ، من تابعي التابعين ، فقيه الحرم ، عالم الحجاز ، أول من صنف التصانيف في العلم ، توفي سنة خمسين ومائة ، وقيل : غير ذلك. انظر المعارف صفحة (٤٨٨) ، وتهذيب الأسماء واللغات (٢٩٧/٢) ، ووفيات الأعيان (١٦٣/٣) .

(٢) جامع البيان (٣٠١/٧-٣٠٢) .

فجعل ذلك المرعَى غُثاء ، وهو ما جفّ من النبات ويبس ، فطارت به الريح ، وإنما عُنِي به هاهنا : أنه جعله هشيماً يابساً متغيراً إلى الحُوّة ، وهي السواد ، من بعد البياض ، أو الخُضرة ، من شدّة اليبس...وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى : أن ذلك من المؤخّر الذي معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذي أخرج المرعى أحوى : أي أخضر إلى السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك...وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدّت خضرته من النبات قد تسميه العرب أسود ، غير صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويل ، في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلاّ بتقديمه عن موضعه أو تأخيره ، فأما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير ." (١)

فالتقديم والتأخير مخرج لفهم الكلام على وجهه بعد تعذر فهمه على ترتيبه .

٣- أما حرف العطف "ثم "فإن معناه الأصلي الترتيب بين الجمل ، إلا إذا لم يكن للكلام على معناها الأصلي وجه مفهوم صحيح : فلا يقال بتغيير معاني الحروف المرتبة مثل "ثم" أو تعطيل معانيها إلا لسبب قوي ، كل ذلك تضييقاً للقول بالتقديم والتأخير .

وأذكر على ذلك مثالين متقابلين :

أحدهما : يرجح أنها على معناها الأصلي ، والآخر على خلافه :

أ- مثال على ترجيح حمل (ثم) على معناها الأصلي وهو الترتيب : في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (١١)﴾ [الأعراف: ١١] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم : تأويل ذلك : وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ في ظهر آدم أيها الناس ، ثُمّ صَوّرْناكُمْ في أرحام النساء خلقاً مخلوقاً ومثالاً ممثّلاً في صورة آدم...**وقال آخرون**: بل معنى ذلك : ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني : آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ يعني : في ظهره...وقال آخرون : معنى ذلك : ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها...

---

(١) جامع البيان (١٢/٥٤٤) .

قال أبو جعفر :وأولى الأقوال بالصواب قول من قال :تأويله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ : ولقد خلقنا آدم ، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ بتصويرنا آدم ، كما قد بيّنا فيما مضى من خطاب العربِ الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه ، والمعنيّ في ذلك سلفه ، وكما قال –جلّ ثناؤه– لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله –ﷺ– : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] وما أشبه ذلك من الخطاب الموجّه إلى الحيّ الموجود والمراد به السلف المعدوم ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ معناه : ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوّرناه . وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ؛ لأن الذي يتلو ذلك قوله : ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِءَادَمَ﴾ ، ومعلوم أن الله –تبارك وتعالى–قد أمر الملائكة بالسجود لآدم ، قبل أن يصوّر ذرّيته في بطون أمهاهم ، بل قبل أن يخلق أمهاهم ، و«ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، وذلك كقول القائل : " قمت ثم قعدت " ، لا يكون القعود إذ عطف به بـ"ثم" على قوله : "قمت" إلا بعد القيام ، وكذلك ذلك في جميع الكلام . ولو كان العطف في ذلك بالواو : جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها ، وذلك كقول القائل : " قمت وقعدت " ، فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام ؛ لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً ؛ لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها ، من غير دلالة منها بنفسها ، على أن ذلك كان في وقت واحد ، أو وقتين مختلفين ، أو إن كانا في وقتين : أيهما المتقدّم وأيهما المتأخر . فلما وصفنا قلنا إن قوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ لا يصحّ تأويله إلا على ما ذكرنا . فإن ظنّ ظانّ أن العرب إذْ كانت ربما نطقت بـ"ثم" في موضع الواو في ضرورة شعر كما قال بعضهم :

سأَلْتُ رَبِيعَةَ : مَنْ خَيْرُهَا   أباً ثُمّ أُمّاً ؟ فَقالَتْ : لِمَهْ !(١)

يعني : أباً وأمّاً ، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره ، فإن ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن كتاب الله –جلّ ثناؤه– نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها ،

---

(١) في تحقيق شاكر قال : لم أعرف قائل هذا البيت (٣٢٢/١٢) .

وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف ." (١)

فالقرآن الكريم لا يحمل على المعاني الشاذة ، استدلالاً بضرورة شعرية ؛ لنزوله على أفصح لغات العرب ولهجاتها ، ولا يعدل عن الأشهر إلى الشاذ إلا عند الضرورة إلى فهم الكلام على وجهه الصحيح .

ب- مثال على حمل " ثم " على غير الترتيب :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٩] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، ومَن المعنيّ بالأمر بالإفاضة من حيث أفاض الناس ؟، ومَنِ الناسُ الذين أمروا بالإفاضة من موضع إفاضتهم ؟: فقال بعضهم : المعنيّ بقوله : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا ﴾ قريش ، ومن ولدته قريش الذين كانوا يسمون في الجاهلية الحُمُس (٢)، أمروا في الإسلام أن يفيضوا من عرفات ، وهي التي أفاض منها سائر الناس غير الحُمُس . وذلك أن قريشاً ومن ولدته قريش ، كانوا يقولون : لا نخرج من الحرم . فكانوا لا يشهدون موقف الناس بعرفة معهم ، فأمرهم الله بالوقوف معهم... وقال آخرون : [كالضحاك] المخاطبون بقوله : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا ﴾ المسلمون كلهم ، والمعنيّ بقوله : ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ من جَمْع (٣)، وبالناس إبراهيم خليل الرحمن -عليه السلام-...

قال أبو جعفر : والذي نراه صواباً من تأويل هذه الآية : أنه عُني بهذه الآية قريشٌ ومن كان متحمساً معها من سائر العرب ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله . وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية : فمن فرض فيهن الحجّ ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم، وما تفعلوا من خير يعلمه الله . وهذا إذ كان

---

(١) جامع البيان (٤٣٦/٥-٤٣٨) ، وتحقيق شاكر (٣١٧/١٢) .

(٢) أصل معنى الحُمُس يطلق على : المتشدد الصلب في دينه ، ثم أطلقت على قريش وخزاعة ؛ لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً ، ومن أفعالهم عدم الخروج من الحرم إلى عرفات في الحج . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢١١/١-٢١٥).

(٣) جَمْع : اسم لمزدلفة ، وهي المشعر الحرام .

ما وصفنا تأويله فهو من المقدّم الذي معناه التأخير ، والمؤخر الذي معناه التقديم ، على نحو ما تقدم بياننا في مثله ، ولولا إجماع من وصفت إجماعه على أن ذلك تأويله . لقلت : أولى التأويلين بتأويل الآية ما قاله الضحاك من أن الله عنى بقوله : ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ من حيث أفاض إبراهيم ؛ لأن الإفاضة من عرفات لا شك أنها قبل الإفاضة من جَمْع ، وقبل وجوب الذكر عند المشعر الحرام . وإذ كان ذلك لا شك كذلك ، وكان الله -عزّ وجلّ- إنما أمر بالإفاضة من الموضع الذي أفاض منه الناس ، بعد انقضاء ذكر الإفاضة من عرفات ، وبعد أمره بذكره عند المشعر الحرام ، ثم قال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ كان معلوماً بذلك : أنه لم يأمر بالإفاضة إلا من الموضع الذي لم يفيضوا منه ، دون الموضع الذي قد أفاضوا منه ، وكان الموضع الذي قد أفاضوا منه فانقضى وقت الإفاضة منه ، لا وجه لأن يقال : أَفِضْ منه . فإذْ كان لا وجه لذلك ، وكان غير جائز أن يأمر الله -جلّ وعزّ- بأمر لا معنى له، كانت بيّنةً صِحَّةُ ما قاله من التأويل في ذلك ، وفساد ما خالفه ، لولا الإجماع الذي وصفناه ، وتظاهر الأخبار بالذي ذكرنا عمن حكينا قوله من أهل التأويل ." (١)

فرجّح -رحمه الله- ما أجمع عليه أهل التأويل : أن المقصود بالخطاب قريش ومن معها لا إبراهيم والمسلمين ، وعلى هذا القول لا تدل "ثم" على الترتيب ؛ ففي الكلام تقديم وتأخير ، والذي ألجأه لذلك : إجماع أهل التأويل عليه ، مع أن للكلام تأويلاً آخر وهو حمل معنى الإفاضة في هذه الآية على الإفاضة من المشعر الحرام -مزدلفة-وله وجه مفهوم صحيح ، فلم يقل به طلباً لموافقة ما أجمع عليه أهل التأويل . (٢).

---

(١) جامع البيان (٢/٣٠٤-٣٠٧) ، وتحقيق شاكر (٤/١٨٤) . ومما دل السياق فيه على التقديم والتأخير وهو أكثر من حرف: قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٨] جامع البيان (١/١٧٩-١٨٠) ، والمائدة(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ جامع البيان (٤/٣٩١) .

(٢) قال ابن عاشور : الذي عليه جمهور المفسرين : أن "ثم" للتراخي الإخباري ؛ للترقي في الخبر ، وأن الإفاضة المأمور بها هنا هي عين الإفاضة المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٩٨] } وأن العطف بـ"ثم" للعودة إلى الكلام على تلك الإفاضة . فالمقصود من الأمر هو متعلق ﴿أَفِيضُوا۟﴾ ، أي : قوله : ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] ، إشارة إلى عرفات فيكون متضمناً الأمر بالوقوف بعرفة لا بغيرها ؛ إبطالاً لعمل قريش الذين كانوا يقفون يوم الحج الأكبر على (قُزَح) المسمى بجمع وبالمشعر الحرام فهو من المزدلفة ، وكان سائر العرب وغيرهم يقف بعرفات ، فيكون المراد بالناس في جمهورهم من عدا قريشاً . التحرير والتنوير (٢/٢/٢٤٢) .

المطلب الخامس :

القصة لها ترتيبها في الوقوع ، وسياقها في الآيات فيه تقديم وتأخير :

أ- قد يكون التقديم والتأخير ظاهراً بيناً : كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْره- : ورأيتهم يُعْرضون عما دُعوا إليه وجوهَهم، ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول : وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله -ﷺ- ليستغفر لهم ، وإنما عُنِي بهذه الآيات كلها فيما ذُكر : عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول ، وذلك أنه قال لأصحابه : ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[المنافقون: ٧] (١)، وقال : ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[المنافقون: ٨] (٢)، فسمع بذلك زيد بن أرقم(٣)، فأخبر به رسول الله -ﷺ- ، فدعاه رسول الله -ﷺ-، فسأله عما أخبر عنه ، فحلف أنه ما قاله ، وقيل له : لو أتيت رسول الله -ﷺ- ، فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوي رأسه ويحرّكه استهزاءً ، ويعني ذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله -عزّ وجلّ- فيه هذه السورة من أوّلها إلى آخرها."(٤)

---

(١) وهو ما حكى الله عنه في سورة المنافقون الآية (٧) .

(٢) وهو ما حكى الله عنه في سورة المنافقون الآية (٨) .

(٣) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ، كنيته : أبو عمرو ، وقيل غير ذلك ، من مشاهير الصحابة ، شهد مؤتة وغيرها ، له أحاديث ، ردّه النبي - ﷺ - يوم أحد ؛ لصغره ، وحضر سبع عشرة غزوة مع النبي - ﷺ - ، أخبره النبي - ﷺ - أن الله صدّقه في ما نقله عن أبي المنافق أنه قاله ، توفي بالكوفة ، سنة ست وستين ، وقيل ثمان وستين . انظر تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٩) ، وسير أعلام النبلاء (٣/١٦٥) ، والأعلام (٣/٩٥) .

(٤) جامع البيان (١٢/١٠٢) ، وقد روى نحوه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير سورة المنافقين باب : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢] رقم الحديث (٤٩٠١) صفحة (١٠٥٣) بإسناده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ -رضي الله عنه- قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ : لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَقَالَ أَيْضًا : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ- ﷺ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى

=

والشاهد هنا أن قول المسلمين للمنافق : ﴿ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ، كان في القصة متأخراً عن قول المنافق ، وجاء في السورة متقدماً على قول المنافق : ﴿ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾وقوله : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ .

ب- قد يكون التقديم والتأخير في القصة محتملاً :كما في قصة ملكة سبأ في قوله -تعالى -: ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: ٢٨] **قال -رحمه الله- :** " فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك [أي : هذه الآية]فقال بعضهم : معناه: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ، فانظر ماذا يَرْجِعون ، ثم تولّ عنهم منصرفاً إليّ ، فقال : هو من المؤخّر الذي معناه التقديم...قال أبو جعفر: فهذا القول...يدلّ على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعاً بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل ؟ كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها . وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم ، فكن قريباً منهم ، وانظر ماذا يرجعون ، قالوا : وفعل الهدهد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها ، وقولها لهم : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٠] وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضاً.

وهذا القول أشبه بتأويل الآية ؛ لأن مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقي إليها الكتاب ، و لم يكن الهدهد أن ينصرف وقد أُمِر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ، ما يتراجعون قبل أن يفعل ما أمره به سليمان ." (١)

= عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ -وَكَذَّبَنِي ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي فَأَنْزَلَ اللّهُ -عزّ وجلّ- ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [المنافقون: ١] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٧] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾[المنافقون: ٨] فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللّهِ- ﷺ -فَقَرَأَهَا عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ اللّهَ قَدْ صَدَّقَكَ ". ونحو هذا المثال في الأعراف (٧٩) ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ حامع البيان (٥/٥٣٩-٥٤٠) .

(١) حامع البيان (٩/٥١٢) .

ففي هذه الآية : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ تقديم وتأخير محتمل لأمرين :

الأول : إما أن يكون سليمان - ﷺ - أمر الهدهد بالرجوع إليه بعد إلقاء الكتاب وبعد حضور مشورة المرأة لقومها ، ويكون معنى التولي هنا : الرجوع إلى بلده .

والثاني : أن يكون معنى التولي : البعد عنها مع سماع مشورتها .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النمل: ٣٨] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا ﴾ : فقال بعضهم : قال ذلك حين أتاه الهدهد بنبأ صاحبة سبأ ، وقال له : ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢] وأخبره أن لها عرشاً عظيماً ، فقال له سليمان- ﷺ-: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: ٢٧] ، فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء: أيكم يأتيني بعرش هذه المرأة قبل أن يأتوني مسلمين . وقالوا إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة بعد ما صحّ عنده صدق الهدهد بمجيء العالم بعرشها إليه على ما وصفه به الهدهد ، قالوا : ولولا ذلك كان محالاً أن يكتب معه كتاباً إلى من لا يدري ، هل هو في الدنيا أم لا ؟ قالوا : وأخرى : أنه لو كان كتب مع الهدهد كتاباً إلى المرأة قبل مجيء عرشها إليه ، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك ، لم يكن لقوله له : ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ معنى ؛ لأنه لا يُلِم بخبره الثاني من إبلاغه إياها الكتاب ، أو ترك إبلاغه إياها ذلك ، إلا نحو الذي علم بخبره الأوّل حين قال له : ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ قالوا : وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه ، وكان محالاً أن يقول نبيّ الله قولاً لا معنى له ، وقد قال : ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه : هو مصير عرش المرأة إليه ، على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه ، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها...**وقال آخرون** : بل إنما اختبر صدقَ الهدهدِ سليمانُ بالكتاب ، وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رُسُلُها

من عنده ، وبعد أن أقبلت المرأة إليه..." (١)

وفي هذه الآية الأخرى :احتمال لأمرين أيضاً :

الأول : أن يكون أمر سليمان-ﷺ - بالإتيان بعرش المرأة قبل إرسال الكتاب ، فمن المتعين أن يعلم صدق الهدهد عن خبر هذه المملكة بإتيانه بالعرش ، لا بإرسال الكتاب .

والثاني : أن أمر سليمان - ﷺ - بالإتيان بالعرش كان بعد إرسال الكتاب وبعد مجيء رسلها .

وعلى هذا الاحتمال بين الآيتين ، يكون احتمال التقديم والتأخير في سرد القصة. -والله أعلم- .

---

(١) جامع البيان (٥١٩/٩-٥٢٠) .

المبحث الثاني : السياق قد يكون محتملاً للتقديم أو التأخير ، ولغيره :

كثيراً ما يكون لمعنى الآيات أوجهاً متقاربة أو متعددة ، ولكلّ وجه منها استدلال من الآيات ، ومن أسباب احتمال التقديم أو التأخير : اختلاف القراءة ، أو احتمال الإعراب :

المطلب الأول : مثال احتمال السياق للتقديم والتأخير بسبب اختلاف القراءة:

قوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة: ٦] **قال -رحمه الله-** : " القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ اختلفت القرأة في قراءة ذلك : فقرأه جماعة من قرّاء الحجاز والعراق : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ نصباً (١) . فتأويله: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجُلَكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم . وإذا قرئ كذلك كان من المؤخر الذي معناه التقديم ، وتكون "الأرجل" منصوبة ، عطفاً على "الأيدي" . وتأوّل قارئوا ذلك كذلك ، أن الله -جلّ ثناؤه- إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها . ذكر من قال : عنى الله بقوله : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾الغسل :...عن أبي عبد الرحمن(٢) ، قال : قرأ عليّ الحسن والحسين -رضوان الله عليهما- ، فقرءا : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فسمع عليّ - ﵁ - ذلك ، وكان يقضي بين الناس ، فقال : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ ، هذا من المقدّم والمؤخر من الكلام...عن السديّ ، قوله : ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فيقول : اغسلوا وجوهكم ، واغسلوا أرجلكم ، وامسحوا برءوسكم ، فهذا من التقديم والتأخير .

وقرأ ذلك آخرون من قرأة الحجاز والعراق : { وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ } بخفض الأرجل، وتأوّل قارئ ذلك كذلك ، أن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها ،

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب . إتحاف فضلاء البشر (٥٣٠/١) .

(٢) هو عبد الله بن حبيب بن ربيِّعة السلمي ، القارئ ، أبوه صحابي ، قرأ عبد الله على : عثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم ، توفي سنة سبعين ، وقيل غير ذلك . انظر تهذيب التهذيب (٣١٩/٢) ، وتحقيق شاكر (٥٥/١٠).

وجعل الأرجل عطفاً على الرأس ؛ وخفضوها لذلك ." [١]

فالقراءة إذا كان فيها اختلاف في الإعراب والعطف ، فإنه يترتب على ذلك اختلاف في مبنى الكلام وترتيبه ، وهل فيه تقديم أم تأخير ؟ ، وهنا : قراءة النصب إرجاع إلى الغسل ، وقراءة الخفض : إرجاع إلى مسح الأرجل ، وإنما يكون ذلك عند لُبس الخفين أو الجوربين .-والله أعلم-.[٢]

---

(١) جامع البيان (٤/٤٦٦-٤٦٨) ، وتحقيق شاكر (١٠/٥٢) . وانظر مثله في البقرة (٢٦٠) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٣-٥٤) ، و(٢٨٢) ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢٤) ، والأعراف (٢) ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ جامع البيان (٥/٤٢٦) ، وإبراهيم (٣) ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)﴾ جامع البيان (٧/٤١٤) .

(٢) يرجع لتوجيه القراءات والموقف منه ص (٣٧٦) .

المطلب الثاني : مثال احتمال السياق للتقديم والتأخير بسبب الإعراب :

كما في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] **قال -رحمه الله-** :"...يقول الله : ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ يعني: فقد سأل أسلاف هؤلاء اليهود وأوائلهم موسى -عليه السلام- أعظم مما سألوك من تنزيل كتاب عليهم من السماء ، فقالوا له : ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ : أي عياناً نعاينه وننظر إليه...وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول في ذلك:...إنهم إذا رأوه فقد رأوه ، إنما قالوا : جَهْرَةً أرنا اللّهَ ، قال : هو مقدّم ومؤخّر. وكان ابن عباس يتأوّل ذلك : أن سؤالهم موسى كان جهرة . "[1]

فالذي يظهر أن سبب الاختلاف هنا : هو إعراب ﴿جَهْرَةً﴾ : هل هي حال من الرؤية ، أم حال من السؤال .

هذه بعض المواضع التي تتعلق بالتقديم والتأخير ودلالة السياق تدل على إثبات ذلك أو ردّه، على نحو ما سبق دراسته [2].- والله الموفق - .

---

(١) جامع البيان (٣٤٧/٤) .

(٢) وانظر بقية المواضع عموماً في : النساء (١٢) ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٥/٣) ، و(٢٥) ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية جامع البيان (٢١/٤) ، و(٩٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٠/٤) ، و(١٤٠) ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٨/٤) ، والأعراف (١٦٣) ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ الآية جامع البيان (٩٣/٦) ، و(١٦٩) ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ الآية جامع البيان (١٠٧/٦) ، والأنفال (٦٩) ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٦٩﴾ جامع البيان (٢٩١/٦) ، والتوبة (٣) ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ﴾ الآية جامع البيان (٣١٨/٦) ، وهود (١٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ الآية جامع البيان (١١/٧) ،والرعد (٣) ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ الآية جامع
=

البيان (٧/٣٣٠-٣٣١) ، والإسراء (٦٠) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٠٤-١٠٥) ، والكهف (١-٢) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ① قَيِّمًا ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٧٣-١٧٤) ، و(٦٣) ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٤٩) ، وطه (١٢٩) ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ⑫⑨ ﴾ جامع البيان (٨/٤٧٦) ، والنمل (١٤) ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٥٠٢) ، وسورة ص (٢٦) ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٥٧٥) ، ومحمد (١٨) ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ⑱ ﴾ جامع البيان (١١/٣١٧) ، والممتحنة (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٥٥-٥٦) ، والزلزلة (٦) ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ ﴾ جامع البيان (١٢/٦٦١) ، والعاديات (٧) ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ ﴾ جامع البيان (١٢/٦٧٤) .

الفصل التاسع

أثر دلالة السياق
في تضعيف بعض الأقوال :

الفصل التاسع

أثر دلالة السياق في تضعيف بعض الأقوال :

وبعد سرد عدّة آثار من دلالات السياق وما نتج عنها من فوائد ، تجد للسياق أيضاً أثراً كبيراً ومهماً ، في تمييز الضعيف منها من القوي ، والصحيح منها من الخطأ ، والأولى منها من الممكن والمحتمل ، ولا شك أن الترجيح بين الأقوال بالاعتماد على ما يناسب سياق الكلام يستلزم تضعيفاً وترجيحاً غالباً ، ولا يقتصر الأثر على أحدهما .(١)

وسأتناول هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : الترجيح بسبب اللغة .

المبحث الثاني : الخصوص والعموم .

المبحث الثالث : مراعاة المخاطب والمتكلم .

المبحث الرابع : دلالة الكلمة والسباق واللحاق وموضوع السورة .

المبحث الخامس : مراعاة التقابل والتقسيم المتوازن .

المبحث السادس : تضعيف ما لم يرد ذكره في السياق .

المبحث السابع : مراعاة عود الكلام على القريب .

المبحث الثامن : مواضع لم يكن فيها تطبيق للتعامل نفسه .

---

(١) انظر قواعد الترجيح عند المفسرين ، (١٢٤/١-١٨٦) للدكتور : حسين بن علي الحربي ، وقد بين فيها : أن دلالة السياق من قواعد الترجيح عند وقوع خلاف بين المفسرين .

المبحث الأول : الترجيح بسبب اللغة :

أسباب ترجيح معنى الكلمة في اللغة قد يرجع إلى الكلمة ذاتها ، وأي معانيها يناسب السياق ، أو يعود إلى استعمال العرب للكلمة ذات المعنى الواحد ، وما يحدث من تغييرات لهذا الاستعمال ، كإدخال التعريف عليها مثلاً ، وما ينتج من مراعاة تصريف الكلمة وهل هي تابعة لأصل الكلمة هذه أو تلك ، وطريقة التعامل مع الضمائر وأسماء الإشارة ،والإعراب ودوره في الترجيح ، فإلى شيء من هذه الأمثلة من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : قد ترد الكلمة في اللغة ولها معان متعددة فيذكر الإمام الطبري –رحمه الله–المعاني ويرجح منها المعنى المناسب للسياق .

المطلب الثاني : الاستعمال اللغوي .

المطلب الثالث : النظر إلى تصريف الكلمة واشتقاقها .

المطلب الرابع : العطف بالواو يفيد التفريق لأنه الأشهر في الاستعمال .

المطلب الخامس : الضمير والإشارة وما يتعلق بهما .

المطلب السادس : الإعراب يرجح القول المناسب .

المطلب الأول :

قد ترد الكلمة في اللغة ولها معان متعددة فيذكر الإمام الطبري –رحمه الله–المعاني ويرجح منها المعنى المناسب للسياق:

ومن أمثلة ذلك قوله –تعالى– : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النحل: ٦٢] **قال –رحمه الله –:** " وقوله : ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ يقول –تعالى ذِكْره– : وأنهم مُخَلّفون متروكون في النار ، منسيّون فيها . واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال أكثرهم بنحو ما قلنا في ذلك...**وقال آخرون** : معنى ذلك : أنهم مُعْجَلُون إلى النار مقدّمون إليها . وذهبوا في ذلك إلى قول العرب : أفرطنا فلاناً في طلب الماء ، إذا قدّموه لإصلاح الدّلاء والأرشية ، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه فهو مُفْرَط...**وقال آخرون** : معنى ذلك: مُبْعَدُون في النار...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : القول الذي اخترناه ، [وهو أن معنى : ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ مخلّفون ومتروكون في النار] ، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم ، إنما يقال : فيمن قدم لإصلاح ما يقدم إليه ، إلى وقت ورود من قدّمه عليه ، وليس بمُقَدّم من قُدّم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحاً ، وإنما تَقَدّم مَن قُدّم إليها ؛ لعذاب يُعجّل له . فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة ، صحّ المعنى الآخر ، وهو الإفراط الذي بمعنى: التخليف والترك ، وذلك أن يُحْكَى عن العرب : ما أفْرَطت ورائي أحداً ، أي : ما خَلّفته، وما فرطته ، أي : لم أخلفه ." (١)

---

(١) جامع البيان (٧/٦٠٢–٦٠٤) . وانظر مواضع أخرى في البقرة (١٠٢) ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٩٨–٥٠٠) ، و(٢٣٥) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢٣٤–٢٣٦) ، والنساء (٣٤) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ

فلما كان سياق الآيات في ذكر العذاب ، لم يصح حمل معنى الفرط على الذي يصلح ما يقدم عليه ؛ لأن ما يقدم عليه في السياق النار ، وليس هناك ما يصلحه الفرط ؛ ولذلك قال بالمعنى اللغوي الآخر للفظة : وهو التخليف والترك ؛ لمناسبتها للسياق .

- عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٦٨-٧٠) ، و(٨٤) ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾النساء: ٨٣ الآية جامع البيان (٤/١٨٧) .

المطلب الثاني : الاستعمال اللغوي :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يس: ٣٧] **قال -رحمه الله-:** " يقول -تعالى ذِكْره- : ودليل لهم أيضاً على قدرة الله على فعل كلّ ما شاء : ﴿ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ يقول : ننـزع عنه النهار . ومعنى : ﴿ مِنْهُ ﴾ في هذا الموضع : عنه، كأنه قيل : نسلَخ عنه النهار ، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار...وقوله : ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ يقول : فإذا هم قد صاروا في ظلمةٍ بمجيء الليل ، وقال قتادة في ذلك :..يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل . وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي من معنى سلخ النهار من الليل بعيد ، وذلك أن إيلاج الليل في النهار ، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر ، وليس السلْخ من ذلك في شيء ؛ لأن النهار يسلخ من الليل كله ، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كلّ الليل في كلّ النهار ، ولا كلّ النهار في كلّ الليل ." ⁽¹⁾

بل يجب مراعاة الفرق بين كل كلمة وأخرى فـ"منهم" ليست مثل "فيهم"، ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣] الآية **قال -رحمه الله-:** " وأما الخير الذي أمر الله -تعالى ذِكْره- عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم : فهو القُدْرة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتبوا عليه...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : إن علمتم فيهم صدقاً ووفاءً وأداءً...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك إن علمتم لهم مالاً...

وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال : معناه : فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوّة على الاحتراف والاكتساب ، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها ، وصدق لهجة . وذلك أن هذه

---

(١) جامع البيان (١٠/٤٤٠) . وانظر نحوه في البقرة (٩٣) ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٦٧-٤٦٨) ، والنساء (٢٢) ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٦١) .

المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجةُ إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد ، فأما المال وإن كان من الخير ، فإنه لا يكون في العبد ، وإنما يكون عنده أو له لا فيه ، والله إنما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيراً ، لا إذا علمنا عنده أو له ؛ فلذلك لم نقل : إن الخير في هذا الموضع معنيٌّ به المال . " (١)

وواضح من سياق الآية تضعيف قول من قال بأن معنى : ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ : مالاً ؛ لأن المال ليس من الخير الذي في العبد ، بل هو خير له يملكه ، أو عنده في حوزته ، وإنما الخير : القدرة على الكسب ؛ لقضاء دين الكتابة لسيده ، والآية نسبت الخير إلى أنه فيهم ، و لم تقل : علمتم لهم خيراً .

والضبح في اللغة يستعمل للخيل لا للإبل : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ فقال بعضهم : عُنِي بالعاديات ضَبْحاً : الخيل التي تعدوها ، وهي تحمحم...وقال آخرون: هي الإبل...

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : عني بالعاديات : الخيل ، وذلك أن الإبل لا تضبَح ، وإنما تضبح الخيل،وقد أخبر الله -تعالى- أنها تعدو ضَبْحاً . " (٢)

---

(١) جامع البيان (٩/٣١٣-٣١٥) .

(٢) جامع البيان (١٢/٦٦٥-٦٦٧) . وانظر مواضع أخرى مشابهة لما سبق : في البقرة (٥٠) ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝٥٠﴾ جامع البيان (١/٣١٤) ، و(٢٨٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢٩) ، وآل عمران (٨١) ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾الآية جامع البيان (٣/٣٣١) ، والأنعام (١١٧) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝١١٧﴾ جامع البيان (٦/٣٢٠) ، والأعراف (٢٧) ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٦١-٤٦٢) ، والنمل (٤٠) ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الآية جامع البيان (٩/٥٢٤) ، وسورة ص (١٦) ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٦﴾ جامع البيان (١٠/٥٥٩-٥٦٠) ، والشورى (٢٣) ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٤٥) ، والفتح (٢٤) ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ الفتح: ٢٠ -

والكلمة يختلف معناها مفردة مجردة عما يدخل عليها بعد ذلك : ومن الأمثلة على ذلك دخول (أل) التعريفية على الكلمة كما في قوله -تعالى- : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] **قال -رحمه الله-** : في قوله -تعالى- : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : معنى ذلك : والجار ذي القرابة والرحم منك...**وقال آخرون** : بل هو جار ذي قرابتك...عن ميمون بن مهران[1]...قال : الرجل يتوسل إليك بجوار ذي قرابتك . قال أبو جعفر : وهذا القول قول مخالف المعروف من كلام العرب ، وذلك أن الموصوف بأنه ذو القرابة في قوله : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الجار دون غيره ، فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة ، ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران لقيل : وجار ذي القربى ، و لم يقل : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ، فكان يكون حينئذٍ إذا أضيف الجار إلى ذي القرابة : الوصية ببرّ جار ذي القرابة دون الجار ذي القربى. وأما ﴿وَالْجَارِ﴾ بالألف واللام فغير جائز أن يكون : ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلا من صفة الجار. وإذا كان ذلك كذلك كانت الوصية من الله في قوله: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ببرّ الجار ذي القربى دون جار ذي القرابة ، وكان بيّناً خطأ ما قال ميمون بن مهران في ذلك." [2]

الآيتين حامع البيان (١١/٣٥١-٣٥٤) ، والتحريم (١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الآية حامع البيان (١٢/١٤٩-١٥٠) ، والمرسلات(٣٢) ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢﴾ حامع البيان (١٢/٣٨٨-٣٨٩) ، والنبأ (١٤) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ حامع البيان (١٢/٣٩٨-٣٩٩) ، والنازعات (٣٠) ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝٣٠﴾ حامع البيان (١٢/٤٣٧-٤٣٨) .

[1] هو أبو أيوب ، ميمون بن مهران الجزري الرّقي القاضي ، نسبة لسكناه بلدة الرقة بعد إعتاقه ، قيل ولد سنة موت علي -﵁- سنة أربعين ، كان من أجلاء التابعين وزهّادهم وعبّادهم ، استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج الرقة وقضائها، وثّقه العجلي والنسائي وابن سعد ، توفي سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٥/٧١) ، والأعلام (٨/٣٠١) .

[2] حامع البيان (٤/٨٠-٨١) . وانظر مثله في البقرة (٨٥) ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ

ففرّق -رحمه الله- بين كلمة "جار" منكرة وكلمة "الجار " معرفة بـ(أل)، والآية على التعريف ؛ فتفسر على القريب في المسكن دون جارٍ قريب الرحم .

تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٦/١) ، و(٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٣/٢-٦٢٤) ، والأنبياء (١٠٥) ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥ ﴾ جامع البيان (٩٧/٩-٩٨) .

المطلب الثالث : النظر إلى تصريف الكلمة واشتقاقها :

ففي قوله –تعالى– : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) ﴾ [الفرقان: ٤٧] قال –رحمه الله : " وقوله ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ يقول : وجعل لكم النوم راحة ؛ تستريح به أبدانكم ، وتهدأ به جوارحكم . وقوله : ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ يقول –تعالى ذِكْره– : وجعل النهار يقظة وحياة ، من قولهم : نَشر الميتُ..ومنه قول الله : ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] وكان مجاهد يقول في تأويل...قوله : ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ قال : ينشر فيه ...وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ؛ لأنه عقيب قوله : ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ في الليل . فإذ كان ذلك كذلك ، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت .

والذي قاله مجاهد غير بعيد من الصواب ؛ لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشاً ، وفيه الانتشار للمعاش ، ولكن النشور مصدر من قول القائل : نشر ، فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه ، كما صحّت الرواية عن النبيّ –ﷺ– أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه : «الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أحْيانا بَعْدَما أماتَنا ، وَإلَيْهِ النّشُورُ» ." (١)

فرجح –رحمه الله– أن المراد بالنشور اليقظة من النوم لا الانتشار ؛ لسببين : الأول : مقابلة لحكمة النوم في الليل ، فلما كان النوم موتاً أصغر ، فالنهار حياة ونشور ، الثاني : أن مصدر نشر : نشوراً ، وليس مصدر انتشر : نشوراً .

وكذلك الاستدلال على المراد من العدد بتمييز المعدود : كما في قوله–تعالى–: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) ﴾ [البقرة: ٢٤٣] **قال –رحمه الله–**:"...وأولى الأقوال في مبلغ عدد القوم الذين

---

(١) جامع البيان (٩/٣٩٦-٣٩٧) . والحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا نام صفحة (١٣٣٦) حديث (٦٣١٢) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٤/٢٠٨٣) حديث (٢٧١١) .

وصف الله خروجهم من ديارهم بالصواب : قول من حدّ عددهم بزيادة عن عشرة آلاف ، دون من حده بأربعة آلاف ، وثلاثة آلاف ، وثمانية آلاف ؛ وذلك أن الله -تعالى ذِكْره- أخبر عنهم أنهم كانوا: ألوفاً، وما دون العشرة آلاف لا يقال لهم : ألوف ، وإنما يقال : هم آلاف ، إذا كانوا ثلاثة آلاف فصاعداً إلى العشرة آلاف ، وغير جائز أن يقال : هم خمسة ألوف ، أو عشرة ألوف ." (١)

---

(١) جامع البيان (٦٠٤/٢) ، وتحقيق شاكر (٢٧٦/٥) . وانظر البقرة (١٦٤) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ جامع البيان (٦٩/٢) ، وانظر مثله في المائدة

(٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ الآية جامع البيان (٤٠٧/٤-٤٠٨) .

المطلب الرابع : العطف بالواو يفيد التفريق لأنه الأشهر في الاستعمال :

ففي قوله -تعالى- : ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨)﴾ [النساء: ٣٨] " **قال أبو جعفر** : يعني بذلك - جلّ ثناؤه - : وأعتدنا للكافرين بالله من اليهود الذين وصف الله صفتهم عذاباً مهيناً . ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾ في موضع خفض عطفاً على "الكافرين" وقوله:... ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ﴾ يقول : ولا يصدّقون بوحدانية الله ولا بالميعاد إليه يوم القيامة ، الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن . وقد قال مجاهد : إن هذا من صفة اليهود .[قال أبو جعفر :] وهو بصفة أهل النفاق الذين كانوا أهل شرك فأظهروا الإسلام تقية من رسول الله -ﷺ- وأهل الإيمان به وهم على كفرهم مقيمون أشبه منهم بصفة اليهود ؛ لأن اليهود كانت توحد الله وتصدّق بالبعث والمعاد ، وإنما كان كفرُها تكذيبَها بنبوّة محمد -ﷺ-. وبعد : ففي فصل الله بين صفة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، وصفة الفريق الآخر الذين وصفهم في الآية قبلها وأخبر أن لهم عذاباً مهيناً ، بالواو الفاصلة بينهم ما ينبئ عن أنهما صفتان من نوعين من الناس مختلفي المعاني ، وإن كان جميعهم أهل كفر بالله . ولو كانت الصفتان كلتاهما صفة نوع من الناس لقيل إن شاء الله : وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ، الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولكن فصل بينهم بالواو لما وصفنا ." (١)

وقد يحدد مرجع الكلام المعطوف الأسلوب من خطاب أو غَيبة : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠)﴾ آل [عمران: ٥٠] " **قال أبو جعفر** : يعني بذلك - جلّ ثناؤه - : وبأني قد جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة، ولذلك نصب ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ على الحال من ﴿وَجِئْتُكُم﴾. والذي يدلّ على أنه نصب على قوله: ﴿وَجِئْتُكُم﴾ دون العطف على قوله: ﴿وَجِيهًا﴾ [آل

---

(١) جامع البيان (٩٠/٤) ، وتحقيق شاكر (٣٥٦/٨) .

عمران: ٤٥] ، قوله : ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ولو كان عطفاً على قوله : ﴿وَجِيهًا﴾ ، لكان الكلام : ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة ، وليحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم ." (١)

فاستدل –رحمه الله– على أن كلمة ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال من الفعل ﴿وَجِئْتُكُم﴾ دون العطف على كلمة ﴿وَجِيهًا﴾ وهي خطاب لغائب ؛ لأن ما بعد ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ جاء على صيغة المخاطب ، فيرجع بالخطاب إلى ما يلائمه .

---

(١) جامع البيان (٢٨٠/٣) ، وتحقيق شاكر (٤٣٨/٦) .

المطلب الخامس : الضمير والإشارة واسم الموصول ، وما يتعلق بها :

١-ما يتعلق بالضمير : (١)

أ – الأصل في الضمير أن يعود إلى مذكور في السياق : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩ ﴾ [النساء: ١٥٩] **قال -رحمه الله-** : في قوله -تعالى- : ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ﴾ "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك: فقال بعضهم: معنى ذلك : ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ يعني بعيسى ﴿ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ﴾ يعني : قبل موت عيسى ، يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال ، فتصير الملل كلها واحدة ، وهي ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم -ﷺ- ... **وقال آخرون** : يعني بذلك : وإنّ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي...**وقال آخرون** : معنى ذلك : و إنّ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد -ﷺ- قبل موت الكتابي...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة والصواب : قول من قال : تأويل ذلك : وإنّ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى...وأما الذي قال : عنى بقوله : ﴿ لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ﴾ ليؤمنن بمحمد -ﷺ- قبل موت الكتابي ، فمما لا وجه له مفهوم...[وممّا يدل على فساده] أنه لم يجر لمحمد – عليه الصلاة والسلام – في الآيات التي قبل ذلك ذكر ، فيجوز صرف الهاء التي في قوله : ﴿ لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ إلى أنها من ذِكْره ، وإنما قوله: ﴿ لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود ، فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها من : دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة ، فأما الدّعاوى فلا تتعذر على أحد ." (٢)

---

(١) موضوع الضمير مهم في اللغة العربية بوجه عام ، ومن أغمض أنواعه ضمير الغائب ، وقد يسر الله دراسة هذا الموضوع في مرحلة الدكتوراه ، وكان عنوانه : عود الضمير وأثره في التفسير دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل ، ونوقشت بتاريخ ١٤٣٠/٦/١٦هـ ، عسى ربي أن يسهل طبعها .

(٢) جامع البيان (٣٦٠/٤-٣٦١) ، وتحقيق شاكر (٣٧٩/٩) .

ب – أما تحديد ما يعود عليه الضمير فالأصل أن يكون إلى أقرب مذكور : كما في قوله -تعالى- : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [هود: ٩٢] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْره- : قال شعيب لقومه: يا قوم أعززتم قومكم ، فكانوا أعزّ عليكم من الله ، واستخففتم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ، ولا تعظّمونه حق عظمته؟! ... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهريّاً ، فالهاء في قوله : ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ على هذا من ذكر ما جاء به شعيب...

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ؛ لقرب قوله : ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ من قوله : ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فكانت الهاء في قوله : ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ بأن تكون من ذكر الله ؛ لقرب جوارها منه أشبهَ وأولى ." (١)

وهذا الترجيح يرجع لقاعدة : طلب اتصال السياق ، وعدم الفصل بين الجمل والكلمات ما أمكن .

وليس إرجاع الضمير للأقرب في كل المواضع بل قد يترك ذلك لدلالات أقوى كدلالة السياق : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[الحج: ٧٨] **قال -رحمه الله-**"وقوله : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا ﴾ يقول -تعالى ذِكْره- : سماكم يا معشر من آمن بمحمد -ﷺ- المسلمين من قبل ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل...**وقال آخرون**: بل معناه : إبراهيم سمّاكم المسلمين ، وقالوا هو كناية من ذكر إبراهيم -ﷺ -:...ابن زيد : [في قوله:] ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال : ألا ترى قول إبراهيم : ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً

---

(١) جامع البيان (١٠٤/٧-١٠٦) ، وتحقيق شاكر (٤٥٩/١٥) . وانظر مثالاً آخر في : الحج (٥٥) ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ جامع البيان (١٧٩/٩-١٨٠) .

لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] قال : هذا قول إبراهيم: ﴿ **هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴾ ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة ، ذكرت بالإيمان والإسلام جميعاً ، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان . ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك؛ لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسمّ أمة محمد مسلمين في القرآن ؛ لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل ، وقد قال الله -تعالى ذِكْره- : ﴿ **هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا** ﴾ ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن : الله الذي لم يزل ولا يزال ، وأما قوله : ﴿ **مِن قَبْلُ** ﴾ فإن معناه : من قبل نزول هذا القرآن ، في الكتب التي نزلت قبله ، ﴿ **وَفِى هَٰذَا** ﴾ يقول : وفي هذا الكتاب ." (١)

فليس إبراهيم -عليه السلام- هو مسمي المسلمين بهذا الاسم ؛ لأن التسمية هذه كانت في القرآن وفي الكتب التي قبله ، وهذه الكتب من كلام الله -عزّ وجلّ- لا من كلام إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام-.

ج -تحديد الضمير لا بد من موافقته لما قبله في التذكير والتأنيث: ففي قوله -تعالى-: ﴿ **ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ** (٨) ﴾ [الفجر: ٨] **قال -رحمه الله-** : " يقول - جلّ ثناؤه- : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد ، يعني : مثل عاد ، والهاء عائدة على عاد . وجائز أن تكون عائدة على إرم ؛ لما قد بينَّا قبل أنها قبيلة . وإنما عني بقوله ﴿ **لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا** ﴾ في العِظَم والبطش والأيد...وقال آخرون[كابن زيد:] بل معنى ذلك : ﴿ **ذَاتِ ٱلْعِمَادِ** (٧) **ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ** (٨) ﴾ [الفجر: ٧ - ٨] لم يخلق مثل الأعمدة في البلاد، وقالوا : ﴿ **ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا** ﴾ في صفة ذات العماد ، والهاء التي في ﴿ **مِثْلُهَا** ﴾ إنما هي من ذكر ذات العماد...وهذا قول لا وجه له ؛ لأن العماد واحد مذكر ، والتي للأنثى، ولا يوصف المذكر بالتي ، ولو كان ذلك من صفة العماد ؛ لقيل : الذي لم يخلق مثله في البلاد..." (٢)

---

(١) جامع البيان (٩/١٩٣-١٩٤) . وقريبٌ منه في النحل (١٠٠) ﴿ **إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ** (١٠٠) ﴾ جامع البيان (٧/٦٤٥-٦٤٦) .

(٢) جامع البيان (١٢/٥٦٨-٥٦٩) ، وانظر مواضع أخرى في البقرة (٢٢٩) ﴿ **ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ** ﴾
-

فكلّ ضمير يجب أن يرجع إلى ما يوافقه تذكيراً أو تأنيثاً ، وما خالف ذلك فضعيف كما في المثال ، حيث ورد فيه ضمير "التي" وهو ضمير مؤنث فلا يرجع للعماد لأنه مذكّر ، وإنما يرجع إلى ما يناسب المؤنث في سياق الآية وهو قبيلة عاد إرم .

٢- ما يتعلق بالإشارة :

أ-الإشارة تكون إلى المذكور القريب أولى من المذكور البعيد أو غير المذكور:

ففي قوله -تعالى- : ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦] **قال -رحمه الله-:** " اختلف أهل التأويل في معنى قوله – جل ثناؤه – لمحمد -ﷺ- : ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى وهو آخرهم ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه نذير لقومه، وكانت النذر الذين قبله نُذراً لقومهم ، كما يقال : هذا واحد من بني آدم ، وواحد من الناس... **وقال آخرون** : معنى ذلك غير هذا كله ، وقالوا : معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى...عن أبي مالك(١) ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ قال : مما أنذروا به قومهم في صحف إبراهيم وموسى ، وهذا الذي ذكرت عن أبي مالك أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله – تعالى ذِكْره – ذَكَرَ ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذير من النّذر الأولى ، التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم ، فقوله : ﴿هَٰذَا﴾ بأن تكون إشارة إلى ما تقدّمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك ." (٢)

الآية جامع البيان (٤٨٢/٢) ، والطلاق (٤) ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ الآية جامع البيان (١٣٤/١٢) .

(١) هو أبو مالك غزوان الغفاري ، تابعي محدث كوفي ، روى عن البراء وابن عباس ، وروى عنه السدي ، وثقه ابن معين ، وقال ابن حجر : ثقة من الثالثة . انظر تقريب التهذيب (١٠٥/٢) ، وتهذيب التهذيب (٢٤٥/٨)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال صفحة (٣٠٧) .

(٢) جامع البيان (٥٣٩/١١-٥٤٠) . وانظر مثله في سورة ص (٣٩) ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ جامع البيان (٥٨٥/١٠-٥٨٦) .

فاسم الإشارة : ﴿هَٰذَا﴾ يرجع إلى ما سبقه من نذر ومواعظ ، أولى مما بعُد محلّه ، أو لم يذكر في السياق .

ب- تحديد مرجع الإشارة إلى كل ما تقدم في السياق أو إلى بعضه راجع إلى تعقيبات القرآن : فإن من عادة القرآن التعقيب على الأحداث والأحكام فإذا لحق الكلام السابق تعقيب فالإشارة بعده تعود إلى السابق الذي لم يعقب عليه فقط ومثال ذلك :

قوله -تعالى- : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٣٠] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا ﴾ فقال بعضهم : معنى ذلك: ومن يقتل نفسه ، بمعنى : ومن يقتل أخاه المؤمن ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ ...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ومن يفعل ما حرّمته عليه من أوّل هذه السورة إلى قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ من نكاحِ من حرّمت نكاحه ، وتعدّي حدوده ، وأكلِ أموال الأيتام ظلماً ، وقتلِ النفس المحرّم قتلها ظلماً بغير حقّ . **وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ومن يأكل مال أخيه المسلم ظلماً بغير طيبِ نفسٍ منه ، وقتل أخاه المؤمن ظلماً، فسوف نصليه ناراً.

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : معناه : ومن يفعل ما حرّم الله عليه من قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾[النساء: ١٩] إلى قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ من نكاح المحرّمات ، وعضل المحرّم عضلُها من النّساء ، وأكل المال بالباطل ، وقتل المحرّم قتله من المؤمنين ؛ لأن كلّ ذلك مما وعد الله عليه أهله العقوبة . فإن قال قائل : فما منعك أن تجعل قوله : ﴿ذَٰلِكَ ﴾ معنيّاً به جميع ما أوعد الله عليه العقوبة من أول السورة ؟. قيل : منعني ذلك أن كلّ فصل من ذلك قد قرن بالوعيد ، إلى قوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨] ولا ذكر للعقوبة من بعد ذلك على ما حرّم الله في الآي التي بعده ، إلى قوله : ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ . فكان قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ معنياً به ما قلنا مما لم يُقرَن بالوعيد ، مع إجماع الجميع على أن الله -تعالى- قد توعّد على كلّ ذلك ، أولى من أن يكون معنيّاً به ما سلف فيه

الوعيد بالنّهي مقروناً قبل ذلك."(١)

٣- ما يتعلق باسم الموصول :

فصيغة اسم الموصول ترجح المقصود بالحكم : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ١٦ ﴾ [النساء: ١٦] **قال -رحمه الله-:** "...اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ **فقال بعضهم** : هما : البِكْران اللذان لم يُحصنا ، وهما غير اللاتي عُنِيْنَ بالآية قبلها .(٢) وقالوا: قوله: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ [النساء: ١٥] معنيّ به الثيبات المحصنات بالأزواج ، وقوله ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ يعني به : البكران غير المحصنين...**وقال آخرون** : بل عُني بقوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ الرجلان الزانيان...**وقال آخرون** : بل عني بذلك الرجل والمرأة، إلا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ قول من قال : عني به البكران غير المحصنين إذا زنيا وكان أحدهما رجلاً والآخر امرأة ؛ لأنه لو كان مقصوداً بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال ، كما كان مقصوداً بقوله : ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ قصد البيان عن حكم الزواني لقيل: والذين يأتونها منكم فآذوهم ، أو قيل : والذي يأتيها منكم ، كما قيل في التي قبلها: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ ﴾ فأخرج ذكرهنّ على الجميع ،

---

(١) جامع البيان (٤/٣٨-٣٩) ، وتحقيق شاكر (٨/٢٣٠) . وقريب منه في البقرة (٥) ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥ ﴾ جامع البيان (١/١٤٠) ، و(٢٢٣): ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٢٣ ﴾ جامع البيان (٢/٤١١) ، والنحل (١٠٥): ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ١٠٥ ﴾ جامع البيان (٧/٦٥٠-٦٥١) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ١٥ ﴾ [النساء: ١٥] .

و لم يقل : واللتان يأتيان الفاحشة. وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه ، أخرجت أسماء أهله بذكر الجميع أو الواحد ، وذلك أن الواحد يدلّ على جنسه ، ولا تخرجها بذكر اثنين ، فتقول : الذين يفعلون كذا فلهم كذا ، والذي يفعل كذا فله كذا ، ولا تقول : اللذان يفعلان كذا فلهما كذا ، إلا أن يكون فعلاً لا يكون إلا من شخصين مختلفين ، كالزنا لا يكون إلا من زان وزانية . فإذا كان ذلك كذلك ، قيل بذكر الاثنين، يراد بذلك الفاعل والمفعول به ، فأما أن يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل –قد ينفرد كلّ واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين –فذلك ما لا يعرف في كلامها . وإذ كان ذلك كذلك ، فبيّن فساد قول من قال : عُني بقوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾ الرجلان ، وصحة قول من قال : عني به الرجل والمرأة ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهنّ في قوله : ﴿وَٱلَّـٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَـٰحِشَةَ ﴾ ؛ لأن هذين اثنان وأولئك جماعة..."(١)

فظهر من استخدام اسم الموصول "اللذان" أن الحكم مراد به مثنى مكون من ذكر وأنثى فحسب ، ولو كان أراد الجمع من الذكور والإناث لاستخدم اسم الموصول المناسب لهم وهو : اللاتي أو اللائي .

وهذا إبداع في التفسير ، وتتبع للسياق عزيز ، إذ نظر إلى أقرب وعيد سابق ، فجعل ما بعده داخلاً تحت الوعيد الحاضر ، فلله درّ الإمام الطبري على هذا الاستدلال الدقيق ، والتفسير البديع ، ومتابعة دلالة السياق التي وفّق إليها . –رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء –.

---

(١) جامع البيان (٦٣٧/٣) ، وتحقيق شاكر (٨١/٨) .

المطلب السادس : الإعراب يرجّح القول المناسب :

ففي قوله -تعالى- : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢﴾ [هود: ٨٢] **قال -رحمه الله-:** " وأما قوله : ﴿مَّنضُودٍ﴾ **فإن قتادة وعكرمة يقولان فيه**...: ﴿مَّنضُودٍ﴾ يقول : مصفوفة ...**وقال الربيع بن أنس فيه**...: ﴿مَّنضُودٍ﴾ قال : نضد بعضه على بعض...**وقال بعضهم** : ﴿مَّنضُودٍ﴾ : يتبع بعضه بعضاً عليهم ، قال: فذلك نَضدُهُ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله : ﴿مَّنضُودٍ﴾ من نعت ﴿سِجِّيلٍ﴾ ، لا من نعت الحجارة ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض فصُيِّر حجارة ، و لم يمطروا الطين فيكون موصوفاً بأنه تتابع على القوم بمجيئه . قال أبو جعفر : وإنما كان جائزاً أن يكون على ما تأوّله هذا المتأوّل لو كان التنزيل بالنصب: منضودةً ، فيكون من نعت الحجارة حينئذٍ ." (١)

فترجح أن : ﴿مَّنضُودٍ﴾ نعت لكلمة : ﴿سِجِّيلٍ﴾ المجرورة ، وسجيل طين ، ثم وصف الطين بأنه منضود ، فصار معنى النضد راجع إلى كلمة ﴿سِجِّيلٍ﴾ ، ولو كانت نعتاً للحجارة لكانت منصوبة ، وإنما القراءة بالخفض لا بالنصب .

وفي قوله -تعالى- : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ ۝٢٠﴾ [المؤمنون: ٢٠] **قال -رحمه الله-** : في قوله : ﴿سَيْنَآءَ﴾ "...اختلف أهل التأويل في تأويله : **فقال بعضهم** : معناه : المبارك، كأن معنى الكلام عنده : وشجرة تخرج من جبل مبارك...**وقال آخرون** : معناه : حسن...**وقال آخرون** : هو اسم جبل معروف...**وقال آخرون** : معناه : أنه جبل ذو شجر...

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن ﴿سَيْنَآءَ﴾ اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل جبلا طيّئ ، فأضيفا إلى طيِّئ ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال : معناه : جبل مبارك ،

---

(١) جامع البيان (٩٣/٧) .

أو كما قال من قال : معناه : حسن ، لكان : الطور منوّناً ، وكان قوله : ﴿سِينِينَ﴾ من نعته ." (١)

فضعّف -رحمه الله- بعض الأقوال في تفسير : ﴿سِينِينَ﴾ ؛ لأنها تستلزم صرف الكلمة وتنوينها ، وهي في الآية ممنوعة من الصرف ، فلا بد من تفسير الكلمة بما يحافظ على حالتها الإعرابية في سياق الآية .

والحالة الإعرابية للكلمات اللاحقة قد تحدّد المنعوت : كما في قوله -تعالى- : ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ⑬﴾ [الصف: ١٣] **قال -رحمه الله-** : "اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله : ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ فقال بعض نحويِّ البصرة : معنى ذلك: وتجارة أخرى ، فعلى هذا القول يجب أن يكون : ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ في موضع خفض عطفاً به على قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑩﴾ [الصف: ١٠] ، وقد يحتمل أن يكون رفعاً على الابتداء . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : هي في موضع رفع. أي : ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة ، ثم قال : ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ مفسراً للأخرى .

والصواب من القول في ذلك عندي : القول الثاني ، وهو أنه معنّي به : ولكم أخرى تحبونها ؛ لأن قوله : ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ مبين عن أن قوله ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ في موضع رفع ، ولو كان جاء ذلك خفضاً حسن أن يجعل قوله : ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ عطفاً على قوله: ﴿تِجَارَةٍ﴾ ، فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرأ ذلك خفضاً : وعلى خلة أخرى تحبونها ." (٢)

فاستدلّ بجملة : ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ المرفوعة ، على أن أول الجملة وهي قوله : ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ كذلك في موضع رفع لا جرّ .

---

(١) جامع البيان (٩/٢٠٧-٢٠٨) . ومثله في التين (٢) ﴿وَطُورِ سِينِينَ ②﴾ جامع البيان (١٢/٦٣٣-٦٣٤) .

(٢) جامع البيان (١٢/٨٥) ، وانظر بقية المواضع في : البقرة (٨٨) ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ⑧⑧﴾ جامع البيان (١/٤٥٣) ، و(٢١٧) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٦٤-٣٦٥) ، والأنعام (١٥٦) ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ⑮⑥﴾ جامع البيان (٥/٤٠١-٤٠٢) .

ومعرفة المقصود من الاستثناء يرجح قولاً : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨] **قال -رحمه الله-** : "وقوله : ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بالاستثناء في هذه الآية : فقال بعضهم: عني به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت... **وقال آخرون** : عني بذلك الشهداء... **وقال آخرون** : عني بالاستثناء في الفزع : الشهداء ، وفي الصعق : جبريل وملك الموت وحملة العرش...عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله -ﷺ- : «يُنفَخُ في الصّور ثلاث نَفَخاتٍ : الأُولى : نَفخَةُ الفَزَعِ ، والثّانِيَةُ : نَفخَةُ الصّعْقِ ، والثّالِثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيامِ لِرَبّ العالَمِينَ - تَبارَكَ وَتَعالى ، يأْمُرُ اللّهُ إسْرَافِيلَ بالنّفخَةِ الأُولى ، فيَقولُ : انْفُخْ نَفخَةَ الفَزَعِ ، فَتَفزَعُ أهْلُ السّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ إلاّ مَنْ شَاءَ اللّهُ» قال أبو هريرة : يا رسولَ الله ، فمن استثنىَ حين يقول : ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾[النمل: ٨٧] قال : «أُولَئِكَ الشّهَداءُ، وإنّما يَصلُ الفَزَعُ إلى الأحْياءِ ، أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَقاهُمُ اللّهُ فَزَعَ ذلكَ اليَوْمِ وأمّنَهُمْ ، ثُمّ يَأْمُرُ اللّهُ إسْرافِيلَ بنَفْخَةِ الصّعْقِ ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الصّعْقِ ، فَيَصْعَقُ أهْلُ السّمَوَاتِ والأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ فإذا هُمْ خامِدُونَ ، ثُمّ يأتِي مَلَكُ المَوْتِ إلى الجَبّارِ - تَبارَكَ وَتَعالى- فَيَقُولُ : يا رَبّ قَدْ ماتَ أهْلُ السّمَوَاتِ والأرْضِ إلاّ مَنْ شِئْتَ ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيتَ أنْتَ الحَيّ الّذِي لا يَمُوتُ ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جِبْرِيلَ وَمِيكائِيلُ . فَيَقُولُ اللّهُ لَهُ : اسْكتْ إنّي كَتَبْتُ المَوْتَ على مَنْ كانَ تَحْتَ عَرْشِي ، ثُمّ يأتِي مَلَكُ المَوْتِ فَيَقُولُ : يا رَب قَدْ ماتَ جِبْرِيلُ وَمِيكائِيلُ ، فَيَقولُ اللّهُ وَهُوَ أعْلَمُ : فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقولُ : بَقِيتَ أنتَ الحيّ الّذِي لا يَمُوتُ ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِيتُ أنا ، فَيَقُولُ اللّهُ : فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ العَرْشِ،فَيَمُوتُونَ وَيأْمُرُ اللّهُ -تعالى- العَرْشَ فَيَقْبِضُ الصّورَ . فَيَقُولُ: أيْ رَبّ قَدْ ماتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، فَيَقُولُ : مَنْ بَقِي؟ وَهُوَ أعْلَمُ، فَيَقُولُ: بَقِيت أنْتَ الحَيّ الّذِي لا يَمُوتُ ، وَبَقِيتُ أنا ، قال : فَيَقُولُ اللّهُ : أنْتَ مِنْ خَلقِي خَلَقْتُكَ لِمَا رأيْتَ، فَمُتْ لا تَحْيَى ، فَيَمُوتُ»(١) .

---

(١) وإسناد ابن جرير قال : حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ورفعه ، وفي الإسناد :
-

وهذا القول الذي رُوي في ذلك عن رسول الله -ﷺ- أولى بالصحة ؛ لأن الصعقة في هذا الموضع : الموت . والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله -تعالى ذِكْره- فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك . وإنما عنى - جلّ ثناؤه - بالاستثناء في هذا الموضع ، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق ، لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل ، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق ، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، فذاق الموت من قبل ذلك ؛ لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت إذا كان الميت لا يجدّد له موت آخر في تلك الحال..." (١)

فهذا الخبر في الآية : عن وقوع صعقة الموت على خلق كثير وعدم وقوعها على الذين استثناهم الله ، دليل على أن إدخال الشهداء فيمن استثناهم الله ضعيف ؛ لأنه قد وقع عليهم الموت قبل الصعقة .-والله أعلم -.

وليس الدليل على خروج الشهداء الحديث المرفوع فقط ؛ لأنه ضعيف ، وإن كان يستأنس به، ولكن لما كان المراد من الاستثناء في الآية هنا : إثبات أن الله خص أناساً بعدم الموت وأن أكثر الخلق يموتون ؛ كان ذلك دليلاً على أن الشهداء لا يدخلون فيمن نجاهم الله من صعقة الموت لأنهم

إسماعيل بن رافع ضعفه كثير من الأئمة ، وفي تقريب التهذيب : ضعيف الحفظ (٦٩/١) ، وفيه مبهمان وهما : رجل من الأنصار ، ومحمد بن كعب تابعي ، وساق ابن كثير رواية قريبة للطبراني ثم قال : " هذا حديث مشهور ، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة "تفسير القرآن العظيم (١٤١/٢) ، قال ابن حجر في فتح الباري : وسنده ضعيف ومضطرب (٣٦٩/١١) ، وقد أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده (٨٥/١) ، وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٨٢٣/٣) ، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢٨٣/١) ، ومدار الحديث عندهم على إسماعيل بن رافع .

(١) جامع البيان (٢٧/١١-٢٩) . وانظر مواضع أخرى في آل عمران (١١٢) ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٥/٣-٣٩٦) ، والمائدة (١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٠/٤) ، و(٣) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٢/٣-٤١٣) .

ماتوا .–والله أعلم –.

ومن خلال الأمثلة السابقة يتبين : ما للسياق من أثر واضح في تقوية الأقوال وتضعيفها رجوعاً إلى اللغة العربية ، سواء كان ذلك بسبب اختيار المعنى المناسب للكلمة في سياق الآيات ، أو اختيار أكثر المعاني استعمالاً ، أو مراعاة الأصل اللغوي وتصريف الألفاظ في المفردة ، أو تغاير المعنى في العطف بالواو والفاء وثم ، أو تحديد مرجع الضمير ، والإشارة ، والموقع الإعرابي ، ونحو ذلك .

وهذا يؤكد ما لمعرفة اللغة العربية التي نزل بها القرآن من منزلة عند العلماء ، فهي من الشروط التي لا يقبل التهاون بها بحال ، وقد نهل العلماء من علم الإمام الطبري –رحمه الله– باللغة إلى يومنا هذا ولا يزالون .

المبحث الثاني : الخصوص والعموم :

قد يختلف المفسرون في المقصود بالآية : هل هو العموم أم الخصوص ؟ .

وسأعرض في هذا المبحث الأمثلة المندرجة تحت ترجيح الخصوص أو العموم من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول : العام محدّد بالأوصاف المذكورة في الآية .

المطلب الثاني : قد يلزم من القول بالعموم ترجيح قول على آخر .

المطلب الثالث : أولى العموم ما كان مذكوراً في السياق .

المطلب الرابع : الأصل العموم ولا يخص اللفظ إلا بدليل .

المطلب الأول : العام محدّد بالأوصاف المذكورة في الآية :

١- فاللفظ يكون عاماً ولكن عمومه في نوع معين : مثال ذلك في قول الله -تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠ ﴾ [ق: ٤٠] **قال -رحمه الله- :** " اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي أُمر به من الليل : **فقال بعضهم** : عني به صلاة العَتَمة [1]...**وقال آخرون** : هي الصلاة بالليل في أيّ وقت صلى...عن مجاهد ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ قال : من الليل كله ، والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب ، وذلك أن الله - جلّ ثناؤه - قال: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ فلم يَحُدّ وقتاً من الليل دون وقت . وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل . وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، فهو بأن يكون أمراً بصلاة المغرب والعشاء ، أشبه منه بأن يكون أمراً بصلاة العَتَمة ؛ لأنهما يصلّيان ليلاً ."[2]

---

[1] العتمة : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشمس والشفق . معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢٤/٣) ، وعزاه للخليل بن أحمد ، وقد ورد النهي عن تسمية العشاء بالعتمة ، وأظهر الأقوال عند ابن القيم -رحمه الله- أن النهي عن استعمال لفظ العتمة إذا كان دائماً مع إهمال لفظ العشاء . انظر حاشية ابن القيم على أبي داود (٢٧٦/٧-٢٧٧) ، وفتح الباري (٤٥/٢) .

[2] جامع البيان (٤٣٥/١١-٤٣٦) . وانظر مواضع أخرى مشابهة في البقرة (٢٢) ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٩/١-٢٠٠) ، و(٣٧) ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾البقرة: ٣٦ الآية جامع البيان (٢٧٩/١-٢٨٠) ، و(٦٢) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢ ﴾ جامع البيان (٣٦٤/١-٣٦٥)، وآل عمران (٢٣) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ٢٣ ﴾ جامع البيان (٢١٧/٣-٢١٨) ، والمائدة (٣٣) ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥١/٤-٥٥٢) ، والأنعام (١٤٦) ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٢/٥) ، والمرسلات (١) ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ١ ﴾ جامع البيان (٣٧٨/١٢) .

٢- وقد يكون السياق فيه وصف معين ولكن لا يراد به الخصوص: كما في قوله -تعالى-: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝٢٣٦ ﴾ [البقرة: ٢٣٦] بين -رحمه الله- أن الخبر بأن المتعة للمطلقة حق على المحسنين في هذه الآية وغيرها (١) لا يفيد تخصيص الأمر لهم ، بل يدخل عموم المكلفين ؛ لأن الله -عزّ وجلّ- أمرهم جميعاً بالإحسان والتقوى في كتابه ، كما في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقوله : ﴿ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] وما وجب على هؤلاء الأخيار فغيرهم من باب الأولى .(٢)، والآية الأخيرة في سورة البقرة نفسها .

---

(١) ورد نحو الآية في أن الأمر حق على المتقين دون غيرهم في : البقرة (١٨٠) ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝١٨٠ ﴾ ، و(٢٤١) ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝٢٤١ ﴾.

(٢) انظر جامع البيان (٥٤٩/٢و٥٥١) الكلام بمعناه ، وتحقيق شاكر (١٣٣/٥) .

المطلب الثاني:قد يلزم من القول بالعموم ترجيح قولٍ آخر :

القول بالعموم قد يلزم منه دلالة أخرى أو ترجيح : ففي قوله -تعالى- : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٦] **قال -رحمه الله –** :"...وأما معنى قوله – جلّ ثناؤه – : ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُني به ، فقال بعضهم : عُني به أهل قبلتنا من المسلمين...**وقال آخرون**: عنى بذلك : كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن، حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بيّن في كتابه[1]...**وقال آخرون** : بل الذين عُنوا بقوله : ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ المنافقون...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب:...أنه عنى بذلك جميع الكفار، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقرّوا به يوم قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ﴾[الأعراف: ١٧٢] . وذلك أن الله – جلّ ثناؤه – جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما سُوْداً وجوهُه ، والآخر بِيْضاً وجوهُه ، فمعلوم -إذْ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان – أن جميع الكفار داخلون في فريق من سُوِّد وجهُه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّضَ وجهُه ، فلا وجه إذاً لقول قائل عنى بقوله: ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ بعض الكفار دون بعض، وقد عمّ الله– جلّ ثناؤه – الخبر عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادة بذلك ." [2]

فلما كان الناس قسمين : مؤمنين وكافرين فقط لم يصح تخصيص من آمن ثم كفر بالمرتد المعروف ؛ لأن هناك من لم يؤمن مطلقاً فيخرج عن القسمين ويكون قسماً ثالثاً ، ولكن يصح التقسيم

---

[1] وهي قوله تعالى في الأعراف (١٧٢) : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ .

[2] جامع البيان (٣/٣٨٦-٣٨٧) ، وتحقيق شاكر (٧/٩٤) . وانظر مثله في النساء (٥) ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (٣/٤٩٠) .

كما في قوله –تعالى– : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، ويدخل جميع الناس إذا قلنا إن الإيمان هو الفطرة ، وإيمانهم لما استشهدهم ربهم –عزّ وجلّ– وهم في ظهر آدم ، ويكون معنى الكفر هو الموت عليه ، سواء كان مؤمناً ثم ارتد ، أو كان كافراً أصليّاً ، ويكون معنى الإيمان : من مات على الإيمان سواء ولد مؤمناً ، أو كان كافراً ثم آمن ، ويكون التقسيم شاملاً لجميع الخلق كما في الآية الكريمة .

ولا يقال بالعموم في الخطاب إذا كان في الخطاب إشارة لتخصيص ؛ لأنه إذا جعل عاماً ذهب المقصود : ففي قوله –تعالى– : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧] **قال –رحمه الله–**: " يقول –تعالى ذِكْره– خُلِق الإنسان يعني : آدم من عجل. واختلف أهل التأويل في تأويله : **فقال بعضهم** : معناه : من عَجَلٍ في بنيته، وخلقته كان من العجلة وعلى العجلة...**وقال آخرون** : معناه: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ﴾ أي: من تعجيل في خلق الله إياه ، ومن سرعة فيه ، وعلى عجل . وقالوا : خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها...وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة: إنما قال : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ﴾ وهو يعني : أنه خلقه من تعجيل من الأمر؛ لأنه قال : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] قال : فهذا العجل. وقوله : ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ إنّي سأُريكُمْ آياتي. وعلى قول صاحب هذه المقالة ، يجب أن يكون كلّ خلق الله خُلق على عجل ؛ لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان . فإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه خصوص الإنسان إذاً بذكر أنه خُلق من عجل دون الأشياء كلها وكلها مخلوق من عجل؟ . وفي خصوص الله –تعالى ذِكْره– الإنسان بذلك الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه المقالة...وقال آخرون منهم : هذا من المقلوب ، وإنما خلق العجل من الإنسان ، وخلقت العجلة من الإنسان ...وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول ، الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا : الذي ذكرناه عمن قال معناه : خُلق الإنسان من عجل في خلقه ، أيْ : على عجل وسرعة في ذلك . وإنما قيل ذلك كذلك ؛ لأنه

بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة ، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح..." (١)

فقول الله -تعالى- : ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ تخصيص له ، وتفسير الآية بخلقه بكلمة : كن ، ضعيف ؛ لأن ذلك ليس خاصّاً بالإنسان ، بل هو عام للخلق ، قال -تعالى- : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ ؛ ولذلك يجب أن يفسر بما اختص به الإنسان دون ما كان عاماً لجميع الخلق .

والمقصود من المثال : تضعيف قول من قال : معنى : "خلق من عجل" : أي : بقول الله -عزّ وجلّ- للإنسان : كن فكان ؛ لأن هذا يشترك فيه جميع الخلق ، وأما أن آدم حصل منه أنه استعجل القيام ، أو أنه خلق آخر العصر من يوم الجمعة وأنه طلب تتميم خلقه قبل غروب الشمس ، فالظاهر أنه من الإسرائيليات ، " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " (٢) ، وهو داخل تحت العموم في المعنى الراجح وهو : أن الإنسان مطبوع على العجلة ، وأنها لا تنفك عنه ، كما قال -عزّ وجلّ- : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] (٣) ، وقد مثّل سبحانه على استعجال الإنسان بعد ذكر خلقه من عجل فقال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٨] .

---

(١) جامع البيان (٩/٢٦-٢٨) .

(٢) رواه البخاري وغيره . برقم (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) وانظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني صفحة (٥٤٨-٥٤٩) ، وفتح القدير للشوكاني (٣/٤٠٧-٤٠٨) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٣/١٠١-١٠٢) .

المطلب الثالث : أولى العموم ما كان مذكوراً في السياق :

حين يكون اللفظ عاماً فإن المراد ما يدخل تحت معنى هذا اللفظ ، ومن باب التفريق بين دلالة اللفظ ودلالة السياق ، فقد اعتبر دخول ما في السياق دخولاً أوليّاً :

ففي قوله -تعالى- : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧] **قال -رحمه الله-:** " واختلفوا في تأويل قوله : ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ **فقال بعضهم :** الولد...**وقال بعضهم :** معنى ذلك ليلة القدر...**وقال آخرون :** بل معناه : ما أحلّه الله لكم ورخصه لكم...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْره- قال : ﴿وَابْتَغُوا﴾ بمعنى : اطلبوا ، ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾ يعني : الذي قضى الله -تعالى- لكم. وإنما يريد الله -تعالى ذِكْره- : اطلبوا الذي كتبت لكم في اللوح المحفوظ أنه يباح فيطلق لكم ، وطلب الولد إن طلبه الرجل بجماعه المرأة مما كتب الله له في اللوح المحفوظ ، وكذلك إن طلب ليلة القدر ، فهو مما كتب الله له ، وكذلك إن طلب ما أحلّ الله وأباحه ، فهو مما كتبه له في اللوح المحفوظ . وقد يدخل في قوله : ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ جميع معاني الخير المطلوبة ، غير أن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال معناه : وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد ؛ لأنه عقيب قوله : ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ بمعنى : جامعوهنّ ، فلأن يكون قوله: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بمعنى : وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهنّ من الولد والنسل أشبه بالآية من غيره من التأويلات ،التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل، ولا خبر عن الرسول -ﷺ- ." (١)

وهذا العموم في قوله : ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يدخل فيه أولاً : ما كان السياق فيه، وهو ابتغاء

---

(١) جامع البيان (٢/١٧٥-١٧٦) . ومثله في البقرة أيضا الآية (١٩٥) ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢١١) .

الولد ؛ لإتيانه بعد المباشرة للأزواج ، ويدخل كل ما يطلب مما كتب لدخول كل هذه المعاني في أنها مكتوبة في اللوح المحفوظ .

وقد يحمل الإمام الخطاب على العموم مع أن الخطاب لمعيّنين [1]: ففي قوله -تعالى- : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١]...في قوله -تعالى- ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في الإسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية ، ومن المنهي عنه ؟. فقال بعضهم : المنهيّ عنه : ربّ النخل والزرع والثمر ، والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية : مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف بربّ المال...وقال آخرون : الإسراف الذي نهى الله عنه في هذا الموضع : منع الصدقة والحقّ الذي أمر الله ربّ المال بإيتائه أهله بقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ ...**وقال آخرون** : إنما خوطب بهذا السلطان: نهي أن يأخذ من ربّ المال فوق الذي ألزم الله ماله...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْره- نهى بقوله : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ عن جميع معاني الإسراف ، ولم يخصص منها معنى دون معنى. وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الإسراف في كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحقّ في العطية ، إما بتجاوز حدّه في الزيادة ، وإما بتقصير عن حدّه الواجب ، كان معلوماً أن المفرِّق ماله مباراةً ، والباذلَهُ للناس حتى أجحفت به عطيته : مسرف بتجاوزه حدّ الله إلى ما [ليس له] ، وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه ، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه ، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها ، وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه . كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون ، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم ، إذ كان ما قبله من الكلام أمراً من الله بإيتاء

---

[1] سبق الحديث تفصيلاً عن ذلك في قاعدة : تعين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم صفحة (٢٧٨) وما بعدها .

الواجب فيه أهله يوم حصاده ، فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله -ﷺ- بسبب خاص من الأمور ، والحكم بها على العامّ ، بل عامة آي القرآن كذلك ، فكذلك قوله : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ." (١).

وقد يجعل ما ورد في السياق مما يصح به التفسير محتملاً : كما في قوله –تعالى- : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤] **قال –رحمه الله–** :"...اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى اللّهُ بها إبراهيمَ نبيّه وخليلَهُ –صلوات الله عليه–: **فقال بعضهم:** هي شرائع الإسلام ، وهي ثلاثون سهماً[أي : شعبة وخصلة]...**وقال آخرون** : هي خصال عشرٌ من سنن الإسلام... **وقال بعضهم** : بل الكلمات التي ابتلي بهن عشر خلال بعضهنّ في تطهير الجسد ، وبعضهنّ في مناسك الحجّ...وقال آخرون : بل ذلك: إني جاعلك للناس إماماً في مناسك الحجّ...عن أبي صالح في قوله : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ : فمنهن : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، وآيات النسك...[و] عن مجاهد في قوله : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمرٍ فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً !. قال : نعم. قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين . قال : تجعل البيت مثابة للناس . قال : نعم . [قال :] وأمْناً ، قال: نعم. [قال :] وتجعلنا مسلمَين لك ، ومن ذرّيتنا أمة مسلمة لك قال : نعم . [قال :] وترينا مناسكنا وتتوب علينا . قال : نعم . قال : وتجعل هذا البلد آمناً قال : نعم . قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم . قال : نعم...عن الربيع في قوله : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ : فالكلمات : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] وقوله : ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال: فذلك كلّه من الكلمات التي ابتلي بهنّ إبراهيم...**وقال آخرون** : بل ذلك مناسك الحجّ خاصة...**وقال آخرون** : هي أمور منهن

---

(١) جامع البيان (٣٧١/٥) ، وتحقيق شاكر (١٧٣/١٢) . ومثله في الإسراء (٧٢) ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ جامع البيان (١١٧/٨-١١٨) .

الختان...**وقال آخرون** : بل ذلك الخلال الستّ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلي بهنّ فصبر عليهنّ...**وقال آخرون** [عن السدي]:...الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم ربه : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ البقرة: [١٢٧ - ١٢٩].

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله –عزّ وجلّ– أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات ، أوحاهن إليه ، وأمره أن يعمل بهنّ ، فأتمهنّ كما أخبر الله – جلّ ثناؤه – عنه أنه فعل . وجائز أن تكون تلك الكلمات : جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات ، وجائز أن تكون بعضه ؛ لأن إبراهيم –صلوات الله عليه –قد كان امتُحن فيما بلغنا بكل ذلك ، فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمْره الواجب عليه فيه . وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز لأحد أن يقول : عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ، ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر عن الرسول –ﷺ– ، أو إجماع من الحجة ، و لم يصحّ فيه شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته...ولو قال قائل في ذلك : إن الذي قاله مجاهد ، وأبو صالح ، والربيع بن أنس ، أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم ، كان مذهباً ؛ لأن قوله : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[البقرة: ١٢٤] وقوله : ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] وسائر الآيات التي هي نظير ذلك ، كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهنّ إبراهيم ." (١)

وإنما جعل ما ورد في سياق الآيات محتملاً ؛ لعدم ظهور الدلالة على أن ما بعد الكلمات تفسير لها ، فقال باحتمال الأقوال وأن كلاًّ له وجهه وحظه من النظر ، وتفسيرها بما يصلح من السياق مذهب .

---

(١) جامع البيان (٥٧٥/١-٥٧٦) ، وتحقيق شاكر (٧/٣) .

المطلب الرابع : الأصل في الخطاب العموم ، ولا بد من دليل على التخصيص:

١- الأصل العموم ولا يخص اللفظ إلا بدليل :

ففي قوله -تعالى- :﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) ﴾ [الشورى: ٣٩] **قال -رحمه الله-:** "يقول -تعالى ذِكْره- : والذين إذا بغى عليهم باغٍ واعتدى عليهم ينتصرون . ثم اختلف أهل التأويل في الباغي الذي حمد - تعالى ذكره - المنتصر منه بعد بغيه عليه : فقال بعضهم: هو المشرك إذا بغى على المسلم...**وقال آخرون** : بل هو كل باغٍ بغى فحمد المنتصر منه...وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب ؛ لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى ، بل حمد كلّ منتصر بحقّ ممن بغى عليه."[١]

فالانتصار المحمود في الاقتصاص من الظالم الباغي ، على أي ظلم وقع من مسلم أو كافر ، ولابد أن يكون العافي والمصلح في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾ الشورى: [٣٩ - ٤٠] هو المسلم فقط ؛ لأن سياقها فيه ، ولا يؤجر إلا المسلم الموحد ، وأما الباغي: فيدخل فيه المسلم والكافر -والله أعلم-.

٢- أدلة تخصيص العموم عند الإمام الطبري -رحمه الله- :

أ- من أدلة تخصيص العموم ما يتبعه من تعقيب : ففي قوله -تعالى- : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) ﴾ [البقرة: ٨١] **قال أبو جعفر :** " وأما السيئة التي ذكر الله في هذا المكان فإنها الشرك بالله...**قال أبو جعفر** : وإنما قلنا : إن السيئة -التي

---

[١] حامع البيان (١١/١٥٥) . ومثله في : البقرة (١٨) ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) ﴾ حامع البيان (١/١٨١)، و(٤٤) ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ حامع البيان (١/٢٩٦-٢٩٧) ، و(٢٢٤) ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) ﴾ حامع البيان (٢/٤١٥) ، والروم (٢٦) ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (٢٦) ﴾ حامع البيان (١٠/١٧٩) ، والرحمن (٧٢) ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) ﴾ حامع البيان (١١/٦١٦) .

ذكر الله – جلّ ثناؤه – أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدين فيها -في هذا الموضع ، إنما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرها في التلاوة عامّاً ؛ لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار ، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به لتظاهر الأخبار عن رسول الله -ﷺ- بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها ، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله ، دون أهل الإيمان ، فإن الله – جلّ ثناؤه – قد قرن بقوله : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ قولَهُ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٨٢] فكان معلوماً بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات ، غير الذي لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان..."(١)

فاستدل -رحمه الله- على معنى السيئة التي خلد أصحابها في النار بأنها الشرك ؛ لأن مقابل هذا الفريق هم المؤمنون الخالدون في الجنة ، ولا شك أن مقابل الكفر الإيمان وليست السيئة : المعصية من مسلم موحد (٢).

ب- ومن أدلة تخصيص العموم الاستثناء : كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] **قال أبو جعفر** : "اختلف أهل التأويل في الشحوم التي أخبر الله -تعالى ذِكْره- أنه حرّمها على اليهود من البقر والغنم: فقال بعضهم : هي شحوم الثروب خاصة (٣)...**وقال آخرون** : بل ذلك كان كلّ شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم...وقال آخرون : بل ذلك شحم الثّرْب والكُلى...

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرّم على اليهود

---

(١) جامع البيان (٤٢٨/١-٤٢٩) ، وتحقيق شاكر (٢٨١/٢) . وانظر مثله في البقرة أيضاً آية (١٩٧) ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٢/٢و٢٨٧و٢٨٩) .

(٢) انظر تفسير آيات أشكلت (٣٨٨/١) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الشيخ : عبد العزيز الخليفة .

(٣) الثروب : الشحم الذي يغشى الكرش والأمعاء ، وهو رقيق ، انظر مختار الصحاح صفحة (٧٠) .

من البقر والغنم شحومهما ، إلا ما استثناه منها : مما حملت ظهورهما ، أو الحوايا ، أو ما اختلط بعظم، فكلّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم، فإنه كان محرّماً عليهم ." (١)

فالله –عزّ وجلّ –حرم الشحوم على اليهود واستثنى منها أشياء فكل المستثنى حلال ، وكل ما لم يدخل في المستثنى حرام .

ج– **ومن أدلة تخصيص العموم : المقابلة لشيء واللفظ عام** : كما في قوله –تعالى –: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٣٩ ﴾ [الأنعام: ١٣٩] **قال –رحمه الله–**: " وأما قوله : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنّي بالأزواج : **فقال بعضهم** : عنى بها النساء...**وقال آخرون** : بل عنى بالأزواج البنات...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما في بطون هذه الأنعام –يعني : أنعامهم– : هذا محرّم على أزواجنا ، والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم ، وهن –لا شكّ– بنات من هن أولاده ، وحلائل من هنّ أزواجه ." (٢)

فاستفيد من مقابلة الأزواج بالذكور : أن الأزواج : الإناث ، سواء كن متزوجات أم غير متزوجات ، وفي ذلك **قال الشوكاني –رحمه الله–**: " جنس الأزواج، وهن النساء ، فيدخل في ذلك البنات والأخوات ونحوهن ." (٣)

ومن سوق الأمثلة الماضية وما يشابهها يظهر للمتأمل : أن العموم والخصوص بحسب ما يضاف إلى اللفظ من أوصاف وحدود ، وأن هناك لوازم تلزم القول بالعموم ، وهناك أمور مانعة من القول بالعموم أيضاً ، وأن كل لفظ عام فإن ما ذكر في السياق يدخل فيه دخولاً أوليّاً ، وأن الأصل في المعنى العموم ، إلا أن يدل دليل على الخصوص ، كالتعقيب والاستثناء والمقابلة .

---

(١) جامع البيان (٣٨٣/٥) ، وتحقيق شاكر (٢٠١/١٢) .

(٢) جامع البيان (٣٥٨/٥) ، وتحقيق شاكر (١٣٩/١٢) .

(٣) فتح القدير (١٦٧/٢) ، وانظر روح المعاني للآلوسي (٥٣/٨) .

المبحث الثالث : مراعاة المخاطب والمتكلم :

إن مراعاة المخاطب والمتكلّم الواردة في السياق توصل إلى ترجيح ما يناسبهما وتضعف ما سوى ذلك ، فالمخاطب أو المتكلم إذا كان هو الله -عزّ وجلّ-فإن معنى الكلام يحمل على ما يناسب صفاته ، ويتفق مع مراده ، دون الأشياء التي لا تدخل تحت قصده ، ولا تكون من مراده ، وكذا حزب الله من الأنبياء والصالحين ، وأعداؤه من الشياطين والكافرين ونحوهم ، يحمل كلامهم على ما يناسب قصدهم ومرادهم دون غيره.

١- مثال على مراعاة المخاطب والموصوف : في قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦)﴾ [النحل: ٧٥ - ٧٦] **رجح -رحمه الله - :** أن المراد في المثل الأول : في قوله : ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ﴾ هو المؤمن وليس الله -عزّ وجلّ- ؛ لقوله : ﴿رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ﴾ والله هو الرازق لا المرزوق ، وليس إفضال الله وجوده مثل إنفاق من رزق رزقاً حسناً .

وفي المثل الثاني : رجح أن المراد بقوله : ﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ﴾ : الصنم العاجز عن كل شيء ، وليس المراد البشر من الكفار الأحياء ؛ لأن من الكفار : من هو قادر غني ، يبذل جهده فيضر وينفع -بإذن الله- ، والله -سبحانه - ذكر أنهم لا يقدرون على شيء ، وهذا الوصف يناسب الصنم العاجز ، لا الكافر الذي له شيء من القدرة والبيان.(١)

٢- مثال على ترجيح معنى مناسب بعد تحديد المخاطب : كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ

---

(١) انظر جامع البيان (٧/٦٢٢-٦٢٤) بمعناه .

لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ٦٦﴾ [يس: ٦٦] **قال –رحمه الله–:** "اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ **فقال بعضهم** : معنى ذلك : ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى ، وأضللناهم عن قصد المَحَجّة...وقال آخرون : معنى ذلك : ولو نشاء لتركناهم عمياً...عن الحسن في قوله: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ٦٦﴾ قال : لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عمياً يتردّدون...[و] عن قتادة : قوله : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ٦٦﴾ يقول : لو شئنا لتركناهم عمياً يتردّدون . وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام ؛ لأن الله إنما تهدّد به قوماً كفاراً ، فلا وجه لأن يقال : وهم كفار ، لو نشاء لأضللناهم ، وقد أضلهم ، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم ، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عمياً ، لا يبصرون طريقاً ، ولا يهتدون له ." (١)

فتهديد الكفار بطمس الأعين معناه : عقوبة حقيقيَّة بعمى البصر ، ولا يصح حمل التهديد على شيء مجازي واقع بهم وقت الخطاب ، أو في نص الخطاب كالضلال والغي .

٣– تضعيف السياق لتحديد مخاطب بعيد : ولذلك سببان :

أ– تضعيف تحديد مخاطب في الآية للزوم تكرار لا فائدة له .

ب–تضعيف تحديد مخاطب في الآية إذا ترتّب عليه اختلاف المعنى بين معطوفين مشتركين .

---

(١) حامع البيان (١٠/٤٥٨-٤٥٩) . وانظر مواضع أخرى مشابهة في : البقرة (١٦٦) ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ حامع البيان (٢/٧٥) ، و(٢١٧) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية حامع البيان (٢/٣٦٤) ، والمائدة (٢٤) ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ حامع البيان (٤/٥٢١) ، والأنعام (١١٩) ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ الآية حامع البيان (٥/٣٢١) ، والأعراف (٢٩-٣٠) ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾..الآيتين حامع البيان (٥/٤٦٥و٤٦٧) ، والفرقان (٢٢) ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ٢٢﴾ حامع البيان (٩/٣٧٩-٣٨٠) ، والجن (٣) ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ٣﴾ حامع البيان (١٢/٢٦٠-٢٦١) .

أ- تضعيف تحديد مخاطب في الآية للزوم تكرار لا فائدة له :ففي قوله -تعالى-: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٔانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٨] **قال -رحمه الله-** : "واختلف أهل التأويل فيمن عُني بقوله : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٔانَ ﴾ **فقال بعضهم** : عُني به أهل النفاق...**وقال آخرون** : بل عني بذلك أهل الإسلام...عن سفيان[أي : الثوري] قال : بلغنا في هذه الآية : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٔانَ ﴾ قال : هم المسلمون ، ألا ترى أنه قال : ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ؟ . **وقال آخرون** : بل هذه الآية كانت نزلت في أهل الإيمان ، غير أنها نسخت...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : ما ذكره الثوري أنه بلغه أنه في الإسلام ، وذلك أن المنافقين كفار ، فلو كان معنيّاً به أهل النفاق لم يكن لقوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ معنى مفهوم ؛ إذْ كانوا والذين قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار ، ولا وجه لتفريق أحكامهم والمعنى الذي من أجله بطل أن تكون [لهم] توبة واحد . وفي تفرقة الله – جلّ ثناؤه – بين أسمائهم وصفاتهم بأن سمى أحد الصنفين كافرا ، ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات ، ولم يسمهم كفاراً ما دلّ على افتراق معانيهم ، وفي صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا ، وفساد ما خالفه ." (١)

فإذا لزم من القول تكرار فلا يصح القول به ، ولا بدّ من حمله على غيره ، فالمنافق كافر وقد ذكر في الآية الفريق الثاني وهم : الذين يموتون وهم كفار ، فيدخل فيهم المنافقون ، أما الفريق الأول فليس منافقاً ؛ لدخول المنافق مع الذين يموتون وهم كفار ، فالواجب حمل الآية على جديد غير مكرر ، فالمعني بالخطاب في قوله : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٔانَ ﴾ هم أهل السيئات من المسلمين ، وأما الذين يموتون وهم كفار فيشمل الكفار

---

(١) جامع البيان (٦٤٥/٣-٦٤٦) ، وتحقيق شاكر (١٠٠/٨) .

والمنافقين ، وحينئذٍ لا تكرار في الآية .

ب- تضعيف تحديد مخاطب في الآية إذا ترتب عليه اختلاف في المعنى بين معطوفين مشتركين : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ⑮﴾ [الأحقاف: ١٥] **استدل -رحمه الله-**: على ضعف قول من ظنّ أن الخطاب في قوله : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ على وجه الأمر والإلزام بصيغة الخبر ، بأن الواجب عليه أن يكون معنى الآية : أن كل من بلغ أشده أن يقول : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ والواقع يشهد بوجود من يكفر بالله ويجرؤ على والديه وهذا لا ينكره أحد ؛ مما يدل على أن المخاطب الموصوف بقوله : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ بعض الناس لا كلّهم ، كما أن الحمل يولد مختلفاً في الواقع ، فليس المقصود بقوله -تعالى-: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ كلّ الحمل ، بل هناك من يولد لتسعة أشهر ، وهم الأكثر ، ومن يولد لستة ، ومن يولد لأربع سنين ، وغير ذلك .(١)

فكما أن الدعاء في قوله : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لا يكون إلا من مسلم مؤمن ؛ لأن هناك في الواقع من لا يقوله من الكفار ، فكذلك يقال في المعطوف المشترك معه : الحمل والفصال ، فليس كل الناس يكون حمله وفصاله في هذه المدة ، بل حمل الناس مختلف كما سبق .

٤- سياق القصة قد يكون مرجحاً لمخاطب : كما في قوله -تعالى- : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر: ٢٨] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن : **فقال بعضهم** : كان من قوم فرعون ، غير أنه كان قد آمن بموسى ، وكان يُسِرّ إيمانه من فرعون

---

(١) انظر جامع البيان (٢/٥٠٨) ، وتحقيق شاكر (٥/٤٠) . عند تفسير آية الرضاعة من سورة البقرة (٢٣٣) ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ الآية ، ولم يتكرر في الأحقاف .

وقومه خوفاً على نفسه...**وقال آخرون** : بل كان الرجل إسرائيلياً ، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون...

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي...أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون ، قد أصغى لكلامه ، واستمع منه ما قاله ، وتوقّف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله ، وقيله ما قال ، وقال له : ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] ، ولو كان إسرائيلياً لكان حريّاً أن يعاجل هذا القائل له ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله ؛ لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل ، لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً ! ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله ، وكفّ عما كان همّ به في موسى ."(١)

فاستدلّ بسير القصة ، وطول صبر فرعون على صراحة الرجل ، وقوة نصحه ، على ترجيح ماهية الرجل المؤمن ، وأنه من قوم فرعون لا من بني إسرائيل ؛ لأنه لو كان من بني إسرائيل وهم أعداء فرعون لما كان من فرعون كل هذا الصبر والتؤدة .

٥- وقد يكون ترجيح معنى كلمة ترد في السياق مرجحاً لمراد بخطاب في كلمة أخرى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾[الأعراف: ١٥٥]"... ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ **قال أبو جعفر** : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، **فقال بعضهم** : معنى ذلك : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم ، ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أي: بعبادة من عبد العجل ؟. قالوا : وكان الله إنما أهلكهم ؛ لأنهم كانوا ممن يعبد العجل ، وقال موسى ما قال ، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك...**وقال آخرون:** معنى ذلك : أن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم ، هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل إذا انصرفتُ إليهم، وليسوا معي ، والسفهاء على هذا القول كانوا المهلَكين الذين سألوا أن يريهم ربهم...

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : إن موسى إنما حزن على هلاك

---

(١) جامع البيان (٥٤/١١) . وانظر مثالا آخر في غافر (٤٣) ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ جامع البيان (٦٤/١١) .

السبعين بقوله : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ ، وأنه إنما عنى بالسفهاء : عبدة العجل وذلك أنه محال أن يكون موسى -ﷺ- كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم إلا الأفضل فالأفضل منهم ، ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل واتخذه دون الله إلهاً..."(١)

فالمقصود من السفهاء في هذه الآية : هم عبدة العجل على الصحيح ، وليس السبعين الذين أشار الله إلى أن موسى -ﷺ- اختارهم منهم ؛ فموسى لا يختار إلا الأفضل ، وعبدة العجل المشركون بالله ليسوا هم الأفضل .

٦- **قد يتحدد من السياق سن المتحدث فيه** :كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧ ﴾ [البقرة: ١٢٧] **قال -رحمه الله-** : " ثم اختلف أهل التأويل في الذي رفع القواعد ، بعد إجماعهم على أن إبراهيم كان ممن رفعها ، **فقال بعضهم** : رفعها إبراهيم وإسماعيل جميعاً...**وقال آخرون** : بل رفع قواعد البيت إبراهيم ، وكان إسماعيل يناوله الحجارة...وقال آخرون : بل الذي رفع قواعد البيت إبراهيم وحده ، وإسماعيل يومئذ طفل صغير...

والصواب من القول عندنا في ذلك : أن المضمر من القول لإبراهيم وإسماعيل ، وأن قواعد البيت رفعها إبراهيم وإسماعيل جميعاً ، وذلك أن إبراهيم وإسماعيل إن كانا هما بنياها ورفعاها فهو ما قلنا ، وإن كان إبراهيم تفرّد ببنائها ، وكان إسماعيل يناوله ، فهما أيضا رفعاها ؛ لأن رفعها كان بهما، من أحدهما البناء ، ومن الآخر نَقْلُ الحجارة إليها ومعونة وضع الأحجار مواضعها . ولا تمتنع العرب من نسبة البناء إلى من كان بسببه البناء ومعونته . وإنما قلنا ما قلنا من ذلك ؛ لإجماع جميع أهل التأويل على أن إسماعيل معنيّ بالخبر الذي أخبر الله عنه وعن أبيه أنهما كانا يقولانه ، وذلك قولهما : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ

---

(١) جامع البيان (٦/٧٦-٧٧) ، وتحقيق شاكر (١٣/١٤٩) . ونحوه في النساء (١٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٤٩-٦٥١) ، والمائدة (٣٤) ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٤ ﴾ جامع البيان (٤/٥٦٦) ، ويوسف (٢٠) ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ ﴾ جامع البيان (٧/١٦٨) .

مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فمعلوم أن إسماعيل لم يكن ليقول ذلك إلا وهو : إما رجل كامل ، وإما غلام قد فهم مواضع الضرّ من النفع ، ولزمته فرائض الله وأحكامه . وإذا كان في حال بناء أبيه ما أمره الله ببنائه ورفعه قواعد بيت الله كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن تاركاً معونة أبيه ، إما على البناء ، وإما على نقل الحجارة . وأيّ ذلك كان منه فقد دخل في معنى من رفع قواعد البيت ، وثبت أن القول المضمر خبر عنه وعن والده إبراهيم – عليهما السلام – ." (١)

فاستدلّ –رحمه الله– بدعائهما ربَّهما الدال على التكليف وصحة القربة والقصد، أن إسماعيل – عليه السلام – مكلف كبير أو مميز عاقل ، وهذا الدعاء وقع منهما في رفع بناء البيت ، فهو دليل على أنه ليس بصغير لا يحسن رفع الحجارة ووضعها ، كما في بعض الأقوال .

٧– قد يرجح السياق عدد الموصوفين : كما في قوله –تعالى– : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٩] **قال –رحمه الله–** : " وقد قيل إن الله – جلّ ثناؤه – عنى بقوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ كعب بن الأشرف (٢)... **قال أبو جعفر** : وليس لقول القائل عَنَى بقوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ كعب بن الأشرف معنى مفهوم ؛ لأن كعب بن الأشرف واحد ، وقد أخبر الله – جلّ ثناؤه – أن كثيراً منهم يودّون لو يردّون المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم . والواحد لا يقال له : كثير بمعنى الكثرة في العدد ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التي وصف الله بها من وصفه بها في هذه الآية : الكثرة في العزّ ورفعة المنزلة في قومه وعشيرته ، كما يقال : فلان في الناس كثير ، يراد به كثرة المترلة والقدر . فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ ؛ لأن

---

(١) جامع البيان (١/٦٠١-٦٠٢) ، وتحقيق شاكر (٣/٦٥) .

(٢) هو كعب بن الأشرف ، من طيء ، ثم أحد بني نبهان ، أمه من بني النضير ، ألّب قريشا على المسلمين بعد بدر وهو معاهدهم ، وشاعر يهجو رسول الله –ﷺ– ، قتل بعد بدر وقصته في البخاري . معالم السنة للخطابي (٢/٣٣٨) ، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/١٦٠) ، وتاريخ الأمم والملوك (٢/٤٨٧) ، وفتح الباري (٧/٣٣٦)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية صفحة (٣٧٣) .

الله – جلّ ثناؤه – قد وصفهم بصفة الجماعة ، فقال : ﴿الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ فذلك دليل على أنه عنى الكثرة في العدد . أو يكون ظن أنه من الكلام الذي يخرج مخرج الخبر عن الجماعة ، والمقصود بالخبر عنه الواحد...فيكون ذلك أيضاً خطأ ، وذلك أن الكلام إذا كان بذلك المعنى فلا بد من دلالة فيه تدلّ على أن ذلك معناه ، ولا دلالة تدلّ في قوله : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أن المراد به واحد دون جماعة كثيرة ، فيجوز صرف تأويل الآية إلى ذلك وإحالة دليل ظاهره إلى غير الغالب في الاستعمال . "[1]

فالظاهر في السياق أن الموصوفين جماعة لا فرد ، فلا يصح القول بأن الموصوف فرد ؛ لأن الظاهر من الخطاب أنه وصف لجمع ، ولا دليل على إرادة غيره .

٨- السياق قد يرجح ماهية الموصوف : كما في قوله -تعالى- : ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [يوسف: ٢٦] **قال -رحمه الله-** : " وأما قوله : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد : **فقال بعضهم** : كان صبيّاً في المهد...**وقال آخرون** : كان رجلاً ذا لحية...وقيل : معنى قوله : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ : حكم حاكم...**وقال آخرون** [كمجاهد]: إنما عني بالشاهد القميص المقدود...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : قول من قال : كان صبيّاً في المهد؛ للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله -ﷺ- أنه ذكر من تكلم في المهد ، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف[2].

---

[1] جامع البيان (٥٣٤/١-٥٣٥) ، وتحقيق شاكر (٤٩٩/٢) .

[2] لم يذكر ابن جرير -رحمه الله- نص الحديث ، ومن رواياته : "تكلم أربعة وهم صغار هذا [يعني ولد ماشطة ابنة فرعون] وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم – عليه السلام – " ، وهذا لفظ الحاكم في المستدرك عن ابن عباس (٤٩٦/٢-٤٩٧) ، وأشار الذهبي في تلخيصه إلى صحته ، ورواه الحاكم أيضا عن أبي هريرة (٥٩٥/٢) بمعناه ، ورواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (٣٠٩/١) برقم (٢٨٢٢) ، وقال أحمد شاكر : في تحقيق المسند إسناده صحيح (٣٩٥/٤)، وفي تحقيق تفسير جامع البيان (٥٥/١٦) قال في حديث المسند : إنه موقوف على ابن عباس ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٤/٢)، وقال المحقق محمد السعيد بسيوني زغلول : " وهو نفس إسناد الحاكم " ، وقال ابن كثير في تفسيره : إسناد البيهقي : لا بأس به . (١٦/٣) .

فأما ما قاله مجاهد : من أنه القميص المقدود ، فما لا معنى له ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة ، فقال : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ، ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة ." (١)

فوصف الشاهد أنه من أهل المرأة دليل على ضعف من قال : الشاهد القميص المقدود ؛ لأنه لا يقال للقميص في اللغة من أهل المرأة أو الرجل .

وهكذا يتضح أنه ينبغي على المفسِّر مراعاة المخاطب أو المتكلم ، وما يمكن أن يقصداه ، وأن لذلك أثراً كبيراً في فهم الكلام ، ومعرفة ما يلزم منه التكرار ونحوه ، وقد يستفاد من عرض القصة وسَوقها تحديد المخاطب أو المتكلم وحاله وسنّه ،وعدد الموصوفين وماهيتهم .-كما تقدم- .

---

(١) جامع البيان (١٩٣/٧-١٩٤) ، وتحقيق شاكر (٥٣/١٦) .

المبحث الرابع :

دلالة السباق واللحاق وموضوع السورة على ترجيح معنى :

وقد يرجح سباق الكلام أو لحاقه أو هما مجتمعان معنى ، وهذا المبحث أهم مباحث الفصل ، وستكون الأمثلة عليه من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : أمثلة ترجيح السباق لمعنى .

المطلب الثاني : أمثلة ترجيح اللحاق لمعنى .

المطلب الثالث : أمثلة الترجيح لمعنى بدلالة السباق واللحاق معاً .

المطلب الرابع : الاستدلال بموضوع السورة على ترجيح معنى .

المطلب الأول : أمثلة الترجيح بالسباق :

كما في قوله -تعالى- : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾ [البقرة: ٢٧٣] ...في قوله -تعالى- : ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ﴾ قال أبو جعفر : " يقال : قد ألحف السائل في مسألته إذا ألَحّ فهو يلحف فيها إلحافاً .

فإن قال قائل : أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير إلحاف ؟ قيل: غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئاً على وجه الصدقة، إلحافاً أو غير إلحاف، وذلك أن الله -عزّ وجلّ- وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف ، وأنهم إنما كانوا يعرفون بسيماهم ، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعفف ، و لم يكن بالنبيّ -ﷺ- إلى علم معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة ، وكانت المسألة الظاهرة تنبئ عن حالهم وأمرهم."(١)

فنفي السؤال الملحف لا يعني وجود سؤال غير ملحف ؛ لأنه سبق وصفهم بأنهم يعرفون بسيماهم في قوله : ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ ، ولو كانوا يسألون لعرفوا بالسؤال، سواء ألحفوا في السؤال أم لم يلحفوا ، فيعرفون بغير السيما ، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين .(٢) **ورجحه الشيخ زاده** (٣) **وقال** : " وهو أنسب ؛ للمبالغة في وصف التعفف " (٤).

ومال الزمخشري : إلى أنهم يسألون ولا يلحون ، **وضعف الرازي هذا القول** ، ورجحه ابن

---

(١) جامع البيان (٩٨/٣-١٠٠) ، وتحقيق شاكر (٥٩٧/٥) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (جزء٢٢٢/٣) ، وفتح القدير (٢٩٣/١) ، وروح المعاني (٧٧/٣) .

(٣) هو محمد بن محي الدين بن مصطفى ، مصلح الدين ، القوجوي ، الشهير بشيخ زاده ، مفسر فقيه حنفي ، كان مدرساً في استانبول له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي ، وهي أعظم الحواشي فائدة ، توفي سنة خمسين وتسعمائة ، وقيل : إحدى . انظر شذرات الذهب (٢٨٦/٨) ، والأعلام (٣٢٠/٧) .

(٤) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (٥٨٥/١) طبع دار صادر .

القيم فقال : "والنفي متسلط عليهما ، أي : لا يسألون ولا يلحفون " (١)، وقال باحتمالهما : **ابن عطية والسعدي** . -رحمهم الله-(٢)

وفي قوله -تعالى- : ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هـود: ٤٦] **قال أبو جعفر** : " يقول الله -تعالى ذِكْره- : قال الله : يا نوح إن الذي غرّقته ، فأهلكته -الذي تذكر أنه من أهلك - ليس من أهلك . واختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ **فقال بعضهم** : معناه : ليس من ولدك ، هو من غيرك . وقالوا : كان ذلك من حِنْث[أي : إثم]...**وقال آخرون** : معنى ذلك : لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ الذين وعدتك أن أُنجيهم...

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم ؛ لأنه كان لدينك مخالفاً وبي كافراً ، وكان ابنه ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- قد أخبر نبيه محمداً -ﷺ- أنه ابنه ، فقال : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢] ، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه ، فيكون بخلاف ما أخبر . وليس في قوله : ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ دلالة على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله : ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ محتملاً من المعنى ما ذكرنا ، ومحتملاً إنه ليس من أهل دينك ، ثم يحذف الدين فيقال : ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ ، كما قيل : ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]"(٣).

فليس معنى : ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ أنه ليس من صلبك ؛ لإخبار الله قبل ذلك أن نوحاً نادى ابنه في قوله : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ ، وعليه فيحمل معنى : ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ على المعنى الموافق لإثبات هذا الابن لنوح -ﷺ- فيكون المعنى : ليس من أهلك الذين سينجون من الغرق .

وفي قوله -تعالى- : ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْره- : في هاتين الجنتين ، من دون الجنتين اللتين هما لمن خاف مقام ربه ، ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ ، يعني : فوّارتان . واختلف أهل التأويل في المعنى الذي تنضخان به : فقال بعضهم : تنضخان

---

(١) انظر الكشاف (٣٩٨/١) ، ومفاتيح الغيب (جزء٧/٨٨) ، وانظر بدائع التفسير (٤٣٤/١).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٣٤٠/٢) ، وتيسير الكريم الرحمن صفحة (١٠٨) .

(٣) جامع البيان (٥٠/٧-٥٢) ، وتحقيق شاكر (٣٤٠/١٥) .

بالماء...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك أنهما ممتلئتان...**وقال آخرون** : تنضخان الماء والفاكهة...**وقال آخرون** : نضاختان بألوان الفاكهة...**وقال آخرون** : نضاختان بالخير...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : عُنِي بذلك أنهما تنضخان بالماء؛ لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء ."(١)

فالراجح في معنى النضخ : أنه نضخ بالماء ؛ لأن الناضخ عينان ، وهما عيون ماء ، وهذا هو المشهور من المعنى هنا .(٢)

---

(١) حامع البيان (١١/٦١٢-٦١٣) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : الفاتحة (٦) ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ حامع البيان (١/١٠٣) ، والبقرة (١٧) ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ١٧﴾ حامع البيان (١/١٧٨) ، و(٥٧) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ الآية حامع البيان (١/٣٣٨)، و(١٨٤) ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ الآية حامع البيان (٢/١٣٦)، و(١٩٦) ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ الآية حامع البيان (٢/٢٦٤) ، و(٢٢٣) ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾الآية حامع البيان (٢/٤١١) ، و(٢٢٥) ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾الآية حامع البيان (٢/٤٢٦) ، و(٢٨٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ الآية حامع البيان (٣/١٢٥) ، وآل عمران (٧٥) ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ الآية حامع البيان (٣/٣١٦) ، و(٩٧) ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ الآية حامع البيان (٣/٣٦٩) ، و(١١٨) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ الآية حامع البيان(٣/٤٠٩) ، و(١٣٥) ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية حامع البيان (٣/٤٤٢) ، و(١٧٣) ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ حامع البيان (٣/٥٢٣) ، والنساء (٣) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ الآية حامع البيان (٣/٥٧٧) ، و(١٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ الآية حامع البيان (٣/٦٤٩) ، و(٩٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ الآية حامع البيان (٤/٢٢٨-٢٢٩) ، و(١٠٣) ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾الآية حامع البيان (٤/٢٦٠-٢٦١) ، والمائدة (٩٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ الآية حامع البيان (٥/٦٣-٦٤) ، والأنعام (٩) ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ٩﴾ حامع البيان (٥/١٥٣) ، و(٨٥) ﴿وَزَكَرِيَّا

وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) ﴾ جامع البيان (٥/٢٥٧)، و(١٢١) ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٢٨)، و(١٢٩) ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) ﴾ جامع البيان (٥/٣٤٤)، و(١٣١) ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) ﴾ جامع البيان (٥/٣٤٧)، والأعراف (١٧) ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ جامع البيان (٥/٤٤٧)، و(١٥٠) ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ﴾ الآية جامع البيان (٦/٦٦)، و(٢٠٢) ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) ﴾ جامع البيان (٦/١٥٨)، والأنفال (٢٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢١٢-٢١٣)، و(٣٣-٣٤) ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ الآيتين جامع البيان (٦/٢٣٦)، و(٣٩) ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) ﴾ جامع البيان (٦/٢٤٧)، و(٤٣) ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٥٩)، والتوبة (٦٠) ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٩٨)، و(١١٤) ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٤٩٩)، وهود (٦) ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ الآية جامع البيان (٧/٤)، و(٧١) ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) ﴾ جامع البيان (٧/٧٢)، و(٨٦) ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) ﴾ جامع البيان (٧/١٠٠)، ويوسف (٥٥) ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾ جامع البيان (٧/٢٤٢)، والرعد (٣٩) ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) ﴾ جامع البيان (٧/٤٠٣)، و(٤١) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ الآية جامع البيان (٧/٤٠٨)، والنحل (٩٩-١٠٠) ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) ﴾ الآيتين جامع البيان (٧/٦٤٥)، والإسراء (٢٨) ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا (٢٨) ﴾ جامع البيان (٨/٧٠-٧١)، و(٨٠) ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٣٧-١٣٨)، ومريم (٧٠) ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) ﴾ جامع البيان (٨/٣٦٣)، وطه(٨٢) ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ جامع البيان (٨/٤٤٢)، و(٩٤) ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ الآية جامع البيان (٨/٤٥٠)، و(١١٠) ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ﴾ جامع البيان (٨/٤٦٠)، والأنبياء (٩٥) ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) ﴾ جامع البيان (٩/٨٢-٨٣)، والحج (٥) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن

مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١١١)، و(١٥) ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥ ﴾ جامع البيان (٩/١٢٠)، والفرقان (٥٣) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣ ﴾ جامع البيان (٩/٤٠٠)، و(٦٧) ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ ﴾ جامع البيان (٩/٤١٢)، والشعراء (١٩) ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ ﴾ جامع البيان (٩/٤٣٧)، و(١٩٨) ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ۝١٩٨ ﴾ جامع البيان (٩/٤٧٨)، والأحزاب (٥٢) ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣١٩)، والصافات (١١٦) ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝١١٦ ﴾ جامع البيان (١٠/٥١٩)، والزمر (٦) ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦١٥)، و(٨) ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٦١٩)، وفصلت (٥٣) ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٢٥)، وسورة ق (٢١-٢٢) ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ ﴾ الآيتين جامع البيان (١١/٤٢٠)، والطور(٤٨) ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ ﴾ جامع البيان (١١/٥٠٠-٥٠١)، والنجم (١٠) ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ جامع البيان (١١/٥٠٩-٥١٠)، والحديد (١٢) ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٧٦)، والجن (٢٨) ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ۝٢٨ ﴾ جامع البيان (١٢/٢٧٧).

المطلب الثاني : أمثلة ترجيح اللحاق لمعنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ (٦٩)﴾ [البقرة: ٦٩] **قال -رحمه الله-** :"...اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿صَفْرَآءُ﴾ **فقال بعضهم** : معنى ذلك سوداءُ شديدةُ السواد...**وقال آخرون:** معنى ذلك : صفراء القَرْنِ والظِّلف...**قال أبو جعفر** : وأحسب أن الذي قال في قوله : ﴿صَفْرَآءُ﴾ يعني به سوداء ، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السُّود : هذه إبل صُفر ، وهذه ناقة صفراء يُعنى بها سوداء . وإنما قيل ذلك في الإبل ؛ لأن سوادها يَضرب إلى الصُّفرة...وذلك إن وُصِفَت الإبل به فليس مما توصف به البقر ، مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنما تصف السواد -إذا وصفته بالشدة- بالحلوكة ونحوها ، فتقول : هو أسود حالك وحانك وحلكوك...ولا تقول : هو أسود فاقع ، وإنما تقول هو أصفر فاقع، فوصفه إياه بالفقوع من الدليل البيِّن على خلاف التأويل الذي تأول قوله : ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ﴾ المتأوِّل ، بأن معناه : سوداء شديدة السواد ." (١)

---

(١) جامع البيان (٣٨٧/١-٣٨٨) ، وتحقيق شاكر (١٩٩/٢) . وانظر بقية الأمثلة في : البقرة (٢٥) ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾الآية جامع البيان (٢٠٧/١) ، و(١٨٢) ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ الآية جامع البيان (١٣١/٢-١٣٢) ، و(٢٤٨) ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٠/٢) ، والنساء (٣٢) ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية جامع البيان (٥١/٤)، والنساء (٨٦) ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا (٨٦)﴾ جامع البيان (١٩٣/٤) ، والأنعام (١٤٨) ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾الآية جامع البيان (٣٨٧/٥-٣٨٨) ، والأعراف (٣٩) ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)﴾ جامع البيان (٤٨٤/٥) ، والأنفال (٤١) ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية جامع البيان (٢٥١/٦) ، وسبأ (١٦) ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦)﴾ جامع البيان (٣٦٤/١٠) .

فقوله : ﴿ فَاقِعٌ ﴾ يرجح أن معنى : ﴿ صَفْرَآءُ ﴾ هو اللون المعهود ، وليس السواد؛ لأن السواد يوصف بالحلوكة ، والأصفر بالفقوعة ، وهو المذكور مع الأصفر .

وفي قوله -تعالى- في وصف الحور العين : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩ ﴾ [الصافات: ٤٩] **قال -رحمه الله-**: " اختلف أهل التأويل في الذي به شُبِّهن من البَيْض هذا القول : **فقال بعضهم** : شبهن ببطن البيض في البياض ، وهو الذي داخل القِشْر ، وذلك أن ذلك لم يمسّه شيء...**وقال آخرون** : بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر ، فهو إلى الصفرة ، فشبه بياضهنّ في الصفرة بذلك...**وقال آخرون**: بل عنى بالبيض في هذا الموضع : اللؤلؤ ، وبه شبهن في بياضه وصفائه...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال : شبهن في بياضهن ، وأهنّ لم يمسّهنّ قبل أزواجهنّ إنس ولا جانّ ، ببياض البيض الذي هو داخل القشر ، وذلك هو الجلدة المُلْبَسة المُحّ (١) قبل أن تمسّه يدٌ أو شيء غيرها ، وذلك لا شكّ هو المكنون ، فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسّها ، والأيدي تباشرها ، والعُشّ يلقاها . والعرب تقول لكلّ مصون : مكنون ، ما كان ذلك الشيء ، لؤلؤاً كان ، أو بيضاً ، أو متاعاً..." (٢)

فالذي لا يمسّ هو المكنون ، وعادة لا يكون هذا في الغشاء الخارجي للشيء ؛ لأنه يمسّ فلا يكون له معنى الاكتنان ، وإنما يكون وصف المكنون في الغشاء الداخلي الذي في قشر البيض ، وقد يطلق على غيره إذا توفر فيه معنى الحفظ من المس .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ ﴾ [الحاقة: ٥] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْره- : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ ﴾ قوم صالح ، فأهلكهم الله بالطاغية . واختلف في معنى الطاغية -التي

---

(١) المحّ يطلق على : خالص كل شيء ، أوصفرة البيض ، أوما في البيض كله ، وهو المراد هنا . انظر ترتيب القاموس المحيط (٢٠٧/٤) ، مادة (م ح ح) .

(٢) جامع البيان (٤٨٨/١٠-٤٨٩) . وانظر بقية المواضع في : الحج (٣٦) ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ الآية جامع البيان (١٥٩/٩) ، الإنسان (٢) ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ جامع البيان (٣٥٦/١٢) .

أهلك الله بها ثمود – أهل التأويل : **فقال بعضهم** : هي طغيانهم وكفرهم بالله... **وقال آخرون** : بل معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة التي قد جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها...

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فأُهلكوا بالصيحة الطاغية . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به ، فقال : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة: ٦] ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله ، كان الخبر أيضاً عن عاد كذلك ، إذ كان ذلك في سياق واحد ، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح ، الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت ." (١)

فالطاغية ليست بمعنى الطغيان بل هو عذاب ، بدليل قوله -تعالى- بعدها في قوم عاد: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ فثمود مثلهم أهلكوا بعذاب هو الطاغية .(٢)

---

(١) جامع البيان (١٢/٢٠٦-٢٠٧) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٧١) ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ الآية جامع البيان (١/٣٦٩) ، و(٧٨) ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ جامع البيان (١/٤١٨-٤١٩) ، و(١٦٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾ جامع البيان (٢/٦١) ، و(١٨٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾الآية جامع البيان (٢/١٠٧) ، و(١٨٥) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٥٦و١٦٠) ، و(٢٠٣) ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٢١-٣٢٢) ، و(٢٢٨) ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٥٩) ، و(٢٢٩) ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٧٠-٤٧١) ، و(٢٣٦) ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٤٦) ، و(٢٤٩) ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٣٦) ، و(٢٥٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦)،وآل عمران (٤٥) ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ الآية جامع البيان (٣/٢٦٨)، و(١٢١) ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾الآية جامع البيان (٣/٤١٦) ، و(١٥٣) ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ

=

عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٢/٣)، و(١٨٠) ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٢/٣)، والنساء (٣) ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ الآية جامع البيان (٥٨٠/٣)، و(١٣) ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٢/٣)، و(٤٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ الآية جامع البيان (١٠٢/٤)، و(٨٨) ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٦/٤)، و(١٠١) ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٠/٤)، و(١١٩) ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٥/٤)، و(١٤٨) ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٣/٤)، والمائدة (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٨/٤)، و(٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨١/٤)، و(٣١) ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/٤)، و(٩٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٤٧/٥-٤٨)، والأنعام (٩٥) ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٦/٥)، والأعراف (١١) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ جامع البيان (٤٣٧/٥)، و(٣٧) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨١/٥)، و(٢٠٣) ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ﴾ الآية جامع البيان (١٦٠/٦)، ويونس (٦١) ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/٦)، و(٨٣) ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٢/٦)، وهود (١٧) ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٩/٧)، و(٧٤) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) ﴾ جامع البيان (٧٧/٧)، و(١١٨) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) ﴾ جامع البيان (١٣٩/٧)، والنحل (١) ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٧/٨)، والإسراء (١١٠) ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (١٦٩/٨)، ومريم (٢٤) ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) ﴾ جامع البيان (٣٣٠/٨)، و(٥٩) ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) ﴾ جامع البيان (٣٥٥/٨)، والأنبياء (٣٠) ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ الآية جامع البيان

(٩/٢١)، و(٣٧) ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) ﴾ جامع البيان (٩/٢٨)، و(٦٥) ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (٦٥) ﴾ جامع البيان (٩/٤١)، و(٨٧) ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٧٤)، والحج(٥٢) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٧٨)، و(٦٧) ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾الآية جامع البيان (٩/١٨٥)، والمومنون (١٢) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ﴾ جامع البيان (٩/٢٠٢)، و(٥٠) ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) ﴾ جامع البيان (٩/٢١٨-٢١٩)، والنور (٢) ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾الآية جامع البيان (٩/٢٥٨)، و(٢٩) ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٠١)، و(٣٦) ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ (٣٦) ﴾ جامع البيان (٩/٣٣٠)، و(٦١) ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٣٥٤)، والفرقان (١٩) ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٧٤-٣٧٥)، والشعراء (١٥٣و١٨٥) ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) ﴾ جامع البيان (٩/٤٦٨و٤٧٣)،والقصص (١٠) ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾الآية جامع البيان (١٠/٣٦-٣٧)، و(٢٣) ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٥٤)،والعنكبوت (٥٦) ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ جامع البيان (١٠/١٥٦)، ولقمان (١٦) ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) ﴾ جامع البيان (١٠/٢١٢)، والسجدة(٢٨) ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٨) ﴾ جامع البيان (١٠/٢٥٣)، والأحزاب (٦) ﴿ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ جامع البيان (١٠/٢٦١)، و(٢٤) ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) ﴾ جامع البيان (١٠/٢٨٢)، و(٥١) ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٣١٥)، ويس (٤٢) ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) ﴾ جامع البيان (١٠/٤٤٦)، والصافات (١٧٤) ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) ﴾ جامع البيان (١٠/٥٤٢)، وسورة ص (١) ﴿ صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ (١) ﴾ جامع البيان (١٠/٥٤٦)، والزمر (٦٩) ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) ﴾ جامع البيان (١١/٣١)، وغافر (٦٩) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩) ﴾ جامع البيان (١١/٧٧)، وفصلت (٥١) ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) ﴾ جامع البيان (١١/١٢٤)، والزخرف (٥) ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن

المطلب الثالث : أمثلة الترجيح بالسباق واللحاق معاً:

كما في قوله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله - جلّ ثناؤه - بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ **فقال بعضهم** : هم المؤمنون برسول الله -ﷺ- ، وبما جاء به من أصحابه : [وبه قال قتادة]...وقال آخرون : بل عنى الله بذلك علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدّقوا رُسُلَه ، فأقرّوا بحكم التوراة، فعملوا بما أمر الله فيها من اتّباع محمد -ﷺ- ، والإيمان به ، والتصديق بما جاء به من عند الله...

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة ؛ لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين ، وتبديل من بدل منهم كتاب الله ، وتأوّلهم إياه على غير تأويله ، وادّعائهم على الله الأباطيل . و لم يَجْرِ لأصحاب محمد -ﷺ- في الآية التي قبلها ذكر ، فيكون قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ موجّهاً إلى الخبر عنهم ، ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ، فيكون موجّهاً ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله -ﷺ- بعد انقضاء قصص غيرهم ، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بمعنى الآية : أن يكون موجّهاً إلى أنه خبر عمن قَصّ الله - جلّ ثناؤه - في الآية قبلها والآية بعدها ، وهم أهل الكتابين: التوراة والإنجيل ." (١)

فظاهر من سياق الآيات السابقة واللاحقة أنها في أهل الكتاب ، ولما لم يأت دليل على انصراف

كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١٦٧-١٦٨) ، ومحمد(٢٥) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٣٢٢) ، والرحمن (١٩) ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٥٨٦) ،والحديد (٢٧) ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٩٢) ، والفجر (٢٧) ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٥٨١-٥٨٢) .

(١) جامع البيان (١/٥٦٦) ، وتحقيق شاكر (٢/٥٦٤) .

الخطاب إلى غيرهم ، فالأصل بقاء الخطاب على سياقه ، فأهل الكتاب هم المخاطبون ، ولا مانع من دخول من يشابههم -كما سبق بيانه- [١].

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحجر: ٢٤] **قال -رحمه الله-**: " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدّم هلاكهم ، ومن قد خلق وهو حيّ ، ومن لم يخلق بعدُ ممن سيخلق...**وقال آخرون** : عنى بالمستقدمين : الذين قد هلكوا، والمستأخرين : الأحياء الذين لم يهلكوا...وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين في أوّل الخلق والمستأخرين في آخرهم...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين من الأمم ، والمستأخرين من أمة محمد -ﷺ -...**وقال آخرون** : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين عنه...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة ، والمستأخرين فيها بسبب النساء...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدّم موته ، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ ؛ لدلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحجر: ٢٣] ، وما بعده وهو قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ [الحجر: ٢٥] على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين، و لم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه ، ولا جاء بعد..." [٢]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن: ١٩] **قال -رحمه الله-**: " واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله : ﴿ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ **فقال بعضهم** : عني بذلك الجنّ، أُنهم كادوا يركبون رسول الله -ﷺ - لما سمعوا القرآن... **وقال آخرون** : بل هذا من قول النفر من الجن لما رجعوا إلى قومهم ، أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله -ﷺ - له ، وائتمامهم به

---

(١) انظر صفحة (٢٧٨) وما بعدها .

(٢) جامع البيان (٧/٥٠٧-٥١٠) .

في الركوع والسجود... **وقال آخرون** : بل ذلك من خبر الله الذي أوحاه إلى نبيه -ﷺ- لعلمه أن الإنس والجنّ تظاهروا عليه ، ليُبطلوا الحقّ الذي جاءهم به ، فأبى الله إلا إتمامه...

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك : قول من قال : ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمّداً -ﷺ- لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعاً في إطفاء نور الله ، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب ؛ لأن قوله ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ ﴾ عقيب قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن: ١٨] وذلك من خبر الله فكذلك قوله : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ ﴾ ، وأخرى أنه -تعالى ذِكْره- أتبع ذلك قوله : ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن: ١٨] فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحداً في ذلك ، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة ." (١)

وقد يضعف القول لما يلزم من القول به من تناقض في فهم سياق الآيات : ففي قوله

---

(١) جامع البيان (١٢/٢٧٢-٢٧٣) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٦) ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ (١٦) ﴾ جامع البيان (١/١٧٢) ، و(١٧١) ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (١٧١) ﴾ جامع البيان (٢/٨٧) ، وآل عمران (٣١) ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٣١) ﴾ جامع البيان (٣/٢٣٢) ، و(٤٩) ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (٣/٢٧٦) ، و(٩٠) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠) ﴾ جامع البيان (٣/٣٤٢-٣٤٣) ، والمائدة (٤٨) ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾الآية جامع البيان (٤/٦١٠) ، والأنعام (٧٠) ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ جامع البيان (٥/٢٣٠) ، والتوبة (٢) ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ (٢) ﴾ جامع البيان (٦/٣٠٥) ، ومريم (٢٤) ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا (٢٤) ﴾ جامع البيان (٨/٣٢٨) ، والحج (١٩) ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٢٤-١٢٥) ، و(٤٧) ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٧٢)، والنور (٦٣) ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٦٠) ، والقصص (٦٨) ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٩٦) ، والعنكبوت (٤٩) ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾الآية جامع البيان (١٠/١٥٣) ، والبروج (١٣) ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) ﴾ جامع البيان (١٢/٥٢٩).

-تعالى-: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [النحل: ٨] **قال -رحمه الله-**: " وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل...وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل ، ويرون أن ذلك غير دالّ على تحريم شيء ، وأن الله - جلّ ثناؤه - إنما عرّف عباده بهذه الآية وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمَه عليهم ، ونبههم به على حججه عليهم وأدلته على وحدانيته ، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك...

والصواب من القول في ذلك عندنا : ما قاله أهل القول الثاني ، وذلك أنه لو كان في قوله - تعالى ذِكْره- : ﴿ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للركوب ، للأكل؛ لكان في قوله : ﴿ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء ، للركوب . وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال -تعالى ذِكْره- : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ جائز حلال غير حرام ، دليل واضح على أن أكل ما قال : ﴿ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ جائز حلال غير حرام ، إلا بما نصّ على تحريمه ، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب ، أو وحي إلى رسول الله -ﷺ- ، فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء ." (١)

فمن استدل على أن الخيل لا تؤكل ؛ لأن الله لم يذكر الأكل للخيل في قول الله -تعالى-: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ ﴾ ، فيلزمه أن يقول : إن الركوب للأنعام لا يحل ؛ لأنه لم يذكر في قوله -تعالى- : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] ، وإلا لزم تناقض في فهم الآيتين المتشابهتين في التركيب اللفظي ، وإنما ذكر الله هذا من باب الامتنان ، وليس هذا مقام تحديد الأحكام ، فلا يؤخذ منها مفهوم مخالفة .-والله أعلم-.

---

(١) جامع البيان (٧/٥٦٢-٥٦٤) . وانظر نحوها في البقرة (٢٨٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢١-١٢٢) .

المطلب الرابع : الاستدلال بموضوع السورة على ترجيح معنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١] **قال -رحمه الله-:** "واختلفت أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ **فقال بعضهم** : معناه: الذين جعلوا القرآن فِرَقاً مفترقة...فوجه قائلوا هذه المقالة قوله : ﴿عِضِينَ﴾ إلى أن واحدها : عُضْو ، وأن عِضِينَ جمعه ، وأنه مأخوذ من قولهم : عَضّيت الشيء تعضية : إذا فرقته...**وقال آخرون** : بل هي جمع : عِضَة ، جمعت عِضِين ، كما جمعت البُرَةُ : بُرين ، والعِزَة : عِزين . فإذَا وُجّه ذلك إلى هذا التأويل كان أصل الكلام عِضَهَة ، ذهبت هاؤها الأصلية...وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنه إنما عَنَى بالعَضْه في هذا الموضع ، نسبتهم إياه إلى أنه سِحْر خاصة ، دون غيره من معاني الذمّ...

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْره- أمر نبيه -ﷺ- أن يُعْلِم قوماً عَضَهُوا القرآن : أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بعضههمْ إياه ، مثل ما أنزل بالمقتسمين ، وكان عَضْهُهُم إياه : قذفهموه بالباطل وقيلهم : إنه شعر وسحر ، وما أشبه ذلك . وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات به ؛ لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده ، وذلك قوله : ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ٩٥] على صحة ما قلنا ، وأنه إنما عُنِيَ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ مشركي قومه . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض ، بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين : إما مؤمن بجميعه ، وإما كافر بجميعه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصحيح من القول في معنى قوله : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قول الذين زعموا أنهم عَضَهوه ، **فقال بعضهم** : هو سحر ، **وقال بعضهم** : هو شعر ، **وقال بعضهم** : هو كهانة ، وما أشبه ذلك من القول، أو عَضّوْه ففرقوه ، بنحو ذلك من القول . وإذا كان ذلك معناه : احتمل قوله : ﴿عِضِينَ﴾ ، أن يكون جمع : عِضة ، واحتمل أن يكون جمع : عُضْو ؛ لأن معنى التعضية : التفريق ، كما تُعَضَّى الجَزُور والشاة ، فتفرق أعضاء . والعَضْه: البَهْت ورميه بالباطل من القول ، فهما متقاربان في

المعنى"(١).

فلما كان سياق السورة في خطاب المشركين من قريش ، وكانت قريش إما مؤمنة بالقرآن ، أو كافرة به ، مدّعية أنه سحر أو كهانة ، صح القول بأن معنى العضه في الآية هو هذا القول في التكذيب ، دون من قال : آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ؛ لأن هذا لم يكن من المشركين مطلقاً .

ومن خلال ما سبق يتأكد ما للسياق من أثر في الترجيح ،سواء كان الترجيح : بمراعاة السباق أو اللحاق ، أو بهما مجتمعين ، وهذه الأنواع : هي التي كثر الاستدلال بها في جميع القرآن ، وأقل من ذلك ما كان الترجيح فيه مراعاة لاتحاد موضوع السورة .

---

(١) جامع البيان (٥٤٧/٧) .

المبحث الخامس :مراعاة التقابل والتقسيم المتوازن :

إذا تأمل قارئ القرآن الآيات وجد بينها التقابل واكتمال الأقسام للأشياء ، سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً ؛ ولهذا ينبغي للمفسر أن يرجح من المعاني ما يكمل الأقسام المذكورة في الآيات دون ما كان بعيداً عنها ، وسأعرض الأمثلة من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول : المقابلة في تقسيم الموصوفين بالإيمان والكفر .

المطلب الثاني : المقابلة في الأمر والنهي .

المطلب الثالث : الاستثناء يرجح فرقاً وتقابلاً بين المستثنى والمستثنى منه .

المطلب الرابع : المثل يرجح مقابلة الممثل به حتى يكون المعنى مماثلاً .

المطلب الخامس : أرجح جواب ما كان مقابل السؤال أو السابق من الآيات .

المطلب الأول : المقابلة في تقسيم الموصوفين بالإيمان والكفر :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٣] **قال – رحمه الله–:** " وقد اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله – جلّ ثناؤه – هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم :...**فقال بعضهم** : هم مؤمنوا العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب . واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم : بالآية التي تتلو هاتين الآيتين ، وهو قول الله –عزّ وجلّ– : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البقرة: ٤] . قالوا : فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله –عزّ وجلّ– على محمد –ﷺ– تدين بتصديقه والإقرار والعمل به، وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها . قالوا : فلما قص الله –عزّ وجلّ– نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله –بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب – علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر، وأن المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدّق بالكتابين ، اللذين أحدهما منزل على محمد –ﷺ– ، والآخر منهما على من قبل رسول الله... **وقال بعضهم:** بل نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة ...**وقال بعضهم** : بل الآيات الأربع من أول هذه السورة أنزلت على محمد –ﷺ– بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم وأهل الكتابين وسواهم...

وأولى القولين عندي بالصواب وأشبههما بتأويل الكتاب : القول الأول ، وهو : أن الذين وصفهم الله –تعالى ذِكْره– بالإيمان بالغيب ، وما وصفهم به – جلّ ثناؤه – في الآيتين الأوَّلَتين غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزل على محمد والذي أنزل على من قبله من الرسل ؛ لما ذكرت من العلل قبل لمن قال ذلك ، ومما يدل أيضاً مع ذلك على صحة هذا القول : أنه جَنَّسَ –بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف ، وبعد تصنيفه كل صنف منهما على ما صنف الكفار – جِنْسَين ، فجعل أحدهما : مطبوعاً على قلبه مختوماً عليه مأيوساً من إيابه ، والآخر : منافقاً يرائي بإظهار الإيمان في الظاهر، ويستسرّ النفاق في الباطن ، فصيّر الكفار جنسين ، كما صيّر المؤمنين في أول السورة

جنسين . ثم عرّف عباده نعت كل صنف منهم وصفتهم ، وما أعدّ لكل فريق منهم من ثواب أو عقاب ، وذمّ أهل الذمّ منهم ، وشكر سعي أهل الطاعة منهم" (١).

فنظر –رحمه الله– إلى أن الأقسام المذكورة في الكفر نوعان : كفار ومنافقون ، واستدل بها على أن الأقسام المذكورة في الإيمان قسمان أيضاً هما : المؤمنون من العرب ، والمؤمنون من أهل الكتاب.

وهذا يدل على أنه –رحمه الله– يراعي التقابل والتقسيم في الآيات ، هذا مع الأدلة الأخرى كالعطف المغاير الدال على أن هؤلاء غير أولئك ، وأن العرب لم يكن لهم كتاب قبل النبي –ﷺ– ، كما قال تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ﴾ [السجدة: ٢ – ٣].

---

(١) جامع البيان (١/١٣٤–١٣٦) ، وتحقيق شاكر (١/٢٣٧) باختصار .

المطلب الثاني : المقابلة في الأمر والنهي :

كما في قوله –تعالى– : ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣] **قال –رحمه الله–** : في قوله –تعالى– : ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ " اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : **فقال بعضهم:** [كالسدي] معنى ذلك : قدموا لأنفسكم الخير...**وقال آخرون:** بل معنى ذلك : ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ ذكرَ الله عند الجماع ، وإتيان الحرث قبل إتيانه...

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية ما روينا عن السدي وهو : أن قوله: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ أمر من الله –تعالى ذِكْره– عباده بتقديم الخير والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم ، عُدَّةً منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب ، فإنه قال –تعالى ذِكْره– : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾[البقرة: ١١٠، المزمل: ٢٠] .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ؛ لأن الله –تعالى ذِكْره– عقّب قوله : ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ بالأمر باتقائه في ركوب معاصيه ، فكان الذي هو أولى بأن يكون قِبَل التهدّدِ على المعصية –إذ كان التهدّد على المعصية عامّاً – الأمر بالطاعة عامّاً .

فإن قال لنا قائل : وما وجه الأمر بالطاعة بقوله : ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ من قوله : ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ ؟ قيل : إن ذلك لم يقصد به ما توهمته ، وإنما عنى به : وقدّموا لأنفسكم من الخيرات التي ندبناكم إليها(١) بقولنا : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥] ، وما بعده من سائر ما سألوا رسول الله –ﷺ–، فأجيبوا عنه مما ذكره الله –تعالى ذِكْره– في هذه الآيات ، ثم قال –تعالى ذِكْره– : قد بينا لكم ما فيه رَشَدكم وهدايتكم إلى ما يرضي ربكم عنكم ، فقدموا لأنفسكم الخير الذي أمركم به ، واتخذوا عنده به عهداً ؛ لتجدوه لديه إذا لقيتموه

---

(١) أي : دعوناكم .

في معادكم ، واتقوه في معاصيه أن تقربوها ، وفي حدوده أن تضيعوها ، واعلموا أنكم لا محالة ملاقوه في معادكم، فمجازٍ المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته ." (١)

فحمل الأمر بالتقديم للأنفس في قوله : ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ على لزوم الطاعة عامة ؛ لأن الله -عزّ وجلّ- حذر بعده من المعصية عامة في قوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، فالأمر بالطاعة عام كذلك ، ولم يحدد الأمر والنهي بما في الآية نفسها ، بل أعاده إلى ما سبق من عموم الأوامر والنواهي .

---

(١) جامع البيان (٤١١/٢) ، وتحقيق شاكر (٤١٦/٤) . وانظر مواضع أخرى في البقرة (١٦٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ جامع البيان (٦١/٢) ، و(٢٢٨) ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٨/٢-٤٥٩و٤٦٨-٤٦٩) ، و(٢٣٦) ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الآية جامع البيان (٥٤٦/٢و٥٥٠) ، والنساء (٣٦) ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٨٢/٤-٨٣) ، والأنعام (١٣٩) ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ الآية جامع البيان (٣٥٧/٥-٣٥٨) ، ويونس (٢٧) ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٤/٦) ، والنحل (١٦) ﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ جامع البيان (٥٧٢/٧) ، و(٩٧) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ الآية جامع البيان (٦٤٣/٧) .

المطلب الثالث : الاستثناء يرجح فرقاً وتقابلاً بين المستثنى والمستثنى منه:

ففي قوله -تعالى- : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٠﴾ [البقرة: ١٥٠] "...**قال أبو جعفر** : فقال جماعة من أهل التأويل : عنى الله تعالى بالناس في قوله : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ : أهل الكتاب...قيل إنهم كانوا يقولون :ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ، وقولهم : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا ، فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها على رسول الله -ﷺ- وأصحابه على وجه الخصومة منهم لهم ، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين...فقطع الله - جلّ ثناؤه - ذلك من حجتهم وحسمه بتحويل قبلة نبيه -ﷺ- والمؤمنين به من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم - عليه السلام-...وأما قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فإنهم مشركوا العرب من قريش...وإنما الحجة في هذا الموضع الخصومة والجدال ، ومعنى الكلام: لئلا يكون لأحد من الناس عليكم خصومةٌ ودعوى باطلٌ غير مشركي قريش ، فإن لهم عليكم دعوى باطلاً وخصومةً بغير حقّ، بقيلهم لكم : رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا ، فذلك من قولهم وأمانيهم الباطلة، هي الحجة التي كانت لقريش على رسول الله - ﷺ - وأصحابه ، ومن أجل ذلك استثنى الله -تعالى ذِكْره- : الذين ظلموا من قريش من سائر الناس غيرهم ، إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة [ثم ذكر أقوال أهل التأويل وقال]...فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ عن صحة ما قلنا في تأويله ، وأنه استثناء على معنى الاستثناء المعروف، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفيّاً عما قبله ، كما قول القائل:" ما سار من النّاس أحدٌ إلا أخوك "، إثبات للأخ من السير ما هو منفيّ عن كل أحد من الناس ، فكذلك قوله : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ نفى عن أن يكون لأحد خصومة وجدل قِبَل رسول الله -ﷺ- ودعوى باطلٍ عليه وعلى أصحابه بسبب توجههم في صلاتهم قبل الكعبة ، إلا الذين ظلموا أنفسهم من قريش ، فإن لهم قِبَلهم خصومةً ودعوى باطلة ، بأن يقولوا : إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا ؛ لأنا كنا أهدى منكم سبيلاً ، وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت

المقدس على ضلال وباطل ." (١)

فلما نفى الله – عزّ وجلّ – عن أناس أن لهم حجة ، ثم استثنى آخرين فلا شك بأن لهم حكماً منافياً للمستثنى منه أن لهم حجة –أي خصومة– ثابتة على المؤمنين ؛ ودل على هذا : الاستثناء، فهو في اللغة يثبت حكمين : كل حكم مناف ومقابل ومضادّ للآخر، فالحجة المثبتة هنا هي : حجة مشركي العرب ، والحجة المنفية هي : حجة غيرهم من أهل الكتاب وسواهم ، بغضِّ النظر عن صحة الحجة أو ضعفها وبطلانها .

---

(١) جامع البيان (٢/٣٥-٣٨) ، وتحقيق شاكر (١٩٩/٣) .

المطلب الرابع : المثل يرجح مقابله الممثّل به حتى يكون المعنى مماثلاً :

ففي تفسير قوله -تعالى- : ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ ﴾ [إبراهيم: ٢٥] رجح الطبري –رحمه الله- أن المراد بالشجرة النخلة لصحة الأخبار عن رسول الله -ﷺ - (١) ثم ذكر اختلافهم في المراد بالحين في الآية وأن الراجح -في هذا الموضع- هو : "غدوة وعشية ، وكلّ ساعة ؛ لأن الله –تعالى ذِكْره- ضرب ما تؤتي هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً ، ولا شك أن المؤمن يرفع له إلى الله في كل يوم صالحُ العمل والقول ، لا في كل سنة ، أو في كل ستة أشهر ، أو في كل شهرين ، فإذ كان ذلك كذلك فلا شك أن المثل لا يكون خلافا للمُمَثَّل به في المعنى ، وإذا كان ذلك كذلك كان بيِّناً صحة ما قلنا .

فإن قال قائل : فأيُّ نخلة تؤتي في كل وقت أُكُلاً صيفًا وشتاءً ؟ قيل: أمّا في الشتاء، فإن الطَّلْع من أكُلها ، وأما في الصيف فالبَلَح والبُسْرُ والرُّطَب والتَّمرُ ، وذلك كله من أكلها." (٢)

والصواب أن هذا ليس أُكُل النخلة فحسب ، بل إن أكلها موجود على الدوام ، فمن حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس ، وبعد يبسه يتخذ من منافع كثيرة ، ثم آخرُ شيءٍ نواها الذي ينتفع به في تعليف الدواب... (٣)ويضاف لذلك ما يؤكل منها من الجمّار . (٤)

ولو حمل معنى الأُكُل على الثمرة بمعنى المنفعة لكثرت المنافع كما هي منافع المؤمن.

---

(١) عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما – مرفوعاً : "أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا...، ولا...، ولا...تؤتي أكلها كل حين " [ثم] قال سول الله -ﷺ -:" هي النخلة "رواه البخاري في كتاب التفسير ، في تفسير سورة إبراهيم ، صفحة (٩٨٢) حديث (٤٦٩٨) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب مثل المؤمن مثل النخلة ، (٢١٦٥/٤) حديث (٢٨١١) وغيرهما ، واللفظ للبخاري .

(٢) جامع البيان (٤٤٣/٧) ، وتحقيق شاكر (٥٨٢/١٦) . وانظر البقرة (١١٨) ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٢/١) .

(٣) انظر تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي –رحمه الله- على هذه اللفظة من الحديث في صحيح مسلم (٢١٦٥/٤) .

(٤) هو شحم النخل . مختار الصحاح (٩٠) .

المطلب الخامس : أرجح جواب ما كان مقابل السؤال أو السابق من الآيات :

ففي قوله –تعالى– : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفرقان: ١٠] **قال –رحمه الله–** : " واختلف أهل التأويل في المعنيّ بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التي في قوله : ﴿ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ **فقال بعضهم** : [كمجاهد] معنى ذلك : خيراً مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد : هلا أوتيته وأنت لله رسول ، ثم بيّن –تعالى ذِكْره– عن الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا [1] ،فقال : ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ...**وقال آخرون** : عُني بذلك المشي في الأسواق والتماس المعاش...

قال أبو جعفر : والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك : أشبه بتأويل الآية ؛ لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها ، وأن لا يُلْقى إليه كنز ، واستنكروا أن يمشي في الأسواق وهو لله رسول . فالذي هو أولى بوعد الله إياه : أن يكون وعداً بما هو خير ما كان عند المشركين عظيماً ، لا مما كان منكراً عندهم ."[2]

فيحمل الجواب على ما كان مستعظماً عند الكفار ، وهو قولهم : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٧] ، فهم إنما استنكروا عليه : نقص حظه من الدنيا مع رسالته ، ويكون الجواب مقابلاً لذلك المستعظم السابق ، دون ما كان منكراً عندهم من أمر نبوته على ما جاء في القول الآخر .

---

(١) والذي قاله المشركون في هذه السورة للنبي –ﷺ– قبل هذه الآية هو : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٧ – ٨].

(٢) جامع البيان (٣٦٨/٩–٣٦٩) . وانظر موضعين آخرين في البقرة (١٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ﴾الآية جامع البيان (٥٩٤/١) ، والأنبياء (١٠١) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ جامع البيان (٩٢/٩) .

وهكذا يتبين أن التقابل والتقسيم ينبغي العناية به في تفسير القرآن ، فقد عهد من طريقة القرآن في البيان أن يقابل بين المؤمنين والكافرين ، وبين الأمر والنهي ، وبين المستثنى والمستثنى منه ، وبين الممثل والممثل به ، وبين السؤال والجواب ، ونحو ذلك .

المبحث السادس : التفسير بما لم يرد ذكره في السياق يعتبر قولاً ضعيفاً :

يتضح من جعل السياق قضية أصيلة في الاستدلال على الترجيح بها بين الأقوال، ما لذلك من أثر فيما لم يرد في السياق، وأن حكمه الضعف؛ لعدم الدليل عليه ، ومن أمثلة ذلك: قوله -تعالى- : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ : **فقال بعضهم** : والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسناته ، يَعِد الذي أعطى غير منفق في سبيله دون ما وعد المنفق في سبيله من تضعيف الواحدة سبعمائة . فأما المنفق في سبيله فلا ينقصه عما وعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة إلى ألفي ألف ضعف...

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل قوله : ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ : والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء من التضعيف ، لمن يشاء من المنفقين في سبيله ؛ لأنه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق في سبيل الله ، فيجوز لنا توجيه ما وعد -تعالى ذِكْره- في هذه الآية من التضعيف إلى أنه عِدَة منه على العمل في غير سبيله أو على غير النفقة في سبيل الله ." (١)

فمضاعفة الثواب في الآية إنما جاء في سياق النفقات في سبيل الله ، فيرجح ذلك على غيره مما لم يرد ذكره ، فلا تدخل النفقات الأخرى ، ولو كانت مشروعة في هذه المضاعفة .

وفي قوله -تعالى- : ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١] **قال -رحمه الله-** : "القول في تأويل قوله -تعالى- : ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ **قال أبو جعفر** : اختلف في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : تلك آيات التوراة...**وقال آخرون** : معنى ذلك : هذه آيات القرآن .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : تأويل من تأوّله : هذه آيات

---

(١) جامع البيان (٦٢/٣) ، وتحقيق شاكر (٥١٥/٥) .

القرآن...وإنما قلنا : هذا التأويل أولى في ذلك بالصواب ؛ لأنه لم يجئ للتوراة والإنجيل قبلُ ذكرٌ ، ولا تلاوةٌ بعدُ ، فيوجّه إليه الخبر ." (١)

فلا يصح إرجاع الكلام إلى غير مذكور في السياق من غير دليل ، والتوراة والإنجيل لم يسبق لهما ذكر و لم يأت لهما ذكر بعد أيضاً ، بالإضافة : إلى أن هذه الأحرف المقطعة يذكر بعدها القرآن الكريم مباشرة إلا في مواضع يسيرة .(٢)

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥) ﴾ [الفرقان: ٥٥] **قال -رحمه الله-** : يقول -تعالى ذِكْره- : وكان الكافر مُعيناً للشيطان على ربّه ، مظاهراً له على معصيته...وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله : ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ أي : وكان الكافر على ربه هيّناً ، من قول العرب : ظهرت به ، فلم ألتفت إليه ، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه ، وكأنّ الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول إليه من مظهور به ، كأنه قيل : وكان الكافر مظهوراً به . والقول الذي قلناه هو وجه الكلام ، والمعنى الصحيح ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه ، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمّه إياهم ، وذمّ فعلهم ، دون الخبر عن

---

(١) حامع البيان (٥٢٦/٦) ، وتحقيق شاكر (١١/١٥) .

(٢) السور التي عقب فيها بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن هي : البقرة ، وآل عمران ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، وطه ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، ولقمان ، والسجدة ، ويس ، وسورة ص ، وغافر ، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، وسورة ق ، ولم يعقب بالقرآن ظاهراً في كل من : مريم والروم والقلم وذكر القرآن ضمن هذه السور ، ففي مريم ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) ﴾ [مريم: ٦٤] ، وفي الروم : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) ﴾ [الروم: ٥٨] ، وفي القلم : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) ﴾ [القلم: ١٥] ، وقوله : ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) ﴾ [القلم: ٤٤] .- والله أعلم- ، وقد ذكر ابن القيم أن كل الحروف المقطعة أقسم بعدها أو ذكر بعدها القرآن غير سورتين هما : مريم والقلم . انظر بدائع التفسير (٤٩٩/٤) .

هوانهم على ربهم ، ولَمّا يجر لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه." (١)

فلما كان السياق في ذكر عبادة الكفار من دون الله -عزّ وجلّ- ، في قوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ ، كان الأولى في السياق : التعقيب بذم شركهم بالله -عزّ وجلّ- دون القول بأن معناه : الخبر بهوان الكافر على ربه ، فهذا لم يجر له ذكر في السياق ، ولو كان الحديث السابق عن كِبْرهم وعتوّهم ؛ لصحّ هذا القول . -والله أعلم -.

---

(١) جامع البيان (٩/٤٠٢) . وانظر بقية المواضع في البقرة (٦٦) ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) ﴾ جامع البيان (١/٣٧٧) ، و(١١٨) ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ الآية جامع البيان (١/٥٦٠-٥٦١)،و(١٤٠) ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (١/٦٢٦-٦٢٧)، و(١٩٧) ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢٧٠) ، و(٢٢٩) ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٨٧) ، و(٢٣٩) ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٩٢) ، والنساء (٩٢) ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢١١) ، والمائدة (٢٨) ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٨) ﴾ جامع البيان (٤/٥٣٣) ، والأنعام (٨٢) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ جامع البيان (٥/٢٥١) ، و(١٣٩) ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٥٩) ، وإبراهيم (٧) ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ (٧) ﴾ جامع البيان (٧/٤٢٠) ، والطلاق (٦) ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٣٩) .

المبحث السابع : مراعاة عود الكلام على القريب في المعنى :

قد يعود الترجيح – طلباً لاتصال الكلام – على القريب دون البعيد : كما في قوله -تعالى- : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤] **قال -رحمه الله-** : " وأما قوله : ﴿ٱلنَّاسَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عنى الله به : **فقال بعضهم** : عنى الله بذلك محمداً -ﷺ- خاصة...**وقال آخرون** : بل عَنَى الله به العربَ...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عاتب اليهود الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، فقال لهم في قيلهم للمشركين من عبدة الأوثان : إنهم أهدى من محمد وأصحابه سبيلاً – على علم منهم بأنهم في قيلهم ما قالوا من ذلك –كذبة : أتحسدون محمداً وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن ما قبل قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾ مضى بذمّ القائلين من اليهود للذين كفروا : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١]، فإلحاق قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾ بذمهم على ذلك ، وتقريظ الذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل : أشبه وأولى ،ما لم تأت دلالة على انصراف معناه عن معنى ذلك."⁽¹⁾.

فالأصل في الكلام الاتصال بما سبقه ، ما لم يدل دليل على انصرافه عنه ، وقد دلّ الدّليل هنا ، وهو الاستفهام الإنكاري والتوبيخي ، على أن الإنكار عائد على ما سبق ⁽²⁾، وكلما أرجع الكلام على ما سبقه كان ذلك أولى ما وجد إليه سبيل .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس: ٨٨] **قال -رحمه الله-** : " وأما قوله : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ فإن معناه : فلا يصدّقوا بتوحيد الله ويقروا

---

(١) جامع البيان (١٤١/٤-١٤٣) ، وتحقيق شاكر (٤٧٦/٨) .

(٢) انظر صفحة (٦٦٠) .

بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع...

واختلف أهل العربية في موضع : ﴿يُؤْمِنُوا﴾ :

فقال بعض نحويي البصرة: هو نصب؛ لأن جواب الأمر بالفاء ، أو يكون دعاء عليهم إذ عصوا . وقد حُكي عن قائل هذا القول أنه كان يقول : هو نصب ، عطفاً على قوله : ﴿لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ ، **وقال آخر منهم**، وهو قول نحويِّ الكوفة : موضعه جزم، على الدعاء من موسى عليهم، بمعنى : فلا آمنوا...

وكان بعض نحويّي الكوفة يقول : هو دعاء ، كأنه قال : اللهم فلا يؤمنوا . قال : وإن شئت جعلتها جواباً لمسألته إياه ؛ لأن المسألة خرجت على لفظ الأمر، فتجعل : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ في موضع نصب على الجواب...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أنه في موضع جزم على الدعاء ، بمعنى : فلا آمنوا . وإنما اخترت ذلك ؛ لأن ما قبله دعاء ، وذلك قوله : ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فإلحاق قوله : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ إذ كان في سياق ذلك بمعناه : أشبهُ وأولى ." (١)

فلما كانت الجملة : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ في سياق دعاء موسى، فالأولى بها : أن تلحق بمعنى الدعاء ، ولا تلحق بما انفصل عنها من الخبر في قوله : ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ ؛ لأن إلحاقها بما قرب أولى مما بعد .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠﴾ [عبس: ٢٠] **قال –رحمه الله–** : " يقول : ثم يسّره للسبيل ، يعني للطريق . واختلف أهل التأويل في السبيل الذي يسّره لها :

فقال بعضهم : هو خروجه من بطن أمه...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : طريق الحقّ والباطل، بيّناه له وأعلمناه ، وسهلنا له العمل به...

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : ثم الطريق ، وهو الخروج من بطن

---

(١) جامع البيان (٦٠٢/٦) ، وتحقيق شاكر (١٨٢/١٥) .

أمه يسّره . وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ؛ لأنه أشبههما بظاهر الآية ، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه ، وتدبيره جسمه ، وتصريفه إياه في الأحوال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده ." (١)

فـ ﴿ ٱلسَّبِيلَ ﴾ الذي يسره الله للإنسان ورد في سياق الحديث عن خلق الإنسان ، وتصريف الله له في قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢] ، فالأولى أن يلحق بالحديث عن الخلق ، فيكون معنى ﴿ ٱلسَّبِيلَ ﴾ خروج الجنين من بطن أمه ، وأما تسهيل سلوك النجدين – الحق والباطل والخير والشر – فليس هذا المعنى هو القريب في هذا السياق –والله أعلم- .

---

(١) جامع البيان (١٢/٤٤٧-٤٤٨) . وانظر بقية المواضع في : آل عمران (١٧٩) ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٢٨) ، والنساء (٩) ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا (٩) ﴾ جامع البيان (٣/٦١٤) ، ويوسف (١٩) ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (٧/١٦٧) ، و(٨١) ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ (٨١) ﴾ جامع البيان (٧/٢٧٣) ، والرعد (١١) ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٧/٣٥٢-٣٥٨) ، وسبأ (٥١) ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) ﴾ جامع البيان (١٠/٣٨٨) ، و(٥٤) ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٩٢) ، وفاطر (١٠) ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٩٨) ، والجن (١٠) ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) ﴾ جامع البيان (١٢/٢٦٥-٢٦٦) ، والمدثر (٦) ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) ﴾ جامع البيان (١٢/٣٠٣) ، والليل (٦) ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٦) ﴾ جامع البيان (١٢/٦١٣) ، و(٩) ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٩) ﴾ جامع البيان (١٢/٦١٤).

المبحث الثامن : مواضع لم يكن فيها تطبيق للتعامل نفسه :

لقد اعتمد الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسيره جامع البيان على السياق ابتداء، واعتمد عليه حال الخلاف والإيهام ، ولكن قد يندّ عن ذلك شيء يسير ، ومنه هذه الأمثلة :

ففي قوله –تعالى– : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٣] **قال –رحمه الله–** : في قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ " وهذا خبر من الله – جلّ ثناؤه – عما تقول رسل الله ، التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها ، يخبر عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها: ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴾ إلى سخط الله ولعنته ، فإنكم اليوم تثابون على كفركم بالله ، وقيلكم عليه الباطل ، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ، و لم يوح إليكم شيئاً ، وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً ، واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله ، والانقياد لطاعته ، ﴿ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ وهو عذاب جهنم ، الذي يهينهم فيذلهم ، حتى يعرفوا صغار أنفسهم وذلّتها ." (١)

فقد ذكر الإمام الطبري –رحمه الله– أن عذاب النار سيقع عليهم ، و لم ينص على أنه عذاب القبر ، ينزل بالكافر أول ما تخرج روحه ، بل ذكر عذاباً عاماً ، يوهم أنه العذاب الأخروي ، يوم البعث والنشور ، والأولى تحديد بداية العذاب البرزخي بعد خروج الروح .

قال ابن القيم –رحمه الله– : " وهذا خطاب لهم عند الموت ، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون : أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾ ." (٢) .

والمراد أن هذا العذاب الواقع على الكفار في هذه الآية : حال تمام خروج الروح إلى دار

---

(١) جامع البيان (٢٧١/٥) ، وتحقيق شاكر (٥٤٠/١١) .

(٢) بدائع التفسير (١٦٦/٢) ، جمع يسري السيد محمد .

البرزخ قبل اليوم الآخر ، ولا مانع من دخول ما بعده . –والله أعلم– .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ [التين: ٥] **قال –رحمه الله–** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : معنى ذلك : ثم رددناه إلى أرذل العمر... **وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة...

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلى عمر الخَرَفَى ، الذين ذهبت عقولهم من الهَرَم والكِبر، فهو في أسفل من سفل : في إدبار العمر وذهاب العقل . وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب في ذلك ؛ لأن الله –تعالى ذِكْره– ، أخبر عن خلقه ابن آدم ، وتصريفه في الأحوال ، احتجاجاً بذلك على مُنكري قُدرته على البعث بعد الموت ، ألا ترى أنه يقول: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ [التين: ٧] يعني : هذه الحُجَج . ومحال أن يحتجّ على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني بما كانوا له مُنكرين . وإنما الحجة على كلِّ قوم بما لا يقدرون على دفعه ، مما يعاينونه ويحسّونه ، أو يقرّون به وإن لم يكونوا له مُحِسّين . وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة مُنكرين ، وكانوا لأهل الهَرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلَد شاهدين ، عُلِم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين ، من تصريفه خلقه ، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد ، إلى الهَرَم والضعف وفناء العمر وحدوث الخَرَف"(١).

---

(١) جامع البيان (١٢/٦٣٧-٦٣٩) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٤٦) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾الآية جامع البيان (٣/٦٥) ، والأعراف(١٨٧) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٣٦) ، والأنفال (٢٤)﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢١٥) ، و(٦٠) ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٧٧) ، والتوبة (٣٠) ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٥٢) ، وطه (٦٢) ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢ ﴾ جامع البيان (٨/٤٢٩) ، والصافات (١٠٧) ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ ﴾ جامع البيان (١٠/٥١٤-٥١٥) ، وسورة ص (٥٨) ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨ ﴾ جامع

وهذا الموضع –كما سبق– فيه قولان للمفسرين ، ولكل من القولين نوع استدلال بالسياق ، ولكل وجهٍ حظٌّ من النظر ، ومن أدلة القائلين بأن المقصود بقوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ النار ، قرب معناه من قوله –تعالى– : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "ومما يبين ذلك قوله ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ فإنه يقتضي ارتباط هذا بما قبله ؛ لذكره بحرف الفاء ، ولو كان المذكور إنما هو رده إلى الهرم دون ما بعد الموت ، لم يكن هناك تعرض للدين والجزاء ، بخلاف ما إذا كان المذكور أنه بعد الموت يرد إلى أسفل سافلين غير المؤمن المصلح ، فإن هذا يتضمن الخبر بأن الله يدين العباد بعد الموت ، فيكرم المؤمنين ويهين الكافرين ، وأيضاً : فإنه سبحانه أقسم على ذلك بأقسام عظيمة : بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين...وهذا الإقسام لا يكون على مجرد الهرم ، الذي يعرفه كل أحد ، بل على الأمور الغائبة ، التي تؤكد بالأقسام ، فإن أقسام الله هو على أنباء الغيب.."(١)

هذا عرض مقتضب لمواضع مناسبة من الاستدلال بالسياق على ترجيح قول أو تضعيفه ، ولا يتسع عرض جميع المواضع ودراستها ومقارنتها ،ولكن المراد توضيح شيء من تصوير أهمية دلالات السياق –والحمد لله رب العالمين –.

البيان (٥٩٩/١٠) ، والزمر (٥٣) ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٦/١١–١٧) ، وغافر (٦٠) ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٧٣/١١) .

(١) دقائق التفسير ، (١٥٥/٥–١٥٦) .

الخاتمة :

من خلال دراسة موضوع دلالة السياق نظرياً على سبيل العموم ، ومن خلال التطبيق عليه في تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري –رحمه الله- على سبيل الخصوص ، ظهرت فوائد كثيرة منها:

تعريف السياق فهو: بيان اللفظ بما لا يخرجه عن الكلام السابق واللاحق .

والسياق نوعان :سابق للموضع الذي يراد تفسيره ، ومتأخر يأتي بعده ، فالأول : يسمى سباقاً ، والثاني : يسمى لحاقاً ، وقد يجتمعان وقد ينفردان .

الاهتمام بالسياق منهج مأثور : وروي مرفوعاً عند الترمذي في تفسير سورة المؤمنون .

وقد سلك هذا المنهج المفسرون من الصحابة كعلي وابن عباس –رضي الله عنهم-، والتابعون كسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ومن بعدهم ، وهو شرط مهم في صحة التفسير .

ومن أقدم من نقل عنه الحث على لزوم السياق:مسلم بن يسار–رحمه الله- ت١٠٠هـ ، حيث يقول:"إذا حَدَّثْتَ عن الله فَقِفْ حتى تنظر ما قبله وما بعده ".

وأقدم من توسع في السياق تنظيراً وتقعيداً : سلطان العلماء العز بن عبد السلام –رحمه الله- .

وأما أقدم من توسع في تطبيق دلالة السياق في التفسير فهو إمام المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ، وقد كانت هذه الرسالة قائمة على توضيح مسلكه وبيان منهجه .

إن دلالة السياق تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن ، وهذه الطريق أصح طرق تفسير القرآن بالقرآن وأقواها في الجملة ؛ لكونها في محل واحد ، وأولى ما تفسر به الآية ما كان في سياق السورة .

من قواعد السياق المهمة :

الكلام على اتصاله ما لم يدل دليل على انقطاعه ، وهذه القاعدة أساس في دلالة السياق ، ويرجع لها في أكثر المواضع .

تدبّر أول الآية أو آخرها معين على معرفة معنى ابتدائها أو ختامها .

الأولى أن تحمل معاني الآيات اللاحقة على معاني جديدة دون تكرار المعاني بلا فائدة .

يختار من المعاني ما يلائم السياق دون ما يناقضه أو يقلل من فصاحته .

يراعى من المعاني : الظاهر من الخطاب ولا يتجاوز إلى غيره إلا بدليل .

والاعتناء بهذه القواعد وأمثالها له آثار كثيرة من أهمها :

الاختيار بين القراءات ، دون إخلال بمترلة القراءة الصحيحة ، التي لم يظهر أو يترجح معناها للمفسر .

تحديد أو ترجيح ما يناسب السياق من أسباب الترول ، دون ما يناقضه .

إظهار المناسبات بين مقاطع السورة والآيات والجمل والكلمات ، له الأثر الواضح في إبراز محور السورة في التفسير الموضوعي للسورة الواحدة .

توضيح المعاني من الآيات والجمل والكلمات على أساس صحيح ومسلك قويم حين تتمّ بمراعاة السياق .

مراعاة السياق لها أثر في عبارة المفسر حيث يذكر المتعلق القريب في السياق ، لما حذف متعلقه لعمومه ولا ينفي ذلك العموم –كما سبق بيانه–.

يدل السياق في بعض المواضع على وجود حذف في الكلام ، ويساعد السياق في تقدير محذوف مناسب .

وكذلك يدل السياق على الوصول إلى الصحيح من الناسخ أو المنسوخ .

يدل السياق على وجود تقديم في الكلام أو تأخير .

وللسياق أثر مهم في الوصول إلى الترجيح بين الأقوال قبولاً أو رداً ، وتقديماً بين الأقوال أو تأخيراً .

ومع كل هذا فإن القرآن قد يحتمل بعض المعاني ولا يفصل السياق فيها وحده ، أو قد يوجد سياقات في بعض المواضع يتنازع فيها السباق واللحاق في توضيح الموضع التي يراد تفسيره ، ويبقى لدلائل أخرى كثيرة نصيب من فهم النص ، كالسنة النبوية ، والإجماع ، وأسباب النزول ، وأقوال الصحابة والتابعين ، واللغة ، والإعراب ، وغيرها .

هذا وأسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهـــارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس المراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات الواردة في صلب الكتاب دون الحواشي

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
الفاتحة	١ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	٢٤٦
الفاتحة	٢ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٥٢٥-٥٢٤-٣٧٣-٢٤٦
الفاتحة	٢-٣ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٨٢
الفاتحة	٢-٥ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٨٢
الفاتحة	٣ ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	٢٤٦
الفاتحة	٤ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٣٨٢-٣٥٦
الفاتحة	٥ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥٢٥-٥٢٤-٣٧٣-٢٥٦
الفاتحة	٧ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	١٣٨
البقرة	١ ﴿الم﴾	٧٧
البقرة	٣ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	٦٥٠
البقرة	٤ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٦٥٠
البقرة	٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٤٠٤-٢٨٠
البقرة	٨ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٢٨٠
البقرة	٨-٩ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٢٩٨
البقرة	٩ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٣٨٥
البقرة	١٠ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾	٢٩٨
البقرة	١١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	٢٨٥
البقرة	١٤ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾	٣٠٠
البقرة	١٧ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	٥١١
البقرة	١٩ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾	٢١٥
البقرة	٢١ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	٤٨٧
البقرة	٢٦-٢٧ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	٢١٥
البقرة	٢٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	٢١٦
البقرة	٢٧ ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾	٢٨١-٢٨٠-٢١٥-١٢٠
البقرة	٢٨ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾	٢٢٣

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
البقرة	٣٠ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٢٣١
البقرة	٣٣ ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾	٢٣١
البقرة	٣٥ ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	٣٨٥
البقرة	٣٦ ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾	٣٨٤
البقرة	٤٠ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾	٢٨١
البقرة	٤٤ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾	٢٥٥
البقرة	٤٦ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾	٢٢٣
البقرة	٤٧-٤٨ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾	٢٥٥
البقرة	٥٣ ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	٢٠٧
البقرة	٥٥ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾	٤٧٦
البقرة	٥٦ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٣١١
البقرة	٦١ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾	٢٤٨
البقرة	٦٣ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾	١٠٤-٥٧٤
البقرة	٦٥ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾	٣٠٩
البقرة	٦٦ ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٣٣٤
البقرة	٦٨ ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾	٤٥٧
البقرة	٦٩ ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾	٦٣٨
البقرة	٧١ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾	١٠٢
البقرة	٨٠ ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾	٤٠٦
البقرة	٨١ ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾	١٣٩-٦٢٠
البقرة	٨٢ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾	١٣٩-٦٢١
البقرة	٨٣ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	٥١٦
البقرة	١٠٠ ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾	٢٥١
البقرة	١٠٢ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾	١٥٥-٥٦٦
البقرة	١٠٩ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾	٦٢٩
البقرة	١١٠ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾	٤٣٠-٦٥٢
البقرة	١١١ ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾	٤٠٦

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
البقرة	١١٤ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾	١٠٤-١٥١-١٨٩
البقرة	١١٨ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾	١٠٠
البقرة	١٢٠ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	٢٢١-٢٥٥
البقرة	١٢١ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾	٦٤٣
البقرة	١٢٢-١٢٣ ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾	٢٥٥
البقرة	١٢٤ ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾	٣٢٩-٦١٨-٦١٩
البقرة	١٢٥ ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ﴾	٦١٨-٦١٩
البقرة	١٢٧ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾	٦١٨-٦٢٨
البقرة	١٢٧-١٢٩ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾	٣٣٠-٦١٩
البقرة	١٢٨ ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾	٦١٩
البقرة	١٣٢ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾	٢٦٤
البقرة	١٣٣ ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾	١٧٩-١٢٤
البقرة	١٣٦ ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾	٤٢٠
البقرة	١٤٣ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	٤٢٦
البقرة	١٥٠ ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾	٦٥٤
البقرة	١٧٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾	١٨٨
البقرة	١٧٧ ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾	١٠١
البقرة	١٨١ ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾	٢٥٦-٥٠٠
البقرة	١٨٢ ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾	٥٠٠
البقرة	١٨٤ ﴿ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾	٦٦
البقرة	١٨٧ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾	٧-٦٦-٦٨-٦١٦
البقرة	١٩٠ ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾	١٤٥
البقرة	١٩٤ ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾	١٤٤
البقرة	١٩٥ ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾	٦١٢
البقرة	١٩٦ ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾	٤٨٨
البقرة	١٩٩ ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٥٧٥
البقرة	٢٠٤-٢٠٧ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ ﴾	٤٤٧

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
البقرة	٢٠٦-٢٠٧ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾	٤٤٧
البقرة	٢٠٦ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾	٤٤٧
البقرة	٢٠٧ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾	٤٤٨
البقرة	٢١٤ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ﴾	٤٢٥
البقرة	٢١٥ ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾	١٧٣-٤٣٠-٦٥٢
البقرة	٢١٦ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾	٤٨٩
البقرة	٢١٩ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾	٢٢٧-٣٩٠
البقرة	٢٢٠ ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾	٥١٤
البقرة	٢٢٢ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾	٣٠٥-٣٨٧-٣٨٨
البقرة	٢٢٣ ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾	٨١-٤٣٠-٦٥٢
البقرة	٢٢٤ ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ ﴾	٥٥٤
البقرة	٢٢٦ ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾	٣٠٦
البقرة	٢٢٨ ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾	٦٣-٧٨
البقرة	٢٢٩ ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾	٣٧٢
البقرة	٢٣٠ ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ ﴾	٧٨
البقرة	٢٣٣ ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾	٤٩٤
البقرة	٢٣٦ ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾	٦١٢
البقرة	٢٣٧ ﴿ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾	٦٣
البقرة	٢٣٩ ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾	١٢٠-١٣٣-٤٨٨
البقرة	٢٤٣ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾	٤٣٩-٥٩٤
البقرة	٢٤٤ ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) ﴾	٤٣٩-٤٥٣
البقرة	٢٤٥ ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾	٣٨٠-٤٥٢
البقرة	٢٤٨ ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	٥٢٩
البقرة	٢٤٩ ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾	٣٧٩-٥٢٩
البقرة	٢٥٣ ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	٢٢١
البقرة	٢٥٤ ﴿ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾	٧٥
البقرة	٢٥٥ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾	٣٤٤

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
البقرة	٢٥٩ ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾	٣٦٦-٣٦٧
البقرة	٢٦٠ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾	٣٦٧-٤٥٣
البقرة	٢٦١ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾	٤٥٢-٤٥٣-٦٥٩
البقرة	٢٦٤ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾	١٤٨
البقرة	٢٦٦ ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾	١٤٨
البقرة	٢٦٩ ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾	٥٤٨-٥٦٤
البقرة	٢٧٢ ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾	٤٢٩
البقرة	٢٧٣ ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾	٤٢٩-٦٣٣
البقرة	٢٧٥ ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾	٧٦-٧٩-٨١
البقرة	٢٨١ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾	٥٥٥
البقرة	٢٨٢ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾	١٤٧-٢٦٢-٥٥٦
البقرة	٢٨٣ ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾	٥٥٦
البقرة	٢٨٤ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٥٥٣
البقرة	٢٨٦ ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٥٥٣
آل عمران	٧ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾	٧٨-٢٦٧-٤٤٦
آل عمران	٢٦ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ ﴾	٣٨٣
آل عمران	٣١ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	٤٠٤
آل عمران	٣٤-٣٥ ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	١٦٠
آل عمران	٣٧ ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾	٣٦٤
آل عمران	٤٤ ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾	٣٦٤
آل عمران	٤٥ ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾	٥٩٦
آل عمران	٥٠ ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾	٥٩٦
آل عمران	٦٤ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾	١٩٥
آل عمران	٧٣ ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾	١٣٣
آل عمران	٧٥ ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ ﴾	٦٣
آل عمران	٨١ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾	٣٦٢
آل عمران	٨٣ ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا ﴾	٣٣٧

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
آل عمران	٨٦ ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾	٣٣٩
آل عمران	٩١ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ﴾	٥١٢
آل عمران	١٠٢ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	٦١٢-٤
آل عمران	١٠٦ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾	٦١٣-٤٢٨
آل عمران	١١٠ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾	١٩٦
آل عمران	١١٣-١١٥ ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾	١٩٧
آل عمران	١١٣ ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾	١٩٦
آل عمران	١٢٣ ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾	١٧٢
آل عمران	١٢٧ ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾	١٧٢-١٥٤
آل عمران	١٢٨ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾	١٥٤
آل عمران	١٣٠ ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾	٧٢
آل عمران	١٤٠ ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾	٥٣٤-٢٦٤
آل عمران	١٤٧ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾	٢٦٥
آل عمران	١٤٨ ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾	٢٦٥
آل عمران	١٥٤ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ ﴾	٤٥٧
آل عمران	١٧٣ ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾	٧٧
آل عمران	١٧٩ ﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾	٢٣٥
آل عمران	١٨٠ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾	١٨٥
آل عمران	١٨٧ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾	٣٦١
آل عمران	١٩٤ ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	١٠٣
آل عمران	١٩٥ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾	١٠٣
النساء	١ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾	٤
النساء	٣ ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا ﴾	١٢١-٨٩-٧٩-٧٣
النساء	٦ ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾	٣٨٨
النساء	١٠ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾	٦٧
النساء	١١ ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾	٥١٧-١٢٤-٧١
النساء	١٢ ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾	٢٢٩

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
النساء	١٣-١٤ ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ ﴾	٥٦٠
النساء	١٥ ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾	٦٠٣
النساء	١٦ ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾	٦٠٣
النساء	١٨ ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾	٦٠٢-٦٢٥
النساء	١٩ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾	٦٠٢
النساء	٢٠ ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ ﴾	٧٠
النساء	٢٣ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾	٦٦-٧٠-٧١-٧٤
النساء	٢٥ ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ ﴾	٦٥-٧٢-٧٣-١٢٢
النساء	٣٠ ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾	٦٢٠
النساء	٣١ ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ ﴾	٥٥٣
النساء	٣٦ ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾	٥٩٢
النساء	٣٨ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	٤١٥-٤١٩
النساء	٣٩ ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾	٤١٦
النساء	٤٠ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾	٣٣٠-٤١٦
النساء	٤١ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾	٤١٦
النساء	٤٢ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾	١٩٣
النساء	٤٧ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾	٤٦٩
النساء	٥١ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٦٦٢
النساء	٥٤ ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	٦٦٢
النساء	٥٥ ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾	٤٦٩
النساء	٦٠ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾	١٩٤
النساء	٦٥ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	١٩٣-١٩٤
النساء	٦٩ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾	١٣٨
النساء	٧٧ ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾	٦٣
النساء	٨٣ ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾	٥٦٨
النساء	٨٥ ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾	١٥٠
النساء	٩٢ ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا ﴾	٧٢

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
النساء	١٠١ ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾	٦٩-٧٠
النساء	١٠٥ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾	٢٠٣
النساء	١١٧ ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾	١٧٣
النساء	١١٩ ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾	٤٠٦
النساء	١٢٠ ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	٤٠٦
النساء	١٢٢ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾	٤٠٧-٥٥٧
النساء	١٢٣ ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٤٠٦-٤٠٨
النساء	١٣٠ ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾	٢٠٢
النساء	١٣١ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ﴾	٢٠٢-٢٥٣
النساء	١٣٢ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾	٢٥٣
النساء	١٣٦ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾	١٥٦
النساء	١٣٧ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾	١٥٦
النساء	١٤١ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾	٧-٩٧-١١٧
النساء	١٤٥ ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	٦٦٧
النساء	١٤٩ ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾	٥٣٧
النساء	١٥٣ ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٥٨٣
النساء	١٥٩ ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾	٥٩٨
النساء	١٧٦ ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾	٥١٨
المائدة	١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾	٥٥٥
المائدة	٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ ﴾	٣٢٤
المائدة	٣ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾	٤٦٦
المائدة	٤ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾	٤٦٥
المائدة	٥ ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٧٣
المائدة	٦ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾	٥٥٦-٥٥٧
المائدة	٢٠ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ ﴾	١٤٧-١٤٨
المائدة	٢٧ ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾	٣١٤
المائدة	٣١ ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾	٣١٥

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
الأنعام	٣٢ ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾	٤٤٢
الأنعام	٣٧ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	٤٢٢
الأنعام	٣٨ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٤٢١
الأنعام	٤٢-٤٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾	٣٠٣
الأنعام	٤٤ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٢١٥-٣٠٢
الأنعام	٥٢ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾	٤١٠
الأنعام	٥٤ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾	١٦٤-٥١٠
الأنعام	٦٣ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	١٠٦
الأنعام	٦٣-٦٤ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	٢٨٢
الأنعام	٦٤-٦٥ ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾	٤٤٢
الأنعام	٦٤ ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾	٢٢١-٤٤٣
الأنعام	٦٥ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾	٤٤٣
الأنعام	٦٦ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾	١٠٦
الأنعام	٧٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾	٤٤٣
الأنعام	٧٤ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾	١٢٤
الأنعام	٧٥ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾	٤٤٣
الأنعام	٨٣ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾	١٧٩
الأنعام	٨٤ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾	١٧٧
الأنعام	٨٩ ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	١٦٣
الأنعام	٩١ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾	١٥٧-٢٢٠-٢٢١
الأنعام	٩٣ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾	٢٨٦
الأنعام	٩٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾	٤٤٣
الأنعام	١٢١ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾	٧٢-٤٢٥
الأنعام	١٢٢ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي النَّاسِ﴾	٤٢٤
الأنعام	١٢٨ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾	٤٤٣
الأنعام	١٣٧ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ	٤٤٣
الأنعام	١٣٨ ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾	٤٤٣

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
التوبة	٢٨ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾	٤٣٢
التوبة	٢٩ ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾	٦٣-٥٦٢
التوبة	٣٤-٣٥ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٦٩
التوبة	٣٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٧٠
التوبة	٣٥ ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾	١٦٩
التوبة	٣٦ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾	٣١٩
التوبة	٤٠ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٧٥-١٩٧
التوبة	٤١ ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٤٢٢
التوبة	٥٥ ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ﴾	٣١٦
التوبة	٥٨ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	١١٤
التوبة	٦٠ ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾	٢٤٨-٣٢٥
التوبة	٨٠ ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾	٦٩
التوبة	١٠٢ ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾	٣٩٧
التوبة	١٠٨ ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾	١٨٨
التوبة	١١٢ ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾	١٩٨
التوبة	١١٣ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾	١٣٨
يونس	١ ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	٤٣٤-٦٥٩
يونس	٢٢ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	١٩١-٣٧٣
يونس	٣١ ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٥٤٦
يونس	٦٥ ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	٤٥٨
يونس	٨٨ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٦٦٢
هود	١ ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	٤١٤
هود	٥ ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾	١٦٥
هود	١٢ ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾	٢٢٥
هود	٤٠ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا ﴾	٣١٥
هود	٤٢ ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾	٦٣٤
هود	٤٦ ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾	٦٣٤

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
هود	٤٩ ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾	٥٢٠
هود	٦٢ ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾	٤١٩
هود	٦٤ ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾	٤١٨
هود	٨٢ ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾	٦٠٥-١٣٨
هود	٨٧ ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾	١١٠
هود	٩٢ ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾	٥٩٩
هود	١٠٠ ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ﴾	٥٢٠
هود	١٢٠ ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾	٢٢٥
يوسف	٢ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	٥
يوسف	٢٦ ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾	٦٣٠
يوسف	٣٨ ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾	١٢٤
يوسف	٥١ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾	٢٠٣
يوسف	٥١-٥٢ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾	٥٢٨-٢٠٣
يوسف	٥٢ ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾	٢٠٣
يوسف	٧٧ ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾	٥٢٠
يوسف	٨١-٨٢ ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴾	٩٢
يوسف	٨٢ ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾	٦٣٤
يوسف	٩٨ ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾	٥٧٢
يوسف	٩٩ ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾	٥٧١
يوسف	١٠٠ ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾	١٢٤
يوسف	١١٠ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾	١٧٨
يوسف	١١١ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٤٤٩
الرعد	٢ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾	٣١١
الرعد	٣٨ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾	٥٠
الرعد	٤٠ ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾	٣٦٩
الرعد	٤٢ ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾	٣٦٨
الرعد	٤٣ ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾	٣٦٩

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
إبراهيم	١٦ ﴿ مِن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾	٤٥٨
إبراهيم	٢٥ ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾	٦٥٦
إبراهيم	٢٨ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾	٢٣٢
إبراهيم	٢٨-٣٠ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾	٢٣٢
إبراهيم	٣٤ ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾	٢٣٢
الحجر	٩ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٢٠٩
الحجر	٢٣ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾	١٠٦
الحجر	٢٤ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾	٩٨-١٠٦-٦٤٤
الحجر	٢٥ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾	٩٨-١٠٦-٦٤٤
الحجر	٣٠ ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	٨٠
الحجر	٤١ ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾	١٢١
الحجر	٧٢ ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	٢٠٣
الحجر	٨٨ ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾	٤٢٤
الحجر	٩١ ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾	٦٤٧
الحجر	٩٥ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾	٦٤٧
النحل	٥ ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	٦٤٦
النحل	٨ ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾	٦٤٦
النحل	٤٠ ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٦١٤
النحل	٤٤ ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	٣٣٤
النحل	٦٢ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾	٥٨٨
النحل	٦٤ ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾	٤
النحل	٧٥-٧٦ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾	٦٢٣
النحل	٩١ ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾	٣٩٨
النحل	٩٤ ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾	٣٩٩
النحل	٩٨ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	٥٦٧-٧٦
النحل	١٠٦ ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾	٤٢٧
النحل	١١٠ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ﴾	٤٢٧-٥٢٠

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
الإسراء	١١ ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَٰنُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِالْخَيْرِ ﴾	٦٥١
الإسراء	٢١ ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	٢٤١
الإسراء	٢٣ ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾	٦٣-٦٥-٦٧-٣٨
الإسراء	٢٣-٣٧ ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾	٣٨٩
الإسراء	٢٤ ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾	١٣٧
الإسراء	٢٦ ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾	٣٨٩
الإسراء	٣١ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾	٧٢-٣٨٩-٥٤٤
الإسراء	٣٢ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ ﴾	٦٢
الإسراء	٣٥ ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾	٣٩٠
الإسراء	٣٦ ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	٣٣٩
الإسراء	٣٧ ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾	٣٨٩
الإسراء	٣٨ ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾	٣٨٩
الإسراء	٤٠ ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾	١١٠
الإسراء	٦٠ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾	٤٢٦
الإسراء	٦١ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾	٤٢٦
الإسراء	٦٢ ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾	٤٢٦
الإسراء	٨٨ ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ ﴾	١٣٥
الإسراء	٩٠ ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾	٢١٩
الكهف	٦ ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾	٢١٩
الكهف	٩ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾	١٦٢
الكهف	١٠ ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾	١٦٢
الكهف	٢٥ ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾	٥٢٣-٥٢٤
الكهف	٢٥ ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾	٥٢٤
الكهف	٢٧-٢٩ ﴿ وَاتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾	٤١١
الكهف	٢٨ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾	٤٠٩
الكهف	٣٢-٣٤ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ ﴾	١٦٣
الكهف	٤٩ ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾	٥٥٣

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
النور	١ ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	٥٣٦
النور	٤ ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾	٦٨-٧٤
النور	٩-٦ ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ ﴾	٢٧٨
النور	٢٤ ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	١٧٠
النور	٢٥ ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾	١٧٠
النور	٢٩ ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾	٤٨٩
النور	٣١ ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾	٤٩٥-٤٩٤
النور	٣٣ ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾	٣٢٣-٣٢٤-٥٩٠
النور	٣٨-٣٦ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ﴾	١٨١
النور	٤٠ ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ﴾	٣٣٥
الفرقان	٧ ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾	٦٥٧
الفرقان	٨-٧ ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾	٦٥٧
الفرقان	١٠ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ﴾	٦٥٧
الفرقان	٣٩-٣٨ ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾	٤٠٠
الفرقان	٤٧ ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾	٥٩٤
الفرقان	٥٠ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾	٢٤٤
الفرقان	٥٥ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾	٦٦٠
الفرقان	٦٨ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾	٩٨
الفرقان	٦٩ ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾	٩٨
الشعراء	٣ ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾	٢٣٤
الشعراء	٥ ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾	١٦٦
الشعراء	١٧-١٦ ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٠٢
الشعراء	٣٥-٣٤ ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾	١٠٢
الشعراء	١٣٩ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٢٤٣
الشعراء	١٩٥-١٩٢ ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٦٦
الشعراء	١٩٩-١٩٨ ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾	٢٣٤
النمل	٢٢ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾	٥٧٩

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
النمل	٢٧ ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾	٥٧٩
النمل	٢٨ ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾	٥٧٨
النمل	٢٩-٣٠ ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾	٥٧٨
النمل	٣٤ ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾	٢٠٤
النمل	٣٨ ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾	٥٧٩
النمل	٨٧ ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾	٣٧١-٦٠٧
النمل	٨٩ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾	٣٧٠
القصص	٤ ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾	١٧٤
القصص	٥-٦ ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾	١٧٤
القصص	٢٣ ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾	١٢٤
القصص	٤٨ ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾	٢٢٠
القصص	٨٧ ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	٢٢٠
العنكبوت	١٤ ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾	١٦٤
العنكبوت	١٥ ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٤
العنكبوت	٤٥ ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٢٣٢
العنكبوت	٥٦ ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٥٠١
العنكبوت	٦٠ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾	٥٠١
العنكبوت	٦١ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	٥٣٢-٥٤٦
الروم	٢٩ ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	١٧٨
الروم	٣٠ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾	٩٩
السجدة	٢-٣ ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٦٥١
السجدة	١-٣ ﴿ الٓمٓ ① تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٧٩
الأحزاب	٣٠ ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾	١١٠
الأحزاب	٣٢-٣٣ ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	١٨٦
الأحزاب	٣٣ ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾	١٨٨
الأحزاب	٣٤ ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾	٢٣٠

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
الأحزاب	٦٧ ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾	١١٠
الأحزاب	٧٠-٧١ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٤
سبأ	١٥ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ﴾	٤٥٧
سبأ	٢٤ ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾	٥٤٥
سبأ	٤٦ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾	٤٥٧
فاطر	١١ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾	١٦٧
يس	٤ ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	٢٠١
يس	٢٨ ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾	٣٢١
يس	٣٧ ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾	٥٩٠
يس	٤٧ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ ﴾	٤٧٨
يس	٥٥ ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾	١٦٩
يس	٥٦-٥٨ ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾	١٦٩
يس	٦٦ ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾	٦٢٤
الصافات	١-٣ ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ② فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ③ ﴾	١٨٠
الصافات	٦-٧ ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾	٢١١
الصافات	٤٩ ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾	٦٣٩
الصافات	١٢٥ ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾	١٩٨
الصافات	١٢٦ ﴿ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾	١٩٨
الصافات	١٣٠ ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ﴾	٣٧٨
الصافات	١٥٨ ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾	٢٢٣
الصافات	١٨١ ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾	٢٢٦
ص	١٩ ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾	٣١٧
ص	٢٩ ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾	٤-٥٣
ص	٤٩ ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾	٢٦٦-٤٤٦
ص	٥٥ ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾	٢٦٦-٤٤٦
ص	٥٥-٥٨ ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾	٢٠٠
ص	٦٢-٦٣ ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾	١٢٦

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
الزمر	٣ ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾	٥٢٥-٥٢٦
الزمر	٢٢ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾	٥٣٤-٥٣٥
الزمر	٢٣ ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ ﴾	٢٦٦-٤٤٥
الزمر	٣٨ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾	٥٣١-٥٣٢
الزمر	٦٨ ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾	٦٠٧
غافر	٧-٩ ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾	١٣٨
غافر	٢٨ ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾	٦٢٦
غافر	٢٩ ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾	٦٢٧
غافر	٧٩-٨٠ ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	٥٤٤-٥٤٥
فصلت	٥ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾	١٢٠
فصلت	٦-٧ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾	٢٥٨
فصلت	١٢ ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾	٢٧٢
فصلت	١٣ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾	٢٧٢
فصلت	٣٧ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾	٢٣٩-٢٤٠
فصلت	٤٢ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾	٥٥٧
الشورى	٥ ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾	١٣٨
الشورى	٣٩ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾	٦٢٠
الشورى	٣٩-٤٠ ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾	٦٢٠
الدخان	١-٥ ﴿ حم ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② ﴾	٥٠١-٥٠٢
الدخان	٦ ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٥٠١
الدخان	٢٣ ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾	٤٧٢
الدخان	٢٤ ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾	٥٣٨
الدخان	٤٩ ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	١٠٩-١١٤
الأحقاف	١٠ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ ﴾	١٨٩
الأحقاف	١٣-١٤ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٢٥٧
الأحقاف	١٥ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾	٦٢٦

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
الأحقاف	٢٦ ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾	٢٧٣
الأحقاف	٢٧ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٢٧٣
محمد	١٠ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾	٢٧١
محمد	٢٠ ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾	٢٧٢
محمد	٣٧-٣٦ ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾	٤٤٠
محمد	٣٨ ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ﴾	٤٤٠
الفتح	١ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾	١٧٢
الفتح	٢ ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾	١٧٢
الفتح	٥ ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾	١٧٢
الفتح	١١ ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾	٣٧٦
الحجرات	٦ ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾	٦٧
الحجرات	٧ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾	٤٧٦
ق	١٦-١٥ ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾	٢٥٥
ق	٢٢-١٩ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾	١١٩
ق	٣٩-٣٨ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾	١٩٢
ق	٣٨ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾	١٩٢
ق	٤٠-٣٩ ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾	١٩٢
ق	٤٠ ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾	٦١١-٣٣٩
ق	٤٤ ﴿ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾	١١٠
الذاريات	١٩ ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾	٢٧٥
الذاريات	٣٣-٣٢ ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾	١٣٨
الذاريات	٣٣ ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾	١٦٦
الذاريات	٣٥-٣٣ ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾	١٦٦
الطور	٢٠ ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾	٤٧٧
الطور	٢١ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	٣٢٧
النجم	٨ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾	٥٧٠
النجم	١٤-١٣ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾	١٧٨

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
النجم	٣٦-٣٧ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾	٤٦٤
النجم	٣٨-٤١ ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	٤٦٤
النجم	٤٨ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾	٢٧٦
النجم	٥٦ ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾	٦٠١
القمر	٥ ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾	٥١٢
القمر	١٧ ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	٣١٩
القمر	٢٦ ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾	٥٣٩
القمر	٢٧-٢٨ ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾	٥٣٩
الرحمن	٣ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾	٣٣٣
الرحمن	١٢ ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾	٣٧٧
الرحمن	١٣و١٨و٢١ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	٢٥٤
الرحمن	١٧-٢١ ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾	٢٥٤
الرحمن	٦٦ ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾	٦٣٤
الواقعة	١٧-٢٣ ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾	٤٧٠
الحديد	٩ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	٢٣٠
الحديد	١٣ ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾	٢١٠-٥١١-٥١٢
المجادلة	٣ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾	٥٥٧
المجادلة	١٦ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾	٢٩٩
الحشر	٧ ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٤٩٥
الحشر	٧-١٠ ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٤٨٣
الحشر	٨ ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾	٧٣
الحشر	١٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾	٤٨٢
الحشر	٢٤ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾	٢٢٢
الصف	١٠-١١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٤٦٨
الصف	١٠ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٦٠٦
الصف	١٣ ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٠٦

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
المرسلات	١١-١٥ ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾	٢٥٤
المرسلات	١٢ ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾	٤٦٨
المرسلات	١٣ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾	٤٦٨
المرسلات	١٥ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾	٢٥٤
المرسلات	١٦-١٩ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾	٢٥٥
النبأ	٢٣ ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾	٢٠٠
النبأ	٢٤-٢٥ ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾	٢٠٠-٢٦٨
النبأ	٤٠ ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾	١٣٩-٣٧٠
النازعات	١-٥ ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾	٥٣٢
النازعات	٦-٨ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾	٥٣٢
النازعات	١١ ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾	٥٣٢
النازعات	٢٣ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾	٣١٧
النازعات	٢٦ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾	٥٣٢
عبس	١٧-٢٢ ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾	٦٦٤
عبس	٢٠ ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾	٦٦٣
عبس	٣٥ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾	١٢٤
التكوير	٥ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	٣١٧
التكوير	٢٧ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾	٢٧٨
الانفطار	١٣-١٤ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	٢٦٦-٤٤٦
الانفطار	١٧-١٨ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾	٤٦٨
الانفطار	١٩ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾	٤٦٨
المطففين	٦ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٩
المطففين	٧ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾	٢٦٦-٤٤٦
المطففين	٨-٩ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾	٢٠٥
المطففين	١٨ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾	٢٦٦-٤٤٦
المطففين	١٩-٢٠ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾	٢٠٥

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
العاديات	١ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾	٥٩١
العاديات	٢ ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾	١٢٢-٢٧٦
العاديات	١-٣ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾	١٢١
التكاثر	١ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾	٤٨٧
العصر	٢ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾	٣٣٣
الفيل	٥ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾	٢١٧
قريش	١ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾	٢١٧
الماعون	٦ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾	١٧١
الكوثر	٣ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾	٢٩٢
الإخلاص	١ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	٥٢١

فهرس الأحاديث الواردة في صلب الكتاب دون الحواشي

فهرس الأعلام الواردة في صلب الكتاب دون الحواشي

الاســــم رقم الصفحة

فهرس المراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا :

١ - الإبانة عن معاني القراءات ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، المتوفى ٤٣٧هـ ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، طبع مكتبة نهضة مصر ، بدون تاريخ .

٢ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، المسمى : منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات ، لأحمد بن محمد البنا الدمياطي ، المتوفى ١١١٧هـ ، تحقيق الدكتور: شعبان محمد إسماعيل ، الطبعة الأولى ، لدار عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٧هـ .

٣ - الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، تقديم وتعليق : الدكتور مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثانية لدار ابن كثير ١٤١٤هـ .

٤ - أحكام القرآن ، لأبي بكر الجصاص ، المتوفى ٣٧٠هـ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، الطبعة الثانية ، لدار المصحف بالقاهرة ، بدون تاريخ .

٥ - أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ، المتوفى ٥٤٣هـ ، تحقيق محمد علي البجادي ، طبعة الحلبي ١٣٨٨هـ.

٦ - آداب الزفاف ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، طبع المكتب الإسلامي ، ١٤٠٩هـ .

٧ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ، محمد بن محمد ابن مصطفى ، العماد الحنفي، المتوفى ٩٨٢هـ ، تحقيق عبد القادر عطا .

٨ - أسباب النزول ، للواحدي ، تحقيق عصام الحميدان ، الطبعة الأولى ، لدار الإصلاح بالدمام ، ١٤١١هـ.

٩ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري ، المتوفى ٦٣٠هـ ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد ، طبع دار الشعب .

١٠ - الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المالكي ، المتوفى ٦٧١هـ، ضبط : الدكتور محمد حسن جبل ، تخريج : طارق أحمد محمد ، تقديم : مجدي فتحي السيد ، الطبعة الأولى ، لدار الصحابة بطنطا ١٤١٦هـ .

١١ - الإصابة في تمييز الصحابة ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ، طبع دار الكتب العلمية ، مصورة عن طبعة كلكتا ١٨٥٣م .

١٢ - أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله للدكتور عياض بن نامي السلمي ، الطبعة الثالثة لدار التدمرية ، ١٤٢٩هـ .

١٣ - الأصول من علم الأصول ، للشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين ، الطبعة الثالثة ، لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ .

١٤ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المالكي ، المتوفى ١٣٩٣هـ ، بعناية صلاح الدين العلايلي ، الطبعة الأولى ، لدار إحياء التراث العربي ١٤١٧هـ .

١٥ – الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ .

١٦ – إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لأبي بكر محمد بن أبي بكر ابن القيم ، المتوفى ٧٥١هـ ، تحقيق محمد سيد كيلاني طبعة الحلبي ١٣٨١هـ .

١٧ – الإكليل في استنباط التنزيل ، لجلال الدين السيوطي تحقيق : سيف الدين عبد القادر الكاتب ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤٠١هـ .

١٨ – الإمام الطبري ، لعبد الله بن عبد العزيز المصلح آل شاكر ، إشراف الشيخ مناع القطان ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بدون تاريخ .

١٩ – الإمام في بيان أدلة الأحكام ، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي المتوفى ٦٦٠هـ ، تحقيق : رضوان مختار بن غربية ، الطبعة الأولى ، لدار البشائر الإسلامية ١٤٠٧هـ .

٢٠ – إنباه الرواة على أنباء النحاة ، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، المتوفى ٦٤٦هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ .

٢١ – الأنساب ، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، المتوفى ٥٦٢هـ ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى لدار الجنان ببيروت ١٤٠٨هـ .

٢٢ – الأنساب المتفقة ، لأبي الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني ، المتوفى ٥٠٧هـ ، تحقيق d.p. dejong .

٢٣ – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، للدكتور : فهد بن عبد الرحمن الرومي ، طبع ١٤٠٧هـ .

٢٤ – الاختلاف بين القراءات ، لأحمد البيلي ، طبع دار الجيل ، بيروت ، الدار السودانية الخرطوم ١٩٨٨م .

٢٥ – البحر المحيط في أصول الفقه ، لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، المتوفى ٧٩٤هـ، تحرير الدكتور : عبد الستار أبو غدة ، مراجعة الشيخ عبد القادر العاني ، طبع وزارة الشئون الإسلامية بالكويت.

٢٦ – بدائع التفسير ، الجامع لتفسير محمد بن أبي بكر ابن القيم ، المتوفى ٧٥١هـ ، جمع يسري السيد محمد، الطبعة الأولى لدار ابن الجوزي ١٤١٤هـ .

٢٧ – بدائع الفوائد ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي ، المتوفى ٧٥١هـ ، طبع دار الكتاب العربي .

٢٨ – البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى ٧٧٤هـ ، طبعة دار الفكر ١٣٩٨هـ .

٢٩ – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني ، المتوفى ١٢٥٠هـ ، ومعه : ملحق البدر الطالع ، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة ، الطبعة الأولى لمطبعة السعادة بمصر ١٣٤٨هـ .

٣٠ – البرهان في توجيه متشابه القرآن ، لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني ، المتوفى خمسمائة تقريباً ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، طبع دار الكتب العلمية ١٩٨٦م .

٣١ – البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، المتوفى ٧٩٤ هـ ، تحقيق الدكتور: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، والشيخ جمال حمدي الذهبي ، وإبراهيم الكردي ، الطبعة الثانية لدار المعرفة ١٤١٥هـ .

٣٢ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : محمد علي النجار ، طبع المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ .

٣٣ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة الحلبي الأولى ١٣٨٤هـ .

٣٤ – تاج التراجم ، لأبي الفداء قاسم بن قطلوبغا السودوني ، المتوفى ٨٧٩هـ ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى لدار القلم ١٤١٣هـ .

٣٥ – تاج العروس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ، المتوفى ١٢٠٥هـ ، طبع المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ .

٣٦ – التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي ، المتوفى ١٣٠٧هـ ، تصحيح الدكتور : عبد الحكيم شرف الدين ، الطبعة الثانية للمطبعة الهندية العربية ١٣٨٢هـ .

٣٧ – تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ،المتوفى ١٩٥٦م طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٧م .

٣٨ – تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى ٣١٠هـ ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ .

٣٩ – تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣هـ طبعة دار الكتاب العربي بيروت

٤٠ – التبيان في أقسام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي ، المتوفى ٧٥١هـ، تعليق : فواز أحمد زمرلي ، الطبعة الأولى لدار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ .

٤١ – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلى عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن عثمان الطبعة الثانية لمطبعة الاعتماد نشر مؤسسة قرطبة ١٤٠٦هـ .

٤٢ – تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل للدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان طبع مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤١٥هـ .

٤٣ – تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام محمد هارون الطبعة الرابعة لمكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٧هـ

٤٤ – ترتيب القاموس المحيط تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ، طبعة الحلبي الثانية .

٤٥ – التسهيل لعلوم التتريل ، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، المتوفى ٧٤١هـ ، الطبعة الأولى للمكتبة التجارية ١٣٥٥هـ .

٤٦ – التصاريف ليحيى بن سلام ، المتوفى ٢٠٠هـ ، تحقيق : هند شلبي ، نشر الشركة الوطنية للتوزيع .

٤٧ – التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، لعودة خليل أبو عودة ، طبع مكتبة المنار بالأردن

٤٨ – تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢هـ ، تحقيق عبد الله هاشم يماني ، طبع دار المحاسن بمصر ١٣٨٦ هـ .

٤٩ - تعظيم قدر الصلاة ، لمحمد بن نصر المروزي ، المتوفى ٢٩٤هـ ، تحقيق الدكتور : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، الطبعة الأولى لمكتبة الدار بالمدينة ١٤٠٦هـ .

٥٠ - تعليم علم الأصول ، للدكتور نور الدين الخادمي ، طبعة أولى ١٤٢٣هـ ، نشر مكتبة العبيكان .

٥١ - تفسير آيات أشكلت ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، رسالة ماجستير تحقيق الشيخ : عبد العزيز بن محمد الخليفة طبع الرشد ١٤١٧هـ .

٥٢ - تفسير التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر ابن عاشور ، طبع الدار التونسية ١٩٨٤م .

٥٣ - تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي ، طبع دار الشعب .

٥٤ - تفسير السمرقندي ، تحقيق علي محمد معوض ، وعادل أحمد ، وزكريا النوتي ، طبع دار الكتب العلمية.

٥٥ - تفسير القرآن ، لأبي المظفر السمعاني ، المتوفى ٤٨٩هـ ، طبع دار الوطن .

٥٦ - تفسير القرآن ، للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، المتوفى ٢١١هـ ، تحقيق الدكتور : مصطفى مسلم محمد ، الطبعة الأولى لمكتبة الرشد ١٤١٠هـ .

٥٧ - تفسير القرآن الحكيم ، المشهور ب"تفسير المنار" ، لمحمد رشيد رضا ، المتوفى ١٣٥٤هـ ، الطبعة الرابعة لدار المنار ١٣٧٣هـ .

٥٨ - تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى ٧٧٤هـ ، طبع دار الشعب ، والطبعة الثانية لدار عالم الكتب ، ومؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ .

٥٩ - تفسير النسائي ، تحقيق صبري الشافعي ، وسيدي عثمان الجليمي ، الطبعة الأولى لمؤسسة الكتب الثقافية ١٤١٠هـ .

٦٠ - تفسير غريب القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، طبعة الحلبي ١٣٧٨هـ .

٦١ - تفسير غريب القرآن ، لسراج الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد النحوي الشافعي ، المعروف بابن الملقّن ، المتوفى ٨٠٤هـ ، تحقيق : سمير طه المجذوب ، الطبعة الأولى لعالم الكتب ١٤٠٨هـ.

٦٢ - تفسير كتاب الله العزيز ، لهود بن المحكّم الهوّاري ، تحقيق : بالحاج بن سعيد شريفي .

٦٣ - التفسير والمفسرون ، لمحمد حسين الذهبي ، دار إحياء التراث العربي .

٦٤ - التفسير ورجاله ،للدكتور : محمد الفاضل بن عاشور ، الطبعة الثانية لدار الكتب الشرقية تونس ١٩٧٢م .

٦٥ - تقريب التهذيب ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢هـ ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

٦٦ - التلخيص للمستدرك ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى ٧٤٨هـ ، مع المستدرك على الصحيحين للحاكم ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بيروت .

٦٧ - تهذيب الأسماء واللغات ، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، المتوفى ٦٧٦هـ ، طبع دار الكتب العلمية .

٦٨ – تهذيب التهذيب ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، وعادل مرشد ، الطبعة الأولى لمؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ .

٦٩ – تهذيب الكمال ، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي ، المتوفى ٧٤٢هـ طبع مؤسسة الرسالة ١٩٨٠-١٩٩٢م .

٧٠ – تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، المتوفى ٣٧٠هـ ، تحقيق : عبد العظيم محمد النجار ، ومحمد علي النجار ، طبع الدار المصرية .

٧١ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المتوفى ١٣٧٦هـ ، عناية الدكتور : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الطبعة الثانية لمؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ .

٧٢ – جامع البيان عن تأويل القرآن ، للإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ ، تحقيق الشيخين : أحمد ومحمود شاكر ، الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر .

٧٣ – الجامع الصحيح "سنن الترمذي" ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي ، المتوفى ٢٧٩هـ ، تحقيق وشرح : الشيخ أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ .

٧٤ – الجامع الصحيح ، المشهور بصحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى لدار الحديث بالقاهرة ١٤١٢هـ

٧٥ – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ- وسننه وأيامه ، المشهور بصحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى ٢٥٦هـ طبع دار السلام .

٧٦ – الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المالكي ، المتوفى ٦٧١هـ ، طبع دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ .

٧٧ – جمال القراء ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق الدكتور : علي حسين البواب ، الطبعة الأولى لمكتبة التراث بمكة ١٤٠٨ هـ .

٧٨ – جمهرة اللغة ، لابن دريد ، المتوفى ٣٢١هـ ، الطبعة الأولى لمكتبة المثنى ببغداد ١٣٤٥هـ ، مصورة عن طبعة دار المعارف .

٧٩ – الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، لأبي محمد عبد القادر بن نصر الله الحنفي ، المتوفى ٧٧٥هـ ، طبع عام ١٣٣٢هـ .

٨٠ – حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، المتوفى ٧١٥ هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية لدار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ .

٨١ – حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، للشيخ : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، المتوفى ١٣٩٢هـ، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ .

٨٢ – حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي ، لطاشكبري زاده أحمد بن مصطفى ، المتوفى ٩٦٨هـ ، طبع دار صادر .

٨٣ – حاشية مقدمة التفسير ، للشيخ :عبد الرحمن بن محمد بن قاسم المتوفى ١٣٩٢هـ ،الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٨٤ - حجة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، الطبعة الثالثة لمؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ .

٨٥ - الحجة في القراءات ، لابن خالويه ، تحقيق الدكتور : عبد العال سالم مكرم ، الطبعة الرابعة لدار الشروق ١٤٠١هـ .

٨٦ - الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق : علي النجدي ، والدكتور : عبد الفتاح شلبي ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ .

٨٧ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٧هـ .

٨٨ - حكم الجاهلية ، وهو مجموع مقالات الشيخ : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى للمكتبة السنية ١٤١٢هـ.

٨٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، المتوفى ٤٣٠هـ ، الطبعة الخامسة لدار الريان ودار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ .

٩٠ - خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي اليمني، المتوفى ٩٢٣هـ ، وعليه : إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة ، لعلي ابن صلاح الكوكباني الصنعاني ، المتوفى ١١٩١هـ، تقديم وعناية : عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الرابعة لمكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٤١١هـ .

٩١ - دائرة المعارف ، للبستاني ، بيروت ١٩٥٦م .

٩٢ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ ، طبع .

٩٣ - دراسة الطبري للمعنى ، للأستاذ محمد المالكي ، طبع وزارة أوقاف المغرب ١٤١٧هـ .

٩٤ - درّة الحجال في أسماء الرجال ، لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي المتوفى ١٠٢٥هـ، وهو ذيل وفيات الأعيان لابن خلّكان ، تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور ، الطبعة الأولى لدار التراث بالقاهرة ١٣٩٠هـ .

٩٥ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢هـ ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٩٦ - دفاع عن القراءات ، للدكتور لبيب السعيد ، طبعة دار المعارف .

٩٧ - دقائق التفسير ، جمع لتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع الدكتور : محمد السيد الجليند .

٩٨ - دول الإسلام ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ ، طبعة دار المعارف العثمانية الثانية ١٣٦٤هـ .

٩٩ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون المالكي ، المتوفى ٧٩٩هـ ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث بالقاهرة .

١٠٠ حيوان ابن دريد ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى ٣٢١هـ ، جمع : محمد العلوي ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٣٦٥هـ .

١٠١ الرسالة ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، المتوفى ٢٠٤هـ ، تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر .

١٠٢- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، لمحمد بن جعفر الكتاني ، المتوفى ١٣٤٥هـ ، تحقيق: محمد المنتصر ، ومحمد الزمزمي الكتاني ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ لدار البشائر الإسلامية ببروت .

١٠٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل محمود الآلوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠هـ، تصحيح محمد حسين العرب ، طبع دار الفكر ١٤١٤هـ .

١٠٤- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، لمحمد باقر الخوانساري ، طبع ١٣٥٧هـ .

١٠٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، للشيخ : محمد ناصر الدين الألباني ، طبع مكتبة المعارف ١٤١٥هـ .

١٠٦- سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى ٢٧٥هـ ، ومعه : معالم السنن، للخطابي ، إعداد وتعليق : عزّت عبيد الدعّاس ، وعادل السيد ، الطبعة الأولى لدار الحديث ببيروت ١٣٩٣هـ .

١٠٧- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه ، المتوفى ٢٧٣هـ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

١٠٨- سنن الدارمي ، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي ، المتوفى ٢٥٥هـ ، تحقيق : فواز زمرلي وخالد السبع ، طبع دار الكتاب ١٤٠٧هـ .

١٠٩- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ الطبعة الثامنة لمؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ هـ .

١١٠- السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، المتوفى ٢١٣هـ ، طبعة الحلبي ١٣٥٥هـ .

١١١- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، دراسة تحليلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد ، الطبعة الأولى لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٢هـ .

١١٢- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف ، الطبعة الأولى لدار الكتب العربية والمطبعة السلفية ١٣٤٩هـ .

١١٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩هـ ، طبع دار الميسرة الثانية ١٣٩٩هـ .

١١٤- شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، تخريج وعناية : سعد بن فواز الصميل، الطبعة الرابعة لدار ابن الجوزي ١٤١٧هـ .

١١٥- شرح الكوكب المنير ، المسمى مختصر التحرير ، أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه ، لمحمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي ، المعروف بابن النجار ، تحقيق : الدكتور محمد الزحيلي ، والدكتور نزيه حماد ، طبع مكتبة العبيكان ١٤١٣هـ .

١١٦- شعب الإيمان للبيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، طبع دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ .

١١٧- الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني ، المتوفى ٧٢٨هـ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى لمطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩هـ .

١١٨ الصحاح ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، المتوفى ٤٠٠ تقريبا ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا، طبع دار الكتاب العربي بمصر .

١١٩ صحيح ابن حبان بترتيب أبي بلبان ، لمحمد بن حبان أبو حاتم البستي المتوفى ٣٥٤هـ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط طبعة ثانية لمؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ .

١٢٠ صحيح الجامع الصغير ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة للمكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ .

١٢١ صحيح سنن الترمذي ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج .

١٢٢ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المتوفى ٩٠٢هـ ، نشر مكتبة الحياة بيروت .

١٢٣ الطبري ومنهجه في التفسير ، للدكتور محمود بن الشريف ، الطبعة الأولى لمكتبات عكاظ ١٤٠٤هـ.

١٢٤ طبقات الأطباء والحكماء لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المشهور بجلجل المتوفى ٣٧٧هـ تحقيق فؤاد سيد مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٥٥م

١٢٥ طبقات السنية في تراجم الحنفية ، لتقي الدين عبد القادر التميمي الحنفي ، المتوفى ١٠٠٥أو ١٠١٠هـ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، طبع دار الرفاعي ١٤٠٣هـ .

١٢٦ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، المتوفى ٧٧١ هـ ، طبعة الحلبي الأولى ، تحقيق محمد الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو

١٢٧ طبقات الشافعية لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي المتوفى ٧٧٢هـ تحقيق عبد الله الجبوري مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩١هـ

١٢٨ الطبقات الكبرى،لمحمد بن سعد بن منيع البصري كاتب الواقدي المتوفى٢٣٠هـ طبع دار صادر .

١٢٩ طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي طبع دار الكتب العلمية .

١٣٠ طبقات المفسرين لمحمد بن حلي بن أحمد الداوودي المتوفى ٩٤٥هـ ، تحقيق علي محمد عمر ، الطبعة الأولى لدار الكتب ١٣٩٢هـ .

١٣١ طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ٣٧٩هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار المعارف بمصر .

١٣٢ علل الحديث ، لأبي محمد عبد الرحمن بن الإمام أبي حاتم محمد بن إدريس ، المتوفى ٣٢٧هـ ، طبع مكتبة المثنى ببغداد ١٣٤٣هـ .

١٣٣ علم الدلالة ، لبيير جيرو ، ترجمه عن الفرنسية الدكتور : منذر عياشي ، طبع دار طلاس بدمشق ١٩٩٢م .

١٣٤ علماء ومفكرون عرفتهم ، لمحمد المجذوب ، الطبعة الثانية لعالم المعرفة ١٤٠٣هـ .

١٣٥ غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، المتوفى ٨٣٣هـ ، عني بنشره : ج. برجستراسر ، الطبعة الثالثة لدار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ .

١٣٦ الفائق في غريب الحديث ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، المتوفى ٥٣٨هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجادي ، طبعة الحلبي .

١٣٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢هـ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– طبع دار الفكر .

١٣٨ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ ، طبع دار المعرفة بيروت .

١٣٩ الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، لعبد الله مصطفى المراغي ، نشر محمد علي عثمان ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ .

١٤٠ الفهرست ، لمحمد بن إسحاق ابن النديم ، المتوفى ٣٨٥هـ ، تحقيق : رضا تجدد .

١٤١ فوات الوفيات ، لمحمد شاكر أحمد الكتبي ، المتوفى ٧٦٤هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر .

١٤٢ في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، المتوفى ١٣٨٨ هـ ، طبعة الحلبي الأولى .

١٤٣ في علم الدلالة ، للدكتور عبد الكريم محمد حسن جبل ، طبع دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧م .

١٤٤ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لمحمد المدعو عبد الرؤوف المناوي ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ، توزيع دار إحياء السنة النبوية .

١٤٥ القطع والائتناف ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : الدكتور أحمد خطاب العمر ، الطبعة الأولى لمطبعة العاني ببغداد ١٣٩٨هـ .

١٤٦ قواعد الترجيح عند المفسرين ، للدكتور : حسين بن علي الحربي ، الطبعة الأولى لدار القاسم ١٤١٧هـ ، وهي في الأصل رسالة ماجستير.

١٤٧ القواعد الحسان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المتوفى ١٣٧٦هـ ، طبع مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٠هـ .

١٤٨ القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين ، جمع وتخريج الدكتور : سليمان أبا الخيل ، والدكتور : خالد المشيقح ، الطبعة الأولى لدار ابن الجوزي ١٤١٨هـ .

١٤٩ الكافية الشافية ، المشهورة بالقصيدة النونية ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، المتوفى ٧٥١هـ ، مع شرحها ، للدكتور : محمد خليل هراس ، طبع مكتبة ابن تيمية ١٤٠٧هـ .

١٥٠ الكامل في التاريخ ، لابن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ ، الطبعة الخامسة دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ .

١٥١ كتاب التاريخ الكبير ، لأبي عبد الله لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، المتوفى ٢٥٦هـ ، طبع مكتبة الإسلام محمد أزدمير تركيا .

١٥٢ كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، لشرف الدين سين بن محمد الطيبي ، تحقيق الدكتور: هادي عطية مطر الهلالي ، الطبعة الأولى لعالم الكتب ١٤٠٧هـ .

١٥٣ كتاب التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني ، المتوفى ٨١٦هـ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الطبعة الرابعة لدار الكتاب العربي ١٤١٨هـ .

١٥٤ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب –عز وجل – ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، المتوفى ٣١١هـ ، تحقيق الدكتور : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، طبع دار الرشد ١٤٠٨هـ .

١٥٥ كتاب الثقات ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي ، المتوفى ٣٥٤هـــ ، الطبعــة الأولى لمؤسسة الكتب الثقافية دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد

١٥٦ كتاب الجرح والتعديل ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، المتوفى ٣٢٧هــــ ، الطبعــة الأولى لمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند ١٣٧٢هـ تصوير دار إحياء التراث العربي .

١٥٧ كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ٥٩٧هـ، تصحيح محمد حامد الفقي ١٣٧٢هـ ، مطبعة السنة المحمدية .

١٥٨ كتاب السبعة لأحمد بن موسى بن مجاهد أبو بكر ، تحقيق شوقي ضيف ، الطبعة الثانيــة لـــدار المعــارف ١٤٠٠هـ .

١٥٩ كتاب السنة ، لعمرو بن أبي عاصم الضحاك ، المتوفى ٣٥٤هـ ، تحقيق الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ .

١٦٠ كتاب السنة ، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، المتوفى ٢٩٠هـ ، تحقيق الدكتور : محمد بــن سعيد بن سالم القحطاني ، الطبعة الأولى لدار ابن القيم ١٤٠٦هـ .

١٦١ كتاب العرش ، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة ، دراسة وتحقيق الدكتور : محمد خليفة التميمـــي ، الطبعــة الأولى لمكتبة الرشد ١٤١٨هـ .

١٦٢ كتاب العظمة ، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني ، المتوفى ٣٦٩هـ ، تحقيق رضـــاء الله بـــن محمــد إدريس المباركفوري ، الطبعة الأولى لدار العاصمة بالرياض ١٤٠٨هـ .

١٦٣ كتاب الكشف في القراءات السبع ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، المتوفى ٤٣٧هـ ، تحقيق: محي الدين رمضان ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .

١٦٤ كتاب المقفّى الكبير ، لتقيّ الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، المتوفى ٨٤٥هـ ، تحقيق : محمــد البعلاوي ، الطبعة الأولى لدار الغرب الإسلامي ببيروت ١٤١١هـ .

١٦٥ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمـــر الزمخشـــري الخوارزمي ، المتوفى ٥٣٨هـ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، ومعه : حاشـــية الشـــريف الحســـيني ، والإنصاف، لابن المنير ، طبعة الحلبي ١٣٩٢هـ .

١٦٦ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل بن محمـــد العجلـــوني الجراحي ، المتوفى ١١٦٢هـ ، تعليق أحمد القلاش ، الطبعة الثالثة لمؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ .

١٦٧ الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، المتوفى ٤٣٧هـ ، تحقيق : محيي الـــدين رمضان طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ .

١٦٨ الكليات ، وهو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفـــوي ، المتـــوفى ١٠٩٤هـ ، مقابلة : عدنان درويش ، ومحمد المصري ، الطبعة الأولى لمؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ .

١٦٩ لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، المتوفى ٧١١هـ ، طبــع دار صادر .

١٧٠ لسان الميزان ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢هـ ، طبع دار الكتاب الإسلامي ، مصور عن الطبعة الأولى لدار المعارف بحيدر أباد ، ١٣٣١ هـ .

١٧١ مباحث في التفسير الموضوعي ، للدكتور مصطفى مسلم محمد ، الطبعة الأولى لدار القلم ١٤١٠هـ .

١٧٢ مباحث في علوم القرآن ، لمناع خليل القطان ، الطبعة الأولى المجددة لمكتبة المعارف ١٤١٣هـ .

١٧٣ المبسوط في القراءات العشر ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ، المتوفى ٣٨١هـ ، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي ، الطبعة الثانية لدار القبلة بالمملكة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت ١٤٠٨هـ .

١٧٤ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، المتوفى ٨٠٧هـ ، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ، الناشر مؤسسة المعارف ١٤٠٦هـ .

١٧٥ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع الشيخ : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، طبع مجمع الملك فهد ١٤١٦هـ .

١٧٦ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الطبعة الثانية لدار سزكين ١٤٠٦هـ .

١٧٧ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، المتوفى ٥٤٦هـ، تحقيق المجلس العلمي بمكناس ، طبع بالمغرب ١٤٠٩ هـ .

١٧٨ المحكم والمحيط في اللغة ، لعلي بن إسماعيل بن سيده ، المتوفى ٤٥٨هـ ، تحقيق : الدكتور مراد كامل ، الطبعة الأولى لمطبعة الحلبي ١٣٩٢هـ .

١٧٩ مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ضبط وتصحيح : سمرة خلف الموالي ، طبع المركز العربي للثقافة والعلوم .

١٨٠ مختصر العلو للعلي الغفار ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى ٧٤٨هـ ، اختصره وحققه وعلق عليه الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى للمكتب الإسلامي ١٤٠١هـ .

١٨١ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، اختصار ابن خالويه ، عُني بنشره : برجستراسر ، مطبعة الرحمانية بمصر .

١٨٢ مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ، ترجمة علي حسن عبد القادر الطبعة الأولى لمطبعة العلوم ١٣٦٣هـ

١٨٣ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، المتوفى ٦٦٥هـ ، تحقيق: طيار آلتي قولاج ، طبع دار صادر ١٣٩٥ هـ .

١٨٤ المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفى ٤٠٥هـ ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ببيروت .

١٨٥ المستصفى من علم الأصول ، لأبي حامد الغزالي ، ومعه كتاب فواتح الرحموت ، لعبد العلي الأنصاري، تقديم وضبط الشيخ إبراهيم رمضان ، طبع دار الأرقم بن أبي الأرقم .

١٨٦ المسند ، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ ، طبع مؤسسة قرطبة .

١٨٧ مسند أبي داود الطيالسي ، لسليمان بن داود البصري ، المتوفى ٢٠٤هـ نشر دار المعرفة .

١٨٨ مسند أبي يعلى ، لأحمد بن علي الموصلي ، المتوفى ٣٠٧هـ ، تحقيق : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى لدار المأمون بدمشق ١٤٠٤هـ .

١٨٩ مسند إسحاق بن راهويه ، المتوفى ٢٣٨هـ ، تحقيق الدكتور : عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، الطبعة الأولى لمكتبة الإيمان بالمدينة ١٤١٢هـ .

١٩٠ المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، لمحمد أحمد أبو الفرج ، نشر دار النهضة ١٩٦٦م.

١٩١ المعارف ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المتوفى ٢٧٦هـ ، تحقيق الدكتور : ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر ١٣٨٨هـ .

١٩٢ معالم التنزيل للبغوي تحقيق : خالد العك ومروان سوار ، الطبعة الرابعة لدار المعرفة ١٤١٥هـ .

١٩٣ معاني القراءات ، لأبي منصور الأزهري ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، بدون ناشر .

١٩٤ المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر ، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، المتوفى ٧٩٤هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، الطبعة الأولى لدار الأرقم ١٤٠٤هـ .

١٩٥ معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، المتوفى ٦٢٦ هـ ، طبعة دار المأمون ، مراجعة وزارة المعارف العمومية .

١٩٦ المعجم الأدبي ، لجبور عبد النور ، الطبعة الأولى لدار العلم للملايين ١٩٧٩م .

١٩٧ معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، المتوفى ٦٢٦ هـ ، طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .

١٩٨ معجم الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، المتوفى ٣٨٤هـ ، نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ، ١٣٥٤هـ ، تصحيح د. ف. كرنكو ، ومعه المؤتلف والمختلف لأبي القاسم الآمدي ، المتوفى ٣٧٠هـ .

١٩٩ المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المتوفى ٣٦٠هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية لمطبعة الزهراء بالعراق ١٤٠٦هـ .

٢٠٠ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، لعمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٣٧٩هـ.

٢٠١ المعجم الوسيط ، إصدار مجمع اللغة ، الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر .

٢٠٢ معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، المتوفى ٣٩٥هـ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، طبع دار الجيل بيروت .

٢٠٣ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى ٧٤٨هـ ، تحقيق بشار عواد معروف ، وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس ، الطبعة الأولى لمؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ .

٢٠٤ المغني ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، المتوفى ٦٢٠هـ ، طبعة عالم الكتب.

٢٠٥ مفاتيح الغيب ، أو التفسير الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ، المتوفى ٦٠٦هـ ، طبع دار الفكر.

٢٠٦ مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، المتوفى ٤٢٥هـ تقريباً ، تحقيق : صفوان عدنان داودي، الطبعة الثانية لدار القلم ١٤١٨ هـ .

٢٠٧ المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي الطبعة الأولى لدار طيبة ١٤٠٥هـ .

٢٠٨ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المتوفى ٩٠٢هـ ، تصحيح عبد الله محمد الصديق ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٣٧٥هـ .

٢٠٩ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلاح ، طبع دار الغرب الإسلامي ١٤٠٣هـ .

٢١٠ مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، طبع دار إحياء التراث العربية .

٢١١ منتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧هـ ، الطبعة الأولى لدائرة المعارف بحيدر أباد ١٣٥٧هـ .

٢١٢ منهاج في شرح صحيح مسلم ، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، المتوفى ٦٧٦هـ ، مراجعة خليل هراس ، الطبعة الأولى لدار القلم .

٢١٣ منهج المدرسة العقلية في التفسير ، للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ، الطبعة الثانية لمؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ .

٢١٤ منهجية البحث في التفسير الموضوعي ، للدكتور زياد الدماغين ، طبعة دار البشير ١٤١٦هـ .

٢١٥ المهذب في القراءات العشر ، للدكتور محمد سالم محيسن ، الطبعة الثانية لمكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩هـ.

٢١٦ الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ، المتوفى ٧٩٠هـ ، تحقيق: علي حسن عبد الحميد ، الطبعة الأولى لدار ابن عفان ١٤١٧هـ .

٢١٧ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، لمحمد علي التهانوي ، المتوفى ١١٨٥ هـ ، تحقيق علي دحروج ، ترجمه من الفارسية الدكتور : عبد الله الخالدي ، مطبعة لبنان ناشرون .

٢١٨ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى ٧٤٨هـ ، تحقيق : علي بن محمد البجادي ، طبع دار المعرفة بيروت .

٢١٩ الناسخ والمنسوخ في كتاب اله –عز وجل– واختلاف العلماء في ذلك ، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، المتوفى ٣٣٨هـ ، تحقيق الدكتور سليمان بن إبراهيم اللاحم ، طبع مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ.

٢٢٠ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، لمحمد عبد الله دراز ، المتوفى ١٣٧٩هـ ، تحقيق : عبد الحميد الدخاخيني ، الطبعة الأولى لدار طيبة ١٤١٧هـ .

٢٢١ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبي المحاسن يوسف بن تَغْري بَرْدي الأتابكي ، المتوفى ٨٧٤هـ ، مصورة عن دار الكتب .

٢٢٢ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧هـ ، دراسة وتحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، الطبعة الثانية لمؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ .

٢٢٣ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ، المتوفى ٨٨٥هـ، طبعة دائرة المعارف بالهند ١٣٨٩هـ .

٢٢٤ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقّري التلمساني تحقيق : الدكتور إحسان عباس، طبع دار صادر بيروت ١٣٨٩هـ .

٢٢٥ النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تعليق السيد بن عبد المنصور بن عبد الرحيم ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية والثقافية ١٤١٢هـ .

٢٢٦ النهر الماد ، لأبي حيان الأندلسي ، ضبط بوران ، وهديان الضناوي ، الطبعة الأولى لمؤسسة الكتب الثقافية ودار الجنان ١٤٠٧هـ .

٢٢٧ نور القبس المختص من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء ، لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري ، تحقيق : رودلف زلهايم ، دار النشر فرانتس شتايز بقيسبادن ١٣٨٤هـ .

٢٢٨ الواضح في أصول الفقه ، للدكتور محمد بن سليمان الأشقر ، الطبعة الرابعة لدار النفائس ١٤١٢هـ .

٢٢٩ الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، المتوفى ٧٦٤ هـ ، ، عناية : س . ديدرينغ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ .

٢٣٠ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة وموازنة ، للدكتور سليمان بن صالح القرعاوي ، الطبعة الأولى لمكتبة الرشد ١٤١٠هـ .

٢٣١ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، المتوفى ٤٦٨هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ، الطبعة الأولى لدار التعليم والدار الشامية ١٤١٥هـ .

٢٣٢ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلّكان ، المتوفى ٦٨١هـ ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، طبع دار الثقافة ودار صادر ببيروت .

ثالثاً : الصحف والدوريات :

٢٣٣ مجلة البيان عدد ٩٥ .

٢٣٤ مجلة المؤرخ العربي تعنى بشئون التراث والتاريخ العربي والعالمي ، عدد ٣٧ ، السنة العاشرة ١٤٠٩هـ

رابعاً : مراجع ملحقة :

٢٣٥ الزبيدي وكتابه تاج العروس للدكتور هاشم طه شلاش .

٢٣٦ سيد قطب الشهيد الحي من الميلاد إلى الاستشهاد د. صلاح عبد الفتاح الخالدي .

٢٣٧ المحرر في أسباب نزول القرآن (من خلال الكتب التسعة)، للدكتور خالد بن سليمان المزيني ، الطبعة الأولى ، دار ابن الجوزي ، الأولى ١٤٢٧ هـ .

٢٣٨ المنهج الأحمد .

٢٣٩ موقع ملتقى أهل التفسير ، على الشبكة العنكبوتية .

٢٤٠ النحو وكتب التفسير .

فهرس المحتويات

تعريف مختصر ببحث :
دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير
دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير .

رسالة ماجستير للطالب : عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم .

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه – صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً – وبعد :

فمما اتفق عليه المفسرون أنَّ أصحَّ طُرقِ التفسير للقرآن وأحسنَها : تفسيرُ القرآن بالقرآن ؛ فلا أحدَ أعلمُ بمراد الله من الله ، والصّلةُ بين الآية المفسَّرة والمفسِّرة لها قد يكونان في محلٍّ واحدٍ وسورةٍ واحدةٍ ، وقد يفترقان ، وأغلب تفسير القرآن بالقرآن إذا أطلق ينصرف إلى المتفرِّق في القرآن ، وأقوى النوعين وأسلمهما ما كان في محلٍّ واحدٍ وسورةٍ واحدةٍ ، وهذا هو موضوع هذه الرسالة الذي يتعلّق بالتفسير بدلالة السّياق .

والتّفسيرَ بدلالة السّياق – موضوع هذه الرّسالة – داخلٌ تحت هذه الأهميّة والأولويّة في التّفسير ، إذ هو من تفسير الآية بما ورد في السّورة الواحدةِ ، والذي ينبغي على المعتنين بتفسير القرآن ملاحظته ومراعاته ؛ ولذلك اخترت موضوع دلالة السّياق .

وعنوان هذه الرسالة : دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير ، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير .

والمقصود بالسياق : تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده في الترتيب .

والمقصود بدلالة السياق بمعناها العام : هي : فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده .

والمقصود بدلالة السياق في التفسير : هي : بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق .

وهذا الموضوع واسعٌ لا يحاطُ به على سبيل العموم ، فرأيتُ الاقتصار على تفسير جامع البيان لإمام المفسرين محمد بن جرير الطّبري –رحمه الله– المتوفى سنة عشر وثلاثمائة للهجرة ، ورأيتُ أن يكونَ موضوعُ البحث من خلاله ؛ لأسباب أهمها : اهتمام الإمام –رحمه الله– بدلالات السّياق تصريحاً أو تلميحاً ، وتوسّع الإمام الطبري في تناول هذه القاعدة وتوضيحها وتفسيرها ومناقشةُ الأقوالِ المخالفةِ للقاعدةِ تفصيلاً ، وأقدميّة هذا التّفسير فإنه عمدةُ من لحقه ، وكذا منزلته عند المفسّرين ؛ فقد أجمعوا على أنه لم يؤلّف مثله ، واهتمام الإمام بأقوال السّلف ورواياتهم ، وتمسّكه بعقيدة أهل السّنة والجماعة ومدافعته عنها ، ودراسة الموضوع الطّويل عند مفسّرٍ واحدٍ ،تجمع أصول الموضوع ، وتُبرزُ منهجَ المفسّرِ.

هذا وقد كان الحديثُ في هذا الموضوع شاقّاً ؛ لصعوبة أسلوب الإمام أبي جعفر الطبري –رحمه الله– من جهةٍ ، ولِدِقّةِ مأخذِه من أخرى ، ولكثرة المواضعِ المتعلّقة بالموضوع من جهة ثالثة ، وقد حاولتُ ما وسعني الجهد –بفضل الله– عرض طريقة الإمام الطبري –رحمه الله– ، والتّعليق على أهمّ المواضع التي هي داخلة في دلالة السياق.

وتشتمل خطّة الرّسالة على النّحو الآتي :

مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة :

والتمهيد يحوي ثلاثة أمور : ترجمةً موجزة للإمام : محمد بن جرير الطبري –رحمه الله– ، وتعريفاً بتفسيره : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، وعرضاً مختصراً لدلالة الألفاظ عند الأصوليين .

أما البابين : فالباب الأول : دلالةُ السّياق القرآنيّ ، وطريقةُ تناولِ ابن جريرٍ لها ويِنقسم الباب الأول إلى فصلين :

الفصل الأول : دلالة السّياق القرآني : وتحته تعريفُ السّياق القرآنيّ ، وأنواعُه ، مع التّمثيل ، وأهميّة دلالة السّياق القرآني في التّفسير ، وأسبابُ الاعتماد على دلالة السّياق القرآنيّ، ودلالة السّياق القرآنيّ ، وعلاقتها بتفسير القرآن بالقرآن.

وأمّا الفصل الثاني فعن:قواعد تناول ابن جرير–رحمه الله–لدلالة السّياق القرآنيّ :

وفيه : الكلام على اتّصال السّياق ما لم يدلّ دليلٌ على انقطاعه ، وإذا تتالت كلمتان والثانية نعتٌ فإنّها تحمل على سابقتها ، وأولى تفسير للآية ما كان في سياق السّورة، والنظر إلى ابتداء الآيات معينٌ على معرفة مناسبة خاتمتها، وإذا لزم من تفسير الآيات التّكرار الذي لا معنى له فذلك خُلفٌ ينزّه القرآن عنه ، ويختار من المعاني ما اتّسق وانتظم معه الكلام ، وتعيين من نزل بهم الخطاب لا يعنِي تخصيصهم بل يدخل من يشابههم ، والأولى في التّفسير أن يكون الوعيد على ما فُتِح به الخبر من الفعل المذكور السّابق ، ولا يفسر السّياق إلا بالظّاهر من الخطاب .

أما الباب الثاني فعن : أثر دلالة السّياق القرآني في تفسير ابن جرير :

وفيه الآثار لتطبيق دلالة السياق وهي على فصول :

الفصل الأول : أثر دلالة السّياق في القراءات .

الفصل الثاني : أثر دلالة السّياق في بيان الأصحّ من أسباب النُّزول.

الفصل الثالث : أثر دلالة السّياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها .

الفصل الرابع : أثر دلالة السّياق في الدّلالة على المعنى .

الفصل الخامس : أثر دلالة السّياق في ذكر المعنى المناسب للسّياق إذا حذف متعلّقه لعمومه ولا ينافي العموم .

الفصل السادس : أثر دلالة السّياق في الدلالة على المحذوف من الكلام .

الفصل السابع : أثر دلالة السّياق على وجود النسخ أو عدمه .

الفصل الثامن : أثر دلالة السّياق على وجود تقدم أو تأخير .

الفصل التاسع : أثر دلالة السّياق في تضعيف بعض الأقوال .

ثم الخاتمة ، والفهارس .

وكتب :
عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم .
aabuhkeem@gmail.com

Introduction

Praise be to Allah, Lord of the Worlds. I bear witness that there is not god but Allah alone, He has not partner, and I bear witness that Muhammad is His servant and His Messenger. May the peace and blessings of Allah be upon him and upon his household and his companions.

One of the things that commentators of the Quran have always agreed upon is that the most sound method of interpretation of the Quran is by the Quran itself. This is because no one can know the intended meaning of Allah better than Allah Himself. An ayat and another explaining it may be found in the same spot in the text, or in the same sura or they may be separated. While most explanations of the Quran by the Quran are separated ones, the strongest and explanations are those that are found in a single place or in the same sura. This is the subject of this thesis which focuses on contextual exegesis of the Quran.

Contextual exegesis is of primary importance to the science of tafsir. Generally speaking, contextual exegesis is concerned with the meaning of an ayat with respect to what has been revealed within a single sura. This is something that those who are concerned with tafsir should take into account and be careful of. It is because of this importance that I have chosen this as the subject of my thesis.

The title of this thesis is: Contextual evidence in the Quran and its Affect on the Science of Tafsir, a theoretican and applied investigation of Tafsir Ibn Jarir.

By context I mean the order of words and their inter-relatedness in this ordering.

By contextual evidence of meaning I mean, generally, the text in the light of what preceedes and what follows it.

By contextual evidence of exegesis I mean the explanation of a word or phrase within an ayat that does not separate it from what either preceedes or what follows it.

This is a very wide issue that one can not generalize about. For this reason I decided to limit my investigations to the tafsir known as Jaami'a al-Bayan by Muhammad b. Jarir al-Tabari, said to be the Imam of the exegetes, who was a master of explanation and illucidation. In this book Imam al-Tabari gives us a clear demonstration of the principles of exegesis and also responds to the those who violate those clear principles. Tafsir al-Tabari is also one of the most highly respected works of its kind. The scholars are in very wide agreement about the value of this book and believe that nothing approaching it has ever been written since. Al-Tabari accorded primary

importance to accounts of the views of early scholars and the companions, and he was assiduous in his upholding of the doctrines of Ahl al-Sunnah wal-Jama'a and in his defense of these. A long study of a single exegete will allow us to see the broad outlines of the subject as well as revealing the methods of a single scholar.

This is not an easy problem to broach, not the least because of the difficulty of al-Tabari's style on the one hand and because of the minuteness of detail he includes on the other. In addition to this, the subject itself is wide and varied. I have attempted to demonstrate Imam al-Tabari's techniques while commenting on the most important issues directly related to contextual exegesis.

My research proposal included the following؛

A prologue, an introduction, two chapers, and a conclusion.

The introduction includes a biography of Imam al-Tabari and a quick review of his work, Jaami'a al-Bayaan.

Chapter one examines Imam al-Tabari's treatment of contextual evidence in Quranic exegesis. This chapter is divided into two sections. The first deals with contextual evidence itself. In it I discuss what I mean by "Quanic context", explain different types of this with ecamples, discuss the importance of Quranic context in the exegesis of the Quran and the reasons why we should rely upon this type of evidence, what constituted contextual evidence and how it is related to exegesis.

The second section of this chapter deals with Ibn Jarir's treatment of contextual evidence in the Quran. Here I discuss issues such as the establishment of a context where there is no evidence that should not exist, such as the case of two words and a third where the third word relates directly to those that preceded it, the concept that the best explanation is that which is within the context of the sura, the notion that the the beginning of any particular ayat must be understood with a view to the end of the ayah that preceeds it. I also discuss the idea that meaningless repetition is not an acceptable explanation and the idea that the choice of meaning must be consistant with both context and syntax. I argue that the rule that one should remain within the context of the revealed discourse does not impose an narrowness upon interpretation, indeed, it also accommodates ambiguity. Rather, the first concern of exegesis should be to remain faithful to preceeding context. Context can not be explained except in the full light of discourse.

The second chapter deals with the effects of contextual evidence on Ibn Jarir's tafsir. Here we see a number of consequences in his method. Among them:

1-The use of contextual evidence from variant readings

2-The use of contextual evidence in determining which are the most c orrect circumstances of a particular part of the revelation،

3-The use of contextual evidence in highlighting the appropriateness of an ayat and its relationship to others،

4-The use of contextual evidence to determine meaning،

5-The use of contextual evidence to the proposal of a specific contextual meaning in the light of another part of the revelation, so long as this does not contradict its general meaning in its immediate context.

6-The use of contextual evidence removed from common meaning of the word itself.

7-The use of contextual evidence to indicate abrogation or to deny it.

8-The use of contextual evidence to indicate taqdiim, or tadkhir.

9- The use of contextual evidence to indicate the weakness of particular opinions.

I have spared not effort to complete this research in the best of intentions, but it is the nature of human beings to make mistakes. Whatever anyone other than the Messenger, upon whom be peace, says may be refuted. What I have discovered of truth, is from Allah alone, He is Generous and Nurturing, and what I have said that is wrong, it is from myself and from Satan. I seek the forgiveness of Allah and reptent unto Him. Praise be to Allah, Lord of the Worlds.

Abdul Hakim b. Abdullah b. Abdul Rahman al-Qasim
١٤٢١/١/٢١
PO Box ٢٢٤٢١٠
Riyadh ١١٣٢٢
Saudi Arabia